

نُظَاهُ الْحَبَّانِ

لِرَتِّيبِ مَا سَلَفَ مِنْ اخْبَارِ التَّرْمَانِ

لَا بِنَ الْقَطَانِ الْمَرَاكِشِيِّ
أَبِي مُحَمَّدٍ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْكَتَامِيِّ
(مُنْتَصَفُ الْقُرُونِ السَّابِعِ الرَّهْبِيِّ)

دَرَسَهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَحَقَّقَهُ
الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ عَلِيٌّ مَكِّي
أَسَازُ الدُّوَابِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ بِمَكْتَبَةِ الدُّوَابِّ بِمَدِينَةِ الْقَاهِرَةِ
وَعُضُوهُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ



تواضع : صاحب مكتبة
استقرية : 3.6.35
المتن
مكتبة : المكتبة
قرب المسجد الكبير

ح

نُظْمُ الْجَبَّانِ

لِتَرْتِيبِ مَا سَلَفَ مِنْ أَخْبَارِ الزَّمَانِ

لَا بِنَ الْقَطَانِ الْمَرِشِيِّ

أَبِي مُحَمَّدٍ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْكَتَائِي

(مُنْتَصَفُ الْقُرْنِ السَّابِعِ الرَّهْوَِيِّ)

دَرَسَهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَحَقَّقَهُ

الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ عَلِيٌّ مَكِّي

أَسَازُ الْأَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّ بِكَلْبَةِ الْأَدَابِ بِهَامَةِ الْقَاهِرَةِ

وَعُضُو مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ



دار الفرب الأنلاي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

هذه هي الطبعة الثانية من الكتاب الذى نقدم بين يديه بتلك السطور ، بعد خمس وعشرين سنة من ظهور طبعته الأولى (فى سنة 1964) فى تطوان ، تلك المدينة الجميلة من مدن شمال المغرب العربى الشقيق . وكانت الطبعة الأولى قد صدرت وعلى غلافها أن الكتاب من منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط وبمساهمة المركز العلمى الجامعى للبحث العلمى وتحت إشراف معهد مولاي الحسن للبحوث فى تطوان .

وتطوان مدينة أحمل لها أجمل الذكريات ، فقد كانت أول ما عرفته من مدن المغرب الأقصى ، هذا البلد الطيب الحبيب الذى كان من أكثر بلاد عالمنا العربى حفاظاً على تراثه العربى ومنافحة عن شخصيته الإسلامية إزاء هجمات الاستعمار الشرسة ، كما كان ولا يزال مستودعاً لثقافة الأندلس وفكرها بعد أن غربت شمس الإسلام عن تلك البلاد . وقد لقيت من أهل تطوان منذ أن حللت فى رحابها لأول مرة من الحفاوة والإكرام ما لا يزال لسانى يلهج به . ولم يشب صفاء هذه الذكريات المحبة إلى النفس إلا أن ذلك الكتاب الذى آثرت به تطوان رمزاً لمحبتى لها قد صدر فى طبعة رديئة أصابها من التشوه والتحريف والأخطاء ما لا مزيد عليه ، حتى إننى اضطرت لإلحاق ست صفحات من الاستدراكات والتصويبات لم أسجل فيها إلا أبرز الأخطاء ، وحتى هذه القائمة لم تسلم بدورها أيضاً من التحريف . وحمدت الله عند صدور الكتاب آنذاك على أنه لم يطبع منه إلا نسخ قليلة لا تتجاوز بضع مئات ، وإن كنت آسفاً لأن الانتفاع به لم يكن على ما كنت أرجو له من السعة والانتشار .

ولست أود الاسترسال فى هذا الحديث المؤلم ولا فيما أعقب نشر الكتاب

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1990

دار

دار الغرب الإسلامي

ص.ب. 5787 - 113

بيروت - لبنان

على تلك الصورة من جرائر كان من بينها أن رثت جبال المودة بيني وبين أصدقاء
كانت لهم في نفسي مكانه أثرة ، وإن لم ينل ذلك من حب تأثّل في نفسي
لنظوان رعاها الله ورعى ساكنيها .

وترب على ما ذكرته من أمر الكتاب أننى أعرضت عن النظر فيه من
جديد قراءة ربع قرن ، وكنت أردد حينما ألتقى به قول شاعرنا القديم :

إذا صرفت نفسي عن الشيء لم تعد إليه بوجه آخر الدهر تقبل

إلى أن جمعتنى الظروف بالصديق العزيز الناشر التونسي الحاج الحبيب
اللمسى صاحب الفضل الكبير في الاهتمام بنشر التراث المغربي والأندلسي ، فألح
علىّ في إخراج طبعة جديدة من هذا الكتاب الذي أفسدته طبعته الأولى ،
ولم يكن أمامي إزاء حماسته وغيته إلا أن أستجيب لرغبته شاكراً له ومقدراً عنايته
الكرّمة . وهكذا استعرت الله وشرعت في إعداد هذه الطبعة الثانية التي تكفلت
بها مكتبة الخانجي ، وهي طبعة أرجو أن تكون تكفيراً عما ارتكب في حق
الكتاب في طبعته الأولى . ويكفي أن أقول إنها سلمت - إن شاء الله - مما كان
يعتور الأولى من أخطاء كثيرة لم تكد تسلم منها صفحة واحدة ، وإن فيها
إضافات كثيرة كانت ثمرة لتقدم البحث العلمي حول تاريخ المغرب والأندلس
خلال السنوات الأخيرة . وقد كنت رجعت في الطبعة الأولى إلى مصادر كانت
لا تزال مخطوطة ، منها على سبيل المثال قطعة من « البيان المغرب » خاصة بدولة
المرابطين كانت مما تفضل بإعاريق إياها المستشرق الإسباني أمبروسيو أويثي ميراندا
قبل أن ينتقل إلى الدار الآخرة ، ثم نشرت بعد ذلك مرتين ، وكذلك كتاب
« المن بالإمامة » لابن صاحب الصلاة الذي قام بتحقيقه الصديق العالم الجليل
الدكتور عبد الهادي التازي ونشره في بيروت ، وأجزاء من كتاب « الذيل والتكملة »
لابن عبد الملك المراكشي قبل أن يضطلع بتحقيق أسفاره الصديقان الدكتور
إحسان عباس ومحمد بنشريف . وكذلك تمت خلال السنوات الأخيرة إعادة طبع

عدد من المصادر الرئيسية في تاريخ المغرب مثل القسم الموحدى من كتاب
« البيان المغرب » و « الحلل الموشية » و « روض القرطاس » و « الذخيرة السنينة » .
وحملنى ذلك على إعادة النظر في كثير من حواشى « نظم الجمان » ومراجعتها
وجعلها مساوقة لتلك الطبعات الجديدة التي أصبحت في متناول أيدي القراء .

على أن أهم ما أصاب هذه الطبعة الجديدة من تغيير كان في الدراسة التي
قدمت بها للكتاب والتي كان موضوعها تحقيق نسبة الكتاب وسيرة مؤلفه .
وكنت في الطبعة الأولى قد تبينت خطأ النسبة التي أثبتتها ليفى بروفنسال ، وهو
أول من عرّف بالكتاب ونشر صفحات منه ، وكان قد بدر إلى ظنه أنه
لأبى الحسن على بن محمد بن عبد الملك الكتامى الفاسى المراكشى المعروف
بابن القطان (والمتوفى سنة 1231/628) ، وتابعه على ذلك كل من أتى بعده من
الباحثين . غير أننى رجحت ترجيحاً قريباً من اليقين أن الكتاب لابد أن يكون
لابن لهذا المؤلف مختلف في اسمه وكنيته ، وأن هذا الابن قد امتدت به الحياة نحو
من عشرين سنة بعد وفاة والده . ولهذا فقد أفردت صفحات لتتبع حياة الرجلين :
ابن القطان الأب وابنه ، بقدر ما أعانت المصادر التي كانت تحت يدي .
ولم أكد أشرع في إعداد الكتاب ودفعه للمطبعة حتى وافانى البريد بهدية قيمة مما
اعتاد أخى الدكتور محمد بنشريف أن يتحفنى به من جهوده وجهود زملائه من
علماء المغرب ، وكانت في هذه المرة السفر الثامن من كتاب « الذيل والتكملة »
لابن عبد الملك المراكشى (طبعة الرباط سنة 1984) وقد تصدرت هذا السفر
دراسة طويلة مستقصية لحياة ابن عبد الملك ومؤلفاته وتلاميذه ، كما تضمن
الكتاب نفسه ترجمة مطولة لابن القطان الأب حافلة بالأخبار الجديدة عن سيرته
ومتضمنة تفاصيل كثيرة عن ابنه أبى محمد حسن الذى ثبت لى أنه هو نفسه
مؤلف « نظم الجمان » . وهكذا قطعت هذه المعلومات الجديدة الشك باليقين ،
وأثبتت أننى لم أبعد عن الصواب فيما رجحته في طبعة الكتاب الأولى .

وبهذا كان على أن أعيد صياغة تقديمي للكتاب مضيفاً إليه كل ما استصفيته من هذا المصدر وغيره مما صدر خلال السنوات الأخيرة . ثم زدت على ذلك عدداً من الفهارس الجديدة التي أخلت بها الطبعة الأولى . وقد اقتضى العمل منى في هذه الإضافات جهداً كبيراً على ضيق في الوقت وزحمة من المشاغل ، فعسى أن يكون في هذا الجهد ما يفيد الباحثين في تاريخ مغربنا العربي وسد بعض الثغرات في دراسة ماضيه القديم .

ولا يبقى لي بعد ذلك إلا التوجه بالشكر أولاً للصديق الكريم الحاج المحيى للمسى وللقائمين على طبع الكتاب في مكتبة الخانجي الذين أذكر لهم سرورهم على خلال الوقت الطويل الذي استغرقه العمل في الكتاب وما اقتضته المراجعات من تصحيحات وتغييرات كثيرة ، وأخص بالذكر منهم الأخ العزيز الأستاذ محمد الخانجي ، ثم أعبر عن شكرى الجزيل لكل من أعاننى على استكمال هذا العمل ولا سيما ابن أختى الشاب النابه محمد مغربى مكى الذى اضطلع بالجانب الأكبر من إعداد فهارس الكتاب وأفادنى ببعض الملاحظات التى كشف عن مواهب واعدة بمستقبل مشرق فى ميدان التحقيق والبحث العلمى ، أنسى أن أقدم الشكر كذلك للأخ العزيز الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف لى راجع معى فصولاً من هذا الكتاب .

ولا يفوتنى أن أنهه أخيراً - بل أولاً - بفضل شيخى أستاذ المحققين عالمنا كبير أئى فهر محمود محمد شاكر الذى نرجو أن يوفقنا الله للاقتداء به والسير على هدى خطاه مد الله فى عمره ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمود على مكى

الجديدة فى 23 جمادى الآخرة 1410 هـ
20 يناير 1990 م

تقديم

تمهيد :

بقى تاريخ المغرب والأندلس في ظل دولتي المرابطين والموحدين يكتنفه الغموض والاضطراب حتى نهاية القرن الماضي ، فقد كانت مراجعنا عنه لا تتعدى بضعة كتب لم توله من العناية ما هو جدير به ، مثل كتاب « العبر » لابن خلدون و « الحلل الموشية » لمؤلف مجهول و « روض القرطاس » لابن أبي زرع و « المعجب » لعبد الواحد المراكشي و « تاريخ الدولتين » للزركشي و « الكامل » لابن الأثير ، ولهذا فقد كانت كتابة تاريخ علمي دقيق لهاتين الدولتين أمراً عسيراً كل العسر ، لم يقدم عليه في القرن الماضي إلا المؤرخ الألماني جوزيف أشباخ في كتابه عن المرابطين والموحدين الذي قام بترجمته الباحثة المصري الأستاذ محمد عبد الله عنان ، وهو محاولة طيبة إلا أنه لم يستطع - بحكم قلة المراجع المعروفة في أيام المؤلف - ان يسد الفراغ أو يفي بالغرض . ثم اضطلع المستشرق الهولندي العظيم رينهاردت دوزي بكتابة « تاريخ المسلمين في الأندلس » فأنجز منه ثلاثة أجزاء وقف بها عند فتح المرابطين للأندلس ، وأعقبه الأستاذ ليفي برونسال ، ولكنه لم يتعد بدوره نهاية الخلافة الأموية في الأندلس ، وإن كان كتابه يدل على مدى التقدم الذي أحرزته الدراسات الأندلسية منذ أن وضع دوزي كتابه حتى العصر الحاضر .

على أن السنوات الأخيرة شهدت اهتماماً متزايداً من جانب بعض الباحثين من عرب ومستشرقين بالدولتين المرابطية والموحدية اللتين اتحدت تحت رايتهما بلاد المغرب والأندلس في نظام سياسي واحد ، فقد نشر عدد كبير من النصوص المتعلقة بهما ، وتقدمت الأبحاث الجزئية الخاصة بهما تقدماً ملحوظاً . وكان على رأس هذه النصوص الجديدة كتاب « أعز ما يطلب » لمحمد بن تومرت المهدي الذي نشره لوشيان في الجزائر سنة 1903 مع تقديم عظيم القيمة

للمستشرق جولد تسيهر ، ثم كتاب « أخبار المهدي بن تومرت » لأبي بكر الصنهاجي الملقب بالبيذق مع مجموعة أخرى من الرسائل الموحدية و « مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية » ، وقد نشر ليفي بروفنسال الكتابين في باريس سنة 1928 وفي الرباط سنة 1938 على الترتيب . كذلك قام الدكتور حسين مؤنس وكاتب هذه السطور بنشر عدة مجموعات من رسائل الدولة المرابطية ، هذا إلى غير ذلك من نصوص ليست تاريخية بمعنى الكلمة وإن كان لها قيمة كبيرة في إجلاء الكثير من جوانب الحضارة المغربية والأندلسية في ظل هاتين الدولتين العظيمتين .

أما الأبحاث الحديثة فقد نشر منها في السنوات الأخيرة كتابان عن دولة المرابطين ، أحدهما بالعربية للدكتور حسن أحمد محمود « قيام دولة المرابطين » (القاهرة سنة 1957) والآخر بالإسبانية للدكتور خايننتو بوسك فيلا وعنوانه « المرابطون » (تطوان سنة 1956) ، وهما بحثان طيبان اجتهد مؤلفاهما ما وسعهما الاجتهاد ، غير أن كتابة تاريخ شامل لدولة المرابطين ما زالت أمراً سابقاً لأوانه ، إذ ما زالت هناك نصوص مخطوطة لا غنى عنها لمؤرخ هذه الدولة ، وكثير منها لم يكن بعد متيسراً بين يدي هذين الباحثين .

وأما الدولة الموحدية فقد كانت أسعد حظاً من تلك ، إذ توفر عليها عالم إسباني يعتبر حجة في تاريخ المغرب والأندلس بين القرنين الخامس والسابع الهجريين ، ونعني به الأستاذ أمبروسيو أويثي ميراندا الذي ظل حتى وفاته منذ سنوات قليلة عاكفاً على العمل في هذا الميدان عملاً متواصلاً بين ترجمة وتأليف ونشر نصوص . وأعانه على ذلك سعة اطلاعه على المراجع الإسلامية والمسيحية على السواء ، ثم إحاطته بجميع النصوص العربية التي تناولت دولتي المرابطين والموحدين ، إذ توفر لديه كل ما صدر عنهما من كتاب مطبوع وما احتفظت به خزائن الكتب من أصل مخطوط ، فقام أولاً بترجمة نصوص « الحلال الموشية » و « المعجب » و « البيان المغرب » إلى الإسبانية ، ونهأت له في أثناء ذلك أصول

فريدة من مخطوطات متصلة بهذا الموضوع ، منها القسم الثاني من كتاب « المن بالامامة » لابن صاحب الصلاة ، والجزء الوحيد المعروف لنا من هذا التاريخ القيم لدولة الموحدين هو الذي يوجد الآن في مكتبة « البودليانا » في أوكسفورد⁽¹⁾ ثم عدة نسخ مخطوطة من كتاب « البيان المغرب » لابن عذاري المراكشي ، وهو يعتبر أوسع المصادر التاريخية حول عصر المرابطين والموحدين ، فتوفر على نشره ، وأخرج منه طبعين في تطوان في سنتي 1956 و 1960⁽²⁾ فضلاً عن قطع أخرى عثر عليها بعد ذلك ، ومكنه هذا من إخراج كتابه القيم « التاريخ السياسي لدولة الموحدين » (تطوان 1956 - 1957) ، وهو خير ما صدر في هذا الميدان حتى اليوم .

وقد كان من بين المصادر التي رجع إليها أويثي جزء من كتاب « نظم الجمان » كان قد أعاره إياه المستشرق الفرنسي الأستاذ ليفي بروفنسال ، بعد أن نشر هذا منه قطعاً من قبل دون أن يعرف أن مؤلفه هو ابن القطان الكتامي على وجه التأكيد .

واتفق بعد موت الأستاذ ليفي بروفنسال سنة 1956 أن معهد الدراسات الإسلامية تمكن من شراء جزء من تركته من المخطوطات العربية ، وكان من بين هذه المخطوطات تلك القطعة الباقية من « نظم الجمان » ، فعكفت عليها واجتهدت في تحقيق النص وخدمته حسب هذه المخطوطة الوحيدة إذ أنني لا أعرف له نسخة أخرى في أي مكتبة من مكتبات العالم .

مؤلف الكتاب :

وقد كثر انتفاع الناس من كتاب « نظم الجمان » في القديم والحديث ، ولكن الغريب هو أن مؤلفه ربما كان أقل المؤرخين حظاً من عناية متتبعي تراجم

(1) قام على نشر هذا الكتاب الأستاذ عبد الهادي النازي ، وطبعه في بيروت سنة 1964 .

(2) صدرت الطبعة الأولى بتحقيق الأستاذ أويثي وحده ، وأما الثانية وهي أكمل وأحسن من سابقتها فقد ساهم فيها الأستاذان محمد بن تلويت ومحمد ابراهيم الكتاني . (تطوان 1960) ، ثم صدرت بعد ذلك طبعة ثالثة أكمل من سابقتها وأصبح (دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1983) .

الرجال ، إذ لا نجد أحداً اختصه بترجمة مفردة ولا عني بالحديث عنه كما عونا بمن هم أقل كثيراً من طبقتهم ، حتى اسمه وكنيته اختلف فيهما من أشاروا إليه إشارات عابرة كما سنرى .

وذلك أن معظم من نقلوا عن كتاب « نظم الجمان » مثل ابن عذارى المراكشي وصاحب « الحلل الموشية » وابن الخطيب الغرناطي يكتفون بأن يذكروا الاسم الذي اشتهر به المؤلف أي « ابن القطان » دون أن يضيفوا إلى ذلك علماً مميزاً ، وهذا هو ما أوقع الباحثين المحدثين في خطأ لم يكديسلم منه أحدهم منذ أن جرحهم إليه الأستاذ ليفي بروفينسال الذي كان أول من أشار إلى قيمة الكتاب ونشر فصولاً منه ذلك أن الباحث الفرنسي تنبه إلى شخصية عالم مشهور ترجم له بعض المؤرخين المغاربة والأندلسيين وكانت له صلة وثيقة بالموحدين هو « أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتامي الفاسي المعروف بابن القطان » والمتوفى سنة 628 هـ . (1230 م .) ، فظن أن هذا هو صاحب « نظم الجمان » (1) ، وزاد من عقيدة ليفي بروفينسال فيما سبق إليه ظنه أنه رأى ابن القطان يذكر في معرض بعض الأحاديث النبوية في « النظم » أنه ألف كتاباً باسم « الأحكام » (2) ثم رأى في ترجمة علي بن محمد بن عبد الملك بن القطان المذكور أن له كتاباً في شرح « الأحكام » لعبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي (3) ، فأكد ذلك ظنه بأن ابن القطان هذا هو صاحب « النظم » ، وعلى ذلك تابعه بعض

(1) انظر ليفي بروفينسال : « ست قطع مخطوطة من تاريخ مجهول المؤلف لظهور الدولة الموحدية » - في مجموعة الدراسات المهداة إلى ذكرى العالم الفرنسي رينيه باسيه ، ط . باريس 1925 ، المجلد الثاني ص 336 - 338 .

(2) انظر نص نظم الجمان ص 171 .

(3) ولد سنة 510 هـ . وتوفى سنة 581 ، وهو صاحب كتاب « الأحكام » الذي وضع منه نسخاً : كبرى وصغرى ووسطى ، ومن هذا الكتاب مخطوطات كثيرة في مكتبات متعددة . انظر في ترجمته : بغية المتلمس للفضي ، رقم 1104 ، والتكملة لابن الأبار ، رقم 1805 ، وعنوان الدراية للغبريني ص 20 - 23 ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي 458/1 والملحق 634/1 .

الباحثين اللاحقين مثل الأستاذ عبد السلام بن سودة (1) والدكتور أحمد مختار العبادي (2) ، وهذا خطأ يتكشف لنا بالمقابلة التاريخية ، فابن القطان المذكور توفي سنة 628 هـ . كما أجمع على ذلك مترجموه ، بينما نرى أن صاحب « نظم الجمان » قد أدرك خلافة المرتضي الموحدي أبي حفص عمر بن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن (3) ، ونحن نعرف أن المرتضى ولي الخلافة بين سنتي 646 و 665 هـ . (1248 - 1266 م .) أي بعد وفاة ابن القطان المذكور بعشرين سنة على أقل تقدير . فالمؤلف إذن شخص آخر يحمل نفس اللقب والنسبة ، ولا يتفق مثل ذلك إلا إذا كان بين الرجلين قرابة وثيقة ، ولا أظنني أبعد عن الصواب إذا قلت إن صاحب « نظم الجمان » لابد أن يكون ابناً لذلك الفقيه المشهور الذي أولاه مؤرخو المغرب بعض عنايتهم كما سنبين في الصفحات التالية .

ابن القطان « الأب » : (562 - 1167/628 - 1231)

ولهذا فلا بأس في أن نعرف شيئاً عن ابن القطان الذي نزع من أنه أبو مؤرخنا ، إذ أن ذلك سوف يلقي الضوء الكاشف على حياة ابنه (4) .

(1) في كتابه « دليل مؤرخ المغرب الأقصى » - تطوان 1950 ، ص 184 .

(2) في مقاله « دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية وأهميته في تاريخ المرابطين والموحدين » - مجلة تطوان ، العدد الخامس سنة 1960 ، ص 140 .

(3) انظر نص نظم الجمان ص 214 حيث ينص المؤلف على صلته بالخليفة المرتضى .

(4) كنا في تقديمنا للطبعة الأولى من هذا الكتاب قد استنتجنا - على سبيل الظن المقارب لليقين - أن النسبة التي ردها الباحثون المحدثون إلى أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المعروف بابن القطان المراكشي لا يمكن أن تكون صحيحة ، وأن المؤلف الحقيقي لابد أن يكون ابناً له ، ولو أننا لم نستطع القطع باسمه وكنيته . ويسعدني أن أذكر بين يدي هذه الطبعة الجديدة أن أذكر أن ذلك الاستنتاج كان صحيحاً تماماً . وكان الفضل في الوصول إلى ما نقطع به الآن يرجع إلى ظهور السفر الثامن من كتاب « الذيل والتكملة » لابن عبد الملك المراكشي (الرباط 1984) بتحقيق الصديق الكريم والعالم الجليل الدكتور محمد بنشره ، مع دراسة قدم بها لهذا السفر في نحو مائة وخمسين صفحة وترجم فيها حياة ابن عبد الملك ترجمة تعد نموذجاً للدقة والاعتناء - شأن كل ما اعتدنا أن يعالينا به الصديق بنشره -

وقد ترجم لابن القطان هذا مؤلفون كثيرون ، ولكن أوفى هذه الترجمات وأغناها بالمادة العلمية هي التي أوردها له ابن عبد الملك المراكشي في « الذيل والتكملة » ، وهي تمتد على طول ثلاثين صفحة ⁽¹⁾ . على أننا سنجتزئ من هذه التراجم بما كتبه عنه ابن القاضي في « جذوة الاقتباس » :

« على بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتامي ، من أهل مدينة فاس ، وأصله من قرطبة ، يعرف بابن القطان ، ويكنى أبا الحسن ، سمع أبا عبد الله بن الفخار وأبا الحسن بن النقرات ، وأبا عبد الله بن البقار ⁽²⁾ ، وأبا العباس بن سلمة اللورقي ، وأبا جعفر بن يحيى الخطيب ، وأبا ذر الحشني ، وأبا الوليد زكريا بن عمر القرطبي ، وأبا الحسن بن مؤمن ، وأبا عبد الله التجيبي ، وأبا البقاء يعيش بن القديم وغيرهم ، ومن كتب إليه ولقيه أبو جعفر بن مضاء ، وأبو محمد التادلي ، وأبو محمد بن الفرس ، وكتب إليه أبو عبد الله بن زرقون ، وأبو محمد بن عبيد الله ، وأبو خالد بن رفاع ، وأبو الحسن بن كوثر ، وأبو عبد الله بن عروس ، وأبو محمد فليح ، وسواهم . وكان من أبصر الناس بصناعة الحديث وأحفظهم لأسماء رجاله ، وأشدّهم عناية بالرواية ، مع التفنن في المعرفة والدراية . وجمع برنامجاً مفيداً في مشيخته ، ورأس طلبة العلم بمراكش ، ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة . له كتاب « شرح الأحكام لعبد الحق » ، ومقالة في الأوزان ، والنظر في إحكام النظر . وحدث وأخذ عنه . وامتنح بالفتنة الحادثة بالمغرب أول سنة

من أعمال علمية . وقد أفرد ابن عبد الملك في هذا السفر ترجمة وافية لابن القطان « الأب » تضمنت إشارات عديدة إلى ابنه « أبي محمد حسن » الذي كان شيخاً لابن عبد الملك نفسه والذي ثبت لنا أنه مؤلف « نظم الجمان » . وهكذا قطع هذا النص الشك باليقين . على أن الترجمة المذكورة أفادتنا بأخبار أخرى تزيد الأمر جلاء فيما يتعلق بحياة الرجلين : الأب والابن وتطلعنا على علاقتهما بخلفاء الموحدين .

(1) السفر الثامن ، رقم 10 ص 165 - 195 .

(2) في طبعتي الجذوة « ابن البقال » وهو تحريف صححه الدكتور بنشريف ، ص 165 ،

حاشية 42 .

أحدى وعشرين وستائة ، فخرج من مراكش ، وعاد إليها ، واضطرب أمره إلى أن توفي بسجلماسة وهو متولى قضائها من علة البطن أول شهر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وستائة ⁽¹⁾ .

ولا تخرج الترجمات الأخرى لابن القطان عما ذكره ابن القاضي وإن كانت فيها زيادات وتفصيلات أخرى تستحق أن نتوقف عندها ⁽²⁾ ، هذا باستثناء الترجمة التي أفردها له ابن عبد الملك ، وهي أحفلها بالمادة مما يحملنا على أن نستصفي ما فيها من فوائد .

ونورد في البداية ما ذكره ابن الزبير حول كتابه عن « الأحكام » لأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي ، فهو لا يقول إنه شرح له وإنما عنوانه عند ابن الزبير - وكذلك عند ابن عبد الملك - « [بيان] الوهم والإيهام ، الواقعين في كتاب الأحكام » ثم يضيف إلى ذلك قوله : « وهو من أجل التواليف في بابها ، وإن كان لا يخلو من بعض تعسف وتامل » ⁽³⁾ . ولسنا نعلم إن كان هذا كتاباً آخر غير شرحه للأحكام أو أنه نفسه الشرح المذكور ضمنه ابن القطان ما أخذه على كتاب عبد الحق الإشبيلي . وعلى كل حال ، فقد وصلت إلينا عدة نسخ مخطوطة من كتاب « الوهم والإيهام » بشهادة بروكلمان ⁽⁴⁾ .

كذلك نسجل اختلاف مترجمي ابن القطان حول أصله وموطنه ،

(1) جذوة الاقتباس ، ط . فاس الحجرية سنة 1309 ص 298 - 299 .

(2) ابن الأبار : التكملة ، رقم 1920 ؛ ابن الزبير : صلة الصلة ، نشر ليفي بروفنسال ، ط . الرباط سنة 1938 رقم 268 ص 131 - 132 ؛ أحمد بابا التنيكتي : نيل الانتباه بتطريز الديباج (على هامش الديباج المذهب لابن فرحون) ط . القاهرة سنة 1351 ص 200 - 201 ؛ رحلة العبدري ص 140 ؛ فمس الدين الذهبي : تذكرة الحفاظ 1704/4 ؛ العباس بن إبراهيم المراكشي : الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 75/9 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب 128/5 ؛ بونس بويجس : المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون (ط . مدريد 1898) ص 276 ، رقم 233 .

(3) صلة الصلة ص 132 .

(4) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، الأصل الألماني 458/1 ، والملحق 634/1 ، 678/2 .

وهو اختلاف لا يخلو من دلالة لها مغزاها . فابن عبد الملك يقول إنه « فاسي سكن مراكش »⁽¹⁾ ، وابن القاضي يجعله « من أهل مدينة فاس وأصله من قرطبة » . أما من ترجم له من الأندلسيين فإنهم يعدونه أندلسيا مع أن من الواضح أنه ولد في فاس وعاش معظم حياته في المغرب . فابن الأبار - مع اعترافه بأنه فاسي - يترجم له بين الأندلسيين ، ولا يضمه إلى « الغرباء » . وابن الزبير يقول إنه « من أهل قرطبة » ، وابن سعيد في رسالته التي ذيل بها رسالة ابن حزم في فضل الأندلس يصفه بـ « القرطبي الساكن بحضرة مراكش »⁽²⁾ . وفي هذا الاختلاف مظهر من مظاهر التنافس بين علماء الأندلس والعدوة المغربية ، فقد كان كل من الفريقين يجتهد في أن يضم إلى وطنه من العلماء من ظهر نبوغهم وتبريزهم في مجال من مجالات المعرفة . وقد تنبه الدكتور بنشره إلى هذه الظاهرة عند دراسته لابن عبد الملك فسجل اعتزازه بمغربيته وامتناعه من تعصب بعض الأندلسيين واهتضامهم حق أهل العدوة وقلة إنصافهم لهم ، وكان ابن الأبار بصفة خاصة هدفاً لهجوم ابن عبد الملك واتهامه بالعصبية لأنه عد من أهل الأندلس « جماعة من الناقلة إليها » أي من الطائرين عليها وغير القاطنين في الأصل بها « تشبعا واستكثاراً وإفراطاً في التعصب الذي كان الغالب عليه حتى غلا فيه » وقد أورد ابن عبد الملك أمثلة عديدة لهؤلاء العلماء الذين أدرجهم ابن الأبار بين الأندلسيين إفراطاً في التعصب ، نذكر من بينهم ابن المناصف الذي كان مولده بتونس أو المهدية والذي ختم ابن الأبار ترجمته بقوله « وذكره في الغرباء لا يصلح ضمانة بعلمه على العدوة »⁽³⁾ . وابن القطان - كما رأينا - يصلح مثالا آخر لهذا التنازع عليه بين العدوتين .

وقد استوفى ابن عبد الملك ذكر شيوخ ابن القطان ، إذ أنه نقل ثبت

أسمائهم من برنامج الذي ذكر أنه عمله بأخرة من عمره بعد الخمس والعشرين وستائة ؛ كما أفاض في ذكر تلاميذه منها كلامه عنهم بقوله « في خلق لا يحصون كثرة أخذوا عنه بمراكش وغيرها من بلاد العدوة إلى إفريقية وبالأندلس »⁽¹⁾ .

وجدير بالذكر أنه ينص على أن من بين من رروا عنه ابنه : أبا محمد حسن شيخ ابن عبد الملك وأبا عبد الله الحسين ، وكذلك ابن أخته أبا علي عمر ابن محمد بن علي بن عمار⁽¹⁾ .

كذلك أورد ابن عبد الملك قائمة طويلة يكتب ابن القطان زاد فيها على ما ذكره مترجموه الآخرون . هذا فضلا عما عني بكتابته بخطه من أصول الحديث ، منها نسخة بخطه من « صحيح مسلم » و « السنن » لأبي داود . أما مؤلفاته هو فقد ذكر ابن عبد الملك من بينها :

- كتاب في الرد على أبي محمد ابن حزم في كتاب « المحلى » مما يتعلق به من علم الحديث .

- كتاب في أحكام الجنان ، مجلدان متوسطان .

- شيوخ الدارقطني ، مجلد متوسط .

- النظر في أحكام النظر ، وقد ذكره المترجمون الآخرون ، إلا أن ابن عبد الملك يعقب على هذا العنوان بقوله « وهذا الاسم من تسمية ابنه شيخنا أبي محمد » .

- النزاع في القياس ، لمناضلة من سلك غير المهيح في إثبات القياس ، وهو في الرد على أبي علي عمر بن محمد بن علي الصنهاجي المعروف بابن الطوير (المتوفى سنة 622) . ويكرر ابن عبد الملك هنا عبارته السابقة « وهذه التسمية لشيخنا أبي محمد ابنه أيضا » .

- تقريب الفتح القسي ، مجلد متوسط ، (يبدو أنه شرح أو اختصار لهذا الكتاب المعروف من كتب ابن العماد الإصبهاني) .

(1) ويحدد مولده في فاس بفجر يوم عيد الأضحى سنة 562 (27 نوفمبر 1167) .

(2) رسالة ابن سعيد في فضل الأندلس حسبا أوردتها المقرئ في نفع الطيب 180/3 .

(3) انظر تقديم الدكتور بنشره للسفر الثامن ص 88 - 89 .

- تهرىد من ذكره الخطيب في تاريخه من رجال الحديث بحكاية أو شعر ،
مجلدان متوسطان .

- ما يحاضر به الأمراء ، مجلد متوسط .

- أسماء الخيل وأنسابها وأخبارها ، مجلد متوسط .

- أبو قلمون ، مجلدان ضخمان .

- كتاب حافل جمع فيه الحديث الصحيح محذوف السند حيث وقع من
المسندات والمصنفات ، كمل منه كتب الطهارة والصلاة والجنائز والزكاة ، في نحو
عشرة مجلدات .

- مسائل من أصول الفقه ، زعم أنه لم يذكرها الأصوليون في كتبهم ، مجلد
لطيف .

ويورد ابن عبد الملك بعد ذلك أسماء عدد من رسائله التي يسميها
« مقالات متنوعة المقاصد » فيذكر منها :

- مقالة في الإمامة الكبرى .

- مقالة في القراءة خلف الإمام .

- مقالة في الوصية للوارث .

- مقالة في المنع من إلقاء التَّفَث في عشر ذى الحجة للمضحى .

- مقالة في صنع المجتهد من تقليد المحدث في تصحيح الحديث
لدى العمل .

- مقالة في الدين يوضع على يد أمين فيتعدى فيه .

- مقالة في مشاطرة العمال .

- مقالة في الأوزان والمكايل .

- مقالة في الطلاق الثلاث .

- مقالة في الأيمان اللازمة .

- مقالة في الختان .

- مقالة في التفسير (أى تجليد الكتب) .

- مقالة في معاملة الكافر (جمعها للخليفة الموحدي الناصر
حين وفد عليه البابوج ⁽¹⁾ ملك ليون) .

- المقالة المعقولة في حكم فتوى الميت والفتوى المنقولة .

- مقالة في فضل عاشوراء وما ورد في الإنفاق فيه على الأهل .

- مقالة في حث الإمام على القعود لسماع مظالم الرعية .

- مقالة في تبين التناسب بين قول النبي (ص) « يتوب الله
على من تاب » وما قبله من الحديث .

- مقالة في تفسير قول المحدثين في الصحيح إنه حسن .

- مقالة في تحريم التساب .

- مقالة في الوصية بالجنين .

- مقالة إنهاء البحث منتهاه عن مغزى من أثبت القول بالقياس

ومن نفاه . ويعقب على هذا العنوان بقوله « وهذه التسمية

لشيخنا أبي محمد ابنه أيضا » .

صلته بخلفاء الموحدين :

ونعرف ممن ترجموا لابن القطان أنه كان وثيق الصلة بخلفاء دولة
الموحدين ، يقول ابن عبد الملك : « وكان معظماً عند الخاصة والعامة من
آل دولة بنى عبد المؤمن » ، وكان يعقوب المنصور (الذى حكم بين 580 - 1198
و 811/4/595) هو أول من قربه وأحظاه ، إذ عينه لقراءة الحديث بين يديه .
وما زالت مرتبته ترتقى لدى المنصور حتى مضى لسبيله وخلفه ابنه محمد
الناصر ، فظل ابن القطان على حظوته عنده ، وكذلك كان أمره في أيام ابنه

(1) البابوج (ويكتب أيضا البيوج) هو لقب ملك ليون ألفونسو التاسع Alfonso IX وهو بعجمية
الأندلس El Baboso وقد فسر عبد الواحد المراكشى بأنه « الكثير اللعاب » وهو تفسير صحيح لأنه
مشتق من اللفظ الإسباني Baba أى اللعاب .

يوسف المستنصر حتى وفاة هذا الخليفة سنة 620 (1223) . ومعنى هذا أن ابن القطان ظل مقرباً من الخلفاء الموحدين الثلاثة قرابة أربعين سنة ، كان خلالها متفرداً بالرياسة . على أن مكانته بدأت في الاهتزاز في أيام المستنصر . ويشرح لنا ابن عبد الملك أسباب ذلك فيقول إن مملكة آل عبد المؤمن أخذت في الاختلال في عهد هذا الخليفة بسبب عكوفه على راحته وإعراضه عن تدبير أمور الدولة وتفويض النظر في الأمور كلها إلى وزرائه وحاشيته حتى ضاعت مصالح الناس وكثر الساعون بالفساد وانتشر في أقطار المغرب ونواحي مراكش قطاع الطرق وتفاقم سوء الحال بعد أن أدرك الفساد حاشية المستنصر ومدبري سياسته فقد كان كبير وزرائه أبو سعيد ابن جامع يقاسم أولئك اللصوص وقطاع الطرق ما ينتهبونه من التجار والمسافرين . ولما تبادى هذا الفساد أشار أبو الحسن بن القطان على الوزير بإفخاذ جيش إلى بعض نواحي مراكش لردع من نجم به من أهل البغي ، فتقاعس الوزير واعتذر بخلو بيت مال المسلمين . وحينئذ اقترح ابن القطان أن يُفرض على أغنياء مراكش قدر من المال . فأبى الوزير أن يفعل وقال إن ذلك سيوحش الناس ويخيفهم ، وحينئذ عرض أبو الحسن أن يكون الضامن لاستخراج ذلك المال وأن يقوم هو نفسه بالوساطة في ذلك فيقوموا بدفع ما يتقرر عليهم متبرعين طائعين . واغتنم الوزير مقال أبي الحسن فأباح له الاضطلاع بذلك حتى يوقع كراهية ابن القطان في قلوب أهل مراكش . وشرع هذا في استخراج ما ضمنه من أموال فرفض التجار النزول عن شيء من أموالهم ، وشاع الخبر بين أهل مراكش فكروهوا أبا الحسن بسببه . ثم أشار ابن القطان على المستنصر بمشاطرة وجوه دولته أموالهم والإيقاع بهم فزاد بغضهم له ، وبلغ الأمر بهم أن تواطؤوا مع أحد أطباء المستنصر فعمل على سبه . وقبل ذلك كانت واقعة العثماني وابنه اللذين نهض ابن القطان بمحاكمتها والاستيلاء على دار العثماني بعد قتله . فكان ذلك أيضاً مما زاد في كراهية الناس له .

على أنه مع ذلك ظل قوى النفوذ لخلال هذه الحقبة الطويلة ، ويستوقف نظرنا في ترجمة أبي الحسن بن القطان ما يذكره كل من عرضوا له من

أنه « رأس طلبة العلم بمراكش ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة » . فرياسته للطلبة في مراكش تحتاج إلى بعض التفسير . فنحن نعلم أن « الطلبة » كانوا من أهم أركان الدعوة الموحدية في تنظيم الدولة منذ أن اختط محمد بن تومرت ذلك التنظيم ، وينبغي ألا نفهم من مصطلح « الطلبة » ما نفهم اليوم من أنهم شباب في مستهل حياتهم الدراسية . وإنما هم طبقة من أعلى طبقات الدعوة الموحدية ، فهم عند ابن اليسع يلون طبقة أهل سبعين أى في المكان الرابع من درجات الدعوة ⁽¹⁾ . وهى إذن في المكان الثالث عند من لم يروا أمر أهل سبعين صحيحاً مثل ابن القطان مؤلف نظم الجمان ، فجعلوا الطلبة يلون أهل العشرة وأهل الخمسين ⁽²⁾ . فقد كان هؤلاء هم عمد الدعوة الموحدية والمبشرين بمبادئها كما يبين من النصوص الموحدية . وكان ابن تومرت يعنى بتوجيههم إلى قبائلهم حتى يوطدوا أسس الدعوة ⁽³⁾ . كما كان يهتم بتعليمهم وتربيتهم وإعدادهم لعملهم الدعائى منذ نعومة أظفارهم أى منذ أن يصبحوا « حفاظاً » . والحفاظ هم « صغار الطلبة » ، ومنهم تتألف الطبقة التى تلى « الطلبة » مباشرة ⁽⁴⁾ . وكثيراً ما كان الإمام الموحدى يوجه إليهم رسائل ييشها الخطوط العامة لسياسته وما ينبغي أن يتبعوه في أعمال الدعاية والحفاظ على مصالح الدولة ⁽⁵⁾ . ونحن نرى

(1) انظر نظم الجمان ص 82 .

(2) نظم الجمان ص 83 .

(3) انظر إشارة البيهقي إلى إرسال محمد بن تومرت « طلبة الموحدين إلى قبائلهم » في سنة 522 هـ .

في أخبار المهدي ص 132 .

(4) نظم الجمان ص 82 وص 179 ، والحلل الموشية ص 109 (تحقيق الدكتور سهيل زكار والأسطاد عبد القادر زمامة ، الدار البيضاء 1979) ، وانظر تعليق الدكتور أحمد مختار العبادي في مقاله الذي سبق الإشارة إليه عن الحلل الموشية ص 107 .

(5) انظر مجموع الرسائل الموحدية ص 61، 11، 1 (إلى طلبة سنة) ، ونظم الجمان ص 188 (إلى طلبة الأندلس) ، ومجموع الرسائل الموحدية ص 5 (إلى طلبة صنهاجة تأسست) ، وابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة (تحقيق الدكتور عبد الهادي الغازي ، بيروت 1964) ص 307 (من يوسف بن عبد المؤمن إلى جميع الطلبة والأشباخ والعمال من الموحدين ببلاد العدو والأندلس) .

من بين « طلبة » الموحدين رجالاً وصلوا إلى أرق المناصب وأعزها على الإمام ، نذكر منهم أبا محمد عطية المنجصى الذى أرسله ابن تومرت إلى غجدامة ، فقتله أهلها ، واعتبره ابن تومرت شهيداً فاستباح بذلك دماء هذه القبيلة وأموالها ⁽¹⁾ . ومنهم فى أيام عبد المؤمن الخطيب أبو الحسن الإشبيلي الذى يسميه ابن صاحب الصلاة « شيخ طلبة الحضرة » وكان على المرتبة لدى عبد المؤمن وابنه يوسف ، وكان يسمع الطلبة « عقيدة التوحيد » و « أعز ما يطلب » لمحمد بن تومرت ويتولى لهم شرح غامضها وتقريب معانيها ⁽²⁾ ، وأبو بكر بن ميمون القرطبي الذى ولى القضاء لعبد المؤمن والتدريس لطلبة مراكش ⁽³⁾ ، والخطيب أبو محمد عبد الله ابن جبل الذى ولى الكتابة والخطابة لعبد المؤمن ⁽⁴⁾ .

ومن هذا نرى أن أبا الحسن بن القطان الكتامى كان من أكبر دعاة الموحدين وأبرز رجال دولتهم ، ولو أننا استعرنا المصطلح الحديث عند الكلام عن رجال الدعوات السياسية أو الدينية لقلنا إنه كان من « العقائدين » الذين أسندت إليهم الدولة الموحدية أرفع مناصبها الدعائية .

وقد وضع ابن القطان قلمه فى خدمة خلفاء الموحدين ، فقد رأينا من بين مؤلفاته رسالة فى « الإمامة الكبرى » ولاشك فى أن لهذه الرسالة صبغة دعائية فى الدفاع عن أحقية بنى عبد المؤمن فى الخلافة ، ويذكر ابن عبد الملك أن من المآخذ التى نعت عليه غلوه فى آل عبد المؤمن وإفراط تشييعه فيهم ، حتى إنه عد يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن فى جملة شيوخه الذين ضمنهم برنامجهم ، ثم يقول : « وليته لو وقف فى أمره عند هذا الحد ، ولكن تعداه إلى منزلة تفضى بالهاوى منها إلى مقت الله والتعرض لغضبه وعظيم سخطه » ، وذلك أنه حينما ذكر

(1) نظم الجمان ص 138 ؛ والبيدق : أخبار المهدي ص 132 ، وابن خلدون : العبر 228/6 .

(2) نظم الجمان ص 212 ؛ والمن بالإمامة ص 228 .

(3) نظم الجمان ص 212 ؛ والمن بالإمامة ص 226 .

(4) نظم الجمان ص 210 ، 212 ؛ والمن بالإمامة ص 211 .

شبهاً من أجل شيوخه وهو أبو القاسم أحمد بن يزيد بن مخلد القرطبي (المتوفى سنة 1228/625) قال إنه لم يذكره باعتبار فضله ولا علمه وإنما لأنه نقل عبارة عن يعقوب المنصور يسجل فيها تاريخ ميلاده ، وعد ابن عبد الملك ذلك من جانب ابن القطان ضرباً من الغلو القبيح والتزلف الكريه والإزرء بالعلم وأهله . وينشد ابن عبد الملك فى ترجمته أبياتاً لابن القطان فى مدح المنصور وقد وضع فى حجره المصحف الذى يزعمون أنه مصحف عثمان ، يقول فيها ⁽¹⁾ :

ألا فاقدرُوا قدر هذا المقام فهذا الإمام وهذا الإمام
إمام المصاحف فى حجر من به حفظ الله هذا الأنام
وناهلك من صحف كُرمَتْ بحجر الكريم سليل الكرام
فطوى لمن فاز من ذا وذا بما فيه حظ ولو بالسلام

وهى أبيات غثة يهولنا فيها ما حشاه بها ناظمها من ملق ونفاق ، ومن غلو فى مدح الخليفة يصل إلى حد الخروج عن الأدب والاستخفاف بالقيم الدينية ، فهو يقول فى البيت الثالث إن صحف هذا المصحف قد شرفت بوضعها فى حجر يعقوب المنصور !..

ولهذا فإن بعض من لقى أبا الحسن بن القطان كان « لا يرضاه ولا يرضى الرواية عنه » ⁽²⁾ ، وينقل ابن عبد الملك عن أحد الزهاد الورعين قوله فى ابن القطان : « ذلك شخص يصارح نفسه فى أن يكون مهلبى الملوك » ⁽³⁾ .

كما يعدد عليه أشياء أخرى أخذت عليه إلى جانب ملقه وتزلفه ، منها إفراط كبره وشدة عجه حتى إنه كان يترفع أن يبدأ أحداً بالسلام ولا يرد على من يبدأ به ؛ وأنه كان دائم الغضب من أهل العلم والإزرء بهم وتتبع سقطاتهم ،

(1) الذيل والتكملة 169/8 - 170 .

(2) نفس المصدر 171/8 .

(3) نفس المصدر 173/8 .

وكان إذا وفد منهم أحد على آل عبد المؤمن أسرع السعي في قضاء مصالحه حتى يعود إلى بلده فيذيع شكره ، وحرصاً على أن يتفرد بالرياسة ؛ ومنها استعماله المسكر وقد صح تناوله وإياه وتأوله فيه ، وأخيراً كان من أشنع ما أخذ عليه تجرده لقتل الشيخ العثماني وابنه المراهق ، واستباحته الاستيلاء على دارهما بعد قتلها مكافأة لنفسه على تلك المحاولة . ولهذا العثماني وابنه خبر طويل ساقه ابن عبد الملك بكل تفاصيله . ومجمله أن هذا الرجل كان موثقاً شاهداً في مدينة مراکش وكان له ابن صغير يذكر بذكائه وتصرفه في العلوم على صغر سنه ، ونقل عن الصبي أنه كان يرى رؤى غريبة ويكلم بقرائن ويُنذِر بإنذارات يقول إنها بواسطة ملائكة تارة وتارة بواسطة أنبياء ، وأن هؤلاء يخبرونه بما يكون في المستقبل . وانتشر خبر الغلام وتزايد الناس فيه وقيل إنه تنبأ ، فتجرد له أبو الحسن ابن القطان وأمر بإحضاره مع أبيه ، وما زال يناظرهما ويستدرجهما في الكلام حتى حقق على الصبي تهمة التنبؤ والخروج على السلطان وعلى والده تهمة التستر عليه ، ثم حكم عليهما بالقتل فقدم الغلام وأبوه فقتلا صبراً بالسيف . واستحل ابن القطان بعد ذلك الاستيلاء على دار الرجل وانتقاله إليها بالسكنى إلى أن خرج عن مراکش ⁽¹⁾ .

ومن هذا تتضح لنا ملامح شخصية ابن القطان « الأب » ، فهو رجل لم تنعمه سعة علمه واشتغاله بالفقه والحديث عن ملابس السلاطين والإقبال على مغامرات الدنيا والتزلف المقيت للخلفاء ورجال الدولة والاستهانة بأحكام الشرع في سبيل تحقيق مآربه . وهو في جملة نموذج للعلماء الذين تغلب عليهم شهوات الدنيا ويدب الفساد في أخلاقهم وضمائرهم .

محبته ووفاته :

ويستوقف نظرنا بعد ذلك ما ورد في ترجمة ابن القطان هذا من أنه « امتحن بالفتنة الحادثة بالمغرب أول سنة 621 ، فخرج من مراکش وعاد إليها

واضطرب أمره إلى أن توفى بسجلماصة وهو متولى قضائها » . فما هي هذه الفتنة ؟ وكيف كانت ملاسعاتها ؟ وما دور ابن القطان في أحداثها ؟

الحقيقة أن سنة 621 (1224) المذكورة كانت فاتحة فترة مشعومة على الدولة الموحدية ، فقد بدأ فيها تصدعها وانهار بنائها وتكالب أعدائها عليها : من بني مرين في داخل أرض المغرب ومن النصارى في بلاد الأندلس ، هذا فضلاً عن الخلاف الناشب في صميم الأسرة الحاكمة .

وكان يوسف المستنصر بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور خامس خلفاء الموحدين قد توفى في آخر سنة 620 بدون أن يعقب ، فتشاور أهل الحل والعقد مراکش في تعيين من يتقلد الأمر بعده ، فأشار بعضهم بتقديم عبد الله العادل بن يعقوب المنصور ، وكان والياً على مرسية بالأندلس ، وأشار آخرون بتقديم عبد الواحد أخى المنصور وكان شيخاً في الستين من عمره ، وكان مذكوراً في بيت بني عبد المؤمن بحزم وجودة رأى ، وكان أبو الحسن ابن القطان شاهداً ذلك المجلس ، فكان من المشيرين بتقليد عبد الواحد ، إذ كان العادل يرمى بالميل إلى البطالة وإثارة الشهوات ، ويدبر من ابن القطان تمثل ببيت شعر يعرض فيه بالعادل وحبه للغناء والملاهي ويشيد فيه بتدين عبد الواحد واستقامة خلقه :

إذا رتل القرآن في جنح ليله « أبى بن كعب » لم يُعَنَّ « مخارق »

وانعقد الرأى على تولية عبد الواحد ، غير أنه لم يمض على خلافته شهران (وكان قد بويع في الرابع عشر من ذى الحجة سنة 620 / 8 يناير 1224) حتى ثار عليه ابن أخيه العادل فنازعه الخلافة وطاعت له بعض بلاد الأندلس والمغرب ، ومازال حتى تمت له البيعة في مراکش ، وخلع عبد الواحد بن يوسف ثم قتل بعد ثمانية أشهر من ولايته . ولم يخف على العادل موقف أبى الحسن ابن القطان وتعريضه به ، فهم بالقبض عليه والإيقاع به ، ثم رعى له قدم انقطاعه إلى أبيه وخدمته له ولأخيه الناصر وابن أخيه المستنصر ، فكف عنه ولكنه صرفه عن الدخول إلى القصر وحضور مجالس « الطلبة » ، واتفق آنذاك أن العادل نكب وزيره ابن أبى عمران التيملى

(1) انظر تفاصيل هذه القضية في السفر الثامن من الدليل والكلمة ص 179 - 191 .

وأمر بتغريبه إلى ميورقة ، وكان ابن أنى عمران صديقا لابن القطان كثير العناية به والتعظيم لقدرة حتى بلغت الخطط التي كان يتولاها أبو الحسن في أيامه ثلاث عشرة خطة . فلما نكب ابن أنى عمران تقلد الوزارة بعده أبو سعيد ابن جامع وكان يحقد على ابن القطان ، فلم يزل ينتزع منه ما كان بيده من خطط حتى لم يبق له إلا القليل الذى لا غناء فيه . وقد سبق أن أشرنا إلى أن ابن جامع بدهائه حمل ابن القطان على التورط في محاولته مصادرة أغنياء مراکش مما بقّضه إليهم منذ أيام المستنصر .

أما العادل فإن الأمور لم تستقر له ، إذ سرعان ما أعلن الثورة عليه أحد أفراد الأسرة المؤمنية ، وهو عبد الله بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن المعروف بالبياسى ، نسبة إلى مدينة بيّاسة في الأندلس Baeza لطول إقامته بها . ودخلت في طاعة هذا الأمير الثائر قرطبة ومالقة وغيرها من مدن الأندلس حتى كاد ينتزع الخلافة من العادل . وزادت الأحوال سوءاً منذ أن تحالف البياسى مع فردلند (فرناندو الثالث Fernando III) ملك قشتالة ، فسلم له قيجاطة Quesada وغيرها من بلاد المسلمين . واستشرى الداء في المغرب أيضا ، إذ خالف على العادل عرب الخلط في سنة 624 (1227) . وبدا من الواضح أن العادل قد سقطت هيئته وضعفت يده عن القبض على أزمة الدولة . فلم يلبث أخوه نفسه أبو العلاء إدريس عامله على إشبيلية أن خلع طاعته ونادى بنفسه خليفة متلقبا بالمأمون . واغتتم الفرصة رجالات الموحدين ومشايخهم فدخلوا على العادل قصره وقبضوا عليه ثم قتلوه بعد أربعة عشر يوما من خلعه . ولكن الندم أدركهم بعد ذلك ، فقد خشى هؤلاء استقرار إدريس المأمون على العرش ، إذ ربما همت نفسه بالانتقام منهم والإيقاع بهم لما فعلوه بعمه وأخيه من قبل ، ثم إنهم استبطأوه ، فعزموا على خلعه ومبايعة شاب صغير من الأسرة المؤمنية هو أبو زكريا يحيى الملقب بالمعتصم بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور . وكان أبو الحسن ابن القطان ممن حضر نكت البيعة المأمونية وتقديم المعتصم ، وذلك خوفا من المأمون لكونه أخا العادل الذى كان يسمى الظن بأبى الحسن ، وطمعاً في نيل الخطوة عند المعتصم . غير أن الأمر لم يستقر لهذا الخليفة الذى نصبوه ، وبلغ المأمون وهو فى الأندلس

ما كان من خللع رجال الدولة إياه ونكثهم بيعته - وكان معظم كبارهم وفيهم ابن القطان قد كتبوا له يؤكدون بيعته - فأخفظه ذلك وزاد حقنه ، فأجاز من الأندلس ومعه سبعمائة من فرسان النصارى وغيرهم من قبائل العرب ، فقصده مراکش وبرز إليه ابن أخيه المعتصم بظاهرها ، والتقى الجمعان على جبل إيقليز المقل على مراکش ، فهزم المعتصم وانتهت محلاته ودخل المأمون المدينة في جمادى الأولى سنة 627 (مارس - أبريل 1230) فأعمل جنوده فيها النهب وأوقع بالموحدين الذين تابعوه ثم نكثوا بيعته انتقاما رهيبا ، إذ أمر بقتلهم بالرمح واحداً بعد آخر ، ثم تعقب فلول جيش المعتصم والقبائل التى ظاهرتة فقتل منهم آلاف لا تحصى ، وأمر بتعليق رؤوسهم على شرفات مراکش . ويبدو أن المأمون ضاق بهذه الدعوة الموحدية التى هزمت ودب الفساد فى أوصالها فأعلن إلغاءها جملة ، وأزال اسم محمد بن نورمت المهدي من السكة والخطبة وقطع كل ما كان الموحدون قد جروا عليه منذ قيام دولتهم فى المغرب ، وكتب فى ذلك رسالته المشهورة التى يقول فيها : « ولتعلموا أنا نهدنا الباطل وأظهرنا الحق ، وألا مهدى إلا عيسى بن مريم وما سمي مهديا إلا أنه نكلم فى المهد ، وتلك بدعة قد أزلناها ، والله يعيننا على القلادة التى تقلدناها . قد أزلنا لفظ العصمة عمن لا تثبت له عصمة ، فلذلك أزلنا عنه رسمه ، فتسقط ولت ، وتمحى ولا تثبت . وقد كان سيدنا المنصور رضى الله عنه هم أن يصدع بما به الآن صدعنا ، وأن يرقع للأمة الخرق الذى رقعنا ، فلم يساعده لذلك أجله ، فقدم على ربه بصدق نية وخالص طوية ⁽¹⁾ . وإذا كانت العصمة لم تثبت عند العلماء للصحابة ، فما الظن بمن لم يدر بأى يد يأخذ كتابه !... » ⁽²⁾ .

(1) يبدو أن ما أشارت إليه هذه الرسالة من عزم يعقوب المنصور على قطع الدعوة الموحدية وإزالة رسومها صحيح مؤكد ، فنحن نقرأ فى « المعجب » لعبد الواحد المراكشى أخباراً تدل على أن المنصور صرح بشككه فى الدعوة الموحدية وأعلن استخفافه بقواعدها وتعاليمها مثل عصمة المهدي وغير ذلك . انظر المعجب ، ط . القاهرة بتحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان ، القاهرة 1963 ص 368 - 369 .

(2) ابن عذارى : البيان المغرب (القسم الموحدى طبعة دار الغرب الإسلامى ، بيروت 1985)

أما أبو الحسن ابن القطان فإنه كان في معسكر المعتصم حينما حلت به الهزيمة أمام المأمون في ظاهر مراكش ، وكان يتولى القضاء في حربه . وحينما اقتحمت جيوش المأمون المدينة نهبت داره - التي كان قد اغتصبها من العثماني - وذهب كل ما كان جمعه فيها من أموال وكتب ، ويذكر أن كتبه كانت سبعة عشر حملاً منها حملان مما كتبه بخطه . ولم يزل مع سلطانه المعتصم في اضطرابه وفراره المستمر بين يدى عمه المأمون حتى لحق في النهاية بسجلماسة ، فاستقر فيها متولياً لقضايتها ، إلى أن أدركته منيته محسوراً على ما فقد من أهله وبيته وكتبه وسائر ممتلكاته . ولا شك في أن مما زاد في ألمه نبذ المأمون للدعوة الموحدية التي ظل ابن القطان من أشد دعائها حماسة على مدى أكثر من أربعين سنة . وكانت وفاته في أول ربيع الأول سنة 628 (7 يناير 1231) ودفن بجوار الجامع الأعظم بسجلماسة .

ابن القطان « الابن » :

مؤلف نظم الجمان :

إذا كنا قد أطلنا في ترجمة ابن القطان « الأب » فإن ذلك يعود لأن ابنه أبا محمد مؤلف « نظم الجمان » كان وارث علمه وأبرز تلاميذه ومستودع ثقته ومؤلفاته ، بل إنه يبدو لنا أن أبا محمد كان يعد أباه مثله الأعلى في كل شيء سواء في العلم أو في العصبية للأسس العقائدية لدولة بنى عبد المؤمن وتفانيه في خدمتها ودفاعه عنها . بل إننا نراه كذلك يحتذى طريق أبيه في التزلف لخلفاء هذه الدولة ومظاهرتهم بالحق وبالباطل ، فقد كان أبو محمد ابن القطان في صلته بالخليفة المرتضى الموحدى كما كان أبوه في صلته بالخلفاء الذين عاصروهم من يعقوب المنصور حتى المعتصم .

على أنه إذا كانت كتب التراجم قد أفادتنا بكثير من أخبار أبى الحسن ابن القطان - وتخص بالذكر ابن عبد الملك الذى كانت ترجمته له حافلة بالتفاصيل

التي صورت لنا شخصيته وجهوده العلمية أدق تصوير - فإنها لم تفدنا إلا بالقليل الذر من أخبار ابنه أبى محمد مؤلف « النظم » . حتى إننا - حتى نشر السفر الثامن من « الدليل والتكملة » - لم نكن نعرف اسم مؤلف نظم الجمان ولا كنيته على وجه التحديد . فالمصادر القليلة التي أشارت إليه تضاربت في ذلك تضارباً شديداً :

- فصاحب كتاب « مفاخر البربر » يسميه « الفقيه الحسيب الحافظ أبا على حسين بن القطان الكتامي مؤلف كتاب نظم الجمان » (1) .

- وفي المخطوطة التي تحمل رقم 1275ك والتي كانت من بين مخطوطات الشيخ عبد الحى الكتاني وضمت إلى الخزنة العامة بالرباط نجد نصاً في الرسالة الأولى يقول إن « النظم » من تأليف « أبى على حسن بن على بن القطان » (2) .

- وابن عذارى المراكشى يذكره في « البيان المغرب » (القسم الموحدى) في النص الذى سنعرض له بعد قليل مسمى إياه « أبا محمد » (3) .

(1) مفاخر البربر ، نشر ليفى برونسسال ، الرباط 1934 ص 65 ؛ هذا ويجدر بالذكر أن صاحب هذا الكتاب يميز بين مؤلف نظم الجمان (ابن القطان الابن) وبين أبى الحسن على بن محمد بن القطان (الأب) ، فيترجم لهذا في موضع آخر من كتابه (ص 64) ، ولو أن الاسم جاء في الأصل « ابن القاضى » وهو تحريف عن « ابن القطان » .

(2) هذه المخطوطة مجموع من الرسائل عنوانه « كتاب الأنساب » وهو يضم ثلاث رسائل : أولها عن جغرافية المغرب وأصول البربر والفتوح العربية في شمال افريقية ، والثانية هي الرسالة التي نشرها ليفى برونسسال بعنوان « مفاخر البربر » والثالثة تتضمن مقتطفات من رسائل وكتب مختلفة حول تاريخ المغرب . وقد نشر برونسسال كذلك جزءاً من الرسالة الأولى بعنوان « نص جديد عن فتح العرب للمغرب » (في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمديرد ، المجلد الثاني سنة 1954 ص 193 - 219) (مع تعليق للدكتور حسين مؤنس) . هذا ويقوم كاتب هذه السطور بالاشتراك مع الزميل الأخ الدكتور أحمد مختار العبادى بتحقيق الرسائل الثلاث بما فيها رسالة « مفاخر البربر » وإعدادها للنشر . وأما النص الذى أشرنا إليه فهو يقع في الرسالة الأولى ص 25 .

(3) البيان المغرب (القسم الموحدى) ص 446 .

ولم يحسم هذا الخلاف إلا ابن عبد الملك الذى يشير إليه مراراً في « الذيل والتكملة » فيذكره باسم « أبى محمد حسن بن على بن القطان » ، وهذا هو الصواب بغير شك ، فقد كان مؤلف « النظم » شيخاً له ، وهو أعرف به وبأحواله من أبى مؤلف آخر .

على أنه يؤسفنا أن الترجمة التى أفرد بها ابن عبد الملك لأستاذه أبى محمد حسن لم تصل إلينا ، ويظن الدكتور محمد بنشره أن هذه الترجمة كانت في السفر السابع المفقود من كتاب ابن عبد الملك ⁽¹⁾ ، ولو بقيت لكنت - كالعهد بما كان ابن عبد الملك يكتبه عن شيوخه - من أغزر تراجمه مادة وأدقها تصويراً لشخصية شيخه وتسجيلاً لجهوده العلمية .

على أننا نجد في مواضع متفرقة من كتاب « الذيل والتكملة » أخباراً حول أبى محمد حسن بن القطان نورد خلاصتها فيما يلي .

ونذكر أولاً أن أبى الحسن ابن القطان كان له ابنان اشتغلا بالعلم وكانا من رواة كتبه ، أولهما أبو عبد الله حسين ، والثاني هو أبو محمد حسن ⁽²⁾ ، ولكننا لانكاد نجد ذكراً لأولهما باستثناء إشارة ابن عبد الملك إلى أنه تلمذ على أبيه . ولم يفدنا أحد من المؤرخين ولا كتاب التراجم بتاريخ مولد أبى محمد ، ولكننا نجد هذه العبارة في ترجمة أحد الشيوخ المصريين الذين وفدوا إلى المغرب والأندلس وهو أبو إسحاق إبراهيم بن خلف الغساني المعروف بالسنبورى : « قال أبو الحسن بن القطان - وسماه في شيوخه : قدم علينا تونس سنة ثنتين وستائة واستجزته لابنى حسن فأجازه وإيأى » ⁽³⁾ . ولسنا نعرف كم كان عمر أبى محمد حينما طلب له أبوه هذه الإجازة ، فنحن نعرف أنه قد شاع في ذلك العصر طلب الإجازات من العلماء للأبناء حتى ولو كانوا صغاراً دون سن طلب العلم .

وهناك نص آخر أفادنا به أبو الحسن على بن يوسف الحكيم في « ضوابط دار السكة » يقول فيه في معرض الحديث عن الدرهم الكيلى : « وقال [أبو] محمد بن القطان في مقالته إنه شاهد دراهم للكيل ضرب عبد الملك بن مروان في إشبيلية سنة ثمان وستائة ، وجذت في كنز ورفعت للناصر أبى عبد الله بن المنصور الموحدى فأعطى منها لأبيه أبى الحسن بركة ، وهى فضة مستديرة الشكل عليها مكتوب : أمر بضرب هذه الدراهم أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان . قال : وكنا قدرناها غير مرة بوسط حب الشعير فكان الدرهم منها يعدل خمسين حبة وخمسي حبة » ⁽¹⁾ . ومن هذا النص نستخلص أن أبى محمد كان في إشبيلية في السنة المذكورة (608/1211 - 1212) ، وأنه كان في سن تسمح له بتقدير هذا « الكشف الأثرى » وحساب وزن هذه الدراهم التى تعود إلى أيام عبد الملك بن مروان ، ولعله كان يجاوز العشرين من عمره آنذاك ، فمولده إذن كان في نحو أوائل العقد الثامن من القرن السادس (أى في حدود سنة 580/1184) .

وربما دلنا على ذلك أيضاً هذا الخبر الذى يقصه المقرئ ⁽²⁾ عن الشاعر أبى بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر الفهرى إذ يروى له أبياتاً في وصف « ابن لأبى الحسن ابن القطان بمحضر والده » ، وهى :

جاء وفى يساره قوسٌ وفى اليمنى قَدْخٌ
كأنه شمس بدت وحوها قوسٌ قُرْخٌ
يا لائى فى حبه ما كلٌّ من لأم نَصَحٌ

فإذا كنا نعرف أن ابن مجبر توفى سنة 588 (1192) ⁽³⁾ فلا بد أن ابن أبى الحسن

(1) أبو الحسن على بن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، مدريد 1960 ص 84 .

(2) النفح 161/4 .

(3) انظر ترجمة ابن مجبر في النفح 237/3 - 240 .

(1) تقديم الدكتور بنشره للسفر الثامن ص 138 .

(2) الذيل والتكملة 166/8 .

(3) انظر ترجمة السنبورى في التكملة لابن الأبار 176/1 ؛ وقد نقلها المقرئ في النفح 135/3 - 136 وفيها العبارة المذكورة . وانظر كذلك الذيل والتكملة 165/8 والهامية رقم 41 .

المذكور كان آنذاك صبياً في نحو الثامنة من عمره ، فهذا هو الأشبه بمن تقال فيه مثل هذه الآيات ، هذا إذا كان ذلك الابن هو أبا محمد حسناً الذي نحن بصددده .

ونعرف بعد ذلك عن أبي محمد أنه اشتغل بطلب العلم منذ شبابه ⁽¹⁾ ، فابن عبد الملك الذي يسميه كلما ورد ذكره « شيخنا » ينقل عنه العديد من الأخبار في معجم تراجمه ، في مواضع تزيد على العشرة . وكان أبو محمد زميلاً لخال ابن عبد الملك في الدراسة وللنحوي المشهور ابن الطراوة الملقب ، وخال ابن عبد الملك المذكور هو أبو علي عمر بن محمد القيسي المراكشي المعروف بابن القاسي (المتوفى سنة 1229/626) . يقول في ذلك صاحب « الذيل والتكملة » : « وكان شيخنا أبو محمد حسن بن القطان وابن الطراوة يكثران الثناء عليه والإيجاب له ، وقد صاحباه طويلاً بمراكش واشتركا معه في الأخذ عن الشيوخ بها » ⁽²⁾ . ويشير في موضع آخر إلى تلمذة أبي محمد على الفقيه المحدث الكبير محمد بن عيسى الأزدي المعروف بابن المناصف (المتوفى سنة 1223/620) ويقول نقلاً عن شيخه إن ابن المناصف كان يكتب ثلاث عشرة طريقة (في الخط) هو فيها كلها مجيد ، ثم يقول إنه رأى منها أربع طرائق كانت كما وصفها أبو محمد ⁽³⁾ كما يشير إلى تلمذته أيضاً على أبي الحجاج يوسف بن محمد بن المعز المكلاتي القاسي الملقب بالأحدب (المتوفى في 1229/626) وكان متكلماً أصولياً . ومن الطريف أن نذكر أنه كانت بين أبي الحجاج هذا وأبي الحسن على بن القطان والد أبي محمد منافرة شديدة ومقاطعة مشهورة ، ومع ذلك فإن هذه الخصومة لم تمنع أبا محمد من الأخذ عن هذا الشيخ ⁽⁴⁾ .

ويبدو في حديث ابن عبد الملك عن أستاذه أبي محمد كثير من التقدير والإجلال ⁽¹⁾ ، ومع ذلك فإننا نعتقد أنه ما كان ليحجم عن نقد مواقفه في التزلف للخليفة الموحد المرتضى والدفاع عن الدعوة الموحدية بالحق والباطل ، كما فعل بأبيه الذي أورد في ترجمته جملة من مثالبه ، فقد كان ابن عبد الملك من الصراحة الخشنة والصرامة في النقد والمجاهرة بالحق بحيث لا يعرف المجاملة ولا تزيين العيوب ، وأظن أنه لو وصلت لنا ترجمته لشيخه أبي محمد لرأينا فيها ما يصدق هذا الحكم .

أما جهود ابن القطان « الابن » العلمية فإن ابن عبد الملك أشار إلى طرف منها في ترجمته لوالده ، وهو لم يذكر منها إلا ما يتصل بروايته لكتبه أو أخباره ، أما أعماله الأصيلة فلا بد أن يكون ابن عبد الملك قد تناولها بكثير من التفصيل في الترجمة التي أفرد لها ، والتي ذهبت في الجزء المفقود من كتابه . وأما فيما يتعلق بأبيه فقد روى عنه ابن عبد الملك كثيراً من الأخبار الخاصة بحياته ، وهو ينص أحياناً على أنه نقل بعض هذه الأخبار من خطه ⁽²⁾ ، ومنها عدة قطع شعرية في المديح والوصف ⁽³⁾ ، وذكر مواقف له يغلب فيها طابع الدفاع عن تصرفات أبيه وسلوكه ، كما نرى في حديثه عن السبب في إبحاش العادل بن المنصور له وسوء علاقته به ، ولو أنه دفاع لم يقتنع به ابن عبد الملك ⁽⁴⁾ ، وتبلغ رواية المؤلف عن شيخه حدّاً بعيداً من التفصيل كما نرى في قصة العثماني وابنه ومقتلهما ⁽⁵⁾ ، وعلى الرغم مما ساقه أبو محمد في هذه الرواية من دفاع عن أبيه وتصوير له بأن دافعه إلى محاكمة الرجل وابنه الصبي كان الغيرة على الدين فإن ابن عبد الملك في صراحته المعهودة لم يتردد في ضم تلك المحاكمة إلى مثالبه .

- (1) يذكر الدكتور بنشريف في تقديمه للسفر الثامن (ص 15 - 16) أن جانباً من اهتمام ابن عبد الملك بالتاريخ يرجع إلى شيخه أبي محمد .
- (2) الذيل والتكملة ، السفر الثامن ص 191 .
- (3) نفس المصدر ص 170 - 171 .
- (4) نفس المصدر ص 172 - 173 .
- (5) نفس المصدر ص 173 ، وتفصيل محاكمة العثماني وولده بين صفحتي 179 - 191 .

- (1) يدل على ذلك أن من بين أستاذه في الحديث - على ما يسجل ابن عبد الملك - أحمد بن سلمة الأنصاري اللوزي لربيل الحسان (المتوفى في أواخر 597 أو أوائل 1200/598) فإذا صح تقديرنا بأن أبا محمد ولد في حدود سنة 980 فمعنى ذلك أنه درس على هذا الشيخ وهو في نحو الثامنة عشرة . انظر ص 126 في الذيل والتكملة ، السفر الأول رقم 177 ص 126 .
- (2) الذيل والتكملة ، السفر الثامن ، ترجمة رقم 31 ص 235 - 237 .
- (3) نفس المصدر ، ترجمة رقم 134 ص 348 .
- (4) نفس المصدر ، ترجمة رقم 227 ص 432 - 434 .

كذلك نرى من سرد ابن عبد الملك لكتب ابن القطان « الأب » أن ابنه أبا محمد كان هو الذى وضع عناوين كثير من تلك الكتب والرسائل .

الدولة الموحدية فى عصر المرتضى :

ونرى من المناسب فى هذا المقام أن نعرض شيئاً عن أحوال هذا الخليفة الذى اتصل به مؤلفنا وعاش فى بلاطه والف له « نظم الجمان » .

وقد انتهينا فى الكلام عن الدولة الموحدية إلى سنة 628 التى توفى فيها علي ابن محمد بن عبد الملك بن القطان أبو مؤلف النظم ، وأشرنا إلى بدء اختلال الدولة الموحدية وفسادها منذ أوائل القرن السابع ، وتزايد هذا الفساد فى السنوات التالية : فهذه إفريقية تستقل عن سلطان الموحدين وتقوم فيها دولة الحفصيين ، وهذه الأندلس تخرج عن أيديهم ويصطرع فيها ثوارها المسلمون من أمثال ابن هود وابن مردنيش وابن الأحمر وعشرات من صغار المنتزين ، ثم يغتسم النصرارى هذه الفرصة ، فيؤرثون من نار العداوات والاحقاد والفتن . وهكذا تقع الحواضر الأندلسية الكبرى فى أيديهم واحدة بعد الأخرى ، حتى لا يكاد القرن السابع ينتصف إلا والإسلام قد انحصر فى جانب صغير من جنوب شرقي شبه الجزيرة . حتى المغرب نفسه لم يصف لخلفاء الموحدين ، إذ يقاسمهم السلطان هناك بنو مرين ويجرعون ملوكهم من الغصص والهزائم ما يطيح بآخر ما بقي من كرامة دولتهم وهيبتها . وأصبح سلاطين الموحدين فى هذه الفترة أشبه ما يكونون بخلفاء بني العباس بعد المتوكل : يتلاعب بهم مشايخ الموحدين والعرب والغز والنصارى كما كان يتلاعب بأولئك قواد الترك وخدم القصر ونسأؤه .

فى هذه الظروف التعسة المشؤومة ولى عرش الموحدين أبو حفص عمر بن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمرتضى⁽¹⁾ ، وذلك أنه لما قتل علي السعيد

فى آخر صفر سنة 646 (23 يونية سنة 1248) وقتل كذلك ابنه الطفل الذى كان مرشحاً للخلافة بعده اجتمع زعماء الموحدين ومشايخهم ، فرشحوا أولاً أبا زيد بن إسحاق ، وكان عاملاً على مراكش ، ولكنه أبى من قبول الخلافة ، وحينئذ اضطروا إلى ترشيح أسماء أخرى لم يظفر واحد منها بالاجماع ، وأخيراً قام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجنفيسى وعرض على المجتمعين اسم أبي حفص عمر بن إسحاق ، وكان حاكماً لسلا فى ذلك الوقت ، ونوه الجنفيسى بخلاله الحميدة ، فوقع عليه اجماع الحاضرين وكتبوا عقد البيعة وسلموه إلى أبي زيد المذكور باعتباره ممثلاً لآخيه ونائباً عنه إذ أن هذا كان غائباً فى سلا ، وتوجه بكتاب البيعة الحاكم ابن أصلماط ، فلقى السيد أبا حفص بتامسنا وهو مقبل من سلا ، فقرئت البيعة المذكورة وأصفق الحاضرون على مبايعته ، وتلقب بالمرتضى ، وتوجه من ساعته إلى مراكش ، فخرج الناس ورجال الدولة لاستقباله والاحتفاء به ، واستقر له الأمر . ولكن المشاكل لم تلبث أن عكرت عليه صفو هذا الهدوء . فقد كان المرينيون فى هذا الوقت قد اقتحموا تازة ، ثم توجه أميرهم أبو يحيى بن زكريا المريني إلى أجر سيف وسائر القلاع الواقعة على نهر ملوية واستولى على فاس ، فظل فيها عاماً كاملاً حتى ربيع الأول سنة 647 (مايو - يونية سنة 1249) ، غير أن أهل فاس أعلنوا ثورتهم عليه ومبايعتهم للمرتضى ، ولكن هذه الثورة فشلت بعد أن عجز الموحدون عن بعث إمدادات عسكرية إلى المدينة ، وهكذا عادت فاس إلى طاعة المرينيين فى جمادى الثانية سنة 648 (سبتمبر 1250) .

وزاد فى سوء الاحوال أن الأمير أبا يحيى المريني مد سلطانه على رقعة واسعة تمتد بين فازاز والرباط ، وحينئذ قرر المرتضى أن يتدخل بعد أن ظل ثلاث سنوات متقاعداً جانحاً إلى الخمول ، فجمع جيشاً ضخماً فى سنة 649 (1251) وخرج به من مراكش ، فتوجه أولاً إلى تينملل حيث قام بزيارة ضريح المهدي وتلقى بركاته كما كانت عادة سلاطين الموحدين قبل الشروع فى أي غزوة . ثم خرج إلى سلا ، ورأى أبو يحيى المريني قوة جيش خصمه فعرض عليه المفاوضة ، وقبل المرتضى فقد كان رجلاً مسالماً ميالاً إلى تجنب كل نزاع مسلح ، ولكن وزراءه ومشايخ

(1) عن خلافة المرتضى انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص 387 - 447 ؛ وأبوؤى : تاريخ الدولة الموحدية 541/2 - 566 .

الموحدين - وقد ملأهم الغرور والثقة في النصر - رفضوا الصلح ، ودارت المعركة ، فانتهت بهزيمة جيوش الموحدين دون أن تشتبك في القتال ، ويبدو أن هذه الهزيمة كانت ترجع إلى خيانة من الوزير عبد الله بن يونس الذي كان المرتضى قد نكبه قبل ذلك عند عودته مخذولاً إلى مراكش .

غير أن ما فعله المرتضى بابن يونس كان له بعد ذلك أسوأ الآثار ، فقد ترتب عليه أن قائدًا من أهل قرابته هو علي بن يدر أخذته الحمية فهرب إلى السوس وأعلن الثورة على الخليفة وهزم الجيوش الموحدية التي وجهت لقتاله .

ثم عاد المرتضى إلى التوجه بجيشه إلى فاس طامعاً في استردادها ، ودارت المفاوضات مرة أخرى ولكنها انتهت بالفشل ، فلما وقعت المعركة في « بني بهلول » بجوار فاس عاد المرينيون فألحقوا بالمرتضى هزيمة ساحقة في جمادى الثانية سنة 654 (يولييه سنة 1255) .

ومنذ هذه الهزيمة قرر المرتضى ألا يخرج للغزو بعدها ، فأمضى الصلح مع أبي يحيى المريني ، وعكف على حياة هادئة مسالمة اشتغل خلالها ببناء قصوره والخلو ببلذاته ، هذا بينما كان ضعفه المتزايد قد جسر عليه الثوار الآخرين ، فهزم علي بن يدر من جديد الجيش الذي وجهه المرتضى إلى السوس بقيادة أبي محمد ابن أصناج ، وارتفع أمر العزفي وإلى سبته فمد حكمه على طنجة وأخذ يتصرف كما لو كان أميراً مستقلاً ولو أنه كان يخطب للمرتضى ويعلن طاعته له على نحو اسمي محض . ثم خلع أهل سجلماسة طاعة الموحدين وأعلنوا انقيادهم لبني مرين .

وهكذا ظلت أحوال المغرب تسير من سيئ إلى أسوأ ، حتى انتهى الأمر بهجوم السلطان المريني أبي يوسف يعقوب على مراكش نفسها ومحاصرتها لها ، فعهد المرتضى بقيادة جيوشه إلى أحد أمراء الاسرة الموحدية المالكة : أبي العلا إدريس الملقب بأبي دبوس ، وهو الذي سيكون مصرع المرتضى على يديه فيما بعد . وكان ذلك في أواخر سنة 660 (خريف سنة 1262) ، واستمر القتال شهرين بين الموحدين وبني مرين ، وقتل خلال المعارك الدائرة عبد الله الابن الأكبر

لأبي يوسف المريني ، فبعث إليه المرتضى برسالة عزاء ، وفاوضه في أن يرفع الحصار عن مراكش على أن يؤدي إليه ضريبة سنوية . وفي رجب سنة 661 (مايو يولييه 1263) رفع المريني الحصار وعاد بجيوشه إلى فاس .

على أن هذا النجاح المتواضع الذي أحرزه الموحدون على خصومهم الأقوياء لم يلبث أن أعقبته نتائج وخيمة انتهت أخيراً إلى تقويض بناء الدولة الموحدية وإلى مصرع المرتضى ، ذلك أن أبا دبوس الذي عهد إليه بقيادة المقاومة الموحدية أثناء حصار المهرين لمراكش قد داخله الغرور ، فاستزاد المرتضى من السلطات ، وأدت تصرفاته إلى نفور الوزراء منه ، ورأى هو نفسه أحق بتدبير الأمور من جميعهم مما أثارهم عليه ، فأوقعوا به لدى المرتضى ، واتهموه بأنه كان يكاتب المهرين سراً ، وإزاء ذلك اختلق حجة لمغادرة العاصمة ، فما إن سنحت له فرصة الفرار حتى توجه إلى فاس في محرم سنة 663 (نوفمبر سنة 1264) ، فاجتمع بأبي يوسف المريني ، وتعاقد معه على أن يمدد بالرجال والمال وعلى أن يكون للمريني لقاء ذلك نصف ما يستولى عليه من البلاد الباقية في حوزة المرتضى . وفي ذي القعدة من سنة 663 (أغسطس - سبتمبر 1265) خرج أبو دبوس بكامل عهده وعديده من فاس إلى مكناس ثم توجه منها إلى تادلا ، فعيد بها عيد الاضحى (23 سبتمبر 1265) وقضى شتاء هذا العام وربيعة في جمع صفوفه وكسب أنصار جدد من العرب ومن هسكورة وفي مكاتبة جواسيسه في مراكش .

وما إن وصل الخبر إلى المرتضى بثورة أبي دبوس حتى ساءت ظنونه بكل من حوله ، فقبض على كثير من وزرائه ورجال دولته متهماً إياهم بمؤامرة خصمه ، وزاد ذلك من تذمر الناس منه وضيقهم بحكمه وانحياز الكثيرين إلى صفوف أبي دبوس ، فضلاً عن أنه كان قد فرق جيوشه في البلاد تاركاً بذلك عاصمته مراكش بلا حماية تحت رحمة أي هجوم مفاجئ . ومع كل ذلك فإن المرتضى لم يعر الأمر كبير اهتمام ورفض نصائح وزيره أبي موسى بن عزوز بأن يسرع باستقدام ابن وانودين وابن عطوش بجيوشهما لانقاذ عرشه المذهذب .

وفي 22 من المحرم سنة 665 (22 أكتوبر 1266) توجه أبو دبوس بجيوشه إلى مراكش ، فافتحم أسوارها من باب أغمات ، ولم يسع المرتضى حينئذ إلا الفرار من المدينة إلى جبال الأطلس ، فوصل أولاً إلى كيك ، ولكن أهلها رفضوا مقامه بين أظهرهم ، فانتقل إلى أزموور ، ولكن أعوان أبي دبوس قبضوا عليه هناك وأودعوه السجن . وما علم أبو دبوس بالقبض عليه حتى أمر بأن يكتب إليه لكي يعلن عن المكان الذي أخفى فيه ذخائره وأمواله ، ولكن المرتضى أجاب مقسماً بأنه لم يكن لديه أي مال وطلب من خليفته العفو والرحمة وناشده أن يرعى فيه حرمة القرابة ، ورق له قلب أبي دبوس أولاً ورام إطلاقه ، ولكن ناصحاً له من ذوي قرباه وهو أبو زيد الأعرج شدد عليه في وجوب قتله ، وهكذا صدر الأمر بضرب عنقه في الطريق ، ونفذ فيه الحكم في 22 من صفر من هذه السنة (22 نوفمبر 1266) .

وكان المرتضى على الرغم من ضعف إرادته وتخاذله المخزي وخلوه من صفات القيادة والحكم رجلاً واسع الثقافة محباً للشعر والأدب والغناء والبنيان ، وكأنه كان يريد بإقباله على هواياته ولذاته نسيان ما كان يتربص به من كوارث ، وفيه تتمثل مرحلة الانحلال النهائي الذي كان يهدد دولة الموحدين ، إذ أن خليفته أبا دبوس المتقلب بالوائق لا يتمتع بالخلافة إلا نحو ثلاث سنين ، ثم يجرحه المرينيون من الكأس التي أذاق من قبل مرارتها للمرتضى ، ولا تأتي سنة 668 (1269) حتى يقضي بنو مرين على آخر ما بقي من دولة الموحدين المتداعية .

* * *

في ظل المرتضى - هذا الخليفة التعس الذي وافق حكمه غروب شمس الموحدين - عاش أبو محمد حسن بن القطان ، وكان - على ما يبدو من كتابه - رجال دولته المقربين ، ولم تحدثنا المراجع عن حياته ولا عن دراسته ، إذ أن ما بين أيدينا منها يرخي عليه كما ذكرنا ستاراً من الصمت المطبق .

ولكن في وسعنا أن نتصور شيئاً من ذلك على ضوء ما عرفناه من حياة أبيه الذي كان كما ذكرنا « رئيساً لطلبة مراكش » أي أنه كان من أكبر دعاة

الموحدين المتحمسين لمبادئهم الدينية والسياسية ، بل إنه تعرض في سبيل ذلك لهبة شديدة أدله وأخرجته عن بلده ، وذلك منذ أعلن المأمون في سنة 624 (1227) بيرة من دعوة ابن تومرت وحكمه عليه بالكفر ، ورأى رجال الموحدين في هذه الثورة المذهبية خطراً على كيان الدولة كلها وعلى ما أحرزوه في ظلها من مغام ، فاحتلوا المأمون على مضض بعد أن اتبع معهم سياسة حجاجية بالغة القسوة ، حتى إذا حلت به المنية في آخر سنة 629 (أكتوبر 1232) وولى الخلافة بعده ابنه عبد الواحد الرشيد تنفسوا الصعداء واشترطوا على الخليفة الجديد أن يعيد رسوم الدولة التي عمها أبوه وأن يذكر اسم محمد بن تومرت المهدي في الخطبة والمكاتبات والسكة . وبصف لنا ابن عذارى تخوف مشايخ الموحدين من أن يجري الرشيد على سنة أبيه ، ويقول إنهم لما فاضلوه في الأمر سكن نفوسهم وجدد لأبائهم بإعادة تلك الرسوم الموحدية :

« فيالله ، ما ذا بلغ من سرورهم وما كانوا فيه من الارتياح عند سماعه وانطلاق ألسنتهم بالدعاء إلى الله تعالى في نصر خليفتهم وتأييده ، وإعلاء أمره وتحميده ، وشملت الأفراح الكبير منهم والصغير ، وعم الجذل الحاضر والبادي ، وعند ذلك تمهدت قواعد الموحدين وتبينوا القصد الجميل فيهم ، وأشاعوه عند فاصهم ودانهم ، وبلغ في إدنائهم وتكريمهم ، وأحل أشياخهم محل أشياخ الموحدين على قدم الزمان ، واستبشروا بنعمة من الله ورضوان » (1) .

وطبيعي أن يتشرب ابن القطان مبادئ الدعوة الموحدية منذ صباه وأن يرث عن أبيه حماسته لها واجتهاده في خدمتها ، ولا سيما بعد أن انحابت عن الأفق غيوم هذه الأزمة العارضة التي أثارها المأمون ، وعادت الدولة الموحدية إلى التمسك برسومها وطقوسها التقليدية القديمة ، ولعل هذا هو ما أوصل ابن القطان إلى خدمة الخليفة المرتضى والعمل في بلاطه . والذي يقرأ ما بقي لنا من نص « نص الجمان »

(1) ابن عذارى : البيان المغرب (القسم الموحيدي) ص 317 .

يجد فيه مظاهر كثيرة لهذه الحماسة الشديدة للدعوة الموحدية ، وإن كان هذا لا يعني الإخلاص الحقيقي لها ولا الإيمان الصادق بها ، وكل ما هناك هو أن مثل ذلك الإخلاص كان طريقاً إلى الجاه والسلطان ... طريقاً سلكها أبوه من قبل « فنال بخدمة السلطان دنيا عريضة » كما ذكر من ترجموا له . وما كان أبو محمد ابن القطان بدعا في ذلك ، فقد ورث عن أبيه هذه « الوصولية » وكان كغيره من الفقهاء الذين لم يتورعوا عن بذل علمهم وكرامتهم في سبيل عرض الدنيا ، وما كان بذلك غريب في مثل هذا العصر الذي اختلت فيه موازين القيم والأخلاق فأصبح كثير من العلماء يعرضون أنفسهم بضاعة رخيصة لكل متلبس بحكم أو متصور على سلطان . وكتاب « نظم الجمان » كما نستشف من القطعة الباقية منه ليس إلا تاريخاً « بلاطياً » خالصاً من طراز تلك الكتب التي ألفها مؤرخون « منتفعون » من الدولة التي يستظلون بظلها ، وأمثال هذه التواريخ رأيناها في جميع الدول الإسلامية المختلفة ، وقد سبق ابن القطان إليها في الدولة الموحدية مؤرخون مهذبوا له الطريق مثل أبي بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق صاحب كتاب « أخبار المهدي » وأبي القاسم المؤمن صاحب « فضائل المهدي » وابن الراعي ثم ابن صاحب الصلاة مؤلف كتاب « المن بالامامة » .

مؤلفات ابن القطان :

وقد جمع ابن القطان للمرتضي عدة كتب يذكرها ابن عذاري في ذلك النص الذي اختصه به وفيه يقول :

« وكان (أي المرتضى الموحدي) محبا في مطالعة الكتب وتوليقيها وتصانيفها ، فألف له الفقيه أبو محمد ابن القطان جملة من الكتاب الحفيلة الجليلة ، وأمده بالدواوين العظيمة والخيرات الجليلة (كذا ولعلها الجزيلة) ، فمنها : « نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان » ، وكتاب « شفاء الغلل » ، في أخبار الانبياء والرسل » ، وكتاب « الأحكام لبيان آياته عليه السلام » ، وكتاب « المناجاة » ، وكتاب « المسموعات » فيه قصائد متحيرات فيما يخص بالمولد الكريم

وشهر رجب وشعبان ورمضان وغير ذلك » (1) .

أما « نظم الجمان » فله موضعه من هذا الحديث ، وأما الكتب الأخرى فأغلب الظن أنها فقدت أو ضاعت ، ولم تتحدث عنها المصادر الأخرى التي وقعت إلينا ، فيما عدا إشارة سريعة مقتضية لابن القطان نفسه في معرض التعليق على الحديث النبوي المشهور « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة » فهو يقول إنه جود الكلام على هذا الحديث في كتاب « الأحكام » (2) .

كتاب « نظم الجمان »

شهر هذا الكتاب بالمقطع الأول من عنوانه ، وأما المقطع الثاني الذي يقتضيه السجعة المعتادة في عناوين الكتب فهو ما لا يتفق عليه من أشاروا إليه أو اقتطفوا منه ، وسنورد فيما يلي الصور المختلفة التي جاء بها هذا المقطع الثاني في المراجع المختلفة .

- 1 - العنوان في المخطوطة الوحيدة الباقية من الكتاب معتمدا في نشر هذا الجزء هو : « نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان » .
- 2 - وتسميه مخطوطة الرباط التي أشرنا إليها من قبل « ... فيما سلف من أخبار الزمان » (3) وكذلك الفقيه الرهوني فيما نقله عنه العالم المغربي الشيخ عبد الحي الكتاني وسجله بخط يده على غلاف مخطوطة « النظم » كما سنرى بعد في كتاب « المعيار المعرب » ، والنشر يسي فيما نقله عن ابن القطان في خبر ابن تومرت وعلاقته بالغزالي وإحراق كتاب الإحياء (185/12 - 186) .

(1) البيان المغرب - القسم الموحدي ص 446 .

(2) هذا هو الكتاب الذي خلط بينه ليفي برونسفال وبين « شرح الأحكام » أو « الوهم والإيهام الواقفين على كتاب الأحكام » ، وهو الذي ألفه ابن القطان الاب معلقا به على « أحكام » عبد الحق الأشبيلي .

(3) ص 25 من مخطوطة الحزانة العامة بالرباط رقم 1275 ك .

3 - ويذكر ابن عذارى له عنوانين : أولهما « ... في أخبار الزمان » ، جاء ذلك في مقدمة كتاب البيان المغرب في معرض الكتب والمراجع التي اعتمد عليها في تحرير مؤلفه ⁽¹⁾ ، والآخر هو « نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان » ، وقد جاء هذا في حديثه عن الكتب التي ألفها ابن القطان للخليفة المرتضي ، وهو الذي أثبتنا نصه منذ قليل .

نقول المؤرخين المتأخرين عن ابن القطان :

الذي يتتبع النقول التي اقتطفها المؤرخون الاندلسيون والمغاربة من « نظم الجمان » يتبين له مدى قيمة هذا الكتاب ووفرة المادة التاريخية التي تضمنتها صفحاته ، وسنورد فيما يلي إشارات مقتضبة إلى ما عثرنا عليه من هذه النقول :

أ - في كتاب « البيان المغرب » لابن عذارى :

1 - يبدأ ابن عذارى في مقدمة كتابه بذكر « نظم الجمان » من بين المراجع التي اعتمد عليها ونقل منها في تاريخه ⁽²⁾ .

2 - ينقل عنه في الفصل الذي عنوانه بقوله « صفة مدينة تهرت على ما ذكره ابن القطان ⁽³⁾ » وهو فصل جغرافي طويل يذكر في أثنائه القبائل البربرية التي كانت تسكن هذه المناطق ، ويتبع ذلك صفة مدن مغربية أخرى مثل طنجة ومدن إقليم السوس وبلاد صنهاجة وهسكورة وأغمات وغيرها من المواضع ، وهو في كل ذلك ينقل عن مؤرخين وجغرافيين آخرين ، وإن كان يغلب على ظننا أن جل اعتماده على ابن القطان .

3 - عن غزوات عقبة بن نافع في المغرب وعودته إلى إفريقية بعد رجوعه من

الحملة التي قادها في بلاد جزولة ثم استشهاده ⁽¹⁾ .

4 - عن غزوات موسى بن نصير للمغرب الأقصى ⁽²⁾ .

5 - عن أصل طارق بن زياد ومستقره من بلاد المغرب قبل فتحه الأندلس ، وما كان يسيطر عليه النصارى من بلاد المغرب ⁽³⁾ .

6 - عن تولية هشام بن عبد الملك كلثوم بن عياض على إفريقية والمغرب ، والحروب الدائرة بين العرب والبربر ، ولجوء فل العرب بقيادة بلج بن بشر القشيري إلى سبتة ، ثم مكاتبتهم لعرب الأندلس حتى جوازهم إلى تلك البلاد ⁽⁴⁾ .

7 - عن برغواطة وارتدادهم عن الإسلام وخبر بني طريف البرغواطيين ⁽⁵⁾ .

8 - عن عبد الرحمن بن حبيب والي إفريقية وخلعه طاعة العباسيين ⁽⁶⁾ .

9 - عن مصرع عمرو بن حفص والي إفريقية للعباسيين على يد الثائر الخارجي أبي حاتم الأباضي سنة 153 ⁽⁷⁾ .

10 - عن موقعة دارت في سنة 224 في موضع بين قفصة وقسطيلية (بافريقية) بين عيسى بن ريعان الأزدي وقبائل البربر من لواتة وزواغة ومكناسة ⁽⁸⁾ .

11 - عن خلو سنة 253 من أخبار إفريقية مما يستحق الذكر ⁽⁹⁾ .

(1) البيان 28/1 .

(2) البيان 42/1 .

(3) البيان 44/1 .

(4) البيان 55/1 - 56 .

(5) البيان 56/1 - 57 .

(6) البيان 67/1 .

(7) البيان 77/1 .

(8) البيان 107/1 .

(9) البيان 115/1 .

(1) البيان المغرب 3/1 (ط . ليفي بروفنسال وكولان) .

(2) البيان المغرب 3/1 .

(3) البيان 25/1 وما بعدها .

12 - عن أخبار عبيد الله الشيعي (المهدي) مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ، والخلاف في نسبه . وما يجدر بالذكر هنا أن ابن القطان ممن يؤكدون زيف النسب الفاطمي الذي اصطنعه مهدي الشيعة العبيديين ⁽¹⁾ .

13 - عن الفاطميين في مصر وأخبار خلفائهم وأن نسبتهم إلى علي بن أبي طالب باطلة وأن أكثر اعتقاداتهم كفر ، وبلى ذلك كلام عن وفاة المستنصر بن الظاهر وولاية المستعلي ثم الأمر إلى ولاية الحافظ ⁽²⁾ .

14 - عن دولة يحيى بن تميم بن المعز أمير إفريقية وفتح لاقيلية سنة 502 ⁽³⁾ .

15 - عن غلاء الاسعار والوباء المنتشر في تلمسان في المغرب الاوسط سنة 512 ⁽⁴⁾ .

16 - عن وقعة كتندة بالاندلس التي هزم فيها المرابطون سنة 514 ⁽⁵⁾ .

17 - عن خلع القاسم بن حمود في قرطبة سنة 414 وهزيمة البربر وهروب القاسم بن حمود إلى إشبيلية ثم محاولة أهل قرطبة إعادة دولة بني أمية وخلافة عبد الرحمن المستظهر بن هشام بن عبد الجبار ⁽⁶⁾ .

18 - عن استخلاف محمد بن عبد الرحمن المستكفي ثم خلعه وفراره ووفاته في أقليم ⁽⁷⁾ .

19 - عن أخبار إسماعيل بن القاضي محمد بن عباد وحروبه مع يحيى بن علي بن حمود صاحب قرمونة في سنة 427 ومقتل إسماعيل المذكور

(1) البيان 158/1 - 159 .

(2) البيان 287/1 .

(3) البيان 304/1 - 305 .

(4) البيان 307/1 .

(5) البيان 308/1 .

(6) البيان 134/3 - 135 .

(7) البيان 141/3 - 142 .

سنة 451 في حرب نشبت بينه وبين باديس بن حبوس صاحب غرناطة ، وعن فرار هشام بن الحكم المؤيد عن قرطبة ، وخبر خلف الحصري الذي زعم ابن عباد بإشبيلية أنه هشام المؤيد ⁽¹⁾ .

20 - عن خبر إدريس بن يحيى آخر خلفاء الحمدانيين وخروجه إلى سبتة وبقائه بها عند سواجات البرغواطى وما سبق ذلك من أحداث ⁽²⁾ .

21 - عن وفاة خلف الحصري المشبه بهشام المؤيد سنة 451 وقطع ابن عباد للدعوة الحشامية ⁽³⁾ .

22 - عن مصرع الوزير ابن السقاء على يد عبد الملك بن جهور أمير قرطبة وفساد أمور هذه المدينة على عبد الملك ⁽⁴⁾ .

23 - عن المعتضد بن عباد ووفاته سنة 460 وبعض أخباره وصفاته ⁽⁵⁾ .

24 - عن خروج يوسف بن تاشفين في سنة 464 إلى بلاد المغرب وعودته إلى وطاط وملوية وناحية جراوة وإخضاعه لقبائلها وغير ذلك من أخبار هذه السنة ⁽⁶⁾ .

25 - عن إحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي بأمر علي بن يوسف بن تاشفين وما قاله الامام الغزالي في ذلك داعياً الله أن يديل دولته بآبن تومرت ⁽⁷⁾ .

(1) البيان 199/3 - 200 .

(2) البيان 217/3 .

(3) البيان 249/3 .

(4) البيان 251/3 .

(5) البيان 284/3 .

(6) البيان (القسم المراتبي الذي نشره أويثي في مقاله « قطعة مخطوطة من البيان المغرب عن المرابطين » ،

مجلة إسبريس - تمودة ، الرباط سنة 1961) ص 57 (= ص ٢٢ من طبعة بيروت سنة 1967) .

(7) نفس المرجع ص 76 (= ص 59 من طبعة بيروت) .

26 - عن مكوث المهدي في جبل إيجيليز ثلاثة أعوام من سنة 515 إلى سنة 518 ، وعن التمييز الذي قام به أبو محمد البشير النشريشي في صفوف الموحدين سنة 519 ، ثم ثورة الفقيه الافريقي علي ابن تومرت بسبب قتله هزيمة تينملل (1) .

27 - عن هزيمة البحيرة الواقعة على الموحدين بعد حصارهم مراکش سنة 524 ، (وإن كان النص يذكر ذلك في معرض أحداث سنة 521) (2) .

28 - عن انتصار الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي على عسكر المرابطين بكيك ، ثم حصارهم لاغمات في سنة 524 ، وعن موت المهدي محمد بن تومرت في هذه السنة (3) .

29 - عن فتح عبد المؤمن لتادراوت وبلاد السوس ودخوله تيونون سنة 529 (4) .

ب - في كتاب « الحلل الموشية » :

30 - عن نسب محمد بن تومرت الذي ينتهي كما ذكر ابن القطان إلى الحسن بن علي بن أبي طالب (5) .

31 - عن رحلة محمد بن تومرت من وطنه هرغة بالسوس الأقصى في طلب العلم إلى الاندلس ثم إلى المشرق ولقائه للطروطوشي والغزالي ، ثم عن كتاب الاحياء وإحراقه بقرطبة برأي القاضي ابن حمدين (6) .

(1) نفس المرجع ص 82 - 83 (= ص 68 - 69) .

(2) نفس المرجع ص 88 (= 75) .

(3) البيان (القسم المرابطي) ص 94 (= 83 - 84) .

(4) نفس المرجع ص 101 (= 94) .

(5) الحلل الموشية ص 103 (والترجمة الأسبانية ص 123) .

(6) الحلل ص 104 - 105 (والترجمة الأسبانية ص 124 - 126) .

ج - في « أعمال الاعلام » لابن الخطيب الغرناطي :

32 - عن هشام المؤيد وفراره من الفتنة إلى قرية من قرى إشبيلية وتنصيب ابن عباد لرجل شبيه به على عرش الخلافة لكي يحكم القاضي ابن عباد باسمه باعتباره حاجباً له (1) .

د - في كتاب « الانساب » لابي حيان :

33 - عن المصامدة وتقسيمهم إلى فريقين ؛ أهل درن وهم متبعون للامام (يعني ابن تومرت المهدي) وأهل الوطا وهم مخالفون له (2) .

هـ - في كتاب « المعيار المغرب » للنشريسي :

34 - عن علاقة ابن تومرت المهدي بالغزالي وإحراق كتاب الإحياء (3) .

* * *

وهذه النقول عن ابن القطان تدلنا على قيمة كتابه وعلى أن المتأخرين اعتبروه من أمهات المراجع التاريخية حول المغرب والاندلس . ولو أننا استعرضنا هذه المقتطفات لتبين لنا أن « نظم الجمان » ينبغي أن يكون تاريخاً مفصلاً شاملاً للمغرب بمعناه الواسع أي من الحدود الغربية لمصر حتى الاندلس ، ويبدو أنه كان يبدأ بفصول طويلة عن جغرافية المغرب ووصف مدنه ، ثم ينتقل إلى تاريخه منذ الفتح العربي حتى أيام المؤلف . وهو إلى جانب ذلك لا يخلو كتابه من الاهتمام بأخبار المشرق ولا سيما مصر وأخبار الخلفاء الفاطميين بها .

النص المنشور وقيمه :

أما القطعة الوحيدة الباقية من هذا الكتاب الجليل والتي نقدمها إلى القراء

(1) ابن الخطيب : أعمال الاعلام (نشر ليفي برونسسال ، بيروت 1956) ص 154 - 155 .

(2) مخطوطة الرباط التي أشرنا إليها من قبل ، ص 23 .

(3) المعيار المغرب ، بيروت 1981 - الجزء الثاني عشر ص 185 - 186 .

بهذه السطور فهي ليست إلا جزءاً بالغ الصغر من تلك الموسوعة الضخمة في تاريخ المغرب والاندلس ، إذ أنها لا تتناول إلا أخبار ثلاث وثلاثين سنة (من 500 هـ . إلى 533 هـ .) بل إن تاريخ هذه السنوات ليس كاملاً متساوياً ، فنحن نرى فيه فجوات وخروماً كثيرة يعلم الله مدى ما ذهب فيها من أوراق ، ولنا بعد ذلك أن نتصور حجم الكتاب كله ومدى ما يشتمل عليه من تفاصيل وفوائد إذا قدرنا أن النص الكامل له يعرض لنا جغرافية المغرب وتاريخه العام على طول ستة قرون .

ويبدو لنا أن ابن القطان قسم كتاب (نظم الجمان) إلى سبعة أجزاء : الأول يضم المقدمة الجغرافية الضافية ثم الفتح العربي للمغرب وأخباره في بقية القرن الأول الهجري أي حتى سنة 100 هـ . ؛ والثاني في أخبار القرن الثاني الهجري ؛ والثالث في أخبار القرن الثالث ، وهكذا ... حتى الجزء السابع والآخر ويتضمن أخبار القرن السابع حتى عصر المؤلف أي إلى أواخر أيام الدولة الموحدية . وإنما يرجح هذا الظن عندنا أن القطعة التي نقدمها هنا تحمل عنوان « الجزء السادس من الكتاب في ذكر ما انتهى إلينا من أخبار القرن السادس وهو المائة السادسة من الهجرة الكريمة مما يتشوف إليه » .

على أنه إلى جانب هذا قد قسم الكتاب كذلك إلى أسفار لا نعرف على أي أساس قام بتجزئته إليها ، وذلك لأننا نرى أن هذه القطعة التي بقيت لنا من الكتاب كله تبدأ بقوله : « السفر الثالث عشر من كتاب نظم الجمان » ، ونحن نرى تأكيداً لذلك في أحد نصوص « البيان المغرب » التي ينقل فيها عن مؤلفنا إذ يقول : « فذكر ابن القطان في السفر الثالث عشر من كتاب نظم الجمان ... » ثم يورد خبر رحلة محمد بن تومرت إلى الاندلس في سنة 500 وعودته إلى بلاده في سنة 514 ⁽¹⁾ ، وهذا يتفق فعلاً مع أول ما استهل ابن القطان به أخبار القرن السادس الهجري كما يرى من النص الذي اضطلعنا بنشره .

(1) البيان (القسم المرباطي) ص 76 من مقال أوبلي المشار إليه (- ص 39 من طبعة بيروت) .

وقد التفتع ابن القطان بدوره من كتب من سبقوه من مؤرخي الدولة الموحدية واطلع على كتبهم ، ونص هو على استخدامه لهذه المصادر : « فضائل المهدي » لابي القاسم المؤمن المصري ، وكتاب لابن الراعي لم يورد عنوانه ، وكتاب « المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب » لليسع بن عيسى بن حزم بن اليسع الحافقي ، و « المقباس في أخبار المغرب والاندلس وفاس » لعبد الملك بن موسى الوراق ، و « النبذ المحتاجة من أخبار صنهاجة » لابي الحسن علي بن حمادو الصنهاجي ، وهذه الكتب معظمها ضاع ولم يبق منها إلا مقتطفات في المراجع المتأخرة ، كذلك استخدم مؤلفنا كتابي « أخبار المهدي » لابي بكر الصنهاجي المعروف بالبيدق ، و « المن بالامامة » لابن صاحب الصلاة ، وقد وصل إلينا الكتاب الأول بعد أن نشره ليفي بروفنسال وما زال جزء من الثاني مخطوطاً في أكسفورد ، وقد نشره الصديق الأستاذ عبد الهادي التازي في بيروت سنة 1964 كما سبق أن ذكرنا . وفضلاً عن ذلك يبدو أن ابن القطان تمكن - بحكم صلته بالخليفة المرتضى وعمله في ديوان رسائله - من الاطلاع على بعض الوثائق الرسمية للدولة ، إذ نجده ينقل مثلاً رسالة كتبها ابن تومرت المهدي بخط يده إلى القاضي علي بن أبي الحسن الجذامي في سنة 511 ⁽¹⁾ ، ورسالة أبي عبد الرحمن بن طاهر المرسي « الكافية في براهين الامام المهدي » إلى عبد المؤمن بن علي ⁽²⁾ ، ورسالة طويلة عن عبد المؤمن إلى الموحدين من إنشاء أبي جعفر ابن عطية سنة 543 ⁽³⁾ ، وفقرات من رسالة ليوسف بن عبد المؤمن إلى أهل تونس عام فتحه لقفصة سنة 575 ⁽⁴⁾ . وكل هذا يدلنا على ان المادة التاريخية التي تهيأت لابن القطان كانت وفيرة غزيرة ربما لم يتهياً مثلها بعد ذلك إلا لابن عذاري المراكشي .

(1) نظم الجمان ص 89 .

(2) نظم الجمان ص 101 - 122 .

(3) نظم الجمان ص 188 - 209 .

(4) نظم الجمان ص 116 - 117 .

والكتاب في جملة مذهبي الطابع يكتبه رجل من رجالات الدولة الموحدية متعصب لها أشد التعصب ، فهو يشيد بآلائها ويهاجم خصومها في عنف بالغ ، ويحاول ستر عيوبها وتسويغ أفعالها ، وهو يصل في ذلك إلى حد الملك الرخيص ومجافاة الحقائق في كثير من الأمور ، ولهذا فإن جانباً كبيراً منه يدخل في باب الجدل السياسي والديني : نرى ذلك في مهاجمته للمرابطين بأحد لسان وأشد عارضة وفي غمظه لما قدموه للإسلام في المغرب والاندلس من أياد بيضاء ، وفي دفعه لما اتهم المرابطون به محمد بن تومرت المهدي ودعوته ⁽¹⁾ ، وفي الحملة الشعواء التي شنّها عليهم حتى إنه جعلهم « مجسمين » و « كفاراً » و « منافقين » يجب على المسلمين قتالهم وثقافتهم ⁽²⁾ ، وفي الكلام عن فضائل المهدي ⁽³⁾ والتدليل على صحة نسبه العلوي مع أنه يورد في سلسلة نسبه آراء مختلفة متعارضة ⁽⁴⁾ ، وفي الحديث عما زعم أنه « عصمته » ⁽⁵⁾ وعن « كرامات » عبد المؤمن بن علي ، وهو في ذلك يسوق أخباراً وتنبؤات بينة الوضع والاختلاق أو أحاديث نبوية تأولها على صورة ساذجة أبعد ما تكون عن المنطق السليم ⁽⁶⁾ .

وهو لا يكتفي بمهاجمة دولة المرابطين التي انقضت واندثرت قبل أن يؤلف كتابه بأكثر من قرن ، بل إنه لا يدع فرصة لمهاجمة الخلافة الفاطمية في مصر إلا اغتنمها فوصم خلفاءها بالكفر والفسوق ، ثم يقارن بينهم وبين الموحدين ، فيقول :

« فانظر إلى هذه المحاولات الشنيعة ، والأمور الفظيعة .. (ثم يذكر بعض ما وقع في مصر من الفتن والقبائح) يبين من ذلك ما كان في الأرض من ظلمات

(1) نظم الجمان ص 67 - 86 .

(2) نظم الجمان ص 97 - 100 .

(3) نظم الجمان ص 80 - 81 .

(4) نظم الجمان ص 87 - 88 .

(5) نظم الجمان ص 91 - 94 .

(6) نظم الجمان ص 181 - 185 .

المظالم ، وانتهاك المحارم ، والخروج عن مراسم السنة وحدودها ، وتكذب تلك الفئات عن الحق وصدودها ، وذلك من حين وفاة المهدي رضي الله تعالى عنه إلى حين ظهور أمر الموحدين أعزهم الله تعالى واتساق كلمة الأمر العالي ، الخصوص بالملك والمعالى ، فتحقق بذلك صدق البشارة النبوية الكريمة ، بهذه الخلافة المهدية القويمة ، القائمة بأمر الله تعالى وإحياء كلمته . وإعلاء الحق وهداية أمته ... والله سبحانه يعلى مناره ، ويدوم بالخلافة المؤمنية المرتضية ضياءه وأنواره ، إلى يوم الدين » . ⁽¹⁾

ونحن نرى من هذه الفقرة ، وغيرها كثير في الكتاب ، أن هذا المؤلف يبدو كما لو كان في عزلة عما كان يدور في أيامه من أحداث ، فالخلافة « المؤمنية المرتضية » التي دعا الله أن يديمها إلى يوم الدين كانت تلفظ في هذا الوقت آخر انقاسها ، وكانت عاجزة عن حكم رقعة بلادها بعد أن خرج عنها سلطان الاندلس كله بين النصارى الذين استولوا على معظم أقطاره والثوار الاندلسيين الذين بلغ استخفافهم بالدولة إلى أقصى غاية ، أما المغرب فقد كان بنو مرين فيه قد محوا سلطة الموحدين أو كادوا ، هذا فضلاً عن الفتن والمذابح التي راح ضحيتها معظم أفراد الأسرة المؤمنية بما فيهم المرتضى نفسه بعد ذلك . ومع هذا فإن ابن القطان كان لا يزال يحدث نفسه بإدامة الخلافة المؤمنية ومد سلطانها على بلاد المشرق فضلاً عن المغرب .

والحق أن العالم الإسلامي في هذا العصر كان قد بلغت أحواله من السوء والفساد إلى حيث لا مزيد سواء في ذلك مشرقه ومغربه ، وما ذكره ابن القطان عن « المحاولات الشنيعة والأمور الفظيعة » في مصر على عهد الفاطميين حق لا ريب فيه ، ولكن أين كان المؤلف المسكين من أحوال المغرب ؟ وهل كانت « المحاولات والأمور » فيه أقل من ذلك « شناعة وفضاعة » ؟ إن الذي يقرأ صفحات « البيان المغرب »

(1) نظم الجمان ص 221 .

حول ما كان يدور في أيام المؤلف لا يرى فيه إلا صورة دامية رهيبة تقبض النفس وتورث الدوار... صورة فيها كل ما ذكره ابن القطان من « ظلمات المظالم ، وانتهاك المحارم ، والخروج عن مراسم السنة وحدودها ، وتنكب تلك الفئات عن الحق وصدودها » ، ومع هذا فابن القطان الذي لقي أبوه في غمار هذه الفتن من المحنة ما لقي - ولعله هو أيضا ذهب ضحية لها بعد ذلك - لا يرى بأسا في أن يتمدح بتلك البقية الضئيلة الباقية من سلطان الموحدين ويشيد بما زعم أنهم كانوا عليه حينئذ من « إعلاء الحق » و « هداية الأمة » .

وكل ما هناك هو أن هذا المؤلف - شأنه في ذلك كشأن كثير من المؤرخين العرب في المشرق والمغرب في تلك العصور - رجل مأجور مرتزق... مؤرخ « بلاطي » كما ذكرنا ، يكتب متزلفا متملقا لإرضاء سادته حتى على حساب الحق والتاريخ ، وإلا فهل يتصور أحد أن يتحدث مؤرخ مسلم عن هزيمة أوقعها النصاري بالمرابطين في الاندلس وذهب فيها اثنا عشر ألفا من المسلمين بين قتيل وأسير ، فلا يعلق عليها إلا بقوله : « وكل هذا مما مهد الله تعالى به أمر الموحدين أعزهم الله تعالى » ⁽¹⁾ ؟ وهل يبلغ به بغض المثلثين إلى مثل هذه الشماتة الصريحة والتشفى المسعور في كارثة أصابت المسلمين أولا وأخيرا ؟

وإن قوله لحق : فالمرابطون الذين جاهدوا في سبيل الإسلام وبذلوا في ذلك الكثير من دمائهم وأمواهم حتى ملوا في عمر الإسلام ما كان يوشك أن ينقطع لم يلبثوا وهم في غمار هذه المعركة الحامية أن رأوا محمد بن تومرت ناجما عليهم في جبال السوس شاقا عصا المسلمين وصادعا لكلمتهم... فاضطروا إلى القتال في جهتين : النصاري من خارج ، والموحدين من داخل ، وكانت هزائمهم في الاندلس ممهدة فعلا لأمر الموحدين بالمغرب كما قال ابن القطان... ولكن على حساب من ؟ وحساب من ؟

وعلى الرغم من ذلك فإن « نظم الجمان » نص على أكبر جانب من القيمة والحظر ، لا سيما وأنه بجلى لنا الكثير من النواحي التي لم نزل بعد غامضة من تاريخ المغرب والاندلس خلال الثلث الأول من القرن السادس ، وهي فترة الصراع بين المرابطين والموحدين ، وفيه تفاصيل كثيرة ينفرد بها حتى عن ابن هدارى المراكشي الذي يعتبر كتابه « البيان المغرب » أجمع ما وصلنا عن تاريخ المغرب والاندلس . صحيح أنه مؤرخ متحيز حزبي النظرة ، إذ هو لا يريد أن يعترف للمرابطين بأي فضل ، غير أن حقائق التاريخ تخونه فيضطر للتسليم بها في سداجة وبغير وعي . ولنضرب لهذا مثلا بأننا نجد في « نظم الجمان » أوفى تفصيل ووصف حتى الآن لموقعيتين كانتا من أجل أعمال المرابطين في الاندلس وهما « أفليش » (سنة 501) و « إفراغه » (528) ⁽¹⁾ إذ أوقفوا في الأولى تيار الغزو المسيحي المنطلق من مملكة قشتالة ، وفي الثانية التيار الآخر المتحدر من مملكة أرغون .

وفي الكتاب تفصيل مسهب لكثير من أحداث الاندلس والمغرب رتبها على السنين ، فضلا عن كونه احتفظ لنا بنصوص قيمة أصيلة عن الدعوة الموحدية ، وجملة من الرسائل الرسمية الصادرة عن سلاطين الدولة ، إلى غير ذلك مما لا يتسع المجال لتفصيله .

بل إننا نجد بين دفتي هذا الكتاب ذكرا مطولا لأشياء عن تاريخ مصر على عهد الفاطميين لا نكاد نجدها حتى في كتب المؤرخين المصريين أنفسهم من أمثال المقرئى وابن تغرى بردي . ولنضرب مثلا على ذلك نصه الطويل عن مقتل الخليفة الأمر سنة 524 ⁽²⁾ ، فهو صورة واقعية بالغة الدقة والتفصيل لحادث من أعرب حوادث الاغتيال السياسي في التاريخ الإسلامي .

(1) نظم الجمان ، ص 63 - 67 ، 243 - 248 .

(2) نظم الجمان ، ص 231 - 233 .

أما أخباره عن أحداث بقية بلاد الشرق الإسلامي فهي لا تتجاوز الاسماء والتواريخ ، وهو لا يلتزم فيها الدقة وإن كان يعتذر عن ذلك بأنه لم يصل إليه منها ما يشفي الغلة ، فخفى عليه أمرها ، وهي على أية حال لا تضيف شيئاً كثيراً إلى ما نعرف منها .

المخطوط

القطعة التي وقعت من « نظم الجمان » والتي نشرنا على أساسها هذا الجزء هي التي ذكرنا أنها كانت لدي ليفي بروفنسال ثم آلت إلى معهد الدراسات الإسلامية في مدريد في جملة المخطوطات التي اشتراها من تركة المستشرق الفرنسي الراحل . وهي تشتمل على اثنتين وثمانين ورقة . وتبلغ مقاييس الورقة منه 215×295 ملليمترًا ، ومسطرة الصفحة تتراوح بين 19 و 24 سطرًا ، ومتوسط الكلمات في السطر يبلغ نحو 9 كلمات .

والخط مغربي على قدر من الجمال وهو بالمداد الاسود ما عدا الضبط والعناوين ، فقد عمل الناسخ على إبرازها بمداد من لونين أحمر وأخضر . والأوراق في حالة جيدة بصفة عامة ، ولو أن بعضها أصابه بلل وتمزق ، فهبت منها الكتابة وساح المداد .

ونذكر فيما يلي نص ما جاء على غلاف المخطوط :

« السفر الثالث عشر من كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان تأليف الشيخ الامام العالم أبي النجوم الباجي رحمه تعالى ورضي عنه » . ثم يلي هذا العنوان سطور أخرى جرى عليها قلم من وقعت إليه المخطوطة حتى يعفى على ما جاء فيها . أما نسبة الكتاب إلى « أبي النجوم الباجي » المذكور فهو خطأ لا أدري من أين أتى به الناسخ ، وسنرى مثله في خاتمة الكتاب .

وعلى حواشي الغلاف تعليقات أخرى نورد نصها فيما يلي :

- ١ - « عالم نقش فيه اسم « عبد القادر القادري - مراکش » وهو يبدو لمجتبر من متاجر الكتب .
- ٢ - « تملك هذا المجلد محمد عبد الحفي الكتاني شراء من مراکش بأربعين ريالاً ، وذلك في سنة 1343 (1924 م) » .
- ٣ - « الحمد لله ، نقل الشيخ الرهوني في حواشي شرح المختصر في ص 364 ج 7 لدى أول باب الشهادات عن ابن القطان في كتابه المسمى نظم الجمان فيما سلف من أخبار الزمان قصة ورود المهدي بن تومرت على الغزالي ، وهو في هذا الكتاب فلعله هو هذا » .
- ٤ - « قطعة من نظم الجمان لابن القطان مطبوعة بليدن سنة 1849 ، انظر فهرس المكتبة الخديوية ص 64 ج 5 » .
- ٥ - « في مكتبة المدرسة ... بالرباط أوراق من هذا المجلد ، وقد بلغني أنها طبعت الآن في باريز » .

وهذه الملاحظات والتعليقات مما كتبه العالم المغربي الكبير الشيخ عبد الحفي الكتاني الذي تملك الكتاب ثم أعاره أو أهده إلى ليفي بروفنسال .

أما إشارة الشيخ الكتاني الثانية التي يصلح فيها اسم مؤلف الكتاب الذي نسبته للناسخ إلى « أبي النجوم الباجي » فهي صحيحة ، وقد اعتمد فيها المعلق على النص الذي يذكره للرهوني في شرح المختصر . والرهوني هو الفقيه المغربي المشهور أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الرهوني الوزاني المتوفي سنة 1230 هـ . (1815)^(١) ، وكتابه المشار إليه هو « أوضح المسالك : حاشية على شرح الزرقاني على مختصر خليل (بن اسحاق) » ، ومنه نسخ مخطوطة عددها

(١) انظر الاستاذ محمد بن تاووت : محاضرات في تاريخ التشريع الإسلامي ، تطوان سنة 1961 ، ص

بروكلمان في الرباط ومكتبة الزيتونة في تونس، ⁽¹⁾ وقد طبع مرارا، على أني لم أتمكن من مراجعة هذا النص الوارد عن ابن القطان في كتاب الرهوني على ما يذكر الشيخ الكتاني.

وأما ما نقله العالم المغربي عن فهرس المكتبة الخديوية (64/5) في معرض الكلام عن نسخة البيان المغرب التي طبعها رينهارت دوزي في ليدن سنة 1848 - 1849 فإن نقله صحيح، إذ جاء في الجزء والصفحة المذكورين من فهرس الكتب العربية الموجودة في دار الكتب المصرية أنه « اختلط بالجزء الأول منه (أي من البيان المغرب) قطع انتخابها المصحح من كتاب نظم الجمان لابن القطان »، وقد نقل هذه العبارة أيضا الاستاذ عبد السلام بن سودة في الفصل الذي أفرده للبيان المغرب ⁽²⁾، غير أن الخطأ هنا - وعهدته لا تقع على الشيخ الكتاني وإنما على مفهرس دار الكتب المصرية الذي كتب تلك الملاحظة - هو أن مصحح كتاب « البيان المغرب » أو ناشره لم ينتخب قطعا من نظم الجمان، وإنما هي تلك النقول التي اعتمد ابن عذارى فيها على ابن القطان واقتطفها من تاريخه كما فعل غيره من المؤرخين، ولم يكن من عمل لدوزي في ذلك إلا نشر الكتاب كما وقع إليه، ولم ينتخب الرجل من « نظم الجمان » قليلا ولا كثيرا.

ونعود إلى مخطوط « نظم الجمان » فنذكر أن آخر أوراقه تنتهي بالعبارة الآتية كتبها ناسخ النص نفسه :

« تم السفر الثالث عشر من كتاب محاسن المجالس (كذا) والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله ».

وان عجبنا لا ينقضي من أمر ناسخ هذا الكتاب، فهو في أوله ينسبه إلى من يسميه « العالم أبا النجوم الباجي » فإذا فرغ من كتابته إذا به ينسى عنوان « نظم الجمان » الذي أثبتته على غلافه بخط كبير، ثم يأتي بعنوان آخر للكتاب لا ندري من أين أتى به.

(1) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، الملحق 98/3، 874.

(2) دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص 159.

وهذا في الحقيقة ليس إلا مظهراً من مظاهر جهل هذا الناسخ وقلة معرفته بما يكتب، وهو يفسر لنا ما ملأ به الكتاب من أخطاء جسيمة وغلط في ضبط الالفاظ وتحريف في أسماء الاعلام، هذا على الرغم من فخامة الورق وأناقة الكتابة وجمال التجليد وكثرة الألوان، مما يدل على أن النسخة كانت مما يكتب للامراء أو السراة الوجهاء. وفضلا عن ذلك كله فإن الكتاب وقع فيه اضطراب كثير وخروم متعددة قد تكون راجعة إلى ضياع أوراق من المخطوطة، لا سيما وأن ترقيم الأوراق متأخر عن وقت نسخ المخطوط، فهو مكتوب بالقلم الرصاص، ومعنى هذا أنه ليس هناك في الواقع ترقيم حقيقي يطمأن إليه، ثم إن السياق حتى في الأوراق المنتظمة لا يستقيم دائما، بل نجد فيها تقدما وتأخيراً في السنوات التي يسرد المؤلف حوادثها، وربما دل هذا على أن الناسخ انما وقع إليه أصل مضطرب ناقص، فنقل عنه دون أن يميز السياق في أوراقه.

* * *

وقد سبق أن ذكرنا أن أول من استفاد من هذه المخطوطة هو ليفي بروفنسال الذي نشر منها ست قطع في مقاله « ست قطع مخطوطة من تاريخ مجهول لظهور الدولة الموحدية » وفيما يلي بيان بتلك القطع التي نشرها ليفي بروفنسال وما يقابلها من هذه الطبعة لنظم الجمان :

القطعة الأولى تقابل ص 78 - 87 من هذا النص

القطعة الثانية تقابل ص 87 - 94 منه

القطعة الثالثة تقابل ص 137 - 139 منه

القطعة الرابعة تقابل ص 134، 135 - 136 منه

القطعة الخامسة تقابل ص 136 - 137، 156 - 160 منه

القطعة السادسة تقابل ص 169 - 172 منه

ولم ينتفع بعد ذلك من هذا المخطوط إلا الاستاذ أمبروسيو أويشي ميراندا الذي كان ليفي بروفنسال قد أهدها مصورة فوتوغرافية له، فاستفاد منه في

تعليقاته على ما قام بترجمته من التواريخ المرابطية والموحدية مثل الحلل الموشية والبيان المغرب والمعجب ، ثم في كتابيه « التاريخ السياسي للدولة الموحدية » (تطوان 1956 - 1957) و « المعارك الكبرى في حرب الاسترداد المسيحي لاسبانيا » (مدريد 1956) إذ انتفع من نص « نظم الجمان » في إجلاء كثير من المسائل الغامضة حول موقعة أقلش ، وأخيراً اقتطف منه بيانات أخرى في الكتاب الذي أصدره بعد ذلك بعنوان « البيان المغرب لابن عذاري ، قطع جديدة حول المرابطين والموحدين » (بلنسية سنة 1963) هذا إلى عدد من الابحاث والمقالات المختلفة حول موضوعات مرابطية وموحدية .

منهجنا في العمل :

وقد قمت أولاً بترتيب الأوراق على حسب الترتيب الزمني للسنين ، واضطرتني ذلك إلى تعديل نظام الأوراق ، ولكن ذلك لم يمس إلا الورقات الأولى التي يبدو فيها الاضطراب واضحاً مما قد يوقع القارئ في عناء كبير إذا حاول تتبع الحوادث ، ويستقيم السياق بعد ذلك إلى حد ما باستثناء ما يعترض النسخة المخطوطة من فجوات وخروم .

أما النص فقد عنيت بإخراجه سليماً صحيحاً بقدر ما وسعت معرفتي ، لا سيما وأن الأخطاء فيه كثيرة ، وهي أخطاء من كل نوع : املائية ونحوية ولغوية ، وتحريف لاسماء الاعلام والمواضع إلى غير ذلك مما أعترف بأنه قد جشمتني كثيرا من المشقة في تصويبه وإصلاحه .

وقد دعاني ذلك إلى تتبع ألفاظ النص كلها ومراجعتها على ما يمكن أن يعين على تفويتها من المصادر الأخرى ، ولم يرد في الكتاب اسم علم إلا وعملت على الترجمة له ، ولا ذكر حدث من الأحداث إلا وقابلته على المظان التي يمكن أن يشار فيها إليه ، واجتهدت في ذلك بقدر ما استطعت .

وأرجو أخيراً أن أكون بهذا العمل المتواضع قد ساهمت بنصيب في خدمة التاريخ المغربي والاندلسي ، وبالله الاستعانة ومنه التوفيق .

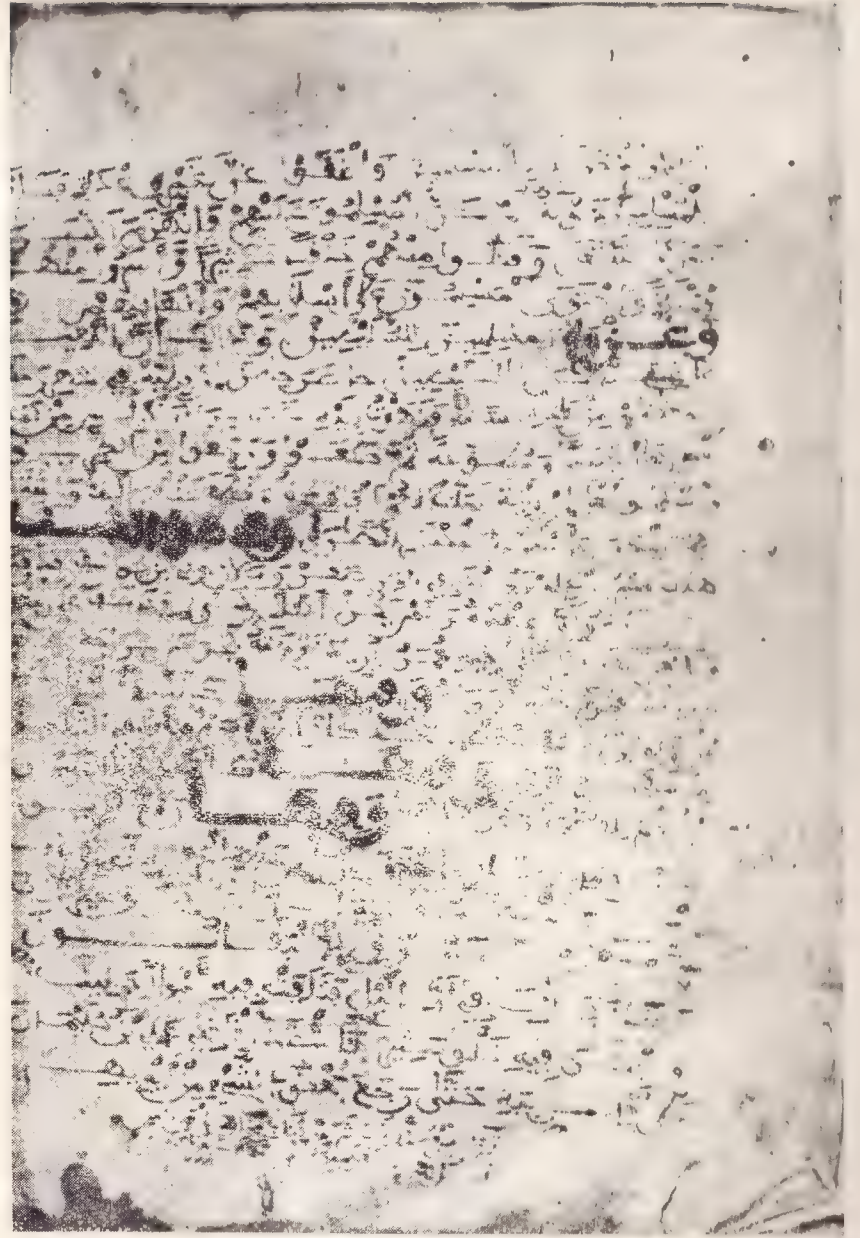
محمود علي مكي

الورقة الاولى في الاصل المخطوط (وجه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا محمد وآله

الجزء السادس من الكتاب
في ذكر ما انتهى إلينا من أخبار
القرن السادس
وهو المائة السادسة من الهجرة الكريمة
مما يتشوف إليه



مقدمة لذلك :

أخبار بني العباس في المشرق
والمتغلبين عليهم بالشام والعراق ومصر والحرمين

لم ينته منها إلى المغرب الاقصى شيء يدون ولا أهم الناس من أمر رواية الآثار ما كان يهم الأولين حتى يأخذوها من صدور الرجال وألسنة الرواة ويودعوها بطون المهاريق ، فحفي أمرها إلا ما سنوده إن شاء الله تعالى من أسمائهم ومدد بعضهم ، فقد انتهى إلينا بعد شدة البحث والتفتيش ، فنحن نكتبه إن شاء الله تعالى ، وإلا يسيرا من اخبار مصر وإفريقية سنوده حيث يجب ان شاء الله تعالى .

باب

أخبار * السنة الاولى من المائة السادسة

[2]

رحلة المهدي ابن تومرت إلى المشرق :

من ذلك رحلة الإمام المعصوم المهدي المعلوم - رضي الله تعالى عنه - في طلب العلم إلى المشرق والاندلس (1) .

قال الشيخ أبو يحيى زكريا بن يحيى بن وسنار (2) من أهل

(1) يتفق سائر مؤرخي الدولة الموحدية على أن رحلة محمد بن تومرت المهدي كانت في رأس المائة السادسة ، ولو أن بعضهم يجعلها في سنة 500 وبعضهم يقول إنها كانت في شهر سنة 501 (انظر ابن عذاري : البيان المغرب 303/1 : والخلل الموشية ص 103 ؛ وعبد الواحد المراكشي : المعجب ص 245 ؛ وابن خلدون : المعبر 226/6 ؛ والسلاوي : الاستقصا 76/2) .

(2) في الاصل : يحيى بن سنان والصواب ما أثبتنا ، والمعنى بقوله « من أهل الخمسين » هو يحيى ابن وسنار والد أبي يحيى زكريا المذكور وسيتحدث عنه ابن القطان فيما بعد ، كذلك أشار إليه صاحب كتاب « الأنساب في معرفة الاصحاب » (كتاب أخبار المهدي ابن تومرت ص 35) وقال إنه كان من صنهاجة ، وربما كان يحيى هذا ابناً لأبي محمد وسنار او واسنار الذي فصل الكلام عنه عبد الواحد المراكشي (المعجب ص 422) فقال ان البعض كانوا يعلونه من أهل الجماعة وأنه كان رجلاً =

الخمسين⁽¹⁾ - أعزهم الله تعالى - إن الامام المهدي رضي الله تعالى عنه - جاز البحر إلى الاندلس طالبا للعلم ، ووصل قرطبة . ثم مشى من قرطبة إلى المرية ، فدخل منها في مركب إلى المشرق ، وغاب في رحلته في طلب العلم خمسة عشر عاما .

فابتداء رحلته - رضي الله تعالى عنه - المذكورة على هذا كانت في السنة 211 الأولى من المائة السادسة أو⁽²⁾ في التي قبلها ، لأن وصول * الامام المهدي - رضي الله تعالى عنه - من رحلته إلى بلاده - رضي الله تعالى عنه - كان سنة أربع عشرة⁽³⁾ كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وقد ذكر أبو القاسم المؤمن⁽⁴⁾ في كتابه في فضائل المهدي ، رضي الله تعالى عنه :

كان عام واحد وخمسمائة ، عاهده فيها أهل التحقيق من العارفين به - رضي الله تعالى عنه - وباعوه ببيعة سر ، وإن هذا عن حديث أثر فيه ووعد نبوي كريم به ، والله تعالى أعلم .

« دباغاً أسود من أهل مدينة أغمات صحب ابن تومرت حين مر بها فاخصه بخدمته لما رأى من شدته في دينه وكنائه لما يرى ويسمع ، فكان يتولى وضوءه وسواكه والأذن عليه للناس وصحبته والخروج بين يديه فلما مات ابن تومرت صار يخدم ضريحه وضرخ عبد المؤمن حين دفن هناك وتوفي في صدر دولة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن . وفي « مجموع الرسائل الموحدية » الذي نشره ليفي برونسفال رسالة موجهة من عبد المؤمن بن علي إلى الشيخ أبي محمد وسنار هذا (انظر ص 26 - 34) .

(1) « أهل الخمسين » إحدى طبقات الموحدين على ما سيأتي تفصيله .

(2) في الاصل : وفي .

(3) في الاصل : عشر .

(4) لسنا نعرف شيئا عن « أبي القاسم المؤمن » المذكور مؤلف كتاب « فضائل المهدي » الا ما ذكره صاحب كتاب « الأنساب في معرفة الأصحاب » (كتاب أخبار المهدي بن تومرت ص 30 - 31) حيث ينقل المؤلف عن أبي القاسم المؤمن هذا نصاً يورد فيه أسماء أصحاب المهدي بن تومرت في بلاد مصر ، ويضيف المؤلف إلى اسمه لقب « المصري » مما يحدد لنا بلد ذلك الكاتب ، على أن ليفي برونسفال في تعليقه على الترجمة الفرنسية للكتاب (ص 46 - 47) شك في صحة الاسماء التي ذكرها أبو القاسم المؤمن ورجح أنها مختلفة .

أخبار الاندلس - وقعة أقليمش

ولها الجهاد في سبيل الله تعالى الذي كانت فيه وقعة أقليمش⁽¹⁾ بالاندلس وافساحها .

وهي من غر الوقائع وجليها ، وشرح شأنها أن ابن أبي رنقى⁽²⁾ صاحب قرطبة في ذلك التاريخ وجماعة الرؤساء « بالاندلس خاطب بعضهم بعضاً في الدعوة إلى أقليمش ، وكان ألبار هانش⁽³⁾ (4) للنصارى بجهة برتقال ، وقتله لهم وعيله في بلاد الشرك بتلك الجهة⁽⁵⁾ »

(1) عن حصن أقليمش أو أقليمش Ucles الذي دارت لديه هذه المعركة بين المرابطين والنصارى وهي الواقعة التي انتهت بانتصار المرابطين على جيوش ألفونسو السادس ملك قشتالة وبمصرع ابنه الأمير شانجه - انظر كتاب الأستاذ أمروسو أويشي ميراندا عن « المعارك الكبرى في حرب الاسترداد المسيحية » ص 103 - 134 حيث يخصص موقعة أقليمش بحث مفصل ، وقد ترجم ذلك البحث إلى العربية ونشر تحت عنوان « وقعة أقليمش ومصرع الأمير شانجه » في مجلة تطوان سنة 1957 ، العدد الثاني ص 115 - 130 . وقد اعتمد أويشي في ذلك المقال على ثلاثة نصوص عربية جديدة أولها نص ابن القطان هنا : وثانيها الرسالة التي وجهها نعيم بن يوسف بن تاشفين إلى أخيه أمير المسلمين عن هذا الفتح ، وقد نشر نص هذه الرسالة من قبل الدكتور حسين مؤنس في بحثه عن « الثغر الأعلى الاندلسي في عصر المرابطين مع أربع وثائق جديدة » (مجلة كلية الآداب بالقاهرة - المجلد الحادي عشر - الجزء الثاني ديسمبر سنة 1949 ص 91 - 143) والثالث نص مخطوط من كتاب « البيان المغرب » (مخطوط بمجربوت) وهو القسم المرابطي من البيان الذي نشر بعد ذلك في بيروت سنة 1967 . انظر ص 49 - 50 وانظر كذلك كتاب بوسك بيلا عن « المرابطين » ص 180 وما بعدها وما أورده من مراجع .

(2) ورد هذا الاسم في مفاخر البربر ص 81 : « ابن أبي رنقى » وكان على ما يذكر المؤلف رابع عامل للمرابطين على قرطبة (انظر مقال أويشي ميراندا « علي بن يوسف وأعماله بالاندلس » - مجلة تامودا - تطوان سنة 1959 - ص 110) .

(3) هو القائد القشتالي المسيحي Alvar Fànez ابن أخي السيد القنبيطور ، وكان من كبار قواد ألفونسو السادس . انظر ابن أبي زرع : روض القرطاس ط. دار المنصور ، الرباط 1973 ، ص 159 - 160 وراجع ما كتبه عنه العلامة الأسباني مننث بيدال : إسبانيا في عصر السيد (المهرس العام) .

(4) بياض في الاصل .

(5) بنى ابن القطان هنا الحديث عن موقعة أقليمش ليتحدث عن بقية أخبار سنة 501 ، إلا أننا لا نلت أن نراه يعود إلى الكلام بتفصيل أكثر عن أقليمش في أول الورقة السابعة مما حملنا على إلحاق ذلك بهذا الموضوع حرصاً على التسلسل التاريخي .

« ... عساكر المسلمين إلى أقليمش ، فاقتحموها عليهم ، ولجأ من كان أسفلها من النصارى إلى القصبه العليا ، ونزلت جميع العساكر عليها وأحاطوا بها ، فأرسل أذفونش ابنه ⁽¹⁾ بنحو عشرة آلاف فارس لاغاثة أقليمش ومدافعة المسلمين ، فأتوا والتقوا مع المسلمين ، وتصافت عند ذلك العساكر ، وكان مع ابن أذفونش ألبار هانش وغرسيا ردونس ⁽²⁾ ، وهو المدعو بالفم المعوج وغيرها من صنديد الكفرة ، فتوقفوا .

وذكروا أن النصارى سألوا عن عسكر قرطبة ، فأخبروا به . فهجموا على عسكر قرطبة ، وحملوا عليهم حملة ⁽³⁾ منكرة ، فانهمزم عسكر قرطبة ،

(1) يعنى شانجه Sancho الذي كان يبلغ في ذلك الوقت نحو خمس عشرة سنة . ويذكر ابن أبي زرع أن ألفونسو السادس حينما علم أن تميم بن يوسف بن تاشفين أخا أمير المسلمين علي بن يوسف هو قائد الجيوش المسلمة « أشارت عليه زوجته أن يوجه ولده عوضا عنه فيكون مواجهها تميم ، لأن تميم ابن ملك المسلمين وشانجه ابن ملك الروم ، فسمع منها » (روض القرباس ص 160) .

(2) هما القائدان القومس (الكونت) Alvar Fañez والكونت Garcia Ordoñez وكان يرافقهما عدد آخر من كبار قوامس قشتالة مما جعل معركة أقليمش تعرف في كتب التاريخ المسيحية باسم « معركة القوامس السبعة » (انظر مندث بيدال : إسبانيا في عصر السيد 760/2 - 764 : ومقال أويشي عن « وقعة أقليمش » ، وبوسك بيللا : المرابطون ص 182) . وقد وردت الإشارة إلى ألبار هانش كذلك في الرسالة التي كتبها ابن شرف عن أحد رؤساء الغرب إلى أمير المسلمين بمناسبة هذا الفتح ، وهي الرسالة التي نشرها الدكتور حسين مؤنس في مقاله « الثغر الأعلى الأندلسي ... » (ص 127 والهامية رقم 2 حيث يوجد تعريف كاف بشخصية هذا القائد ، ويؤخذ منه أنه كان ابن أخ للمغامر القشتالي « السيد القنيطور » الذي استولى على بلنسية ، وولى ألبار هانش القيادة لألفونسو السادس فاتح طليطلة ثم أقامه هذا حاكما للمدينة فقام بالدفاع عنها حين حاصرها المرابطون بعد انتصارهم في أقليمش ، وكانت وفاته في سنة 1114 م . (507 هـ) على يد أهل شقوية Segovia في المعارك الدائرة بين ألفونسو المحارب صاحب أرغون Aragon وأراكة Urraca صاحبة ليون وقشتالة . أما غرسيا أو ردونس (غرسيا ردونس) فقد ورد ذكره أيضا في رسالة ابن شرف التي أشرنا إليها (انظر مقال « الثغر الأندلسي .. » ص 130 والهامية رقم 2 حيث ذكر ناشر الرسالة الدكتور حسين مؤنس أنه كان قائدا قشتاليا من فرسان شانجه (الثاني) ملك ليون ثم أصبح من أتباع ألفنش (السادس) ملك قشتالة ، وكان من المدافعين عن حصن لبيط Aledo حينما قام المرابطون بحصاره ، ولقي مصرعه في وقعة أقليمش هذه .

(3) في الاصل : جملة .

ومشت الهزيمة عليهم اميالا ⁽¹⁾ .

ثم إن ابن عائشة ⁽²⁾ وابن فاطمة ⁽³⁾ ، وهما صاحبا ⁽⁴⁾ مرسية وبلنسية هاجما عملة النصارى ، فانتبهاها وقتلا من وجدا فيها ، ثم ركبا أقفاء النصارى بالقتل وهم يتبعون المسلمين ، ثم التأم بهم تميم * بن يوسف ⁽⁵⁾ صاحب غرناطة

(1) ما يذكره ابن القطان هنا من هزيمة عسكر قرطبة أولا ثابت يؤكد كذلك ابن شرف في رسالته التي أشرنا إليها ، وهذا العسكر كان يقوده والي قرطبة ابن أبي رنغي كما يقول ابن القطان (ويسميه ابن شرف : أبا عبد الله محمد بن أبي رنغي) وكان هذا العسكر أول من تلقى صدمة الجيوش المسيحية (انظر الدكتور حسين مؤنس : الثغر الأعلى ص 129) .

(2) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين أخو أمير المسلمين علي ، ويعرف بابن عائشة ، وكان من أعظم قواد المرابطين ، واضطلع بإقرار أحوال شرق الأندلس بعد أن عاث السيد القنيطور فيها فسادا ، وولى عمل مرسية منذ أواخر القرن الخامس والسنوات الأولى من القرن السادس ، ويشير ابن القطان هنا إلى اشتراكه في موقعة أقليمش سنة 501 ، وفي سنة 504 يسرع من مرسية لنجدة محمد بن الحاج عامل سرقسطة حينما ألح عليها ألفونسو المحارب ملك أرغون بالحصار ، ويضطره للانسحاب ، وفي سنة 508 يشترك مع ابن الحاج في غزو برشلونة وهي تلك الحملة التي انتهت بهزيمة البورت ، وخلص منها ابن عائشة إلا أن بصره اعتل بعدها ثم لم يلبث أن عمى ، فاستدعاه أخوه أمير المسلمين إليه ، وعين بدلا منه على مرسية أخاه إبراهيم بن يوسف (انظر مقال فرانسيسكو كوديرا عن « أسرة بني تاشفين » في كتاب « دراسات نقدية عن تاريخ الأندلس » ، المجلد السابع ص 105 - 109 ، وأويشي : علي بن يوسف ... ص 87 - 94 ، 114) .

(3) أبو محمد عبد الله بن فاطمة من أعظم قواد المرابطين وأشهر رجالاتهم في الأندلس ، اشترك في الحملة التي استنقذ المرابطون فيها بلنسية بعد وفاة السيد القنيطور إذ أنه قاد جيشا أمد به القائد مزدلي بن سلتكان في سنة 495 ، وفي سنة 497 اشترك مع ابن الحاج في غزو طليطلة وطلبيرة ، ثم ولى بلنسية وشرق الأندلس بعد ذلك واستولى في نفس السنة على مملكة بني رزين الصغيرة وفي سنة 501 اشترك في فتح أقليمش كما ترى من النص هنا ، وفي سنة 503 عزل عن بلنسية وولى على غرناطة ، ثم انتقل بعد ذلك إلى فاس بالمغرب عاملا عليها في سنة 504 ، وفي سنة 509 عاد إلى الأندلس عاملا على إشبيلية فحكمها حتى توفي في رمضان سنة 511 (انظر مقالنا « وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين » صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمديريد سنة 1959 - 1960 ص 152 - 155) .

(4) في الاصل : صاحب .

(5) تميم بن يوسف بن تاشفين أخو الأمير علي بن يوسف ، وقد ولي حكم غرناطة بين سنتي 500 و 503 ثم نقل إلى حكم تلمسان بالمغرب ، وعاد بعد ذلك إلى الأندلس فتولى غرناطة مرة أخرى فيها =

بعسكره ، وكرت ⁽¹⁾ المنهزمة ، ورجعوا على المشركين . والتحمت الحرب بينهم ، فانهمز المشركون وقتلوا قتلا ذريعا ، واتبعهم المسلمون إلى قرب حصن بلشون ⁽²⁾ فيذكر أن ابن أذفونش أفلت في ثمانية من النصارى ورجع إلى حصن بلشون ، وكان فيه لهم رعية من المسلمين ، فاقتبأوا عندهم رجاء أن يسلموا من القتل ، فقتلوهم وقتل منهم ولد أذفونش .

ثم إن المسلمين رجعوا إلى قصبة أقليش ⁽³⁾ وقتالها ، وتصعب عليهم أمرها فأقلعت العساكر عنها وكمنت على بعد . فخرج من فيها هارين . فقبض عليهم ، فقتل من قتل ، وأسر الباقون ، ودخلت أقليش وحصلت بأيدي المسلمين . واستشهد في هذه الواقعة الامام الجزولي ⁽⁴⁾ ، وكان رجل صدق ، وجماعة من الاعيان والعربان ⁽⁵⁾ رحمهم الله تعالى ، ليقروا بعض الحق في قلوب الناس .

¹ بين سنتي 515 و 516 . وبعدها نقل إلى إشبيلية فحكمها سنة وبضعة شهور ، ثم أصبح عاملا على قرطبة وغرناطة في سنة 519 في الوقت الذي قام فيه ألفونسو الأول بحملته ضد الأندلس ، ويبدو أن أخاه عليا عزله عن غرناطة لقلّة بلائه في هذه الحملة ، وفي تاريخ وفاته خلاف ، والأرجح أنه توفي سنة 520 (انظر مقال أويشي : علي بن يوسف ص 100 - 112) .

(1) في الأصل : وكرة .

(2) في الأصل : يلسون ، والصواب ما أثبتنا ، وهو بالاسبانية Belinchon .

(3) في الأصل : أقليش .

(4) لم نهند إلى شخصية الجزولي هذا ، وربما كان أحد أسلاف العالم المغربي الكبير أبي موسى عيسى ابن عبد العزيز بن يلمبخت نسبة إلى جزولة إحدى قبائل البربر وكانت تقطن في جنوب المغرب الأقصى وتوفي أبو موسى الجزولي فيما بين بين سنتي 606 و 610 (انظر دائرة المعارف الإسلامية 1/ 1061 - 1062 والمراجع المذكورة) .

(5) يبدو أن طائفة من عرب إفريقية جازوا إلى الأندلس في أيام المرابطين برسم الجهاد كما نيه على ذلك الدكتور حسين مؤنس « الثغر الأعلى الأندلسي ... ص 129 حاشية 2 » وذلك في معرض التعليق على ما ورد في رسالة ابن شرف حول فتح أقليش عن بلاء بعض الفرسان « العرب » في تلك الموقعة ، وسبب ذلك هؤلاء العرب في الجهاد بالأندلس بشكل أوضح على أيام الموحدين .

وأما ⁽¹⁾ هذه الأبواب لتكون لتغيرا ⁽²⁾ لهم عن سماعه ، فضلا عما عدا ذلك ⁽³⁾ .

[ما عهد المرابطون على الموحدين]

فمن ذلك أنهم قالوا : « هذا رجل يكفر الناس بالذنوب ، ويمنع من الصلاة على أهل القبلة ، ويقول إنه من تاب لا يلزمه قضاء الصلاة والصيام وغير ذلك من العبادات ، ويرد المطلقة ثلاثا إلى زوجها ، واطرح مذاهب العلماء عليهم ، وخرج من الإجماع ، وكفر المسلمين ، واستحل الحرام المجمع على تحريمه ، واستحل دماء المسلمين ، واستحل أموالهم ، واستحل حريمهم ، وجعل أموال المسلمين هبة تخمس كما تخمس أموال النصارى ، وقام على الأمراء ونزع يده من طاعتهم ، وقد أجمع المسلمون على تحريم القيام عليهم ووجوب طاعتهم . فهذه الأبواب نسبونا فيها ⁽⁴⁾ إلى الكفر والضلال ⁽⁵⁾ والخروج من الدين ، ففسدوا أهل التوحيد خوارج وجعلوهم مبتدعين ، ونسبوهم إلى الخروج من الدين !

وهيهات ! فما بعد الحق إلا الضلال ⁽⁶⁾ ، فليس للانسان ما تمنى ، ولا يبلغ بغيته جهواه ، ولا يفوت قوله بدعواه ، فجميع ما قالوه تحريف وتشنيع ، بل هو بالعند مما قالوه ، وباختلاف ما اختلقوه . فمعاذ الله أن نكفر ⁽⁷⁾ مسلما

(1) في الأصل : ودلة .

(2) في الأصل : تقيراً .

(3) تبدو هذه الجملة غير واضحة المعنى ، ولعله يعنى أن المرابطين أدلوا على جمهور المسلمين بهذه الموقعة وأمثالها مما اتصروا فيه حتى يصرفوهم عن دعوة محمد بن تومرت المهدي وينفروهم عن الاستماع إليه . ويدل على ذلك أن الفقرات التالية تتضمن إيراداً للتم التي كان المرابطون يرمون بها الدعوة الموحدية ولغياً لتلك الاتهامات .

(4) زيادة يقتضها السياق .

(5) في الأصل : والظلال .

(6) في الأصل : الظلال .

(7) في الأصل : يكفر .

كما قالوه ، أو تمنع من الصلاة على أهل القبلة ، أو تسقط الحقوق أو العبادات بالتوبة ، أو تطرح أئمة الدين وعلماء الأمة ، أو نرد المطلقة ثلاثا إلى زوجها من غير حق وزوج ، أو نخرج عن اجماع المسلمين ، أو نخالف أئمة المسلمين وأمرأهم . فهذه جملة ما نسبوا إلينا ، ولم نقل منه حرفا واحدا ، لكن حرفوا ما قلنا . ودلسوا به على الناس حتى أضلوا بتدليسهم كثيرا ، وقطعوا عن ربهم ، وفتنوا في دينهم ، والذي قالوه ما يقوله أحد من المسلمين لا من العوام ولا من الخواص ، ولا تنسب الأبواب التي عدوها إلى مؤمن بالله واليوم الآخر ، ولكن الدنيا حملتهم على الافتراء على الله عز وجل ورسوله ﷺ .

والذي قلته معلوم محفوظ عند كثير من الناس أعلننا به في المحافل والجموع ، لا يمكن لأحد أن يبدله أو يزيد فيه إلا علم ذلك لتغريبه وانتشاره : فمن ذلك ان قلنا لهم أجمعت الأمة على ان الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على المخلوقين من التحيز والاتصال والانفصال في الصورة والجوارح والجهات والحدود والهيئة وغير ذلك من آلات الحدث (1) ...

[بقية أخبار سنة 501]

« وعزل (2) تاشفين بن سليمان (3) عن قرطبة . وولاية محمد بن سليمان (4) إياها .

(1) ينقطع النص هنا ، وقد سقطت من هذا الموضع ورقة أو أكثر .

(2) بقية أخبار هذه السنة في الورقة (3 أ) ، والأصل كثير الاضطراب في ترتيب السنين مما حملنا على تغيير نظامه واتباع التسلسل التاريخي على قدر ما استطعنا .

(3) كان عامل قرطبة في سنة 501 التي وقعت فيها غزوة أقلش هو « ابن أبي رنخي » على ما ذكر ابن القطان نفسه في حديثه السابق عن تلك الغزوة - وهو الذي يسميه ابن عذاري « ابن أبي رنق » ويسميه ابن أبي زرع في روض القرطاس « محمد بن أبي زلفي » (ص 158) ، ولم يسبق أن ذكر ابن القطان أن هذا العامل عزل عن قرطبة وأن واليها بعده هو تاشفين بن سليمان المذكور هنا . على أن ولاية تاشفين هذا لقرطبة يؤكدنا لنا كذلك صاحب كتاب « مفاخر البربر » (ص 81) وهو يزيدنا على اسمه كنيته : « أبا محمد » ويسميه القائد جاعلا إياه بعد أبي محمد مزدل بن سلنكان .

(4) لعله هو الذي جاء في قائمة ولاية قرطبة في « مفاخر البربر » (ص 81) باسم « القائد أبي عبد الله بن نونان » .

والعباسي في هذه السنة المستظهر (1) بالله تعالى كما كان .

وأمر إفريقية علي بن يحيى بن تميم (2) .

باب أخبار سنة ثلاث وخمسمائة :

[غزوة طليبة]

« فمنها الجهاد ، وذلك في غزوة طليبة وفتحها (3) ، وذلك بأن تحرك علي (4) »

ابن يوسف غازيا في حفل عظيم من الجند والمثمين وجماعة المطوعين نحو طليبة ، فوصلوا إليها ضحوة يوم الخميس الثالث عشر من المحرم من السنة المذكورة ، فقاتلوها ذلك اليوم ، واحتسرت (4) الناس المدينة ليلة الجمعة ، ثم أصبحوا فقاتلوها أشد قتال ، واجتهد (5) الكفار في الدفاع وكان الوصول إلى سور المدينة يعسر بسبب الوادي المتصل بسورها ، إلى أن خرق المسلمون السد ، فسرب الماء عن السور ،

(1) هو أبو العباس أحمد الملقب بالمستظهر بالله ، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه المقتدي بالله عبد الله ابن أبي العباس محمد بن الخليفة القائم بأمر الله سنة 487 ، وتوفي سنة 512 .

(2) ولي علي بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي على إفريقية سنة 509 وتوفي سنة 515 ، وعلى هذا فإنه ليس صحيحا ما يذكره ابن القطان من أنه كان أميراً في تلك السنة (501) ، والمعروف أن تميم بن المعز بن باديس جد علي هذا هو الذي كان في ذلك الوقت لا يزال أمير إفريقية إذ أنه توفي سنة 502 وخلفه ابنه يحيى الذي ولي الإمارة حتى سنة 509 ثم خلفه ابنه علي في تلك السنة ولا نظن مثل ذلك يغيب على مؤرخ للمغرب كابن القطان ، ولعل التبعية في مثل هذا الخطأ إنما تقع على الناسخ أو ربما كانت ترجع إلى الاضطراب في ترتيب الحوادث التاريخية على نسق السنين .

(3) عن غزوة طليبة المذكورة انظر كذلك الحلل المشوية (ص 85) ، وروض القرطاس ص 171 ، وابن عذاري : البيان المغرب القسم المراهطي 52 ، وقد استفاد أوثني من الاخبار الجديدة التي أمدنا بها ابن عذاري وابن القطان في كتابة بحث جيد حول هذه الغزوة وقارن ذلك بما كتبه المؤرخون المسيحيون (انظر مقاله عن « علي بن يوسف ... » ص 82 - 85 وكذلك مقاله « روض القرطاس والمراهطون دراسة نقدية » . مجلة إسبريس سنة 1960 (ص 513 - 541) ، انظر ص 535) .

(4) كذا في الأصل ، وأظن الصواب « واحتوش » أي أحاطوا بها .

(5) في الأصل : واشتد .

وتداعى الناس على القتال ، وكان ابن حمدين ⁽¹⁾ يعرض الناس على الجهد والاجتهاد .

ولما ثلّم السد ، وقل ماء النهر بإزاء الباب - وذلك يوم السبت - اقتحم المسلمون عليهم ، ودخلوها عنوة ، وقتلوا جميع من فيها من النصارى ، واستنقذ من كان فيها من أسارى المسلمين . ولجأ بعض النصارى إلى قصبتها ، وتحصنوا فيها إلى أن جن عليهم الليل ، فتلثموا وخرجوا على خيولهم فارين على وجوههم ، فتبعهم المسلمون وتطرفوهم ⁽²⁾ ، ثم صاروا إلى حصن « قنالش » ودخلوه عنوة . فهذه أيضا لهم غزوة وفتح ثان .

وكانت في شوال من هذه السنة غزوة أخرى قتل فيها ألف من المسلمين ، وحرقت إحدى وستون قرية .

[إحراق كتاب « الإحياء »]

ومن أخبار هذه السنة إحراق كتاب « الإحياء » : ⁽³⁾

في أول عام ثلاثة وخمسة عزم ⁽⁴⁾ علي بن يوسف - عن إجماع قاضي قرطبة أئى [عبد الله محمد بن] ⁽⁵⁾ علي بن حمدين وفقهائها - على إحراق كتاب أئى حامد الغزالي رحمه الله تعالى المسمى بـ « الإحياء » ، فأحرق في

(1) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي ، قاضي الجماعة بقرطبة ، ولد في سنة 439 ، وتولى القضاء في قرطبة سنة 490 ، وكانت وفاته ، سنة 508 (وسيذكره ابن القطان في وفيات هذه السنة) انظر ابن بشكوال : الصلة ترجمة 1254 .

(2) لم يرد الفعل متعديا ، وإنما يقال « تطرف عليه أى غار » .

(3) عن إحراق المرابطين لكتاب « الإحياء » انظر الحلل المشوية ص 104 - 105 ؛ وكذلك كتاب أويحيى : تاريخ الدولة الموحدية 583/2 - 586 وانظر كذلك الوثيقة التي نشرها الدكتور حسين مؤنس حول ذلك في مقاله « نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين » - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمديريد - المجلد الثالث سنة 1955 ص 107 - 113 والمراجع المذكورة .

(4) في الأصل عمر .

(5) زيادة تقتضيها صحة الاسم .

بمدينة مسجدها على الباب الغربي على هيئته مجلوده بعد إشباعه زيتها . وحضر ذلك جماعة من أعيان الناس ، ونفذت كتبه إلى جميع بلاده آمراً بإحراقه حينئذ . وأخذت منه نسخ ⁽¹⁾ من أيدي أصحابها كان معول الغزالية عليها ، منها كتاب ميمون بن ياسين ⁽²⁾ توعده علي بن يوسف على إحضاره ، فأحضره له . وهذا الكتاب المذكور ، ومنها « كتاب ابن العربي » ⁽³⁾ حمله مع نفسه إلى الجزيرة ⁽⁴⁾ المصراة ثم أمر بحله في الماء ، فحل معظمه ، وفقد سائرته ، وتوالى الاحراق على ما مضى منه بهلاد المغرب بقية ذلك العام .

قلت :

وقد كان إحراق هؤلاء الجهلة لهذا الكتاب العظيم الذي ما ألف مثله سببا

(1) في الأصل : نسخا .

(2) هو أبو عمر ميمون بن ياسين الصنهاجي اللمتوني ، أصله من صحراء المغرب وسكن المرية ، وعنى بالرواية والسماع وجمع الكتب ، وكانت له رحلة حج فيها وسمع بمكة صحيحي مسلم والبخاري ، ثم عاد إلى الأندلس فسمع الناس منه بإشبيلية وغيرها ، وكان ممن حدث عنه ابن حبيش وابن بشكوال وأبو بكر ابن خير وابن سعادة وتوفي بإشبيلية سنة 530 (انظر ترجمته في التكملة لابن الأبار ، رقم 1137 ، ط . كوديرا) ؛ وقد ذكره أبو البيهقي في موضعين من كتابه عن أخبار المهدي (ص 84 ، 128) ، وبهم مما قاله البيهقي أنه كان إلى جانب علمه وعنايته بجمع الكتب من كبار قواد المرابطين وعظماء رجالهم ، وهو الذي بني حصن تاسغيموت الذي كان من جملة الحصون التي أدارها المرابطون حول مواقع الموحدين لكي يتخذوا منها مراكز لمهاجمتهم .

(3) هو الفقيه المشهور أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري الإشبيلي ، ولد سنة 468 ورحل إلى المشرق مع أبيه سنة 485 ، فتتلمذ على أبي بكر الطرطوشي بمصر ، ودخل الشام والحجاز والعراق . وصحب ببغداد أبا بكر الشاشي وأبا حامد الغزالي وعاد إلى الأندلس سنة 493 ، فدخل بلده إشبيلية بعلم كثير وتولى القضاء بإشبيلية ثم صرف عنه ، وكانت وفاته سنة 543 بالمغرب ؛ ودفن بفاس ومولفاته كثيرة نشر بعضها (انظر في ترجمته : ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 1297 ؛ ابن فرحون : الديباج المذهب ص 281 - 284 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب 141/4 ؛ ابن سعيد : المغرب 249/1 - 250 ؛ النباهي : المرقبة العليا ص 105 - 107 ؛ ابن خلكان ؛ وفيات الأعيان 296/4 - 297 ؛ المقرئ : نفع الطيب 25/2 - 43) .

لزوال ملكهم ، ⁽¹⁾ وانتشار سلكهم ، ⁽²⁾ واستئصال شأفتهم على يد هذا الأمير العزيز القائم بالحق ، المظهر ⁽³⁾ للسنة ، المحيي للعلم ، نصر الله تعالى لواءه ، وكبت أعداءه .

[لقاء الغزالي وابن تومرت]

وعندي في [ذلك] ⁽⁴⁾ حكاية طريفة . وهي هذه ⁽⁵⁾ :

أخبرني الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الله بن رحمن العراقي رحمه الله تعالى عن بعض أشياخه ⁽⁶⁾ قال :

أخبرني الحاج الصالح المسن فلان من اهل فاس قال : كنت في حلقة أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى التي حلقتها للتدريس . فجاء ذات يوم رجل كثر

(1) في الأصل : ملكه .

(2) في الأصل : سكله .

(3) في الأصل : المطهور .

(4) زيادة يقتضيه السياق .

(5) حول لقاء ابن تومرت للامام أبي حامد الغزالي اختلف المؤرخون ، فمنهم من يثبت ذلك مثل ابن القطان هنا وابن صاحب الصلاة (كما نقل عنه صاحب الحلل الموشية ص 104) وابن أبي زرع (روض القرطاس 172) والسلاوي (الاستقصا 88/2) وابن خلكان (وفيات الاعيان 46/6) والزرکشي (تاريخ الدولتين ص 2) وابن أبي دينار (المونس في اخبار إفريقيا وتونس ص 107) حيث يذكر ان ابن تومرت لازم الغزالي ثلاث سنين) ؛ ومنهم من يشير إلى هذا اللقاء في تحفظ لا يخلو من الشك مثل عبد الواحد المراكشي (المعجب ص 245) وابن خلدون (العبر 226/6) والتويري (نهاية الارب - الجزء الخاص بتاريخ المغرب والأندلس ، نشر وترجمة المستشرق الأستاذ جاسبار رميرو في مجلة المركز التاريخي للابحاث الخاصة بمملكة غرناطة - سنة 1918 ص 187 - 188) ؛ ومنهم من انكر هذا اللقاء مثل ابن الاثير (الكامل 294/8) . وقد وفي هذه المسألة حقها من البحث الاستاذ أويثي في كتابه « تاريخ الدولة الموحدية » (32 - 29/1) . وانتهى إلى أن قصة هذا اللقاء موضوعة وأن القرائن التاريخية تدل على استحالة وقوع ذلك .

(6) أورد الخبر التالي صاحب الحلل الموشية مع خلاف يسير في بعض ألفاظه نقلاً عن ابن صاحب الصلاة الذي يرويه عن « عبد الله بن عبد الرحمن العراقي » شيخ مسن من سكان فاس (الحلل ص 104 - 105) . وأورده أيضاً الونشريسي نقلاً عن نظم الجمال (المعيار المغرب 185/12) .

كث اللحية على رأسه كرزى صوف وهو مُحْتَبٍ بكساء . فدخل المدرسة وحياها بالركعتين ثم أقبل إلى الشيخ أبي حامد رحمه الله تعالى فسلم عليه ، فقال له : من الرجل ؟ فقال : رجل من « أهل المغرب الأقصى » فقال له : دخلت قرطبة ؟ قال : ⁽¹⁾ نعم . قال : فما فعل فقهاؤها وكيف حال إخواننا في الله تعالى ؟ فقال بخير . قال : هل انتهى إليهم كتاب الإحيا ؟ قال ؛ نعم . قال ؛ فماذا قالوا عنه ؟ فوجم الرجل وخجل ولزم الصمت حياء . فعزم عليه الشيخ ليقولن ما طراً ⁽¹⁾ . فقال إنه قبيح أيها الإمام ! فاشتدت عزيمته عليه في أن يقول ما طراً فقال له : القوم جهال مقلدون لم يعرفوا قدره . ورفعوا إلى سلطان العدو والأندلس في شأنه وأنه ينبغي أن يحرق فأمر بإحراقه ، فجمعت النسخ التي في البلاد منه ، وأحرقت في كل بلد . قال : فتغير وجه أبي حامد . ومد يديه للدعاء والطلبة يؤمنون ، فقال في دعائه : اللهم مزق ملكهم كما مزقوه ، وأذهب دولتهم كما حرقوه ! فقام رجل من الحلقة كان يقال له في ذلك الوقت أبو عبد الله السوسي فقال : ادع ⁽²⁾ الله أيها الإمام أن يجعل ذلك على يدي ؛ فتغافل عنه أبو حامد رحمه الله تعالى . فلما كان بعد جمعة أو نحوها إذا بشيخ ⁽³⁾ [آخر على شكل الأول ، فسأله الشيخ أبو حامد ، فأخبره بصحة الخبر المتقدم . فدعا بمثل دعائه الأول ، فقال له المهدي : على يدي إن شاء الله ، فقال : اللهم اجعله على يده ! فقبل الله دعاءه . فخرج أبو عبد الله ابن تومرت من بغداد وصار إلى المغرب ، وقد علم أن دعوة الله لا ترد] .

[أخبار سنة 508]

* باب أخبار سنة ثمان وخمسمائة :

من ذلك وفاة القاضي أبي عبد الله ابن حمدين ⁽⁴⁾ لثلاث بقين من الحرم

(1) في الأصل : طرى .

(2) في الأصل : أدعو .

(3) ينقطع النص هنا ، وقد استكملنا بقيته من « الحلل الموشية » ص 104 - 105 .

(4) هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين الذي سبق أن عرضنا له (انظر ص 70 حاشية 1)

منها بعد مرضه خمسة عشر يوماً بالفواق ، وحزن الناس عليه ، وكان محبباً لهم وللمتلمذين ، وكان حاز في المكانة لديهم ما لم يحزه غيره ممن سلف ، وكان جميل الطريقة ساعياً في كل خير : قطع الضرائب والمعاون عن أهل قرطبة ، وسن كل طريقة جميلة وسيرة حسنة ، لأن ابن تاشفين [كان] ⁽¹⁾ لا يخالفه في شيء ، وكان ذكي الفهم سريع الخاطر ، رقيق الطبع ، فقيهاً أدبياً ، بليغاً شاعراً . كاتباً فاضلاً ، ورعاً ديناً حذراً من العواقب ، وولاية ولده أبي القاسم ⁽²⁾ القضاء بعده .

ووفاة مزدلي ⁽³⁾ ، وأبي الأصبع ابن حزمون ⁽⁴⁾ ، والأديب أبي الحسن ابن سراج ⁽⁵⁾ ، وكان كاتباً شاعراً ، من شعره :

(1) زيادة يقتضيه السياق .

(2) أبو القاسم أحمد بن محمد بن حمدين التغلبي ، ولد سنة 472 ، وولى قضاء الجماعة بقرطبة مرتين ، وكانت وفاته سنة 521 (انظر ابن بشكوال : الصلة رقم 172) .

(3) هو القائد المرابطي المشهور أبو محمد مزدلي بن سلتكان الذي استرجع للاستيلاء على مدينة بلنسية سنة 495 بعد أن استولى عليها « السيد القنبيطور » نحو ثمانين سنوات ، وقد تقلب مزدلي في مختلف مناصب القيادة والولاية بالأندلس ، وكان من آخر هذه المناصب حاكم غرناطة وقرطبة والمرية في سنة 504 ، وظل يقود الحملات لجهاد المسيحيين القشتاليين حتى استشهد أخيراً في ميدان المعركة في شوال سنة 508 (مارس سنة 1115 م .) . وذلك بعد حملته المظفرة التي دوخ فيها طليطلة واكتسح بسائطها في سنة 507 . (انظر ابن عذارى : البيان المغرب - القسم المرابطي ص 26 ، 29 ، 41 ، 42 ، 56 ، 57 ، 60 ، 61 ، والإحاطة لابن الخطيب 274/3 - 275 ، ومقال أويشي : علي بن يوسف ... ص 80 ، 88 ، 90 - 92 ، 110 - 113 ، ومقالنا « وثائق تاريخية جديدة ... » ص 157) .

(4) أبو الأصبع عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حزمون القرطبي كان فقيهاً مشاوراً في الأحكام حافظاً للرأي بصيراً بالفتيا ، وتولى الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة ، ولد سنة 440 ، وتوفي في شعبان سنة 508 (ابن بشكوال : الصلة ، رقم 795) .

(5) الأديب أبو الحسن أو أبو الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج القرطبي ولد سنة 439 ، وأخذ عنه الناس كثيراً ، وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة 508 (ابن بشكوال : الصلة ، رقم 518 ؛ ابن سعيد المغربي 116/1 - 117 والمراجع المذكورة في هذا الكتاب ؛ ابن الأبار : معجم أصحاب أبي علي الصديقي ، رقم 295) . وقد روى كل من ابن بشكوال وابن الأبار البيهقي المذكورين هنا من شعره مع خلاف يسير في الرواية .

بُثَّ ⁽¹⁾ الصنائع لا تحفل ⁽²⁾ بموقعها لآمل شكر الإحسان أو كفرا « الغيث ليس يبالي ⁽³⁾ حيثما انسكبت به الغمام ترباً كان أو حجراً » 4 ب

وهجوم الروم على ميورقة ودخولهم إياها عنوة ، وقتلهم من فيها ، وسبيهم أهلها ، واحتوائهم على جميع ما فيها بعد حصار شديد ؛ وعمرت مائة وعشرون مركباً ، فوصلت إليها ، فوجدت العدو قد أخلاها ⁽⁴⁾ .

والعباسي في هذه السنة المستظهر كما كان .

وأمر إفريقية يحيى بن تميم ⁽⁵⁾ .

وأمر مصر المستعلي ، ويقال بأن أخاه سمه ، فقام أخوه وتسمى الأمر بأحكام الله ، وأبقى الأفضل على حجابته ⁽⁶⁾

(1) في الأصل : بت .

(2) في الأصل : تجعل .

(3) في الأصل : يتألى .

(4) عن استيلاء الروم (ويعني بهم هنا أهل جنوة وبيزة وقطولونية) علي ميورقة ثم استرداد المرابطين لها انظر ابن خلدون : العبر 165/4 ، 242/6 ؛ وابن عذارى : البيان المغرب - القسم الخاص بالموحدين بيروت 1985 ص 239 ؛ ومقالنا « وثائق تاريخية جديدة » ص 157 - 163 والمراجع المذكورة في ذلك الموضع .

(5) ولد يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي بالمهدية سنة 457 وولى إفريقية سنة 501 بعد وفاه أبيه تميم ، وتوفي سنة 509 مقتولاً في قصره (انظر ابن عذارى : البيان المغرب 304/1) .

(6) هذا النص مضطرب ، ويبدو أن خطأ وقع فيه ، فالمعروف أن الخليفة الفاطمي المستعلي وهم أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله وهو سادس خلفاء مصر الفاطميين ولي الخلافة سنة 487 (وكان مولده سنة 467) وقتل سنة 496 ، وكان القائم بأمر الدولة في عصره الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي ، وخلفه ابنه (لا أخوه) الأمر بأحكام الله أبو علي منصور ، ولي وهو صبي سنة 496 (وكان مولده في سنة 490) وقتل سنة 524 . والذي نعرفه من المراجع التاريخية أن نزاراً أخا المستعلي نازعه على الخلافة وقال إن أباه المستنصر عهد إليه بها ، فهرب إلى الإسكندرية ودعا لنفسه بها ، ولكن الأفضل هزمه ومزق جيوشه ، ويقال إن المستعلي بعد أن ظفر به في سنة 488 بنى عليه حائطاً ، ويزعم أصحابه الذين يدينون بإمامته أنه تحت هذا الحائط حتى يحين موعد خروجه ؛ ويسمى هؤلاء باسم « الزارية » وطائفتهم هم الذين يعرفون باسم الدروز .

باب أخبار تسع وخمسمائة :

و [من] ⁽¹⁾ ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى في غزوة عبد الله بن فاطمة صاحب إشبيلية ⁽²⁾ .

وأمر إفريقية في هذه السنة أيضا يحيى بن تميم المذكور في السنة قبلها .

* باب أخبار سنة إحدى عشرة وخمسمائة :

[3]

فمنها وصول الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه إلى بجاية ⁽³⁾ ، فأمر بالمعروف ، فمضى أمره إلى العزيز بن الناصر ⁽⁴⁾ صاحبها ، فهم به ، ثم تركه عصمة

(1) زيادة يقتضيها السياق .

(2) عن عبد الله بن فاطمة انظر ص 65 (حاشية 3) ولم تفدنا المراجع الأخرى عن غزوة هذا القائد في سنة 509 ، وكان قد عوض في أول هذه السنة عن ولاية فاس بإشبيلية (البيان المغرب - القسم المرباطي ص 62) ، على أن ابن عذارى حدثنا في أخبار تلك السنة عن معركة عنيفة بين المرابطين والنصارى ونورد فيما يلي نصه عن ذلك (ص 61) : « وفي سنة 509 ضرب العدو على نظر قرطبة ، فخرج إليه محمد بن مزدلي في عسكره وبادر في الاستعجال لآثره ، فلحق بالعدو ، ونشبت الحرب ، وصبر المسلمون ، فاستشهد محمد بن مزدلي والأمير محمد بن الحاج والأمير أبو إسحاق ابن دانيه والأمير أبو بكر ابن واسينو ، ومات [من] الأمراء نحو الثمانين من وجوه المرابطين وجملة كبيرة من الحشم وأهل الأندلس ، وذلك يوم الخميس مستهل صفر من السنة المؤرخة ، فكان مصابا عظيما وخطبا جسيما ، واتصل الخير بأمر المسلمين علي فولى قرطبة الأمير أبا بكر يحيى بن تاشفين وهو ابن عمه شقيق أبيه لأمه ، فنفذ إليها وقدم عليها » ، ولا نرى في هذا النص ذكرا لاشتراك ابن فاطمة في تلك الواقعة .

(3) كانت رحلة ابن تومرت إلى بجاية في أواخر سنة 511 على ما يذكر ابن خلكان نقلا عن ابن القفطي (وفيات 47/5) وذلك على خلاف ما يقول ابن أبي زرع من أن ذلك كان في أول ربيع الأول سنة 510 روض القرطاس ص 173 ، وما يذكره ابن خلدون من أن وصوله إلى بجاية كان في سنة 512 (وحول تحقيق ذلك انظر أويشي : تاريخ الدولة الموحدية 40/1) .

(4) كذا ، وقد كان صاحب بجاية في ذلك الوقت هو العزيز بالله بن المنصور بن الناصر بن علاء الناس (أو علناس) ، ولى بعد أخيه باديس بن المنصور ، وتوفى سنة 515 (انظر ابن عذارى : البيان المغرب 302/1 - 309) ، ولعل ابن القطان نسبته إلى جده .

من الله تعالى لقوله لما « منحه من إنقاذ البلاد من الجور والفساد ، وتلافي العباد ، ⁽¹⁾ فخرج الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من بجاية إلى رباط خارجها وعلى القرب منها يقال له رباط ملالة ⁽¹⁾ فكان رضي الله تعالى عنه حافظا عالما بالمذاهب متصوراً ألعياً نقاباً ، ⁽²⁾ فعمر مجلسه الطلبة والصالحون ، فكان رضي الله تعالى عنه مأوى لأهل الخير والعلم ، فكأثر رضي الله تعالى عنه بهم ، وتعلق به هنالك عبد الواحد بن عمر التونسي من فقهاء إفريقية ؛ وكان لا يراه أحد ولا يسمع به إلا أشرب حبه رضي الله تعالى عنه ، حبا وضع الله تعالى عليه وألبسه رداءه ، وصير جميع الخلائق به أحباءه وأوداءه ⁽³⁾ ، لما اختصه به من العلاء والجلال ، وأهله له من احتياز درجات السنا والكمال .

ولما مات التونسي برباط تلمسان اتفق أصحابه المواظبون لمجلسه أن يجلبوا إلى مكانه الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فوجهوا إليه سيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبا محمد عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى ، وكان أحد طلبة التونسي المذكور الذين يحضرون معه عنده ، * ويذكر ويتذاكر مع الطلبة ⁽⁴⁾ .

(1) في خروج ابن تومرت إلى رباط ملالة انظر ابن خلكان : الوفيات 47/5 وابن خلدون 227/6 ، وقد وصف هذه الرحلة بالتفصيل أبو بكر البيهقي (أخبار المهدي ص 52) .

(2) النقاب بكسر النون هو العلامة .

(3) في الأصل : أحباؤه وأوداؤه .

(4) تضاربت آراء المؤرخين في الصورة التي تم فيها اللقاء رجلي الدولة الموحدية ابن تومرت وعبد المؤمن وفي مكان هذا اللقاء . انظر حول ذلك القصة المفصلة التي يرويها البيهقي (ص 55 - 57) وابن أبي زرع : روض القرطاس 172 ؛ وابن خلدون : العبر 227/6 ؛ والنويري : نهاية الأرب ص 188 .

ويذكر أويشي في بحثه لهذه المسألة أن ذلك اللقاء كما يصوره لنا ابن القطان هنا أقرب إلى المعقول من تلك القصة المسرحية المصطنعة التي ابتدعها البيهقي . وابن خلدون يتفق مع ابن القطان في حمل هذا الخبر . (انظر تاريخ الدول الموحدية 43/1 - 46) .

ثم هاجر الإمام رضى الله تعالى عنه ، وحل بجبل إيجيليز ،⁽¹⁾ ومع ذلك اتصل بعلى بن يوسف أن أهل قرطبة قاموا على المثلثين وأخرجوهم . وخاطب أهل قرطبة مخاطبة تفزيع⁽²⁾ وتهديد ، فلما لم يؤثر فيهم التهديد نهض إليهم فى السنة التى بعد هذه⁽³⁾ .

وأقام الإمام بجبل إيجيليز⁽¹⁾ ثلاثة أعوام يدرس العلم ، ويهاجر إليه السعداء ، ويعلم المهاجرين ، ويخاطب القبائل رضى الله تعالى عنه . والعباسي فى هذه السنة المسترشد بالله تعالى⁽⁴⁾ .

وفى هذه السنة مات أمير إفريقية علي بن يحيى بن تميم ، وولى ولده حسن .⁽⁵⁾ ولم يكن فى أمره يحسن الطريقة إلى أن دخل عليه الروم المهديّة

(1) فى الأصل : الجبلين

(2) يمكن أن تكون كذلك : تقرير .

(3) لم يرد قبل ذلك بيان السنة التى يسرد المؤرخ حوادثها ، على أنها واضح من السياق أنه يعنى سنة 515 كما أثبتنا فى العنوان الذى أثبتناه بين الحاصرتين .

(4) هو أبو منصور الفضل الملقب بالمسترشد بالله بن الخليفة أحمد المستظهر بالله ، بويغ بالخلافة بعد موت أبيه فى شهر ربيع الآخر سنة 512 ، وكانت وفاته فى سنة 529 ، ومولده فى حدود سنة 485 .

(5) الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي . ولد بمدينة سوسة فى رجب سنة 502 ، وعهد إليه أبوه بالأمر فى حياته ، فلما توفى سنة 515 بويغ بإمرة إفريقية ، وما زال حتى دخل عليه المهديّة لىصارى صقلية فى أيام ملكها رجار الثانى فى سنة 543 ، فالتحق الحسن بعرب رياح وكبيرهم محرز بن زياد ثم أراد الرحيل إلى مصر ليلتجئ إلى الخليفة الفاطمي الحافظ فأرصد له جرجى صاحب أسطول رجار ، فأجاز إلى بونة ثم إلى قسنطينة ومنها إلى الجزائر وما زال بها حتى فتحها عبد المؤمن بن علي الموحدي سنة 547 ، فوالاه الحسن ولحق به وصحبه إلى إفريقية فى غزاته الأولى التى استخلص فيها المهديّة من أيدي النصارى سنة 555 ، ثم فى غزاته الثانية سنة 557 ، وأقام الحسن بالمهديّة بعد أن أقطعه إياها عبد المؤمن ، ثم استدعاه يوسف بن عبد المؤمن إلى حضرة ملكه مراکش ، فارتحل بأهله إليها ، وهلك فى طريقه بتامسنا سنة 563 ، وهو آخر من ملك إفريقية من أسرته ، وعلى يده انقرضت دولتهم .

سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة⁽¹⁾ .

« وفيها مات الأفضل⁽²⁾ وزير المستعلى صاحب مصر والأمر بأحكام الله ، [12] وذلك أن الأمر بأحكام الله لما أبقي الأفضل على حجابته قيل له : مالك ملك مع الأفضل ! فدرس له رجالا وأمرهم بقتله . ووعدهم بالعطاء الجزيل ، وكانوا مجهولين ، فلما كان عام أربعة عشر رصده فى زقاق ضيق كان متى خرج خطر عليه ، وكان فى الزقاق فرن ، فلما أحسوا بأنه قرب من الفرن خرجوا من الفرن فقتلوه ، وبأدرهم الرجال فقطعوا بالسيوف ، وسار الأفضل إلى داره وبه رمق ؛ فلما علم الأمر بالأمر جاءه وكأنه زائر له ، فخرج عنه الناس ، وبقي معه وحده ، فقيل إنه جعل⁽³⁾ على وجهه مخدة ، وقعد عليه حتى طفئه ،⁽⁴⁾ ولم يخرج من عنده إلا وهو قد مات ، فقدم رجلا للحجابة⁽⁵⁾

(1) عن فتح رجار ملك صقلية النصراني للمهديّة انظر ابن عذارى : البيان المغرب 313/1 ؛ ابن خلدون : العبر 162/6 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان 217/6 - 218 ؛ التويرى : نهاية الأرب (نشر جاسبار رميرو) 166/2 - 168 ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام (القسم الخاص بشمال إفريقيا) بتحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى والأستاذ محمد إبراهيم الكتانى ط . الدار البيضاء 1964 ص 131 ، والترجمة الاسبانية (رافايلا كاستريو) ص 87 والمراجع الواردة فى الحاشية .

(2) هو الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش أبو القاسم بن بدر الجمالي الأرمني وزير مصر ومدبر ممالكها ، ولى الحجابة بعد موت أبيه فى أيام الخليفة المستعلى الفاطمي ، واستبد بالملكّة حتى توفى المستعلى ، فولى الخلافة بعده الأمر بتدبير من الأفضل ، وقام الحاجب بالحجر على الخليفة متبعا فى ذلك سيرة أبيه مع المستنصر والمستعلى من قبل ، وما زال حتى ضاق الأمر بذلك فدير مؤامرة لقتل الأفضل (انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة 222/5) هذا ويضيف ابن القطان هنا تفاصيل جديدة عن اغتيال الأفضل .

(3) فى الأصل : عمل ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

(4) أي ازهق روحه .

(5) ينقطع النص هنا ، إذ يلي ذلك خرم لا ندري عدد الأوراق التى ذهبت فيه ، على أن الذى نعرفه من كتب التاريخ المصري أن الخليفة الأمر استوزر بعد قتل الأفضل أبا عبد الله المأمون بن البطائمي (انظر ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة 229/5) ، ولكن الأمر لم يلبث أن قبض على المأمون هذا وعلى أخيه المؤمن سنة 519 وصادر أموالهما ثم قتلهما (وانظر حول اغتيال الأفضل والاحداث التى تبعت ذلك كتاب الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - الطبعة الثانية ص 173 - 175 والمراجع المذكورة فى ذلك الموضع) .

٩١ أ [عن (1) أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : صنفان من أهل النار لم أرهما : (2) قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رثوسهن كأسنمة (3) البخت (4) المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها (5) .

وقوله صلى الله تعالى عليه وملائكته الكرام وسلم لأبي هريرة رضى الله تعالى عنه : إن طالت لك مدة أوشكت (6) أن ترى قوما يغدون في سخط ، ويروحون في لعنة ، في أيديهم مثل أذناب البقر سياطا كانت عندهم ليست عند أحد سواهم (7) .

و [من] نعمه (8) رضي الله تعالى عنه عليهم ما أخذهم (9) بقراءة

(1) قام الأستاذ ليفي برونسفال بنشر قطعة من هذا المخطوط تبدأ بهذه الورقة (رقم 9) حتى رجه الورقة (رقم 14) مع ترجمة إلى الفرنسية وتعليقات ، وذلك تحت عنوان « ست قطع مخطوطة من تاريخ مجهول المؤلف لظهور الدولة الموحدية » ، ونشرت هذه المجموعة من النصوص في مجلد احتوى على بعض الدراسات الاستشرافية وأهدي إلى ذكرى العالم الفرنسي رينيه باسيه ، ط . باريس سنة 1925 .

(Lévi-Provençal : Six Fragments inédits d'une chronique anonyme du début des Almohades , Mélanges René Basset , t. II, pp. (335-393) .

(2) ما بين الحاصرتين تتمه الحديث المنسوب إلى النبي (صلعم) وقد استكملناه مما جاء في كتاب « أعز ما يطلب » لمحمد بن تومرت المهدي (نشر لوسيانى وتقديم جولد تسيهر - الجزائر سنة 1903 ص 260 في الفصل المعنون له بقوله « باب في بيان طوائف المبطلين من المثلثين والمجسمين وعلاماتهم » . وانظر هذا الحديث أيضا في كتاب جلال الدين السيوطي ؛ الجامع الصغير ، بشرح عبد الرؤوف المناوي : فيض القدير 208/4 - 209 (ط . القاهرة سنة 1938) .

(3) في الأصل : رؤسهم كاسنة .

(4) هي الابل الخراسانية .

(5) م يذكر هنا تمام الحديث ، وبقيته : وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا .

(6) في الأصل : أو شكت .

(7) ورد هذا الحديث أيضا في كتاب « أعز ما يطلب » ص 260 - 261 .

(8) في الأصل : ونعم .

(9) في الأصل : واخذهم

حزب واحد منه في كل يوم إثر صلاة الصبح بعد (1) حزب من القرآن ، وهو سفر مجلد (2) يحتوي على معرفة الله تعالى والعلم بحقيقة القضاء والقدر والإيمان والإسلام والصفات وما يجب لله تعالى وما يستحيل ويجوز عليه والإيمان بما أخبر به النبي ﷺ وملائكته الكرام وسلم بما طريقه الإخبار بما أعلمه الله تعالى من غيبه ، ولمع من « أصول الدين ومعرفة المهدي وأنه الإمام ، ووجوب الإمامة ، ٩١ ب وما يجب له من التعزيز والتوقير وأن الهجرة إليه واجبة لا يحول بينها وبين أحد من المسلمين أهل ولا ولد ولا مال ، وأن من سمع بأمره وجبت عليه الهجرة إليه ، ولا عذر له بوجه من الوجوه ، ويكفر من لم يصل [عليه] (3) ولم يطعه ، وذكر لهم فيه الآداب بينهم ، وعلامة المؤمن ، وما يجب على المؤمن فعله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأخى بينهم فيه ، وذكر لهم علامة المنافقين وبينها بأوضح بيان ، وجعل القتل في ثمانية عشر صنفا كالكذب والمداينة وأمور يطول الكتاب بذكرها ؛ وحفظهم إياه ورباهم به وسهل عليهم التعليم بنفسه وبأعيان أصحابه . وجعل على كل عشرة نقيبا (4) .

(1) في الأصل : بعد اثر .

(2) لعل ابن القطان يعنى بهذا السفر كتاب « أعز ما يطلب » الذي سلفت الإشارة إليه كما يدل على ذلك نص عبد الواحد المراكشى في المعجب (ط . سعيد العريان) ص 255 وكتاب الحلل الموشية ص 109 . وانظر مناقشة الدكتور احمد مختار العبادي لحقيقة هذه الكتب التي كان ابن تومرت يعنى بأخذ الموحدين بقراءتها وتدارسها في مقاله « دراسة حول كتاب الحلل الموشية » (مجلة تطوان - العدد الخامس - سنة 1960 - ص 157 والحاشية رقم 72 - 73) .

(3) في الأصل : يصل وما بين الحاصرتين زيادة يقتضيه السياق .

(4) ورد في كتاب « المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب » (أصحاب ابن تومرت) الذي نشره ليفي برونسفال ضمن مجموعة من الوثائق الموحدية تفصيل وإف لهذه الطبقات (انظر ص 32 - 48) . كذلك جاء في كتاب « الحلل الموشية » نقل يكاد يكون بالحرف لمعظم هذا النص لطبقا ، الموحدين ، إلا أنه جعلها ثلاث عشرة طبقة لا أربع عشرة كما هو هنا (انظر ص 89 من النص العربي ، وتعليق أمبروسيو أويثي في ترجمته الاسبانية للحل ص 130 - 131 هذا والنص الذي بورده ابن القطان حول هذا الموضوع إنما هو على الأرجح مما نقله عن المؤرخ أبي يحيى اليسع بن عيسى بن حزم كما سنرى من تعليق ابن القطان عليه فيما بعد .

[طبقات الموحدين]

فالصنف الأول : العشرة ، يعنى أهل الجماعة .

والثاني : أهل خمسين .

والثالث : أهل سبعين .

والرابع : الطلبة .

والخامس : الحفاظ ، وهم صغار الطلبة .

والسادس : أهل * الدار .

والسابع : هرغة .

والثامن : أهل تينملل .

والتاسع : جدميوة .⁽¹⁾

والعاشر : جنفيسة .

والحادى عشر : هنتاتة .

والثاني عشر : أهل القبائل⁽²⁾ .

والثالث عشر : الغزات⁽³⁾ ، وهم الأحداث الصغار الأميون .

(1) في الأصل : جدميرة .

(2) يقصد بالقبائل ما حول مدينة مراکش من قبائل ، وهي هزمير وهيلانة وهزرجة (انظر عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 425) .

(3) قرأ ليفي برونسفال هذه الكلمة « الغزاة » ، وترجمها بلفظ champions وفسرها بأنهم الحرس الخاص للإمام ، وقد نقل عن ليفي برونسفال ذلك من اعتماد عليه من الباحثين ، مثل أويثي في ترجمته للحلل الموشية (ص 130 ، حاشية رقم 5) ، بل أضاف هذا إلى ذلك أنه يعنى الرماة arqueros ولكننا لا ندري كيف يكون « الغزاة » هم الأحداث الصغار الأميين على ما جاء في تفسير ابن القبطان نفسه ولا كيف يضعهم المؤلف في الطبقة الأخيرة إذا كانوا هم حرس الإمام الخاص ، ومن رأينا أن كل هذه التخريجات إبعاد في التأويل أدى إليه خطأ في قراءة الكلمة ، إذ أن الصواب فيها « الغزات » جمع غزو وهو الصبي الصغير .

ولكل صنف من هذه الأصناف رتبة لا يتعداها إلى غيرها لا في السفر ولا في الحضر⁽¹⁾ ، وأخذهم في تارك امتثال أمر من يسمع أمره بالقتل ، وبإيعوه⁽²⁾ على هذا ، وكان - رضى الله تعالى عنه - يعظهم في كل وقت ويذكرهم ، ومن لم يحضر أدب ، فإن تمادى قتل ، وكل من لم يحفظ حظه عزز بالسياط ، وكل من لم يتأدب بما أدب به ضرب بالسوط المرة والمرة ، فإن ظهر منه عناد وترك امتثال الأوامر قتل ، ومن داهن على أخيه أو أبيه أو ابنه أو من يكرم عليه قتل ، وشدد في المعاملة ، وضبط « أمرهم » فيها فأنضبط . وأقاموا على ذلك مدة يستامع الناس تقلب أحوالهم فيها .

وقال ابن الراعى :

لما أحق الله الحق ، وأبطل الباطل - يعنى في المذاكرة التي كانت بأغمت⁽²⁾ - خلع الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه مبايعة علي بن يوسف عن أعناق تابعيه وأصحابه ، وأعلن الجميع بخلعه ، وكان بعضهم يبرح به في المساجد . قلت :

أما ما ذكره اليسع⁽³⁾ من أمر السبعين فلا أعرفه ولا أراه صحيحا ،

(1) في الأصل : وبإيعوه .

(2) لعل ابن الراعى يشير بهذا النص إلى ما وقع بأغمت وريكة حينما حلها محمد بن تومرت في طريقه من مراکش ، إذ يقول البيهقي إنه كان يقرئ في نفس هذا المسجد أيضا فقيه يدعى عبد الحق بن ابراهيم كان يضيق بالمهدي ويحسده « وأقبل إليه فأفحمه المعصوم ، وقامت أغمت فرقتين : مؤمن وكافر ... » (أخبار المهدي ص 70) .

(3) هو أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع الغافقي الجبالي البلنسي ، سكن المربة ومالقة ، ثم كتب لبعض الأمراء في شرق الأندلس ، وقد رحل اليسع إلى المشرق في سنة 560 واستقر بمصر ، واتصل بصلاح الدين الأيوبي الذي قربه إليه وكان يكرمه ويشفعه في حوائج الناس ، وتوفى اليسع بمصر سنة 575 . وقد ألف كتابا سماه « المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب » جمعه للسلطان صلاح الدين ابن أيوب ، وقد نقل المقرئ عنه في عدة مواضع من نفح الطيب وكذلك صاحب « الحلل الموشية » (انظر ترجمته ونقولا عنه في النفح 1/127 ، 164 ، 208 ، 265 ، 672 ، 379/2 ، 487 ، 397/3 ، 314/4 ، 455) وابن الأبار : التكملة ، ترجمة 2112 ، ومعجم أصحاب أبي علي الصديقي ، ترجمة 315 ، وبونس =

ولمّا أعرف العشرة الجماعة وأهل الخمسين وسبعة هم أهل مشورته ، وأما العشرة فقد مر ذكرهم (1) .

وأما الخمسون فهم :

أما من قبيل **هرغة** فسته رجال ، أبو مروان عبد الملك بن يحيى وأبو زيد عبد الرحمن بن سليمان ، وإسحاق - ولم أجد اسم أبيه - وأبو زكريا يحيى بن يومور ، ويعزى (2) بن مخلوف ، وأبو زيد عبد الرحمن بن داود (3) .

وأما من قبيلة **تينمل** * فأربعة عشر ، (4) وهم : أبو عمران موسى بن سليمان القاضي ، (5) وأبو عبد الرحمن ، وسواجات بن يحيى ، وأبو بكر ابن يزمارن ، وأبو محمد عبد العزيز - لا أدري ابن من - وعلي بن يامصل ، والحاج موسى ، ويحيى أغوات ، وعبد الله بن ينسك ، والقاسم بن محمد ، ويوسف بن مخلوف ، وأبو علي يونس .

وأما من قبيلة **هنتاة** فثلاثة : (6) أبو يعقوب يوسف بن وانودين ، وداود بن عاصم ، وأبو محمد بن واحدان .

= بويجس : المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون ، رقم 196 ، ص 242 ؛ وجونثالك بالثيا : تاريخ الفكر الأندلسي (ترجمة الدكتور حسين مؤنس) ، ص 242 ؛ الخلل الموشية ص 62 ، 82 ، 107 ، 132 ، 138 - 139 ، 146 - 148) .

(1) سيعود ابن القطان للحديث عن العشرة فيما بعد .

(2) في الأصل : يعزاء ، والتصويب عن كتاب البيذق .

(3) يبلغ عدد أهل الخمسين من قبيل هرغة على ما ذكر البيذق في كتاب الأنساب (ص 33-34) ثمانية بدلا من الستة المذكورين هنا .

(4) هم تسعة عشر على ما ذكر البيذق (ص 34) ، وهناك خلاف بين المؤلفين في أسماء هؤلاء .

(5) هو صهر عبد المؤمن بن علي خليفة المهدي ابن تومرت ومتولى القضاء له ، وستترجم له عند ورود اسمه بين قضاة عبد المؤمن .

(6) في كتاب البيذق اسمان فقط ، وقد جاء اسم الثلاثة هكذا : أبو عبد الله محمد بن ويكلدان وعبد الكريم ويعقوب أفغو .

وأما من **جدميو** (1) فرجلان : أبو محمد يعيش ، وأبو حرب .

وأما من **جنفيسة** فأربعة : أبو إسماعيل ، وأبو زيد عبد الرحمن بن رحو ، وعبد الله بن الحاج ، وأبو سعيد يخلف بن الحسين (2) .

وأما من **القبائل** فرجل واحد : وهو عبد الرحمن بن ينومر (3) .

وأما من **هسكورة** فثلاثة : إسحاق بن يونس ، وعبد الله بن عبيد الله ، وأبو عبد الله بن أبي بكر * المعروف بابن يندوس (4) .

[11]

وأما من **صنهاجة** فثلاثة : أبو محمد الجراوي ، ويحيى بن وسنار (5) وإسحاق بن محمد (6) .

وأما من **الغبراء** (7) فخمسة : أبو يعقوب اللمطي ، وأبو زكرياء يحيى الدرعي ، وعبيد الله بن يوسف الزناتي ، وسليمان الجزولي ، وإبراهيم بن جامع . هكذا عددهم ابن صاحب الصلاة في كتابه (8)

(1) في الأصل : جدميرة ؛ وقد أورد البيذق أسماء أربعة رجال هم : أبو محمد العيس بن تماري ، وأبو علي سحنون بن تماري ، وأبو محمد عبد الكريم بن تماري وأبو محمد سعد الله والد إبراهيم .
(2) في البيذق أسماء أربعة كذلك ، إلا أن الاسمين الآخرين هما : أبو إسحاق إبراهيم بن سليمان وأبو زيد عبد الرحمن المعروف بآمازار .

(3) في البيذق : أبو إبراهيم إسحاق بن أبي زيد .

(4) في البيذق : المعروف بابن توندوت ، وقد زاد عليهم هذا المؤلف اسما رابعا هو : أبو محمد عبد الحق بن معاذ الزناتي .

(5) في الأصل : يحيى بن سنان ، والتصويب عن البيذق ص (35) .

(6) جاء مكان هذا الاسم الأخير في البيذق : أبو الحسن علي بن ناصر .

(7) لم يشر البيذق إلى هؤلاء الغبراء ، وإنما أضاف إلى قائمته المستتركين بعد التمييز (ص 35) .

(8) هو المؤرخ المشهور أبو مروان أو أبو محمد عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة الذي ترجم له ابن الأبار (التكملة ترجمة رقم 1726) ، وكانت وفاته في أواخر القرن السادس الهجري على خلاف بين الباحثين المحدثين في تاريخ ذلك على وجه التحديد . وله الكتاب المعروف باسم « المن بالإمامة على المستضعفين ، بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين » ، =

أخصهم به : عبد الواحد بن عمر ، وأبو محمد وسنار ⁽¹⁾ بن محمد ، وأبو محمد عبد العزيز ، وأبو موسى عيسى ، وعبد الكريم أفغو .

..... ⁽²⁾ فطالما كنتم في أيام زناتة ، يأتي الرجل إلى داره ، فيجد الزناتي 13

أما أمره [يأمرك] بأمسك فرسه على باب الدار ، فما شبعتم الحبز إلا في أيامنا ، ولا اكتسبتم المال إلا في دولتنا ! وكلاما كثيراً مثل هذا . فاعترفوا بالخطأ ، واشتغلوا له بغرمه إلى أن استوفاه بعد أن غرم فيه العمى والمبايطيل ، ثم كلفهم حصّة كثيرة بسلاحها .

باب أخبار سنة ست عشرة وخمسمائة :

من أخبار هذه السنة ابتداء إعلام الإمام المعصوم المهدي المعلوم - رضي الله تعالى عنه - بإعلان أمره العزيز ومبايعة الناس له .

مقدمة لأيامه العظيمة بذكر جمليات

من أموره الكريمة رضي الله عنه

نسبه ⁽³⁾ :

هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان

ابن سفيان * بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رياح بن محمد بن الحسن بن علي 13
ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم .

وقيل مثل ذلك سواء إلى عدنان ، فنسب هكذا : عدنان بن صفوان

(1) في الأصل : وسنار .

(2) واضح أن هذا بقية كلام محمد بن تومرت المهدي ، ولم نستطع توجيه هذه العبارات على نحو

مقبول .

(3) عن نسب محمد بن تومرت واختلاف الآراء فيه انظر : ابن خلدون : العبر 225/6 - 226 ؛ ابن

خلكان : وفيات الأعيان 45/5 - 46 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 172 ؛ الزركشي : تاريخ الدولتين ص 1 ؛ الحلل الموشية 103 ؛ كتاب الأنساب ص 21 ؛ وانظر كذلك مناقشة أويشي لختلف آراء المؤرخين القدامى في كتابه « تاريخ الدولة الموحدية » 27/1 وما بعدها .

فقلت :

وهم على هذا زهاء ⁽¹⁾ أربعين أو واحد ⁽²⁾ وأربعين رجلاً ، فأين تمام الخمسين ؟ وعد السبعة الذين قال إنهم رجال مشورته ، ولعلمهم منتقون من الخمسين .

قال :

هم : أبو سليمان ، من هرغة ؛ وأبو الحسن ، من أهل تينملل ؛ وأبو وزغيع بن ياموهر بن ياجان ، من أهل تينملل ؛ وأبو وايور يغور بيوركن ، من تينملل أيضاً ؛ وقطران بن ما غليفة ، من هنتاة ؛ وأبو محمد سكاتة ، وأبو عمران موسى بن واحدين ، من مزالة ، ومزالة من هنتاة .

قال ابن صاحب الصلاة :

وكان له - رضي الله تعالى عنه - رجال يخدمونه * في داره ، يسمون أهل 12 أ
الدار ⁽³⁾ من أصحابه ، يختصون به في ليله ونهاره ، وهم المعروفون بأهل الدار .

= في تاريخ الدولة الموحدية ، وعلى هذا الكتاب يعتمد المؤرخون المتأخرون مثل صاحب روض القرطاس وابن الأبار وابن الخطيب وابن خلدون وصاحب الحلل الموشية والمقري ، وقد كان هذا الكتاب يتألف من ثلاثة أجزاء لا يوجد منها الآن إلا الجزء الثاني المحفوظ في المكتبة البودلانية بأكسفورد (رقم 758) وهو يشمل أحداث الدولة الموحدية من سنة 554 (1158 م .) حتى سنة 580 (1184 م .) ؛ وقد وقف على تحقيق هذا الكتاب ونشره مع دراسة شاملة السيد الزميل البحثة المغربي الأستاذ عبد الهادي التازي ، بيروت (1964) ، (انظر عن هذا المؤرخ وكتابه الأستاذ بونس بونجيس المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون ص 245 - 246 والمراجع المذكورة) .

(1) في الأصل : زهاد ..

(2) في الأصل إحدى .

(3) عن أهل الدار قارن ما أورده ابن القطان هنا نقلاً عن ابن صاحب الصلاة بما أثبتته البيهقي (ص 29) ، وفيه زيادة عما هنا واختلاف في بعض الأسماء .

ابن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي أبي طالب رضي الله تعالى عنهم (1).

وقيل إنه رضي الله عنه : محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصل (2) بن حمزة بن عيسى بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم (3).

وكان والده - رضي الله تعالى عنه - قد لقبته أخته بتومرت ، (4) ويقال له أيضا الشيخ ، ويقال له أيضا أمغار (5). فهو عبد الله ، وتومرت ، والشيخ ، وأمغار .

وعاش والده إلى أن لحقه ببجاية قافلا ، فأكد عليه في القبول (6) شوقا إليه ، فلزمه بره ، فقفل رضي الله تعالى عنه .

ولقبه - رضي الله تعالى عنه :

المهدي ؛ لقبه بذلك العشرة من أصحابه ساعة مبايعتهم * له أولى بيعة انعقدت له ، كما سيأتي بعد تمام هذه المقدمة إن شاء الله تعالى .

(1) ورد هذا النسب في كتاب « الأنساب في معرفة الأصحاب » ص 21 ، على أن مؤلف هذا الكتاب أتبع ذلك بقوله إن قرابة ابن تومرت وأهل العناية بشأنه لا يعرفونه .

(2) في الأصل : مصل ، والتصويب عن كتاب « الأنساب » ؛ وفي العبر لابن خلدون : يا مصل ، وهو ينص في هذا الموضع على أنه إنما نقل هذه النسبة عن نفس ما كتبه ابن القطان (العبر 225/6) .

(3) يتفق هذا النسب مع ما جاء في كتاب « الأنساب » ، وهو ما أكد مؤلف هذا الكتاب على أنه الصحيح .

(4) في الأصل : بتومرت ، وهو يقصد أن اسم تومرت هذا إنما أطلق عليه من أجل ذلك ، أما هذه الكلمة فهي تعني على الأرجح ضرباً من الأكسية الجلدية ، ومن الطريف بمناسبة هذه الكلمة البربرية ما ذكره ليفي بروفنسال عند نشره لقطعة من « نظم الجمان » تتضمن هذا النص (Mélanges René Basset) (p. 369) أن الأستاذ رينيه باسبي قد أفاده بأن هناك كلمة قزبية من هذه ما زالت شائعة لدى أهل جزر كنارياس ، وهي Tamarco ومعناها « كساء من الجلد أيضا » - وأنه ربما كانت هذه الكلمة ولفظ تومرت من أصل واحد .

(5) هذه الكلمة هي الترجمة البربرية للفظ « الشيخ » .

(6) في الأصل : القبول .

وقد وقفت على نسخة صك (1) كتبه - رضي الله تعالى عنه - للفقير القاضي علي بن أبي الحسن الجذامي (2) أوله بعد البسملة والصلاة « أقول وأنا محمد بن عبد الله تومرت وأنا مهدي آخر الزمان » ؛ وتاريخه آخر شهر رمضان المبارك عام أحد عشر (3) وخمسمائة ؛ فجاء من هذا أنه كان يلقب بذلك من قبل .

وكان رضي الله تعالى عنه يلقب في صغره وهو يقرأ في المكتب « أسفو » ، (4)

(1) في الأصل : مك ، ولعل الصواب ما أثبتنا ؛ ونحتمل أن تكون أيضا : ما أو مما .

(2) لم نهند لشخصية القاضي علي بن أبي الحسن الجذامي هذا ، وقد أشار ليفي بروفنسال في تعليقه على هذا النص إلى شخص كان يسمى علي بن أحمد بن محمد الجذامي ، عاش في سبتة ، وتوفي سنة 532 هـ . (ترجم له ابن الأبار في المعجم ، رقم 260 ؛ وابن الزبير في صلة الصلة ، ترجمة ، رقم 175) . (انظر Mélanges p. 370 n. 1 ونضيف إلى ذلك أن هذا القاضي ينبغي أن يكون من أسرة بني الحسن المشهورة التي تولى كثير من أفرادها القضاء في رية (مألقة) بالأندلس والتي ينتسب إليها القاضي ابن الحسن النباهي الجذامي صاحب كتاب « المرقبة العليا ، فمن يستحق القضاء والفتيا » ، ونحن نعرف من هذه الأسرة ممن يحتمل أن تكون الإشارة إليه في هذا النص - لولا اختلاف الاسم - القاضي أبا عبد الله محمد بن الحسن الجذامي المالقي الذي ولي قضاء غرناطة سنة 515 ، وتوفي سنة 519 (كتاب المرقبة العليا المذكور - ط. ليفي بروفنسال ص 100-106) . وربما كان أيضا أبا علي الحسن بن إبراهيم بن محمد الجذامي المالقي الذي ترجم له ابن الأبار وقال إنه رحل حاجا ، فأخذ عنه بالإسكندرية سنة 515 ، ولم يحدد ابن الأبار تاريخ وفاته (انظر معجم أصحاب أبي علي الصديقي رقم 63) . وربما يكون أبو علي الحسن هذا قد التقى بابن تومرت في أثناء رحلته إلى المشرق .

وربما كان المقصود هو أبا الحسن علي بن محمد الجذامي البرجي نسبة إلى برجة (من عمل المرية) ، وكان مشاوراً في الأحكام ، سمع من أبي علي الصديقي ، وتوفي سنة 509 ؛ وقد ذكر له ابن الأبار موقفا صلبا ضد إحراق كتب الغزالي إذ أفتى بتأديب محرقها وتضمينه قيمتها مما أغضب عليه قاضي قرطبة ابن حمدين ، وربما رجح هذا كون أبي علي المذكور هو الذي كتب إليه ابن تومرت الصك المشار إليه هنا ، إذ أن موقفه هذا ضد السلطات المرابطية قد يكون مما قرب بينه وبين ابن تومرت المهدي (انظر ترجمته في معجم أصحاب أبي علي الصديقي ، رقم 253 ؛ وابن الزبير : صلة الصلة ، رقم 153) . على أنه يعترض هذا الغرض أن الصك الذي كتب به ابن تومرت كان مؤرخا في سنة 511 ، بينما توفي علي بن محمد الجذامي المذكور في سنة 509 على ما يقول ابن الأبار أو في حدود سنة 510 على ما ذكر ابن الزبير .

(3) في الأصل : إحدى .

(4) أشار إلى ذلك أيضا ابن خلدون (العبر 226/6) ، ولو أن هذا اللفظ ورد لديه « أسافو » ، وانظر مادة « محمد بن تومرت » التي كتبها رينيه باسبي في دائرة المعارف الإسلامية 451/2 - 453) .

ومعنى «أسفو» بالبرية «الضياء» ملازمته إيقاد القنديل في المسجد للقراءة والصلاة .

وأمه - رضي الله تعالى عنه :

من بني يوسف من مسكالة من أهل السوس ، من موضع أصروان يسمج ؛ وبنو يوسف هم أحوال الإمام المهدي - رضي الله تعالى عنه - ، وكانت أمه - رضي الله تعالى عنه - قد أعنت . فلما خطبها أبوه وكان فقيراً * رغبوا في مصاهرته ، فلما ولد الإمام المهدي - رضي الله تعالى عنه - اجتمع عنه أبيه وأمه هدايا كثيرة ، فكان ذلك سبباً لغنى ⁽¹⁾ والد الإمام المهدي - رضي الله تعالى عنه .

ومولده رضي الله تعالى عنه :

بموضع يسمى نومكران ، وهو موضع لا ماء فيه ، وإنما يشرب أهله ماء المطر ، وهنالك داره .

وصفته ⁽²⁾ - رضي الله تعالى عنه [عنه] :

ربعة ، مفلج الثنايا ، قليل اللحية ، في خنصر إحدى يديه شبه الخاتم من اللحم ، حصور لا يأتي النساء .

وأخلاقه - رضي الله تعالى عنه :

كان شجاعاً ، ⁽³⁾ كريماً ، مصمماً على الحق ، لا يأخذه في الله لومة لائم ، عالماً متملياً من علوم الحديث والأصولين : أصول الفقه وأصول الدين ؛ وكان في صغره ملازماً للمسجد ودرس لوحه ؛ ليست له صبوة ولا شهوة ؛ وكان - رضي الله تعالى عنه - ينهي عن التقليد وقراءة ⁽⁴⁾ كتب الرأي * مجتهداً متبحراً مصيباً في كل الأمور . رضي الله تعالى عنه .

(1) في الأصل : الغناء .

(2) في نسخة المهدي انظر كذلك ما جاء في روض القرطاس لابن أبي زرع ص 181 .

(3) في الأصل : سجاعاً .

(4) في الأصل : وقرات .

عصمته - رضي الله تعالى عنه :

وهذه الصفة كرامة من كراماته - رضي الله تعالى عنه - خصه الله تعالى بها ، وينقل آحاد أشخاصها تتحقق جملتها .

فمن عصمته - رضي الله تعالى عنه : عصمته من أهل الإسكندرية ، فإنه رأى بها منكر فغيرها ، وأغلظ في أمرها ، فقامت عليه العامة والغوغاء ، فصاروا يقطعون به في طريقه إلى مجلس الطرطوشي ⁽¹⁾ - رحمه الله تعالى - ولم ينله من بأسهم - على غربته وشحط داره - أكثر من هذا ؛ فلما فقد الطرطوشي بحث عنه حتى أعلم بمكانه ، فقصده إليه وهو في مسجد الأخضر ⁽²⁾ على ساحل البحر ، فترامى عليه ، وصافحه ، وسأله عن سبب غيبته عن مجلسه ، فعرفه بشأن أولئك الغوغاء ، ⁽³⁾ وأنه يريد الإياب إلى المغرب ، فودعه - رضي الله تعالى عنه - وانصرف .

(1) هو أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي المعروف بابن أبي رندقة ، ولد في طرطوشة Tortosa سنة 451 ، ودرس في بلده وفي سرقسطة ، إذ كان تلميذاً للفقهاء المعروفين أبي الوليد الباجي ، وكانت له رحلة إلى المشرق في سنة 476 حج فيها ودرس في بغداد والبصرة ودمشق وبيت المقدس والقاهرة ، واستقر أخيراً في الإسكندرية ، وهو صاحب كتاب «سراج الملوك» الذي انتهى منه في سنة 516 وأهداه إلى الوزير المصري المأمون البطائحي ، وكانت وفاته في سنة 520 (انظر في ترجمته المادة التي كتبها عنه الأستاذ محمد بن أبي شنب في دائرة المعارف الإسلامية 378/2) والمراجع المذكورة ، والمقدمة التي صدر بها الأركون Maximiliano Alarcon الترجمة الإسبانية التي اضطلع بها لكتاب «سراج الملوك» تحت عنوان Lámpara de los Principes ، وقد نشرت هذه الترجمة في مدريد سنة 1930 .

(2) كذا في الأصل ، وقد أشار ليفي برونفسال عند تعليقه على هذا النص (Mélanges, p. 372, n.)
(3) إلى أنها قد تكون تحريفاً للفظ «الخضر» إذ أن من مساجد الإسكندرية المعروفة مسجداً ينسب للخضر عليه السلام (انظر مادة الإسكندرية التي كتبها روفن جيست Rhuvon Guest في دائرة المعارف الإسلامية 571/2) ، وهناك باب من أبواب الأسوار القديمة في مدينة الإسكندرية مازال معروفاً باسم «الباب الأخضر» ، وربما كان المسجد الذي يشير إليه ابن القبطان في هذا النص موجوداً على مقربة من ذلك الباب .

(3) في الأصل : الغراء ، وقد قرأها ليفي برونفسال : العرقاء ، ونظن أن الصواب ما أثبتنا .

[10 ب] ومن عصمه - رضي الله تعالى عنه - منع أهل * المركب من تغريقه ، وقد هموا بذلك ، وما أظهره الله تعالى في ذلك من العبر ، وذلك أنه - رضي الله تعالى عنه - ركب البحر في سفينة من الإسكندرية يريد بلاد المغرب ، فرأى في المركب خمرا ، فأراقه ، فصاح عليه صاحب الخمر وسبه ووضعه يده فيه ، فاجتمع أهل المركب إليه ورغبوه حتى سكت ؛ ثم حضر وقت الصلاة ، فأمرهم بالصلاة ، فلم يلتفتوه ، فشدد عليهم ، فغضبوا وهموا بإلقائه من المركب ، فهال عليهم البحر ، وكادوا يغرقون ، فقام إليهم رجل حاج فقال لهم : تداركوا أنفسكم بإرضاء هذا الرجل لعل الله تعالى يفرج عنكم ! فأقبلوا نحوه متضرعين راغبين ، فقال لهم - رضي الله تعالى عنه - صلوا ، فتوضأوا وصلوا ، فكشف الله تعالى ما بهم ، وجرت السفينة بريح طيبة ؛ فصاروا يطلبون منه الدعاء كل يوم (1) .

[16 أ] ومن عصمه - رضي الله تعالى عنه - منع علي بن يحيى بن تميم (2) منه ، وهو صاحب * المهديّة ، ونجّاته - رضي الله تعالى عنه - من شره ، وذلك أنه لما احتل بالمهديّة - رضي الله تعالى عنه - رأى بها سوقا تباع فيه الخمر ، فكسر دنانها وأراقها ، وغير المنكر . فغيظ بذلك واليها على المذكور . وهم به ، ثم رأى

(1) وردت هذه القصة مع بعض الاختلاف في تفاصيلها لدى ابن خلكان : الوفيات 46/5 ، وابن الأثير : الكامل 294/8 ، وعبد الواحد المراكشي : المعجب ص 246 .

(2) ذكر ابن خلكان أن محمد بن تومرت انتهى إلى المهديّة بعد سفره من مصر في عهد يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي (الوفيات 47/5) ، وقد جعل ذلك في سنة 505 ، وكان قد ذكر في ترجمة تميم بن المعز أن يحيى هذا أن ابن تومرت قد اجتاز بالمهديّة في عهده بعد عودته من المشرق (الوفيات 305/1) ، وذلك نقلا عن كتاب « أخبار القيروان » لعبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز ، وقد نبه ابن خلكان على ما في ذلك من تناقض واضطراب ، أما ابن الأثير فإنه يتفق مع ابن خلكان في الرأي الأول ، وهو أن ابن تومرت دخل المهديّة في سنة 505 في أيام يحيى بن تميم (الكامل 294/8) وذلك خطأ ، إذ أن دخول ابن تومرت المهديّة لم يحدث إلا في سنة 511 في عهد علي بن يحيى بن تميم الذي حكم إفريقية ما بين سنتي 509 و 515 .

أن يوجه إليه المازري (1) الفقيه : فتوجه إليه وعاتبه ، (2) ورفق به وقال له : أخاف عليك عاديتك وعادية جنده ! فخرج إلى المنستير .

ومن عصمه - رضي الله تعالى عنه - منع العزيز بن منصور بن الناصر بن علاء الناس بن حماد (3) منه . وقد غاظه (4) وأغضبه ، وسلامته - رضي الله تعالى عنه - من عذوه ، وهو ملك بجاية ، وذلك أنه - رضي الله تعالى عنه - لما دخل بجاية لقي به الصبيان في زبي النساء بالصفائر والأخراس (5) والزينة وشواشي (6) الخز ، وألقى (7) الأزدال قد فتنوا بذلك وانهمكوا . فغير المنكر جدّه ، وأزال ذلك الزبي مستطاعه .

ثم حضر عيداً ، فرأى فيه من اختلاط الرجال بالنساء والصبيان المتزينين المتكحلين ما لا يحل ، فزجرهم وغير ذلك عليهم فوقعت لأجل ذلك نفرة * استطال فيها الشر ، وسلب النساء حليها ، وقام المهرج ، فسأل العزيز عن سبب ذلك ، فعرف بأنه لا سبب له إلا الفقيه السوسي ، وكذلك كان - رضي الله تعالى عنه - يعرف بالمشرق ، ووجد المشنعون سبيلا إلى القول فيه ، فقالوا وأوغروا (8) عليه قلب العزيز ، فأمر بجمع الطلبة لمناظرته في جرائته على الملوك .

(1) هو الفقيه المالكي أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري الصقلي المتوفى سنة 536 (انظر في ترجمته كتاب الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا : الإمام المازري - من منشورات لجنة البعث الثقافي - ط . تونس 1955) . هذا وقد ذكر الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في كتابه (ص 52) أن محمد بن تومرت المهدي تلمذ على الإمام المازري .

(2) في الأصل : وعاديت ، ونظنها تحريفاً لما أثبتنا .

(3) العزيز بن المنصور بن الناصر بن علاء الناس (علناس) الحمادي أمير المغرب الأوسط (بجاية وبونة والجزائر وقسنطينة) ، ولي الحكم سنة 498 هـ . (1105 م .) حتى وفاته في سنة 515 (1121 م .) انظر مادة « بني حماد » في دائرة المعارف الإسلامية بقلم الأستاذ ج . إيفر (268/2) .

(4) في الأصل : غاضبه .

(5) أي الاسورة .

(6) جمع شاشية ، وهي غطاء للرأس (انظر دوزي : ملحق القواميس العربية 802/1) .

(7) في الأصل : وألقى .

(8) في الأصل : وغروا .

فاجتمعوا في دار أحدهم ، واحتفلوا ⁽¹⁾ في إعداد المطاعم والمشارب ، ووجهوا عن الإمام - رضي الله تعالى عنه - إلى المسجد الذي كان يحل فيه ، فامتنع من الوصول إليهم . فوجهوا إليه الكاتب عمر بن قفلول ، ⁽²⁾ فلاحظه وأقسم عليه ورغبه وتضرع إليه حتى أسعفه ، فوصل إليهم ، فناظره وساءلوه ، فأجابهم ما أسكتهم ، ثم سألهم فما أعاروا جوابا . ولأطفه ابن قفلول عند ذلك يراوده على ترك ما هو بسبيله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

..... * بها إلى الباطل ، وطاعة أهل التجسيم بالفساد ، والانحياز إلى جنبتهم ، لينالوا بذلك غرضهم . ويصلوا إلى بغيتهم ، وقالوا لهم : طاعتهم والانقياد لهم واجب عليكم مع علمهم بعتاة الظلمة وخروجهم عن السبيل ، وقالوا لهم : يجب عليكم - مع علمهم - السمع والطاعة في كل ما أمروكم به ، مع علمهم أنهم لا يأمرون إلا بالباطل والفساد والضلال وهلاك الحرث والنسل ، وقالوا لهم : نلزمكم طاعتهم في ذلك كله اتباعاً لأهواء الكفرة وافتراء على الله ، وبغضوا إليهم أهل التوحيد ، وحذروهم من الرجوع وسلوك سبيلهم ، وحاولوا تبديل الكلام وتحريف القول بالزور والبهتان ، وتقولوا علينا بما لم نقل تهجيناً وتبغيضاً للحق عند العوام حتى لا يصغوا إليه ولا يقبلوه ، وعدوا لهم جملاً من الأبواب ، ونسبوا ذلك كله إليه ؛ وأنهم أحدثوا من المناكر والمغامر ، وتقلبهم في السحت والحرام ، يأكلون منه ويشربون ، ويغدون ويروحون .

وقال كعب بن عجرة ⁽³⁾ : ما من لحم نبت من سحت إلا كانت النار

أول به ، وقال : قال رسول الله ﷺ : أعينك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون - بعدي - يا فم غشي ⁽¹⁾ أبوابهم وصدقهم على كذبهم وأعانهم على ⁽²⁾ ظلمهم فليس مني ولست منه ولا يرد الحوض عليّ .

وذكر قول رسول الله ﷺ وملائكته الكرام عليه وسلم ⁽³⁾ : وددت أني قد رأيت إخواننا ! قالوا : يا رسول الله ، ألسنا بإخوانك ؟ قال : بل أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، وأنا فرطهم على الحوض .

قال :

ففيه تنبيه على طائفة الحق الذين صبروا على دينهم بعده ، وتمسكوا بسنة يسلم عليه الصلاة والسلام ؛ وفيه تنبيه على طوائف أهل الباطل الذين تركوا دينهم بعده وارتدوا وبدلوا وغيروا وجسموا وعاندوا الحق .

قال عليه الصلاة والسلام : فليزداد رجال عن حوضي كما يزداد البعير الضال ، أناديهم : ألا هلم ! ألا هلم ! فيقال : إنهم قد بدلوا وغيروا بعدك ، فأقول : فسحقاً ! فسحقاً ! فسحقاً !

وحذر - رضي الله عنه - من الملبسين الذين يتوسلون بفتياهم إلى باطلهم وأهوائهم ، ونص قول رسول الله ﷺ وملائكته الكرام عليه وسلم أن : لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم لقبض العلماء . حتى إذا لم

(1) في الأصل : وغشا .

(2) جاء هذا الحديث مع خلاف يسير في بعض ألفاظه في صحيح البخاري (ط . القاهرة سنة 1312 هـ .) 46/9 ؛ كما أنه أيضاً السيوطي في كتاب الجامع الصغير (انظر فيض القدير للمناوي 361/6) ؛ وراجع « أعز ما يطلب » لابن تومرت ص 261 - 262 ، وقوله (ص) « وأنا فرطهم على الحوض » أي سابقهم إليه .

(3) جاء هذا الحديث وبقيته الواردة بعد في سنن النسائي (بشرح السيوطي وحاشية الإمام السندي - ط . القاهرة سنة 1930) 160/7 - 161 ؛ وانظر « أعز ما يطلب » ص 261 .

(1) في الأصل : واختفلوا .

(2) في الأصل : فلبول ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، وسترد بعد ذلك بقليل كما ذكرنا .

(3) كعب بن عجرة صحابي روى له عن رسول الله (صلعم) سبعة وأربعون حديثاً ، وروى عنه عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم وآخرون ، سكن الكوفة وتوفي بالمدينة سنة 51 أو 52 أو 53 هـ . (انظر ترجمته لدي النوي : تهذيب الأسماء واللغات - ط . القاهرة - ق 1 - 68/2) . هذا وقد ورد هذا النص وما يليه في كتاب « أعز ما يطلب » لـ محمد بن تومرت المهدي باختلاف قليل (انظر ص 261 وما بعدها) .

[18 أ] يترك عالما اتخذ الناس رؤساء جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا .⁽¹⁾
وهو في الصحيحين ، وهو مشاهد في الوجود محسوس .

وحذر من أعوانهم الذين رجعوا إليهم وباعوا دينهم بعرَضٍ من الدنيا ،
يصبح أحدهم مؤمناً ويمسي كافراً ، يبيع أحدهم دينه بدنيا غيره ، ونص قول
رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : بادروا بالأعمال فتنا
كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح
كافراً ، يبيع دينه بعرض⁽²⁾ من الدنيا⁽³⁾ .

قال :

وفتنة الدين أكبر ، إذ لا فتنة أعظم من الارتداد والتبديل والتغيير .

وحذر من أعوانهم عبيد الدينار والدرهم والخميسة⁽⁴⁾ الذين كانوا تحتهم في
الذل والهوان ، تركوا دينهم وخسروا آخرتهم ، ابتغاء مرضاتهم خوفاً على دنياهم ،
ورضاهم ممتنع لا يدرك ، ودنياهم فانية لا تبقى ، فخسروا الدنيا والآخرة ،
ملعونين على لسان رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم :

(1) ورد هذا الحديث في صحيح مسلم (ط . القاهرة سنة 1333 هـ .) 60/8 ؛ وراجع « أعز ما
يطلب » ص 261 .

(2) في الأصل : بغرض .

(3) ورد هذا الحديث في مسند أحمد بن حنبل ، ومسند الترمذي وصحيح مسلم (انظر عبد
الرؤوف المناوي : فيض القدير شرح الجامع الصغير 193/3) .

(4) الخميسة الكساء الأسود المعلم ، وهو يشير هنا إلى الحديث النبوي الشريف « تعس عبد
الدينار والدرهم والقטיפه والخميصه : إن أعطى رضى وإن لم يعط لم يرض » ، إشارة إلى فتنة المال .
« انظر صحيح البخاري 92/9 وسنن المصطفى لابن ماجة القزويني 534/2 ؛ وقد ورد هذا الحديث أيضاً
في « بيان طوائف المبطلين من المثلثين والمجسمين وعلاماتهم » من كتاب « أعز ما يطلب » لابن
تومرت ص 263 .

للالة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم ... الحديث ، وفيه : ...
رجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا ، فإن أعطاه منها وفى ، وإن لم يعطه منها لم يف⁽¹⁾ .
قال :

فإذا بهم يميلون مع الدنيا حيث مالت ، لا عهد لهم ولا ميثاق ، ولا لمن « 18 ب »
وافق مرادهم ، هذه حالهم المشاهدة منهم .

قال :

وقد أمر رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم بمخالفة
أهل الباطل في رأيهم وأفعالهم . وقال : خالفوا اليهود وخالفوا المشركين⁽²⁾ .

قال :

وكذلك المجسمين ، هم يشبهون النساء في تغطية الوجوه والتلثم⁽³⁾ والتنقب⁽⁴⁾ ،
ويتشبه نساؤهم بالرجال في الكشف عن الوجوه بلا تلثم ولا تنقب⁽⁵⁾ ، وقد لعن رسول
الله ﷺ⁽⁶⁾ المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء ، فقد شملتهم
اللعنة جميعاً ، ومن كثر سواد قوم فهو منهم .

(1) جاء هذا الحديث في مسند أحمد بن حنبل ، وثمame : « ... رجل على فضل ماء بالفلاة يمنع من
ابن السبيل ، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر ، فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا ، فصدقه ، وهو
على غير ذلك ، ورجل بايع إماماً ... الخ (انظر فيض القدير للمناوي 330/3 - 331) .

(2) الحديث : « خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم » وقد أورده أبو داود والحاكم
والبيهقي ، وزاد ابن حبان في روايته « ... والنصارى » (انظر فيض القدير 431/3) .

(3) في الأصل : والتلثم .

(4) في الأصل : والسقب .

(5) في الأصل : تنف .

(6) يشير إلى الحديث النبوي الشريف « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من
الرجال بالنساء » وقد أورده هذا الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد بن حنبل في مسنده (انظر
فيض القدير 271/5) ؛ وهناك أحاديث أخرى في نفس المعنى منها حديث « لعن الله المخنثين من الرجال ،
والمترجلات من النساء » أورده البخاري في كتاب « الأدب المفرد » والترمذي (انظر فيض القدير 271) ؛

وقال الله تعالى : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ (1) ... الآية ، وقال تعالى : ﴿ لا تجدد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ (2) .. ، الآية ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ يأياها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ﴾ (3) .. الآية ، وقال سبحانه : ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ ، (4) وقال سبحانه : ﴿ ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ . (5) وقال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : « الحب والبغض في الله من علامات اليقين » (6) .

١٩١ أ * وطاعتهم حرام لأنهم كفار ومنافقون ومتبعو الهوى ومعتدون ومفسدون وجاهلون . قال الله تعالى في تحريم طاعة الكافرين : ﴿ يأياها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾ . (7) وقال سبحانه في تحريم طاعة المنافقين : ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ . (8) وقال في تحريم طاعة من اتبع الهوى : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ﴾ (9) وكان أمره فرطاً . (10) وقال سبحانه في تحريم طاعة المعتدين : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين ، همار مشاء بيميم ، مناع للخير معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم ﴾ (11) ... الآية . وقال سبحانه

= وكذلك حديث « لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل » ، أورده الحاكم النيسابوري في « المستدرک » (فيض القدير 269/5) .

(1) سورة هود ، آية رقم 113 .

(2) سورة المجادلة : آية رقم 22 .

(3) سورة الممتحنة ، آية رقم 1 .

(4) سورة المائدة : آية رقم 51 .

(5) سورة الممتحنة ، آية رقم 9 .

(6) جاء في صحيح البخاري (11/1) : « والحب في الله والبغض في الله من الإيمان .

(7) سورة آل عمران ، آية رقم 149 .

(8) سورة الأحزاب ، آية رقم 1 ، وآية رقم 48 .

(9) في الأصل : هوبه .

(10) سورة الكهف ، آية رقم 28 .

(11) سورة القلم ، آيات 10 - 13 .

في تحريم طاعة المفسدين : ﴿ ولا تطيعوا أمر المسرفين ، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ . (1) وقال عز وجل في تحريم طاعة الجاهلين : ﴿ ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ﴾ . (2) وقال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته المقربون الكرام عليه وسلم : « على المرء السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » . (3)

واستدل على وجوب قتالهم بقول الله عز وجل : ﴿ يأياها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدا فيكم غلظة ﴾ (4) ... الآية ، ويقول رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : « على المرء السمع والطاعة ، أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا « لا إله إلا الله » فمن قالها فقد عصم مني ماله (19) ونفسه إلا بحقه . وحسابه على الله » ؛ فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ؛ فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : فو الله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعلمت أنه الحق . (5)

(1) سورة الشعراء ، آية رقم 151 - 152 .

(2) سورة الجاثية ، آية 18 - 19 .

(3) ورد هذا الحديث مع بعض الاختلاف في ألفاظه في سنن المصطفى لابن ماجة القزويني (ط .

القاهرة سنة 1349 هـ .) 202/2 ؛ وفي صحيح البخاري 49/4 - 50 ؛ وفي سنن النسائي 160/7 ؛ وفي سنن

أبي داود (ط . القاهرة سنة 1348 هـ .) 409/1 .

(4) سورة التوبة ، آية رقم 123 .

(5) ورد هذا الحديث وما تلاه من كلام أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في صحيح البخاري

14/1 ، وكذلك في 105/2 ؛ وفي سنن النسائي 14/5 - 15 ؛ وفي سنن ابن ماجة 457/2 ؛ وفي سنن أبي

داود 411/1 .

قال الإمام رضي الله تعالى عنه :

فكل من منع فريضة من فرائض الله عز وجل فحق على المسلمين جهاده (1)
حتى يأخذوها منه ، فكيف من منع الإيمان والدين والسنة ؟ !

وقال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : « ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

ونلا قول الله عز وجل : « ولولا دفع (2) الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد » (3) ... الآية .

فكل هذه مما جاء به الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه مما يشهد بصدق ما أتى به وسعة علمه وعصمته ، * فكل هذه العلامات التي ناطها بالقوم الذين تول تغيير ما أتوا به دالة على أشراط الساعة وأنه - رضي الله تعالى عنه - هو الإمام المهدي المنتظر الموعود - رضي الله عنه - ، وهذا أمر قد وضع بيانه ، وصح برهانه ، وسطع ضياؤه ، وارتفع سناؤه ، فسيان الإسهاب (4) في ذلك والاختصار ، والإطناب والالاقتصار .

ومما رأينا كتبه في هذا المعنى لحسن مساقه ، وعجيب اتساقه :

(1) في الأصل : جهادهم .

(2) في الأصل : دفاع .

(3) سورة الحج ، آية رقم 40 .

(4) في الأصل : الانتهاب .

رسالة مخاطب بها أبو عبد الرحمن بن طاهر (1)
حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الأول الإمام
أمير المؤمنين أبا محمد عبد المؤمن بن علي
رضي الله تعالى عنه

يثبت فيها أمر الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه بالدليل والبرهان على
طريق المنازعة بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة بالسوء عقلا ونقلا
وهي هذه بنصها :

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على سيدنا محمد وآله .

(1) نظن أن المعنى هنا هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن طاهر المرسى ، وهو من أسرة بني طاهر المشهورة التي تداولت رئاسة مدينة مرسية Murcia وكورتها فترة طويلة ، وجده وسميه أبو عبد الرحمن بن طاهر هو الذي تغلب على مرسية أيام ملوك الطوائف حتى أخرجه منها واعتقله أبو بكر بن عمار وزير المعتمد بن عباد ، وتوفي أخيراً في بلنسية سنة 507 (راجع عن ابن طاهر هذا ابن بسام : الذخيرة - القسم الثالث ص 24-40 ؛ ابن عبد الملك : الذيل والتكملة 5/590 ، ترجمته 1165 ب ؛ ابن خاقان : قلائد العقيان ص 56-70 ؛ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص 160 ، 201-203 ؛ ابن سعيد : المغرب 2/247 ؛ وانظر الفصل الذي اختصه به وبينه المستشرق الأستاذ جاسبار رميرو في كتابه « مرسية الإسلامية » ص 105 - 116 ، Gaspar Remiro : Historia de Murcia Musulmana, Zaragoza, 1905 ، أما المقصود في هذا النص فقد ترجم له ابن الأبار (التكملة رقم 774 ص 238) وقال إنه تفقه ورحل إلى قرطبة وسمع من شيوخها وأجاز له ابن العربي وغيره ، وكان يذهب في جميع ما يحمله إلى الدراية ، ثم طالع العلوم القديمة فبرز فيها وصار من أئمتها ، وتولى رئاسة بلدة مرسية بعد انقراض دولة المرابطين ، وكانت وفاته بمراكش سنة 574 . ولعل ابن الأبار يشير إلى كتابته الرسالة الواردة هنا إذ يقول في ترجمته المشار إليها « وتلون للناس رغبة في السلامة » ، فهو يعني - على ما نرجح - ترفله إلى الموحدين بكتابة مثل ذلك ، ولعله من أجل هذه الرسالة كافأه عبد المؤمن بن علي بتوليته على بلدة مرسية كما ذكر ابن الأبار . وهناك ترجمة أخرى لابن طاهر في « الحلة السيرة » لابن الأبار أيضا (227/2 - 235) ، كما ترجم له أيضا ابن عبد الملك المراكشي في « الذيل والتكملة » ، المجلد السادس رقم 896 ص 338-339 ، فقال إنه طالع العلوم القديمة فبرز فيها وإنه « خاطب عبد المؤمن بمقالة علمية يقرر فيها صحة أمر المهدي القائم بأمر الله وبعث بها إليه ، ثم وفد بها عليه » ، وليس هناك شك في أن ابن عبد الملك إنما يعنى « بالمقالة العلمية » المذكورة هذه الرسالة .

أقول - بعد حمد الله تعالى والصلاة على محمد المجتبي وعلى عترته (1) أهل الفضل والنهي - .

[20 ب] بينما كنت متحير * النفس ، نازع الأنس ، لكوني مقيماً في مدن جاهلية ، وسير فاسدة خسبية ، وفتن مدلهمة ، وأمور على الجملة مخيفة مهمة ، إذ كان كل ذى فتنة منهم يدعو إلى الشرور المحظورة ، ويضطرنا إلى أن ندخل معه في الأمور المخدورة ، متشوقاً إلى مدينة فاضلة ، وإمرة عادلة ، وسيرة شرعية كاملة ، نجب الهجرة إليها عقلاً وشرعاً ، من جهة أنها حق طبعاً ، غريباً في هذه الدنيا ، ردى العيش خير لي أن أموت من أن نحيا - إذ وافاني بعض الإخوان معلماً أنه من المهاجرين إلى حضرة إمام الموحدين المسمى حقيقة بأمر المؤمنين عبد المؤمن ابن علي رضي الله تعالى عنه ، فتسمت ريح الحياة اللذيذة الشرعية ، واستشعرت الإزاحة عن هذه المدن الضالة الجاهلية ، وقلت : عسى أن الحياة الآن هي الخير ، لزداد من فعل ما نسعد به ، إذ قد ارتفع العائق والضير !

ثم إنه نازعتني نفسي النزوعية ، وقالت لي :
- أنى لك بحقيقة هذه الأرجية ؟ !
وردت عليها النفس المطمئنة الفكرية :

[21 أ] وهذه النفس النزوعية هي التي عناها القائل * بقوله :

أقول لنفسي حين فاجأها الردي ولاذت (2) فراراً من يسار إلى يميني
قرى تحملي بعض الذي تكرهينه فقد طالما اعتدت الفرار إلى الأهنى

والنفس اللائذة هي النزوعية ، والقائلة للنزوعية : « قرى تحملي ... » هي المسماة عند نحوي العرب ضمير المتكلم ، وهي النفس النطقية الفكرية ، وهذا بعينه عنى القائل بقوله :

قالت لى النفس لاني في أذى وقذى فقلت : صبراً وإجمالاً كذا يجب

(1) في الأصل : عترته .

(2) في الأصل : ولات .

وهذه النفس النطقية هي النفس المطمئنة التي قال الله تعالى فيها : ﴿ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارجعى إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ (1)

والنفس النزوعية هي التي قال الله تعالى فيها : ﴿ إن النفس لأماراة بالسوء ﴾ (2) وهي التي تضاد كثيراً النفس المطمئنة ، وذلك أنه إذا حكمت النفس المطمئنة أن الإمام المهدي أبا عبد الله محمد بن عبد الله الفاطمي - رضي الله تعالى عنه - مهدي على الحقيقة ، وملك على الإطلاق ، وإمام أول ، وأنه الذي بشر به جده محمد صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، فكان ينتظر ويؤمل - قالت الأماراة بالسوء : - وكيف ذلك ؟

قالت المطمئنة :

[21 ب] - ألم تكن مدن المثلثين مدناً ضالة فاسقة خبيثة ، * ندلة في الغاية ، ثَغْلِيَّةٌ حسباً تقدم وبين في « رسالة الإمامة » ؟ وكان كل إنسان يظن لضعف يقينه أن خلعه من الخيال ، وأنه لا يستطيع عليه على حال ؟ وإنهم سرحوا الناس وأنفسهم إلى الأفعال البهيمية ، وأزاحوهم وأزاحوا أنفسهم عن الأفعال الجميلة الشرعية ، وجعلوا الناس شبه الآلات ليستبدوهم (3) بالأموال والكرامات ، وبالجملة بجميع اللذات ؟ نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، « ومن يضل الله فلن تجد له ولياً مرشداً » ؛ (4) وإن المهدي أبا عبد الله محمد بن عبد الله - رضي الله تعالى عنه - قام لإطفاء هذه النار مستعداً ، إذ لم يجد عن ذلك في الشريعة بدا ، فبادر - رضي الله تعالى عنه - لها مشمراً مجدداً ، وذكرنا الأوضاع النبوية ، ونبه على الطرق الشرعية ، وحض على المسالك الأخروية ، وخسّس تلك السير الجاهلية ، والسياسات الفاسقة

(1) سورة الفجر ، آيات رقم 27 - 30 .

(2) سورة يوسف ، آية رقم 53 .

(3) كذا ، وهي تحتل وجهها من التأويل ، يعني يستبدوا بهم ، وقد تكون تحريفاً للفظ

« يستبدوهم » .

(4) سورة الكهف ، آية رقم 17 .

الدنياوية ، فأعانتته الحكمة الإلهية ، ⁽¹⁾ وأتى في ذلك بالعجب العجيب ، والأمر الغريب ، والله عز وجل يؤيده وينصره ، ويصرف إليه نفوس أهل التوحيد ويظفره ، حتى أعلى به كلمة أهل التوحيد ، وجعله رحمة لقوم مؤمنين ، وأتاح له من الظهور ، والسنا المشهور ، ما ملأ الأقطار البسيطة واستوفاه ، وأوفى * بالأمنية على منتهاها ، والأمر حتى الآن ينساق ويتصل ، ويطرود ولا ينفصل ، وكل ما جاء به هو الذي ندب إليه جده صلى الله تعالى عليه وملائكته الكرام وسلم . أيها الناس ، فليس هذا قد جاء بهدي ؟ فهو مهدي حقيقة ضرورة .

فقلت الأمانة :

- بلى ، سلمت ، وألقيت بيدي إليك في البيان واستسلمت ، ⁽²⁾ فكيف هو إمام أول ، وملك على الإطلاق ؟

قالت المطمئنة :

- أليس القول قد تواتر عندنا أنه آثر ما ينبغي أن يؤثر ، واجتنب ما ينبغي أن يحتجب ؟ وهل تحصل هذه الخصال لإنسان حتى يعرف الفضائل التي هي فضائل بالحقيقة حق معرفتها ، ويعود نفسه أفعالها حتى تصير له هيئة وملكة ، ويعرف الفضائل ثلاثة حسبا قد تبين في كتابنا في « الفضيلة والرياسة » ؟ وهل تصح المعرفة بهذه على وجهها إلا لمن عرف مراتب الموجودات ، وله قدرة على إنزال كل شيء منها منزله وتوفيقه حقه ، حقه الذي هو قسطه ورتبته ⁽³⁾ من مراتب الموجودات ؟ وهل يمكن ذلك حتى يعلم السعادة القصوى بالحقيقة ما هي ، ويحصل أفعالها كلها لتحصل له السعادة ، وتديروا الناس تديراً يحصل لهم به السعادة ؟

وإذا نحن تأملنا أفعال المهدي رضي الله تعالى عنه في خاصة نفسه المتواترة عندنا وجدناها فضائل بالذات خافية ، وإذا تأملنا تديروا للناس وجدناه كله

ينحو نحو السعادة الحقيقية ، فهو عارف ضرورة بالمهنة الملكية ، وبالفضائل العملية ، وإذا تأملنا تواليفه في العلوم وأغراضه وإغماضه - كما حكى لنا عنه أنه ذكر له أمر الرجل المعروف بالغزالي - كان - ، فقال : « ذلك الرجل قرع الباب ولم يفتح له ! » ، أو « ولم يؤذن له » أو « ولم يلج » ، حسبا قال باختلاف الروايات عنه - ومشاكل هذه الأغراض السنية الرفيعة التي لا تصدر إلا عمن استولى على المعارف النصرية ، ⁽¹⁾ وتواليفه تشهد لنا بحقيقة هذه القضية ، فإذا هو عارف بالفضائل الفكرية ، والفضائل الخلقية ، وهذا هو الإمام الأول الذي يستحق أن يكون ملك المعمورة الكونية ، وارتفعت درجته عن أن يكون خادماً لشيء من الأجزاء المدنية ، بل مدبراً لكل ، حتى تحصل للناس السعادة الحقيقية . ذلك هو الفوز العظيم !

وهذا هو الإمام الأول على الإطلاق ، أي يستحق أن يكون ملك الناس أجمع بالواجب والاستدلال ، ⁽²⁾ إذ عنده صناعة الملك ، وتدير المدن قولا وفعل ، لا يفوته شيء من ذلك أصلا ، اتفق أن أطاعه ناس أم لا ، وهو في ذلك كالطبيب العارف بصناعة الطب ، فهو طيب في الحقيقة وإن لم يستفته ناس * ولا عالج مريضا ، هذا هو الحق في نفسه .

ولما رأى أقوام ألا ⁽³⁾ يوقعوا اسم الملك على من لم يكن مطاعا في مدينة ، وآخرون يضيفون ⁽⁴⁾ إلى ذلك القهر والتخويف - قلت إنه ملك على الإطلاق ، أي على كل جهة من الوجوه ، إذ كان رضي الله عنه مطاعا يقهر الظالم ويخوف الفاسق ، ولما كانت هذه اللفظة - أعني « على الإطلاق » - تقع على معنى قولنا « على التحقيق » وتقال على أنحاء شتى منها هذان النحوان : ⁽⁵⁾ أنه ملك على

(1) لعلها : النظرية .

(2) في الأصل : والاستهلاك ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

(3) في الأصل : لا .

(4) في الأصل : يصيغون .

(5) في الأصل : هذين النحوين .

(1) في الأصل : إلهية .

(2) في الأصل : واستلمت .

(3) قد تكون أيضا : ومرتبته .

التحقيق ، وعلى كل جهة أيضا - فإذا قد صدق القول في المهدي إنه - رضي الله تعالى عنه - مهدي على الحقيقة ، وإنه ملك على الإطلاق ، وإمام أول .

قالت الأمانة بالسوء :

- لا جرم ما قضى به الحق تبين ، فانقدت لذلك وأذعنت ، بيد أنه بقيت واحدة ، فأنى لك بها ؟ وكيف أنقاد لك فيها ؟ وهي قولك : إنه ⁽¹⁾ الذي بشر به صاحب الشريعة صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ؟

قالت المطمئنة :

- الآن تقهرك الحجج ⁽²⁾ الشرعية ، وتبهرك الأقاويل المقنعة الحقيقية : أليس أيتها الأمانة بالسوء ⁽³⁾

[قالت الأمانة بالسوء : ⁽⁴⁾]

- بلى !

قالت المطمئنة :

- ورسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي * يوحى ؟ ⁽⁵⁾

فقالت الأمانة بالسوء :

- بلى !

قالت المطمئنة :

(1) في الأصل : إن .

(2) في الأصل : الحجاج .

(3) يظهر أن كلمات سقطت من هذا الموضع على الرغم من أن الناسخ لم يترك في موضعها

بهاضاً .

(4) زيادة يقتضها السياق .

(5) إشارة إلى الآيات القرآنية « وما ينطق عن الهوى .. الخ » ، سورة النجم ، آية رقم 3-4 .

- فلينظر الآن أوصافه - عليه الصلاة والسلام - للمهدي الذي بشر به أنه يكون في آخر الزمان ، فإن صدقت تلك الأوصاف على المهدي أئى عبد الله محمد بن عبد الله - رضي الله تعالى عنه - لزمك أن تتقضى إلى الحكم بأنه المهدي الذي بشر به رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم .

فقالت الأمانة بالسوء :

- لا أسلم لك نتيجة هذا القياس ، إذ ليست ضرورية ، ولا أصفقت عليها إصفاقا ، وعسى أن تكون تلك الصفات اتفقت فيه اتفاقا ، ثم إن المهدي المبشر به الحامل لتلك الصفات سيأتي في المستقبل ، فأنى لك أن هذا هو المبشر به المنتظر المؤمل ؟

قالت المطمئنة :

- هيات ! قد تناقضت أيتها الأمانة بالسوء ولم تشعري ، وكفرت من حيث لم تدبري ! وذلك إذ ⁽¹⁾ قلت « وعسى أنه اتفق » إن وجدت فيه صفات المهدي ، فليس هو أحق أن تقولي فيه هذا من أن تقوله في الذي يأتي في المستقبل على ظنك الردى ، وكذلك إلى غير * نهاية ، ولا أمد أقصى ⁽²⁾ ولا غاية ، ⁽³⁾ فإذا قد بشر رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم بما لا يعرف أصلا ، فإذا لم يخبر عن معنى مفيد بل قال قولا بشارته باطلة إذ لا يتوصل إلى حقيقتها فادن - فضلا ، ⁽³⁾ - وهو إنما بشر بشيء له عنده معنى - فإذا به ينطق عن الهوى ، وقد سلمت أنه لا ينطق عن الهوى ، ومن قال إنه ينطق عن الهوى فقد كفر قطعاً ، عقلاً وشرعاً ، فإذا بك كما قلت تناقضت من حيث لم تشعري ، وكفرت من حيث لم تدبري ! وما مثلك عندي إلا مثل يهود الذين قال الله تعالى

(1) في الأصل : إذا .

(2) في الأصل : أقصى .

(3) كذا في الأصل : ولم تهتد إلى وجهه في تأويلها .

فهم » وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴿ (1)

وذلك أن يهود كانوا أهل كتاب وعلم ، وكانت الخزرج أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانت يهود معهم في بلادهم ، وكانوا قد غزوهم بها ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبيا مبعوث الآن ، قد أظلم زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما بعث الله تعالى رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم وعرفوا صفته واسمه وزمانه الذي كانوا يتوكلون عليه (3) عتوا على الله وأنكروا وقالوا : ليس هو هذا ، وإنما يأتي في المستقبل ! - أو كما قالوا - فكفروا ، ألا لعنة الله على الكافرين .

وكذلك مثلك * أيتها الأمانة بالسوء مع المهدي رضي الله تعالى عنه .
قالت الأمانة بالسوء :

- صدقت ، وبالحق نطق ، فقد انقادت في ذلك إليك ، والآن بقيت واحدة : عليك أن تذكر لي الصفات التي وصف بها النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم المهدي ، ثم ننظر : هل تصدق على المهدي المذكور ؟ فإن صدقت أقررت بذلك ، وانقادت (4) الأمور لك .
قالت المطمئنة :

- أهلا وسهلا ! لقد قلت فأحسن قولاً .

ذكر الترمذي (5) في كتابه من طرق شتى عن النبي صلى الله تعالى

وملائكته الكرام عليه وسلم أنه قال : لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل (1) من أهل بيتي ، يواطىء اسمه اسمي .

ومن طريق أبي هريرة : (2) لو لم يبق (3) من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي ... وصحح الحديث .

وذكر أبو داود (4) هذا الحديث من طرق كثيرة بزيادات في الحديث ، فمن زياداته : ... لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني - أو من أهل بيتي - يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي . وزاد من طريق أبي بكر : ... يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً ؛ ولم يذكر العرب في الملك .

وذكر أبو داود (5) عن النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم «
أنه قال : المهدي من عترتي (6) من ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها .

وخرج أيضاً عن علي رضي الله تعالى عنه أنه نظر إلى ابنه الحسن ، فقال رضي الله تعالى عنهما : ابني هذا سيد كما سماه النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم ، يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق ، يملأ الأرض عدلاً .

وذكر الترمذي (7) عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : خشينا أن يكون بعد نبينا صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، فقال : إن في

(1) في الأصل : رجلاً .

(2) انظر هذه الزيادة في عارضة الأحوذ 75/9 .

(3) في الأصل : يبقى .

(4) انظر سنن أبي داود 207/2 - 209 .

(5) نفس المرجع 208/2 .

(6) في الأصل : عترتي .

(7) عارضة الأحوذ 75/9 .

(1) سورة البقرة ، آية رقم 89 .

(2) في الأصل : أضل .

(3) أي يتوقعونه ويبتغونه .

(4) في الأصل : وانقادت ، وقد تكون العبارة « وانقادت في كل الأمور لك » .

(5) انظر عارضة الأحوذ لأبي بكر ابن العربي الإشبيلي في شرح صحيح الإمام الترمذي (ط .

القاهرة سنة 1934) 74/9 .

أمّتي المهدي ، يخرج فيعيش خمسا أو سبعا أو تسعا - زَيْدٌ ⁽¹⁾ الشاك ، يعني الراوي - ، قال : وقلنا : ما ذاك ؟ قال : سنين . قال : فيجيء إليه الرجل ، فيقول : يا مهدي ، أعطني ! قال : فيحشى في ثوبه ما استطاع أن يحمله !

فهذه الصفات وصف بها رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، ومواطأة اسم أبيه ، وأنه منه ومن أهل بيته وعترته ومن ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها ، وأنه يعيش خمس سنين أو سبعا أو تسعا بعد خروجه ، وأنه يملأ الأرض قسطا وعدلا ، وأنها كانت قبل خروجه مملوءة ظلما وجورا ، * وأنه يأتي إليه الرجل فيقول : يا مهدي ، أعطني أعطني ! فيحشى في ثوبه ؛ وما قاله علي رضي الله تعالى عنه أنه من صلب الحسن ، يشبه النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم في الخلق لا في الخلق ، والأمر محمول على أن ذلك إنما علمه من النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، إذ ليس هذا مما يدرك بفكر وروية ، ⁽²⁾ إذ هو علم بمُعَيَّب .

فإذا كانت هذه الصفات عينها ⁽³⁾ عندنا ، ونظرنا هل تصدق على المهدي المذكور رضي الله تعالى فوجد القول قد توازن عندنا : أن اسمه محمد ، فقد واطأ اسمه رضي الله تعالى عنه اسم محمد رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم - قلنا : هذه واحدة قد صدقت .

(1) روى الترمذي هذا الحديث عن محمد بن بشار عن محمد بن جعفر عن شعبة عن زيد العمى (بفتح العين وتشديد الميم) عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري عنه عليه السلام . والمقصود أن الشك في عدد تلك السنين إنما هو من قبل زيد العمى المذكور في السند . وأما زيد هذا فهو زيد بن الحواري البصري قاضي هراة (انظر الخزر جي : خلاصة تذهيب الكمال - ط . القاهرة سنة 1322 هـ - ص 108) .

(2) في الأصل : ورؤية .

(3) في الأصل : عبيده .

ثم وجدنا القول قد توازن عندنا : أن اسم أبيه عبد الله ، فإن اعترض ملحد فإن التواريخ تشهد بأن عبد الله بن إدريس [بن إدريس] ⁽¹⁾ بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم كان أميراً لبلاد السوس ⁽²⁾ الأقصى ، ولاشك أن الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من بمحوبة بيته ، فقد صح أن اسم ⁽³⁾ أبيه عبد الله ، وأن تومرت لقب له ، فثبت أن له رضي الله تعالى عنه جدتين : قريباً وبعيداً ، كل واحد منهما عبد الله ، والجد أب لا محالة . ولا منازعة في هذا بين العقلاء ، وقد واطأ ⁽⁴⁾ اسم أبيه اسم [أبي] ⁽⁵⁾ النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم . قلنا : وهذه الثانية قد صدقت .

ثم وجدناه من ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها ، فهو من أهل بيته صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ؛ ومن عترته صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، إذ عترته أعم من ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها ، إذ قد تقع على ذريته وعشيرته الأذنين ، قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : نحن عترة رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم التي خرج منها ، وبيضته التي تفقأت عنه ، ولأجل هذا قال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم بأثر قوله عن المهدي رضي الله تعالى عنه إنه من عترته إنه من ولد فاطمة ليرفع الإشكال ، ويزيل الاحتمال ؛ وهو أيضا رضي الله تعالى عنه من النبي صلى الله

(1) زيادة تقتضيها صحة الاسم ، إذ هو حفيد إدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة الذي لم من وقعة فخ قرب مكة سنة 169 ودخل المغرب الأقصى سنة 172 ، فبايعه أهل المغرب الأقصى واستقام له الأمر حتى توفي سنة 177 ، وخلفه ابنه إدريس الذي حكم حتى سنة 213 . أما عبد الله المذكور هنا فإنه من أبناء إدريس ، ولكنه لم يتول الأمانة (انظر السلاوي الاستقصا 1/171 ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 49 ؛ وابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم المغربي ، الدار البيضاء 1964 ، ص 204) .

(2) في الأصل : السوسي .

(3) في الأصل : أحمد ، ولا معنى لها هنا ، ولعلها تحريف عما أثبتنا .

(4) في الأصل : وطئ .

(5) زيادة يقتضيها السياق .

تعالى عنه وملائكته الكرام عليه وسلم من وجه آخر ، وهو لقيامه بشريعته ودينه وسيرته ، كما تقول « أنا من فلان ، وفلان مني » أي أمرنا واحد وأغراضنا واحدة .
 26 ب | فإن لفظة « من » ⁽¹⁾ مشتركة تقع على هذا النحو * وعلى النحو المتقدم ، وكلا النحويين من صفة المهدي رضي الله تعالى عنه ، إذ قام بشريعته ، وهو من أهل بيته ، قلنا : وهذه الثالثة أيضا قد صدقت .

ثم وجدناه رضي الله تعالى عنه إذ قام بشريعته وهو من أهل بيته قد عاش بعد خروجه تسع سنين على ما تواتر به القول ، وهي أحد ما شك فيه زيد ، فعلمنا أنه الحق ، فهي إذن التي أخبر بها النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، إذ إنما يخبر عن الحق ، فإنه لا ينطق عن الهوى ؛ على أنه قد روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم قال : يكون المهدي في أمتي سبعا إن قصر ، وإلا فثمانيا وإلا فتسعا ؛ ⁽²⁾ فهذا حكم على التسع . قلنا وهذه الرابعة أيضا قد صدقت .

ثم وجدناه أيضا قد ملأ الأرض قسطا وعدلا حسبما تقدم القول في ذلك ، إذ كل بلد انقاد له فنظمته سياسته ، وحكمته إمارته العادلة ورياسته - أثبت فيه القسط بين الناس والعدل ، وتملك نفوس ساكنيها السكينة والفضل ، والبلاد في زمان تنقاد له طوعا وتنساق ، أو تنقاد إلى ملكه كرها وتنساق * وذاك بين محسوس لا مدفع فيه ، فإنه إذن قائم بأمره بعد وفاته ، فالحكم في ذلك حكمه في حياته ، وهذا بين ، قلنا : وهذه الخامسة قد صدقت .

ووجدنا أيضا الأرض حين أذن الله تعالى له بخروجه قد كانت امتلأت ظلما وجورا ، فقد كان للمثممين وغيرهم من الظلم والجور ما حصل من الشهرة والظهور ، أن كان غير خاف عند الخاصة والجمهور . وهذه السادسة قد صدقت أيضا .

(1) في الأصل : منى .

(2) انظر سنن أبي داود 208/2 ؛ وسنن ابن ماجه 518/2 .

ثم وجدناه أيضا أنه كان يأتيه الرجل فيطلب منه قوته ويناديه : يا مهدي ، أعطني أعطني ! الحديث أنه [لا] ⁽¹⁾ يأتي إليه رجل واحد مشار إليه حتى تكون الألف واللام للعهد ، إذ لم يتقدم ذكر لرجل ما ولا عرف به صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، فهي إذن للجنس فإذا معنى الحديث أنها سيرته ، فإنه من أتى إلى ذلك فقد أتى إليه حسبما تقدم القول فيه ، فيقول : يا مهدي ، أعطني . وإن لم ينطق بذلك لسانه فهو يقوله بضميره ، والقول في الحقيقة هو في الذهن حسبما تبين في الصناعة التي شأنها أن يتبين فيها . « فحشى في ثوبه ما استطاع أن يحمله » أي ما استطاع أن يحمل مما هو له عدل وقسط ، فهو قد بالغ في إعطائه إذ لم ينقص ⁽²⁾ له من حقه شيئا . وذلك هو الذي يستطيع ثوب المؤمن الموحد أن يحمله ، فإن الزيادة على العدل ظلم لا يستطيع ثوب المؤمن الموحد أن يحمله . وقد يحتمل أن يحمل الحديث على ظاهره . وقد جاء أن ⁽³⁾ المهدي « رضي الله تعالى عنه قد فعل ذلك إذ أفاء الله تعالى عليه رغائب الأنفال ، واملأت أيدي الموحدين من أموال أهل الضلال ، وفعل ذلك جائز للإمام ، وكان رضي الله تعالى عنه أعلم الناس بالحلل والحرام ، والتأويل الأول أحسن ⁽⁴⁾ قلنا : وهذه السابعة قد صدقت أيضا .

وما قاله علي رضي الله تعالى عنه أنه من صلب الحسن رضي الله تعالى عنه ، يشبه النبي ﷺ في الخلق ولا يشبهه في الخلق ، فهذه الصفات الثلاث صادقة على المهدي رضي الله تعالى عنه ، إذ هو من ولد الحسن رضي الله تعالى عنه حسبما ذاع واشتهر ، واستفاض وظهر .

(1) زيادة يقتضيها السياق .

(2) في الأصل : تنقص .

(3) في الأصل : ويوجد .

(4) في الأصل : حسن .

وأما خُلُقُه رضي الله تعالى عنه فقد تواتر القول بأنه كان محبا في الحق ، مؤثرا للصدق ، وكذلك قام بإحياء الحق والحق إذ ذاك غير موجود العين ، ووعد أصحابه بمواعيد اتضح لهم صدقها اتضح الصبح لدى عينين ، وكان محبا في العدل وأهله ، مبغضا في الظلم وأصله ، جيد الفهم في الغاية من الذكاء ، ⁽¹⁾ يعطي الإنصاف من أهله وغيرهم بالسواء ، ويرثي لمن حل به الجور كل الرثاء ، سهل الانقياد إذا دعى إلى الحق ، لا عوج ⁽²⁾ ولا جموح ، صعب الانقياد إذا دعى إلى الباطل لا مُقَدِّم عليه ولا سَمُوح ، قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل جسورا ، لا ضعيف النفس ولا خائفا محسورا ، وكان الدرهم والدينار هينين ⁽³⁾ عنده ، * وكذلك سائر أعراض الدنيا ، كبير النفس ، عالي الهمة ، تسمو نفسه إلى الأرفع من الأمور والأعلى ، حسن العبارة عما في ضميره جدا ، لا يرهقه التعليم تعباً ولا كدا . وهذه كانت أخلاق جده عليه الصلاة .

ولما كانت هذه الأخلاق في النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، ⁽⁴⁾ وذلك كإثنين يخرجان من عين واحدة قال فيه علي رضي الله تعالى عنه : يشبه النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم في الخُلُق لا في الخُلُق ، وهذا هو حقيقة التشابه .

وبين مما تواتر أن خُلُقَه رضي الله تعالى عنه لم يكن كخُلُقِ رسول الله ﷺ ، فإذا جمع ما قال علي رضي الله تعالى عنه من صفة المهدي رضي الله تعالى عنه يصدق كلها على المهدي المذكور رضي الله تعالى عنه . فإذا الثامنة والتاسعة والعاشر قد صدقت .

(1) في الأصل : والذكاء .

(2) كذا ، ولعلها : أعوج أو أهوج .

(3) في الأصل : هين .

(4) في الأصل : السلام .

ويمكن من زوال الاستقصاء عن حديث رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم أكثر من مزاولتي أن نجد أحاديث في صفة المهدي زائدة لما ذكرته من بيان وتمهيد ، على أن في ذلك كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

قالت الأمانة بالسوء :

- أبدعت فيما جمعت ، بيد أنه قد وردت أحاديث عن النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم في صفة المهدي ، لا تصدق تلك الصفات على المهدي المذكور . من ذلك : قوله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم « إنه يملك * العرب » ، ⁽¹⁾ وهذا لم يملك العرب ؛ ومنها قوله عليه الصلاة والسلام : « يكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج رجل هاربا من أهل المدينة ، فيأتيه ناس من أهل مكة ، فيخرجونه وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام » ... الحديث ⁽²⁾

قالت المطمئنة :

- أما حقيقة هذا الاعتراض ، فلا يحتاج الانفصال عنه إلى إغماض . أما ما ذكرته أولاً من أنه قال عليه الصلاة والسلام « يملك العرب » وذلك لم يملك العرب فقولك إنه لم يملك العرب قول كاذب ، فلذلك لزم عنه كذب ، وذلك إنه قد تواتر القول عندنا إن الأمة الموحدة التي قام فيها ونهى كثير ⁽³⁾ منهم أو أكثرهم من

(1) انظر سنن أبي داود 207/2 .

(2) بقية الحديث كما جاء في المرجع السالف الذكر في الحاشية السابقة (سنن أبي داود 208/2) : « . . . »

فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويبعث إليه بعث من أهل الشام ، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب ، فيبعث إليهم بعثاً ، فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب ، والخبية لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبهم ﷺ ، ويلقى الإسلام بجرانه إلى الأرض ، فيلبث سبع سنين ، ثم يتوفي ويصلى عليه المسلمون .

(3) في الأصل : كثيراً .

العرب ، ⁽¹⁾ فإن هذه الصفة هي أجدر أن تكون من الصفات التي يستدل [منها] على أنه المهدي رضي الله تعالى عنه الذي بشر به رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم من أن تكون من الصفات التي تدل على خلاف ذلك .

وأيضاً فإنه لو لم يكن في القوم الذين قام فيهم عرب ولا ملك إلى ⁽²⁾ الآن عرباً لم يكن ذلك دليلاً ⁽³⁾ على أنه ليس بالمهدي المبشر به ، لأنه كما تقدمت فقلت إنه سيملك العرب والعجم ، وإن ذلك ينساق له محسوساً لا مدفع فيه ، وإن من قام بالأمر بعده فهو كحياته .

[في الرسالة ⁽⁴⁾ لسيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبي يعقوب رضي الله تعالى عنه إلى الناس [من] تونس عام قفصة - وقد جرى ذكر استجلابه لعرب [29 أ] * رياح وانقيادهم إلى مفارقة إفريقية والجواز إلى الأندلس للجهاد - ⁽⁵⁾ ما نصه :

(1) في الأصل : الغرب .

(2) في الأصل : إلا .

(3) في الأصل : دليل .

(4) هذه الفقرة الموضوعية بين حاصرتين من الواضح أنها ليست من صلب رسالة أبي عبد الرحمن ابن طاهر ، وإنما هي تعليق من مؤلف الكتاب - أي ابن القطان - على ما يتعلق بملك المهدي للعرب تحقيقاً لما بشر به النبي ﷺ في الأحاديث النبوية التي سلف إيرادها عن ظهور المهدي . وقد أقحم ابن القطان هذا التعليق تدليلاً على صحة ما ذكره ابن طاهر .

(5) يشير المؤلف إلى غزو الخليفة الموحد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي لبلاد إفريقية وفتحها لقفصة في سنة 575 ، وما تلا ذلك من استنزال عرب قبيلة رياح وإخراجهم إلى الأندلس برسم الجهاد (عن هذه الأحداث انظر عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 252 ؛ ابن عذاري : البيان المغرب الجزء الخاص بالموحدين ، ط . بيروت 1985 - ص 140 - 141 ؛ ابن خلدون : العبر 240/6 - 241 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 212 ؛ السلاوي : الاستقصا 147/2) . وقد أشار ابن عذاري فيما كتبه نقلاً عن ابن صاحب الصلاة إلى الرسالة التي وجهها الخليفة الموحد بهذه المناسبة والتي اقتطف منها ابن القطان هذه الفقرة ؛ وهذا وقد كان من بين الرسائل الموحدية التي نشرها ليفي بروفنسال تحت عنوان « مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية » (ط . الرباط سنة 1941) -

« وفي هذه - وفقكم الله - شهادة ⁽¹⁾ بينة ، ودلالة واضحة ، على صحة ما روى عن رسول الله ﷺ من قوله : لا تقوم الساعة حتى يملك العرب رجل مني الحديث ، فذكر عليه الصلاة والسلام العرب تفخيماً لشأنهم ، واعتناء بأمرهم ، وتنبيهاً على عظيم المنة في ملكهم ؛ وأمر الإمام المهدي هو الذي هداهم وأرشدهم ، ونظمهم على الطاعة وجمعهم ، وقادهم إلى السعادة وجبرهم » .
ففي هذا الفصل من هذه الرسالة بسيط لما قرره ابن طاهر ⁽²⁾ هنا وموافقة له عليه [.

فلو خلصت أيتها الأمانة بالسوء [ما] تقدمت فقلت لأعرض ⁽³⁾ إعراضاً ، عن أن تجعل ⁽⁴⁾ هذا اعتراضاً ؛ ويكون على هذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام « يملك العرب » أن يملك جميع أصناف الناس حسبما وعد الله تعالى به في محكم كتابه حيث قال : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » ، ⁽⁵⁾ لأنه إذا ملك العرب الذين هم أعتى الناس أصنافاً وأعسرهم انقياداً ، فأحرى ملك غيرهم ؛ قال الله تعالى : « الأعراب أشد كفرة ونفاقاً » ، ⁽⁶⁾ وهي تتمدح بذلك فتقول : « حي لقاح » ⁽⁷⁾ يعنون بذلك أن الحي

= رسالة كتبها عن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أبو الفضل ابن طاهر ابن عسوة في سنة 576 بهذه المناسبة ، ولم يرد النص المنقول هنا في هذه الرسالة وإن كانت فيه عبارات تؤدي نفس معنى ما يشير إليه ابن القطان : « ... وأن الله وعد هذه الطائفة المنصورة - أي الموحدين - أن تملك العرب ، كما بشر به المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ... » (انظر الكتاب المذكور ، الرسالة السادسة والعشرين - ص 125) .

(1) في الأصل : بشهادة .

(2) في الأصل : ابن طاهر .

(3) في الأصل : لا أعرضت .

(4) في الأصل : تجعل .

(5) سورة الأنبياء ، آية رقم 105 .

(6) سورة التوبة ، آية رقم 97 .

(7) يقال « حي لقاح » بفتح اللام - أي لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم في الجاهلية سباء ، =

لم يملكوا ولا ملك آباؤهم ، ولذلك لا يؤلف بين قلوبهم إلا بأمر إلهي ، كما قال الله عز وجل ﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، إنه عزيز حكيم ﴾ (2)

[29 ب]

وأما إتيانك بالحديث الذي خرج أبو داود رحمه الله تعالى وذكر فيه قصة الركن والمقام توهمين وتغالطين أن الحديث في المهدي - وهل ذكر النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم أن ذلك الرجل هو المهدي ؟ أو هل ذكر فيه عن ذلك الرجل ما ذكر في المهدي من كونه من عترته أو « موافقة اسمه اسمي » مما يستدل به استدلالا بينا على أنه عنى به المهدي ؟ وإنما غلطك في ذلك أمران : أحدهما أن وافق لبته للبت (3) المهدي ؛ والثاني أن أبا داود أدخله في جملة أحاديث المهدي رضي الله تعالى عنه ؛ وهل نمنع نحن أن يقوم بالحق أقوام ؟ وأن النبي - صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم - بشر بهم ؟

فإن كنت مغالطة (4) بذلك ، أيتها الأمانة بالسوء ، فقد تبينت مغالطتك ؛ وإن كنت غلطت فإن هذا لمن الغلط القبيح . فلو مارست صناعة القياس بعض ممارسة (5) ، وزاولت ذلك أقل مزاولة ، لما قلت إن النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم إنما أخبر بذلك الرجل عن المهدي لكونه صدقت عليه صفة واحدة من صفات المهدي . وهى اللبث على أنه إن كان ذلك عندك قياسا فبالحرى أن يكون قياسا يصدق عليه من صفات المهدي صفات جمّة . أتركين * الأقوى ، وتميلين إلى الأضعف الأوهى ؟ لقد خرجت من القوم « الذين يسمعون القول ،

10 أ

فيمتنعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » (1) ﴿ من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ﴾ (2) .

وأما إلزام ذلك لكون إنسان ما أدخله في جملة أحاديث المهدي فهذا إلزام باللفظ لا بالمعنى ، ولسنا بمقاومة هذا الإلزام نُعنى ، وبالجملة فكل حديث رواه في مصنف صحيح من قيام إنسان بالحق ووصفه بصفات لا تطابق صفات المهدي رضي الله تعالى عنه فإن ذلك القائم بالحق لم يقل فيه النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم إنه المهدي ولا وصفه بصفات المهدي . وأنا قد بحثت واستقصيت وفحصت ؛ ومن زعم أن المهدي ينزل بيت المقدس فقد زاد في الحديث ما لم يذكر في مصنف صحيح ، وكذلك من قال إنه يخرج من مكة لم يقع في مصنف صحيح .

وأما ما وقع في كتب الحدّثان فإن جعلنا ذلك إقناعا فقد وقع بأيدي كثير من أهل هذه الجزيرة (3) - أصلحها الله تعالى وسددها ، ونظمها عجلا بسيرة المهدي رضي الله * تعالى عنه ومهدا - كتاب صغير (4) في جرمه يحتوي على 10 عظام في علمه ، يذكر أن المهدي يخرج بجبل درن ، فيفعل ويصنع ، وعدد أشياء كثيرة صدرت كلها من فعل المهدي رضي الله تعالى عنه ، ووجدت صنعه بالفعل بعد أن كانت موجودة بالقوة ، وذكر أن أتباعه وأنصاره وأشياعه مصمودة ، وذكر أنه سيسبي حتى يبلغ السبي في بلاد البربر أن تباع الجارية البربرية بخمسة دراهم ، وأنه سيجوز إلى الأندلس خليفته ، فيكون ويكون حتى يصل إلى مكة فيبايع بين الركن والمقام . ثم ذكر في ذلك ما جاء مما وردت به الأحاديث عن النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم قال : « وتكون بيعته بمكة بين الركن والمقام » ، سوى البيعة التي تكون في المغرب ، وقد تقدمت .

(1) سورة الزمر ، آية رقم 18 .

(2) سورة الكهف ، آية رقم 17 .

(3) يعنى بلاد الأندلس .

(4) في الأصل : كتاباً صغيراً .

أنشد ابن الأعرابي :

أبوا دين الملوك فهم لقاح إذا هيجوا إلى حرب أشاحوا

وهذا اللفظ مشتق من لقاح الناقة لأنها إذا لقحت لم تطاوع الفحل وليس يقوى عليها .

(2) سورة الأنفال ، آية رقم 63 .

(3) في الأصل : لبته للبت .

(4) في الأصل : غالطة .

(5) في الأصل : مارست .

فقلت :

لا فرق بينه وبين من قام بأمره بعده ، ولوضوح هذا الأمر وكثرة هذا المعنى قال من لم يثبت في قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ⁽¹⁾ ﴾ إنه أراد شريعته وسيرته ، وقد وردت [في هذا المعنى] ⁽²⁾

« إن النفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم ربي ﴾ ⁽³⁾ أيها النفس المطمئنة ! نعم ، صدقت وأرشدت ، واستجذبتك البيان فأجذبت ⁽⁴⁾ ! ﴿ الآن حصحص الحق ﴾ ⁽⁵⁾ وأجذبت منه الغرر والأوضاح ، فأصبح ⁽⁶⁾ الأبي ، وخلص من شوائبه المكنون والمطوي . وتبين أن أبا عبد الله محمد بن عبد الله رضي الله تعالى عنه هو المهدي ، والمجلى عنه غياة الامتراء والرب ، ذلك لتعلمي أنني لم أخنك بالغيث ، فشأنك لي الآن ، فقد أذعنت لمذهبك إثارة للحق حيث كان ، فأنا لك سامعة مطيعة ، متبعة لما قضى به الرأي الحق ، إذ قد تبين لي أن قولك هذا هو الصدق ، فأنا الذي بأهل صوتي : المهدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفاطمي رضي الله تعالى عنه هو الذي بشر به جده صلوات الله تعالى عليه وسلامه ، وهو الإمام الأول والملك على الإطلاق الذي كان ينظر ويؤمل !

فلما رجعت هذه النفس إلى الحق ، وتبين لها بفضل الله تعالى حقيقة القول والصدق ، قمت أنا فحمدت الله رب العالمين ، وصليت على نبيه وعبدته

(1) سورة العنكبوت ، آية رقم 14 .

(2) جاءت هذه الالفاظ الموضوعية بين الحاصرتين في ذيل الصفحة إحالة على الورقة التي تليها ، وقد ضاعت هذه الورقة في خرم يلي ذلك أشرنا إليه بالنقط المتتابعة ، رغم انتظام الترقيم .

(3) سورة يوسف ، آية رقم 53 .

(4) في الأصل : واستجذبتك البيان فأجرت .

(5) سورة يوسف ، آية رقم 51 .

(6) أي ذل وانقاد .

خاتم النبيين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، إذ صرت بكل في زمرة الموحدين ، دون أن ينازعني منازع مني ، يجيء على شأني ، وكل موافق لكلي ، « وسري [31 ب مساو لجهرى .

العلم أرفع شيء اكتسبه الإنسان ، وبه على الحقيقة هو الإنسان إنسان . نبدأ أنه اجتمعت علي النفسان ، فقالتا :

- أليس القائم الآن بأمر الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه أميراً للمؤمنين ، وإماماً للموحدين ، أبو محمد عبد المؤمن بن علي أيده الله تعالى بالنصر والتمكين ؟ قام بالنصر قيام من استبد به وأظهره ، وجد في إذاعته حتى أشهره ، وحارب عن الحق فنصر ، وأبقى عليه فأظهر ، وله من المشاهد الكريمة ، والمآثر المشهورة المعلومة ، ما معرفة الناس [به] ⁽¹⁾ تغنى عن الوصف والذكر ، وعسى أن السكوت عنه له أقرب إلى الآخرة ؛ وبالجمله إنه إذ رضيته للامر تلك الطائفة الفاضلة ، والأمة المنصورة العادلة ، وظهر منه الغاية في الاستبداد ، والنهاية في الاجتهاد ، فقطعنا - عقلا وشرعا - أن لا أمير سواه ، ولا والي إلا من ولاه .

قالتا لي :

- فما بالك لا تساعدنا فتتحرك إليه ، وتُعجل الورود سريعا عليه ؟

قالت المطمئنة :

- إذن أنا قد قضيت ، وبينت أن الحق عندهم والهدى ، وأن بهم يستتضا .

قالت النزوعية :

- وأنا قد نزعت * إليهم ، وتشوقت إلى الورود عليهم ! [32 أ]

(1) زيادة يقتضيها السياق .

فما تركاني حتى أجبت لقولهما ⁽¹⁾ ، فالأعمال بالنيات ، ومنتظر الصلاة في صلاة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

انتهت الرسالة ، وهي « الكافية في براهين الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه عقلا ونقلا » ، والحمد لله رب العالمين كثيراً .

* * *

بيعة الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه :

كانت إما في سنة أربع عشرة على قول ، وإما في سنة خمس عشرة على قول كما سيأتي عند الفراغ من هذه المقدمة إن شاء الله عز وجل .

وفاته رضي الله تعالى عنه :

كانت عام أربعة وعشرين وخمسمائة .

عمره رضي الله تعالى عنه :

كان نحواً من خمسين سنة .

مدة بقائه إماماً بعد البيعة له رضي الله تعالى عنه :

كانت مدة إقامته رضي الله تعالى عنه إماماً بنفسه تسع سنين : بإيجليز ⁽¹⁾ ثلاثاً ، وبتينملل ⁽²⁾ ستاً .

إخوته رضي الله تعالى عنه :

عيسى ، وعبد العزيز ، لأب ⁽³⁾ ؛ وأحمد الكفيف ، وأخته شقيقته ⁽⁴⁾ زينب ، وأخته الأخرى لأب .

(1) في الأصل : الجبلين .

(2) في الأصل : ويشتمل .

(3) عيسى وعبد العزيز أخوا محمد بن تومرت المهدي هما اللذان قاما بالثورة ضد عبد المؤمن بن علي خليفة ابن تومرت ، وذلك حين بايع بولاية العهد لابنه محمد في سنة 549 ، وكان عبد المؤمن غالياً عن مراکش في سلا ، بينما توجه الأخوان من فاس سرا ، فاقتهما مراکش وقتلا عاملها أبا حفص ابن تفرجين ، فأسرع عبد المؤمن بالعودة إلى مراکش . وقضى على هذه الفتنة ، وقتل عبد العزيز وعيسى وصلبهما (انظر ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 195 ؛ والسلاوي : الاستقصا 119 - 120 ؛ وراجع كذلك أويشي : تاريخ الدولة الموحدية 171/1 - 173) .

(4) نعرف عن زينب شقيقة ابن تومرت أنه كان يعيش معها وكانت تنفق عليه من غزها إبان صباه وأنها شهدت وفاته في سنة 524 (انظر أخبار المهدي للبيدق ص 81 والسلاوي : الاستقصا 92/2 ، وأويشي : تاريخ الدولة الموحدية 26/1 ، 86) .

وزراؤه رضي الله تعالى عنه :

هم العشرة المؤثرون الذين يقال لهم « الجماعة » أعزهم الله تعالى .

أصحاب مشورته رضي الله تعالى عنه :

هم أهل الخمسين رحمهم الله تعالى ، وسيأتي ذكر جميعهم بعد إن شاء الله تعالى .

ولا ولد له رضي * الله تعالى عنه ولا زوجة ولا سُرَّة ، لأنه كان رضي الله تعالى عنه حصورا .

هذه هي المقدمة ، فلنرجع إلى الأصل المقصود وهو :

كيفية انعقاد البيعة له رضي الله تعالى عنه :

ف نقول :

قال اليسع :

ولما استوثق الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من قبيلته ومنعة موضعه ، لأنه مكان لا يصل إليه أحد إلا من طريق لا يمشیها إلا راكب ، بعد راكب ، فيسد ⁽¹⁾ خللها أقل عصبة من الناس ، ولما فيه من التوغر في نفسه - قصد إلى قرية إيجيليز ⁽²⁾ تحتها ركن يستظل تحته على الماء فعند اجتماع أصحابه إليه في ذلك الركن تحت إيجيليز ⁽²⁾ قام فيهم ⁽³⁾ خطيبا ، فقال :

« الحمد لله الفعال لما يريد ، القاضي بما يشاء ، لا راداً لأمره ، ولا معقب لحكمه ، وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل ، وأزيل العدل بالجور ،

(1) في الأصل : فيصد .

(2) في الأصل : الجيلين .

(3) في الأصل : فيها .

مكانه المغرب الأقصى ، وزمنه آخر الزمان ، واسمه اسم للنبي عليه الصلاة والسلام ، ونسبه نسب النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم . « وقد ظهر جور الأمراء ، وامتألت الأرض بالفساد ، وهذا آخر الزمان ، والاسم الاسم ، والنسب النسب ، والفعل الفعل ! » ⁽¹⁾ .

قال اليسع :

سمعت أمير المؤمنين أبا محمد عبد المؤمن رضي الله تعالى عنه يقول : « لما فرغ الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من كلامه بادر إليه عشرة رجال منهم أنا ، فقلت له : هذه الصفة لا توجد إلا فيك ، فأنت المهدي ! فبايعناه على ذلك » .

والعشرة المذكورون : الونشريشي ، وعمر آصناج ، والخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه ، وأبو يحيى أبو بكر بن بجيت ، والاحسن بن علي ، وعمر الهنتاتي ، وفقهه من أهل إفريقية لم أذكر اسمه الآن ⁽²⁾ .

وسمى هؤلاء بالعشرة !

قلت :

ولم أجد في هذه النسخة من كتاب اليسع إلا سبعة ؛ والعشرة عند غير اليسع ⁽³⁾

(1) أشار ابن أبي زرع في إجمال إلى هذه الخطبة ، وحدد تاريخها يوم السبت السادس عشر من رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة (روض القرطاس ص 176) وعنه نقل السلاوي (الاستقصا 90/2) .
(2) هذا الفقيه هو الذي يشير إليه ابن القطان فيما بعد عند حديثه عن إيقاع المهدي بأهل تينمل ، إذ أنه أنكر ذلك على المهدي فقتل وصلب « لأنه شك في عصمة الإمام المهدي » .
(3) عن أسماء أهل العشرة من أصحاب المهدي انظر : كتاب الأنساب ص 29 ؛ الحلل المشوية ص 108 ؛ روض القرطاس ص 176 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 420-422 ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم المغربي ص 208-209 ؛ الزركشي : تاريخ الدولتين (ط . تونس سنة 1289 هـ .) ص 4 ؛ ابن أبي دينار القبرواني : المؤنس (ط . تونس سنة 1286 هـ .) ص 108 ؛ النويري : نهاية الأرب (الجزء الخاص بتاريخ المغرب والأندلس - ط . جاسبار مرمو - غرناطة سنة 1919) ص 193-194 ، والسلاوي 83/2-84 ، 90 . وانظر مناقشة هذه الأسماء واختلاف المؤرخين فيها في كتاب أويشي : تاريخ الدولة الموحدة 101/1-102 .

هم : سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو [محمد] ⁽¹⁾ عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه ، أبو محمد البشير ⁽²⁾ ، أبو إبراهيم الهزرجي ⁽³⁾ ، أبو حفص عمر بن علي الصنهاجي ⁽⁴⁾ ، أبو الربيع سليمان بن الحضري ⁽⁵⁾ ،

(1) زيادة تقتضيها صحة الاسم والكنية .

(2) هو أبو محمد عبد الله بن محسن الوانشرشي المشهور بالبشير ، ذكر صاحب كتاب القبتس من كتاب الأنساب نسبه كاملاً وقال إن قرابة البشير كانوا ينتسبون إلى قيس ، ثم أورد اسمه بين أهل العشرة وتحدث عن تميزه للموحدين (كتاب أخبار المهدي ص 27 ، 28 ، 33 ، 36) ، وقد زادنا البيهقي تفصيلاً عن بدء صلته بالمهدي منذ مرور هذا على ونشريس وبعته له وتمييزه للمخالفين والمتأفقين في سنة 523 واشترأك في غزوات المهدي (نفس المرجع ص 59 ، 73 ، 78) . وقد فقد البشير في وقعة البحيرة التي هزم فيها الموحدون سنة 524 (انظر كذلك في ترجمته : الحلل الموشية ص 87 - 88 ، 93 ، 95 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 176 - 177 ، ؛ ابن خلدون : العبر 227/2 - 228 ؛ السلاوي : 86/2 - 87 ، 80 - 81 ، 86 - 87 ؛ ابن الأثير : الكامل 297/8 - 298 ؛ ابن خلكان : وفیات الأعيان ، 139/4 - 144 ؛ النويري : نهاية الأرب ص 191 - 193 ؛ وراجع كذلك ما كتبه عنه أويشي في تاريخ الدولة الموحدية 46/1 ، 73 ، 78 ، 80 ، 83 ، 84 ، 101 ، 595/2 - 600 ، 602) .

(3) هو أبو إبراهيم اسماعيل بن يسلاي الهزرجي الذي يلقبه البيهقي بإسماعيل إيجيج ، ويسميه عبد الواحد المراكشي أبا إبراهيم اسماعيل بن يحيى الهزرجي ، أما ابن أبي زرع فيسميه إبراهيم بن اسماعيل الهزرجي ، وكان من طلبة المهدي حينما كان في أعماط وريكة ثم عهد إليه المهدي بالقضاء وجعله قائداً على هرقة في غزواته الرابعة ، وكان أحد من عقدوا البيعة لعبد المؤمن بعد وفاة ابن تومرت ، وإليه يرجع فضل إخماد ثورة ضد عبد المؤمن في صفروى ، ويذكر عبد الواحد المراكشي من أخباره إنقاذه لابن تومرت من مؤامرة حيكت لاغتياله ، وكذلك فداءه لعبد المؤمن بمبيته في خبائه ومصرعه على يد بعض من المتمردين (انظر في ترجمته وأخباره كتاب أخبار المهدي ص 33 - 70 ، 75 ، 81 ، 83 ، 85 ، 92 ، 94 ، 99 ، 122 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس 176 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 303 - 305 ؛ الحلل الموشية ص 108 ؛ السلاوي : الاستقصا 90 ؛ وانظر كذلك أويشي : تاريخ الدولة الموحدية 59/1 - 101 ، 101 ، 126 ، 135 ، 172 ، 228 ؛ 592/2 ؛ 607 - 609) .

(4) كذلك ورد اسمه أيضاً لدى البيهقي في كتاب أخبار المهدي ، ويسميه عبد الواحد المراكشي عمر بن عبد الله « المعروف عندهم بعمر أزناج » ، واسمه الحقيقي كما يقول البيهقي يملوك ابن علي آصناج ، كان وزيراً لعماد بن تومرت ثم كان أحد الثلاثة الذين اضطبعوا بمبايعة عبد المؤمن خلفاً له فنحاه هذا عن الوزارة ورأى بقدره عنها إذ كان عندهم فوق ذلك ، وكان لأولاده مكانة عظيمة من عبد المؤمن حتى إن ذريته كانت أول من يعترض في العرض العام وكانت وفاته سنة 536 (انظر كتاب أخبار المهدي ص 33 ، 78 ، 80 ، 81 ، 85 ، =

أبو عمران موسى بن تمارا ⁽¹⁾ ، أبو يحيى أبو بكر بن يحيى ⁽²⁾ ، أبو عبد الله محمد ابن سليمان ⁽³⁾ ، أبو حفص عمر ابن يحيى ⁽⁴⁾ ، وكان عاشرهم

= 92 ، 123 ؛ عبد الواحد : المعجب ص 262 ، 267 ، 308 ، 422 ، 426 ؛ ابن أبي زرع ص 176 ؛ الحلل الموشية ص 88 ؛ ابن خلدون : العبر 228/6 ؛ وقد أشار ليقي برونسالي في تقديمه لكتاب أخبار المهدي (المقدمة ص 10 - 11) إلى أن أبا بكر الصنهاجي البيهقي ربما كان من قرابة عمر آصناج هذا . (وانظر كذلك أويشي : تاريخ الدولة الموحدية 87/1 ، 101 ، 105 ، 110 ، 118 ، 125 ، 211) .

(5) اسمه لدي البيهقي : أبو الربيع سليمان بن مخلوف الهواري الحضرمي وأضاف إلى ذلك أنه شهر بآبن البقال وابن تاعظيميت عند أهل أعماط وبسليمان آحضري عند الموحدين ، كان من طلبة ابن تومرت في أعماط وريكة ، وكان يكتب الرسائل عن إذن الإمام المهدي ، واستشهد في موقعة البحيرة سنة 524 . هذا ويسميه ابن أبي زرع والسلاوي : سليمان بن مخلوف ، وأما صاحب الحلل الموشية فيسميه إسماعيل بن مخلوف (انظر كتاب أخبار المهدي ص 28 ، 33 ، 70 ؛ روض القرطاس 176 ؛ الحلل ص 108 ؛ أويشي : تاريخ 101/1 ، 599/2) .

(1) أبو عمران موسى بن تمارا الجديوي أمين الجماعة ، واستشهد يوم البحيرة سنة 524 ، وكان ثلاثة من اخوته من أهل الخمسين (انظر أخبار المهدي ص 33 ، ابن أبي زرع : روض القرطاس 176 الاستقصا 90/2 ؛ أويشي : تاريخ 101/1) .

(2) استشهد في وقعة البحيرة سنة 524 ، وقد اختلف في اسمه المؤرخون ، ويتفق كتاب أخبار المهدي مع ما جاء هنا ، ويسميه ابن خلدون « أبا يحيى بن يكت » وابن أبي زرع « أبا يحيى بن يكت » وصاحب الحلل « أبا يحيى أبو بكر بن تنجيت » ، أما عبد الواحد فقد ذكره من أهل الجماعة وقال إنه « رجل من تينمل يعرف عندهم بآبن ييجيت - أنا شك في اسمه - » ، وأضاف السلاوي إلى اسمه نسبة « الفتاتي » (انظر أخبار المهدي ، ص 33 ؛ العبر 228/6 ؛ الحلل ص 108 ، روض القرطاس ص 176 ؛ المعجب ص 421 ؛ الاستقصا 90 ؛ أويشي : تاريخ 101/1) ، وكان لآبن يحيى هذا ولد ولاء عبد المؤمن على قرطبة سنة 549 .

(3) أبو عبد الله محمد بن سليمان ، كان من أهل آنسا ، وكان يؤم في الفريضة عن إذن المهدي ، واستشهد يوم البحيرة سنة 524 ، وسماه عبد الواحد « عبد الله بن سليمان » وقال إنه من أهل تينمل من قبيلة مسكالة (انظر أخبار المهدي ص 33 المعجب ص 262 ؛ العبر 228/6 ؛ الحلل ص 108 ؛ أويشي : تاريخ 102/1 ، 105) .

(4) أبو حفص عمر بن يحيى الفتاتي المعروف بعمر يني ، ويسميه عبد الواحد عمر بن ومزال ، وكان اسمه فصكة فسماه المهدي عمر ، وكان من أقرب أعوان ابن تومرت إليه ، ثم كان من بين من عقدوا الأمر بعد =

[33 ب] عبد الله بن ملوية ⁽¹⁾ ، وسيأتي ذكره . « وهؤلاء العشرة هم المسمون بأهل الجماعة .

قال اليسع :

وتابعهم على هذا المعتقد بأثرهم خمسون رجلا ، فسموا أهل خمسين ، ثم تابعهم سبعون رجلا ، فسموا أهل سبعين ⁽²⁾ ، واختص المذكورون بهذا الاختصاص ، وانعقد لهم من البر والتكرمة ما أنهضهم إلى أن تسمع بقية عوامهم منهم وتطيع . وكانوا إذا قطعوا الأمور العظام يخلون بالعشرة لا يحضر معهم غيرهم ، فإذا جاء أمر أهون أحضروا الخمسين ، فإذا جاء دون ذلك أحضروا السبعين رجلا ، وفي ما دون ذلك لا يتأخر أحد ممن دخل في أمره رضي الله تعالى عنه .

= ذلك لعبد المؤمن وهو الذي فتح للموحدين كثيرا من بلاد الأندلس مثل الجزيرة الخضراء ورنده وإشبيلية وقرطبة وغرناطة ، كما اشترك في أعمال حربية أخرى مهمة منها القضاء على ثورة محمد بن عبد الله بن هود الماسي ، وتوفي في الطاعون الذي أصاب الأندلس والمغرب في سنة 571 ، وهو جد الحفصيين الذين توطدت دولتهم بعد ذلك في إفريقية (انظر أخبار المهدي ص 33 ، 71 ، 75 ، 89 ، 93 ، 95 ، 97 ، 98 ، 104 ، 106 ، 108 ، 109 ، 117 ، 118 ، 121 ، 126 ؛ المعجب ص 262 ، 267 ، 282 ، 293 ، 337 ، 421 ؛ ابن خلدون : العبر 227/6 ، 279 ، 275 ، 276 ؛ روض القرطاس 176 ، 190 ، 193 ، 198 ، 201 ؛ الحلل الموشية ص 108 ، 146 ، 151 ، 158 ؛ الاستقصا 90 ، 108 ، 143 ، 146 ؛ أويشي : تاريخ 208/1 ، 219 ، 222 ، 230 ، 236 ، 238 ، 239 ، 241 ، 243 ، 249 ، 253 ، 260 ، 269 ، 274 ، 385 ؛ 391/2 ، 394) .

(1) عبد الله بن يعلى أو يعلاتن الزناتي التازي المعروف بابن ملوية ، كان من كبار أعوان المهدي وقواده ، ثم ارتد عن دعوته بعد خروجه من تينملل وانضم إلى جيوش علي بن يوسف أمير المرابطين ، فظفر به وقتل وصلب سنة 527 (انظر أخبار المهدي ص 33 ، 75 ، 85 ، 122 ؛ الحلل ص 108 ؛ العبر 228/6 ؛ أويشي : تاريخ 84/1 ، 102 ، 106 ، 111) . وسوف يفصل ابن القطان الحديث عنه فيما يلي . انظر ص 162 .

(2) سبق أن علق ابن القطان على ما ذكره اليسع من أمر أهل السبعين إذ قال إنه لا يرى ذلك صحيحا ، ولم يرد ذكر لأهل السبعين في كتاب المقتبس من الأنساب ، وإن كان قد قال بذلك بعض المؤرخين المغاربة مثل ابن الخطيب في كتاب رقم الحلل حسبا نقل عنه السلاوي (الاستقصا 93/2) وصاحب الحلل الموشية (ص 108) فضلا عن بعض المؤرخين المشاركة مثل ابن الأثير (الكامل 298/8) ، والنويري : نهاية الأرب ص 194 .

وأول ما دبرهم به أنه ألف لهم كتاب « التوحيد » باللسان البربري وهو سبعة أحزاب عدد أيام الجمعة [أيام] ⁽¹⁾ كان الموحدون أعزهم الله تعالى مع الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه بتينملل .

« وهنا وقائع كانت في أول أمره رضي الله تعالى عنه :

منها وقعة علي بن تابشا اللمتوني ببني وارتانك ⁽²⁾ ، وجهه إليهم صاحب السوس أبو بكر ابن ورييل في جملة من الأنجاد ، فأحاطوا ببني وارتانك ⁽²⁾ وهم غارزون ⁽³⁾ ، فقبضوا على مائة رجل منهم أبو الحسن يوجوت بن واجاج ⁽⁴⁾ « من (37) أهل خمسين ، فحملوا إلى تيونوين لصاحب السوس ، فسجنهم .

ثم مشت الحصنة التي فعلت هذا من اللمتونيين ⁽⁵⁾ ليضربوا على الملت ان ورغن ⁽⁶⁾ حيث كان الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ⁽⁷⁾ قبل هذا ، فألفوهم وقد أخذوا حذرهم منهم ، وكمنوا لهم ، فخرجت كائن هرغة عليهم ، واشتد حربهم ، وأخذت أكثر خيلهم وسلاحهم ، وقتل أكثرهم ، وقتل من هرغة نحو

(1) زيادة يتطلبها السياق .

(2) في الأصل : وارتانك ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، فقد ورد الاسم على هذه الصورة في كتاب المقتبس من كتاب الأنساب ، وقد علق صاحب الكتاب على ذلك الاسم فقال إن هؤلاء فخذ من أهل تينملل (انظر أخبار المهدي ص 40) .

(3) في الأصل : عارون ، والأصح ما ذكرنا أي غافلون .

(4) في الأصل : يرحوت ، والصواب ما ذكرنا ، وقد أورد هذا الاسم صاحب كتاب المقتبس وأبو بكر البيهقي الصنهاجي من بين أهل خمسين (انظر أخبار المهدي ص 34 ، 94) .

(5) في الأصل : المتونيين .

(6) في الأصل : الملت ان وزغن ، ولعل الصواب ما ذكرنا ، أي المنسوب إلى هرغة . ومن المعروف أن محمد بن تومرت ينتسب إلى قبيلة هرغة ، وقد ذكر عبد الواحد المراكشي أنه ولد في ضيعة تدعى « إيجلي أن وارغن » (المعجب ص 245) .

(7) زيادة يتطلبها السياق .

خمسة وثلاثين رجلا وهي أول غزوة لهرقة ، فجمعوا غنائمهم ، وطلعوا بها إلى المهدي رضي الله تعالى عنه فكانت أول غنيمة للموحدين أعزهم الله تعالى فيها الخليل .

ومن الوقائع الماثورة في السنة سنة ست عشرة وخمسمائة ...

أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى في هذه السنين الثلاث التي استقر فيها الإمام المهدي رضي الله تعالى بإيجليز⁽¹⁾ من هرقة :

وجه علي بن يوسف جيشا أمر عليه ابراهيم بن تقيش⁽²⁾ ، فسلك

(1) في الأصل : بالجبلين .

(2) هو أبو إسحاق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين أخو الأمير علي بن يوسف اللمتوني ، ويعرف بابن تقيش أو تاعياش ، وهو اسم أمه ، وهي علي ما يذكر ابن عذارى أمة سوداء . كان قد ولي سبتة ثم مرسية قدمه عليها علي بن يوسف بعد عزل أخيهما ابن عائشة عنها بسبب اعتلال بصره بعد صدوره من وقعة البورت Congost de Martorell قرب برشلونة سنة 508 . وكان ابن تقيش من أعظم قواد المرابطين وله على نصارى الأندلس وقائع كثيرة . ويقول ابن عذارى إنه ولي بلنسية سنة 509 . تولاها مع مرسية ، ثم نقل إلى إشبيلية التي ظل عاملا عليها من شوال سنة 511 (فبراير 1118) حتى جمادي الأولى سنة 516 (يولية - أغسطس 1122) إلا أن ابن الأبار يقول إن أمير المسلمين علي بن يوسف نكبه في سنة 515 واستصفى أمواله وقال انه يظن أن ذلك كان بسبب تقصيره الذي جر وقعة كتندة Cutanda التي هزم فيها المسلمون سنة 514 . ثم انتقل إلى المغرب ، ويبدو أن علي بن يوسف رضي عنه بعد ذلك ، إذ أننا نراه مشتركا مع إخوته وأهل قرابته في الاجتماع الذي عقد علي بن يوسف فيه ولاية عهده لابنه سير في سنة 522 : كما أننا نراه قبل ذلك - في سنة 516 أو 517 - على رأس جيوش المرابطين أثناء قتالهم مع الموحدين في السوس كما نرى من الخبر الذي يذكره هنا ابن القطان وغيره من المؤرخين . ويقول ابن الأبار انه لم يقع على خبر له بعد نكبه ، إلا أنه نقل عن ابن صاحب الصلاة في تاريخه أنه قتل وقل عسكره على طريق سجلماسة بجهة جبل هسكورة ، وذلك خلال الحرب الدائرة بين المرابطين والموحدين ، ويشير ابن خلدون إلى دوره في هذه الحرب ولا سيما في موقعة البحيرة التي هزم الموحدون فيها سنة 524 . ويشير ابن القطان إلى مصرع ابن تقيش في احدي المعارك الدائرة سنة 528 ، أما البيهقي فإنه يذكر أن مقتله كان في الغزوة التي قاد الموحدين فيها عمر بن علي الصنهاجي (عمر آصناج) في مكان يدعى « تيزي آن الايات » . وقد أنشئ ابن الأبار على ابن تقيش وعنايته بالعلم والرواية ، وهو الذي أهدي إليه الفتح بن خاقان كتاب « قلائد العقيان » ، كما أنه هو الذي مدحه ابن خفاجة الشفري بكثير مما هو مثبت في =

السوس الأقصى ، وقصد هرقة ، وقد حصن أهلها قلعة يقال لها إيجليز . ومنعوها أضبط منع . فنزل العسكر عليها من جهة شرقها بمكان وعمر . فخرج الإمام رضي الله تعالى عنه في جملة من الحصن بعد أيام من نزول العسكر عليهم ، فعقد لهم مجلسا وعظهم فيه ، ووجه بعضهم يقاتل ، « فكان إذا جاءه جريح من أصحابه نشطه ورغبة في الشهادة ، ويقول لأصحابه : لا تنظروا إلى أعداء الله وأعدائكم ، فيعظموها في أعينكم !

فلم يكن إلا أن نزل بأصحابه من أعلى الجبل إلى أسفله يريدون مقاتلتهم والعسكر في جبل آخر يناوحوه ، فانهزموا وتركوا خيلهم وأسلحتهم وأمتعتهم ، وأتى القوم على جميع أموالهم ،⁽¹⁾ واستحذوا عليها ، وقد كانوا لا درع لهم ولا عدة .

ولما نالوا ما وعدهم به وصدق خبره على وفق مخبره عظم رضي الله تعالى عنه في أعين الموحدين أعزهم الله تعالى ، فكانوا يستحيون عن رفع رؤوسهم نحوه حتى يأمرهم . وشاع ذكر الهزيمة في جميع البلاد ، فهيب أمره ، وكثر المهاجرون⁽²⁾ إليه ، ولم يبق قبيل من قبائل أهل جبل المصامدة إلا وقد هاجر إليه منه ، وأقاموا يفتان بعضهم بعضا ، ومصامدة⁽³⁾ الفحص * مع المجسمين وعلي بن يوسف ، وهم : دكالة ، وهسكورة ، وهزميرة ، وهزرجة ، وجرجاة ، وحاجة⁽⁴⁾ ، وصودة .

= ديوانه ، وأشار ابن سعيد في كتاب المغرب إلى كثير من اتصل به من الشعراء والكتاب (انظر في ترجمته : البيان المغرب لابن عذارى - القسم المرابطي ص 106 ؛ ابن الأبار : معجم أصحاب أبي علي الصدف ، ترجمة رقم 40 ؛ ابن خلدون : العبر 228/6 ؛ السلاوي : الاستقصا 87 ؛ البيهقي : أخبار المهدي ص 84 ؛ الحلل الموشية 110 ؛ ابن سعيد : المغرب 397/1 ، 253/2 - 254 ، 287 ؛ الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ص 3 ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان 24/4 ، 123/7 ؛ ديوان ابن خفاجة بتحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي في مواضع مختلفة من الديوان ؛ وانظر كذلك بحث فرانسكو كوديرا عن « أسرة بني تاشفين » ص 109 - 111 ؛ وأويشي : علي ابن يوسف ... ص 96 ، 105 ، 108 ، 113 - 114) .

(1) في الأصل : أحوالهم .

(2) في الأصل : المهاجرين .

(3) في الأصل : أو مصامدة .

(4) في الأصل : وحاجة .

وأمره رضي الله تعالى عنه في كل يوم يتزهد ، وكتب كتبه إلى جزولة ولطة وهنكية وبني ييغز ودرة وصنهاجة القبلة وهسكورة القبلة وجميع من جاوره يدعوهم إلى الطاعة وحرب المجسمين ، وقد تقدمت نسخة كتابه في السنة قبل هذه (1) .

وسماهم الزراجنة (2) ، شبههم بطائر أسود البطن أبيض الريش ، يقال له « الزرجان » لأنهم بيض الثياب سود القلوب . كما سماهم أيضا « المجسمين » (3) لأنه ألزهمهم في المذاكرة أنهم يقولون بالتجسيم والمكان ، تعالى الله عن ذلك وسبحانه عن صفات النقص علواً كبيراً ؛ ويسمون أيضا « الحشم » للثامهم كما يفعل النساء المتحشمات .

وأمر علي بن يوسف - في هذه المدة التي كان فيها الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه بإيجليز - الفلاكي الأندلسي ، (4) وكان فاتكا شهما تاب من قطع السبل ، فقدمه عليّ على العساكر ، وسد به ثغوره ، فصنع حصونا ضبط بها ثغوره ،

(1) يبدو أن هذه الرسالة قد سقطت في بعض خروم الكتاب السابقة .

(2) أشار كثير من المؤرخين أيضا إلى هذه التسمية ، ولكن ابن القطان هو الوحيد الذي يفسر لنا أصل هذا الاسم .

(3) ذكر البيهقي في أخبار المهدي (ص 77) مناسبة هذه التسمية ، فقال إن المهدي أطلقها على المرابطين أثناء غزوته التاسعة إلى أسدردم ان الغزي : « ... فقال (المهدي) للموحدين : ما يقولون - بعد أن سمع منهم كلاما من عندهم - ، قالوا له : لقبونا . قال : وكيف لقبوكم ؟ قالوا : يقولون « خوارج » . قال : سبقونا بالقيح ، لو كان خيرا أحجموا عنه وما سبقونا إليه ، لقبوهم أنتم فإن الله ذكر في كتابه « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ... الآية » ، قولوا لهم أنتم أيضا « المجسمون » ففعلنا . وفي اتهام المهدي للمرابطين بالتجسيم والرد عليهم في ذلك انظر كتابه « أعزما يطلب » ص 258 وما يليها ، وكذلك المقدمة الفرنسية التي كتبها جولد تسيهر لهذا الكتاب ص 65 وما يليها .

(4) كان الفلاكي - على ما يذكر ابن القطان هنا - أحد قطاع الطرق في الأندلس ، ثم استنزله على بن يوسف واتخذ من قواد عسكره ، واستخدمه أولا في إشبيلية ثم نقله إلى منطقة السوس لقتال الموحدين ، وقد اشترك مع بعض قواد المرابطين الآخرين مثل ميمون بن ياسين في بناء سلسلة من الحصون لحماية المناطق المحيطة بمدينة مراكش من ناحية السهول الجنوبية وحتى تتخذ قواعد تغلذ منها القوات =

ومنع الموحدين من النزول ، وولى أصحابه عليها ؛ وتمنع من أهل الجبل كل من أطاع الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من أداء كل ما كانوا يؤدونه لعل « بن يوسف . 38 | قال ابن الراعي :

ولما ارتقى الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه جبل إيجليز (1) أقام فيه ثلاثة أعوام : من سنة خمس عشرة إلى سنة ثماني عشرة .

ومن أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى وقبعة هنتانة :

وذلك أنه لما اتصل بأبي بكر بن ورييل ما صنعه هرغة - وفرهم الله تعالى وأعزهم - بعلي بن تابشا وأصحابه أخذ في الاستعداد والتأهب ، وحشد أهل السوس ، وأخذ الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه في التأهب أيضا ، وحفر جبوب (2) الماء ، وكانت هرغة ومسكالة وسجنانة وقبائل أهل تينمل قد هداهم الله تعالى ، فهم متوازيون ، فوجه نمير بن تجلد بن يملوك مع جماعة وافرة إلى سوس ، فهبط إلى السوس وإلى جبل درن يدعو إلى الله تعالى ، وإلى الحق الذي جاء به الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فاستجاب له من أهل تلك الجبال جملة منهم جدميرة (3) الجبل وهزميرة الجبل وجنفيسة الجبل ومن وفقه الله من أهل جبل درن .

= المرابطة إلى السوس حيث كان يحتجى ابن تومرت وأصحابه ، وقد تحدث عن دور الفلاكي في ذلك كتاب الخلل الموشية (ص 113) ، على أن الفلاكي لم يلبث أن اعتنق مبادئ « التوحيد » وانضم إلى عبد المؤمن هو وأصحابه على ما يذكر البيهقي (أخبار المهدي ص 88) ، ثم عاد فرجع إلى صفوف المرابطين ، ولكنه لم يستمر معهم طويلا ، إذ عاد إلى خلافة عليهم ، وانضم مرة أخرى إلى الموحدين في إيجليز هرغة ، ووفد على عبد المؤمن بن علي في تينمل سنة 535 (أخبار المهدي ص 129 ، وانظر كذلك أويش : تاريخ الدولة الموحدية 76/1 ، 107 ، 111) . هذا وسيعود ابن القطان إلى الحديث عنه فيما بعد .

(1) في الأصل : الجبلين .

(2) في الأصل : جيوب .

(3) في الأصل : جدميرة .

ثم إن هتاتة لما سمعوا بالإمام المهدي رضي الله تعالى عنه وبأخباره اجتمعوا على أبي حفص عمر بن يحيى ⁽¹⁾ ووانودين بن يمصيلت ونمير بن داود * وأبي ماغليظ قطران بن تارساين وأبي يهدا ومحمد بن يزير وخلف بن والال وسائر أشياخ هتاتة ، فتذاكروا خبر الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه وما جاء به وما هو عليه من الخير والوعظ ، فأرادوا تحقيق ذلك ، فوجهوا أبا يعقوب إسحاق بن عمر ⁽²⁾ ليسبر أمره ، ويخبر رجاله وتواصوا هم وطالب لهم يقال له سكاتو بوصايا في كيفية لقائه له رأوا أنها تنفعهم ، فتوجه إسحاق بن عمر والموحدون أعزهم الله تعالى في ثلاثة آلاف راجل وثلاثمائة فارس يقدمهم البشير ⁽³⁾ .

35] * وتطلع ورأى ، وعمل جميع ما أوصوه به ، واجتمع بالإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، ثم انصرف إلى تيفنوت ، فاجتمع بالذين أرسلوه وعرفهم بما هو عليه الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من رفع المظالم والمناكر والمغارم ⁽⁴⁾ ، وقال لهم باللسان الغربي ⁽⁵⁾ :

(1) هو أبو حفص عمر بن يحيى الهنتائي المعروف بعمر يتي (انظر تعليقنا السابق على اسمه وترجمة حياته في ص 127 - 128 حاشية رقم 4) .

(2) إسحاق بن عمر الهنتائي كان من أكابر قواد الموحدين ، وقد تحدث البيهقي عن دوره في الغزاة السابعة لمحمد بن تومرت ، وهي الغزاة التي وجهها المهدي إلى هسكورة ، وقد جرح فيها ابن تومرت وقام بحمله إسحاق بن عمر هذا هو وأبو محمد وسنار (أخبار المهدي ص 76) . وذكر البيهقي في موضع آخر من كتابه أن المهدي دفع إليه جريدة (أي كتيبة) إلى قبيلة ذكالة ، فقتل منهم ستائة * وكان شفيقا عليهم * (أخبار المهدي ص 112) .

(3) هو أبو محمد عبد الله بن محسن الوانشرشي ، وقد سبق أن ترجمنا له (انظر ص 126 حاشية رقم 2) ، وهذا العدد الذي يذكره ابن القطان أقرب إلى المعقول من الأربعين ألفاً الذين ذكرهم ابن خلدون (العبر 228/6) ومن الأربعمائة الذين ذكرهم الزركشي (تاريخ الدولتين ص 4) .

(4) في الأصل : والمغارب .

(5) في الأصل العربي ، والصواب ما أثبتنا ، ويقصد باللسان الغربي اللغة البربرية ، ومن هذه الكلمة أخذت اللفظة الإسبانية Algaravia وهي تعني الضجيح الذي لا يفهم ، وقد كان بعض اللغويين يظنونها تحريفاً لكلمة « العربية » أي اللغة العربية ولكن الصواب هو أنها مأخوذة من الاستعمال المغربي والأندلسي الشائع الذي يطلق كلمة « اللسان الغربي » على اللغة البربرية .

النور * النور في بلاد هرغة ، وأنتم في الظلمة ياهنتة ⁽¹⁾ !

فصنعوا طعاما واجتمعوا عليه ، وتعاهدوا وتوجهوا بأجمعهم ، وكانت عساكر السوس والحشم تحركوا إلى إيجيليز وضيّقوا على هرغة بحومة وادي إينشو ، وقد كان الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه شرع في بناء مسجد إيجيليز ، فأخذ حجرا ليضعه في موضعه ، فسمع الصباح والهرير ، وهو الذي يقولون له « أما ولل ⁽²⁾ » ، فسأل عنه ، ف قيل له : وقد هتاتة ! فقال باللسان الغربي ⁽³⁾ ما معناه : فتجدد الأمر اليوم ! فوضعوا الفيسان من أيديهم ، وخرج إلى هتاتة سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه بأمر الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فاجتمع بهم ودعا لهم ، وقال لهم : استريحوا ! فقالوا : لا راحة لنا حتى نأخذ عزوى ⁽⁴⁾ هذا العدو ! فاستأذن الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه في ذلك ، فقال لهم : هذا وقت الظهر ، فتوضأوا وصلوا ، فإذا قضيت الصلاة فخذوهم على بركة الله تعالى !

فأصعدوا ⁽⁵⁾ الجبل حتى صاروا بحيث لا يفصل بينهم وبين مناهدهم من الموحدين * أعزهم الله تعالى إلا خندق كبير ، فاتفق رأيهم على أن يردموه (35] برادع الدواب ليتأتى لهم جوازه ، فلم يمهلهم جماعة الموحدين أعزهم الله تعالى : هتاتة ومن تقدم ذكرهم ، فقتلوهم وهزموهم وأخذوا خيلهم وأسلحتهم وأسلابهم ،

(1) صحح ليفي بروفنسال هذه الكلمة عند نشر هذا النص بـ « هتاتة » . ونظن أن هذا تصويب ليس له ما يبرره ، فقد ذكر ابن خلدون (العبر 227/6) أن هتاتة يقال لهم بلسانهم « هتي » ، فيكون ما ذكره ابن القطان - على الصورة التي ضبطنا الكلمة بها - صحيحا متفقا مع نطق الهنتائين لاسم قبيلتهم .

(2) تطلق هذه الكلمة على مختلف ألوان الضجيح والصباح ، انظر تعليق ليفي بروفنسال عليها في القطعة التي نشرها من « نظم الجمان » (Mélanges.. p. 379, n.1) .

(3) في الأصل : بلسان العربي .

(4) يراد بهذه الكلمة في الاستعمال المغربي الدارج حتى الآن معنى النار أو الانتقام .

(5) في الأصل : قد صعدوا . والمقصود بضمير الجمع هنا عساكر المرابطين .

وفتح الله للموحدين أعزهم الله تعالى فتحا عظيما ولم يرجع عن عسكر الحشم إلا من تأخر أجله .

وإن أبا الحسن يوجوت بن واجاج⁽¹⁾ مع الجماعة المسجونين معه من بني وارتانك⁽²⁾ بتيونين قاعدة السوس حينئذ كما قد مر ذكره من سجنهم عند اشتغال السوسي أنى بكر بن ورييل والحشم بهذه الحروب فروا من السجن ، ولحقوا بالإمام المهدي رضي الله تعالى عنه .

ومنها وقعة أي ما غليف⁽³⁾ وهنتاة بهم في بلاد هنتاة :

وذلك أنه لما اتصلت هزيمة المثلثين بإيجيليز⁽⁴⁾ من هرغة بعلي بن وسف اغتم غما شديدا ، وجيش عسكراً مختاراً ، وقدم عليهم سير بن فودي وأبا مسعود والريتسيغ بن بقور ومهدي بن توالي مع حشد حاحة وجميع أنحاء إذفرجال ، وقال لهم علي بن يوسف : اقصدوا إلى تيفنوت وأحرقوها بالنار ! فاجتمعت العساكر ، وأخذوا على طريق لجاعة ، وشقوا واد نفيس ووسط الجبل يريدون تيفنوت ؛ واتصل الخبر بالإمام رضي الله تعالى عنه ، * فجمع هنتاة ، وقال لهم : تداركوا بلادكم فإن الكفرة قد قصدت إليكم ، فخذوهم على بركة الله ! فودعوه ودعا لهم ، وانصرفوا إلى بلادهم .

فلما أشرفوا همز أبو ما غليف فرسه وكبر وقال : ابتدأت سواقي جرى الماء بالخير والبركات إلى بلادنا ! ، ثم قال لهم : يا هنتاة ، أنا أرغب إليكم أن

(1) سبقت الإشارة إلى أبي الحسن يوجوت بن واجاج هذا وخبر وقوعه هو ومائة من أصحابه من بني وارتانك في قبضة عامل السوس الماربطي أنى بكر بن ورييل وسجنهم في تيونين (انظر ص 129 ، حاشية 4) .

(2) في الأصل : وارتارك .

(3) في الأصل : مغاليف .

(4) في الأصل : بالجيلين .

تقدموني للرأي في هذا النهار لا غير ، ولا يشركني⁽¹⁾ معي أحد ، فقالوا له : نعم ، لك ذلك ، لأنك شيخ عارف بالأمور . فقدموه في ذلك اليوم ، فتخير⁽²⁾ أنجاد فرسانهم ورجالهم ، وقد كان الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه أعطاهم خصتهم⁽³⁾ من غنيمة وقعة إيجيليز⁽⁴⁾ المتقدم ذكرها من الخيل وال سلاح والسلب ، فتقووا بذلك . وأخذ بهم أبو ما غليف طريقا سلكه خرج منها أمام أعدائهم ، فقتلهم أجمعين ، واحتوا على سلبهم ، حتى لتحصل لأحد هنتاة صاع⁽⁵⁾ ممسوح مملوء من دنانير ، وقتل سير ابن فودي⁽⁶⁾ وأبو مسعود وريتسيغ بن بقور وغيرهم⁽⁷⁾

* أعزهم الله تعالى وغنموا أموالهم .

واتصلت الأنباء بالموحدين أعزهم الله تعالى أن الحشم فيمن انضاف إليهم من بني واوزجيت⁽⁸⁾ وغيرهم يتبعونهم ، فتربصوا بتادارات⁽⁹⁾ حتى اجتمعوا بهم ، فكانت بينهم وقعة عظيمة فتح الله تعالى فيها لأولياؤه الموحدين أعزهم الله تعالى ،

(1) في الأصل : يشركه .

(2) في الأصل : فتحير .

(3) في الأصل : خصتهم .

(4) في الأصل : الجليلين .

(5) في الأصل : صاع .

(6) في الأصل : فول .

(7) عن هذه الوقعة انظر أويثي : تاريخ الدولة الموحدية 80/1 .

(8) بنو واوزجيت المذكورون من أفخاذ أهل تينمل على ما يذكر صاحب كتاب المقتبس من كتاب الأنساب (أخبار المهدي ص 41) ، وكانوا من أول من استجابوا للمهدي واعتنقوا دعوته قبل وصوله إلى تينمل (أخبار المهدي ص 72) ، ولكنهم ثاروا عليه بعد ذلك ، فأوقع بهم ابن تومرت وعهد المؤمن عدة وقائع . ويسمى ابن خلدون هذه القبيلة « بني واسكيت » (العبر 228/6) .

(9) تادارات إحدى مدن السوس تقع إلى شرق تينمل ، وقد ذكر البيهقي أن المهدي بنى فيها مسجدا (أخبار المهدي ص 71 - 72) وكذلك أويثي : تاريخ 60/1 .

وهزموهم وقتلوا جميعهم ، (1) ومات في تلك الوقعة العمران ، (2) وعمر بن ديان (3) ووصل الموحدون أعزهم الله تعالى إلى أنسا ، (4) والتقوا مع الحشم هنالك ، واستشهد من الموحدون أعزهم الله تعالى من كتبت عليه الشهادة ، وجاز الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه إلى جبل درن ، فاحتوى على تلك البلاد كلها من بلد تاصبوت إلى بلد ماغوصه (5) إلى بلد جنفيسة حتى وصل إلى واد يسان ، ومكث هنالك مدة حتى غزا تلك البلاد كلها ، ورجع حتى وصل تاصبوت ، (6) وجاز إلى تاداررت أيضا ، فأغار الموحدون أعزهم الله تعالى عليها ، وقتلوه قتلًا ذريعًا . وجاز إلى حصن أوصليم (7) فحصره الموحدون أعزهم الله تعالى مدة ، ثم رحل عنه الإمام رضي الله تعالى عنه إلى بلد إنسوال (8) . ونهض إلى بلد غجدامة (9) إثر غدرهم للشيخ أبي محمد عطية (10) رحمه الله

- (1) عن هذه الغزوة وغزوة أنسا التي تليها انظر البيهقي أخبار المهدي ص 76 ؛ وابن خلدون : العبر 226/6 ، وأويش : تاريخ 70/1 - 71 ، وقد حدد هذا الباحث الأخير تلك الأحداث بسنة 517 .
 (2) لم نبتدئ إلى من يقصده ابن القطان يذكر هذين « العمرين » ولعلهما كانا بعض القواد المرابطين .
 (3) في الأصل : عمر بن ديار - والتصويب عن البيهقي الذي نفهم من حديثه عنه أنه كان من قواد المرابطين معتصما بحسن أنسا ، وقد أشار البيهقي إلى هزيمته المشار إليها هنا في الكلام عن الغزاة الخامسة لابن تومرت (انظر أخبار المهدي ص 76 ، 128 ؛ وكذلك أويش : تاريخ 70/1 - 73) .
 (4) هو الحصن الذي يسميه البيهقي « أنسا بني إيماديدن » (أخبار المهدي ص 128) .
 (5) يسميها صاحب كتاب المقتبس ماغوسة (أخبار المهدي ص 42) وجاءت في موضع آخر باسم « موغوصة » (نفس المرجع ص 43) ، وهم فخذ من جدميوة كان يطلق عليهم اسم « جدميوة الجبل » ، وقد ذكر البيهقي أن المهدي غزاهم وفتح بلادهم في سنة 518 ، ولعله يعني نفس هذه الغزوة (أخبار المهدي ص 132) .
 (6) في الأصل : يا ميبوت ، وقد وردت قبل ذلك بقليل كما أثبتنا .
 (7) لعل هذا الحصن هو المذكور في كتاب البيهقي (أخبار المهدي ص 132) باسم « أوصليم بني واوم غي » ، وسيشير إليه ابن القطان مرة أخرى قائلا إنه يقع في بلاد جلاوة .
 (8) ربما كانت إنسوال هذه هي التي ذكرها صاحب كتاب المقتبس باسم « سؤالة » ، وقال إنها أحد أفخاذ صنهاجة الظل (أخبار المهدي ص 46) .
 (9) في الأصل : عجرامة ، وقد أثبتنا ما جاء في كتاب المقتبس من كتاب الأنساب (ص 44) وقد ذكر في هذا الموضع أنها من أفخاذ هسكورة الظل . وسماها ابن خلدون « عجرامة » (العبر 228/6) .
 (10) أشار البيهقي إلى هذه الغزوة في أحداث سنة 522 ، إذ قال إن المهدي أرسل طلبه الموحدون إلى =

تعالى ، وكان غدرهم له وهو في مصلاه ، فاستباح الموحدون أعزهم الله تعالى بذلك دماءهم وأموالهم .

وقفل الإمام المهدي « رضي الله تعالى عنه راجعا إلى تينملل كرمها الله 461 تعالى ، واستوطنها .

وقال اليسع بن أبي اليسع في استيطان الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه لتينملل :

إن أهل مدينة تينملل بعثوا رسلهم إلى الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه يعلمونه بطاعة هزمية الجبل ، وأن مجيئه (1) وسكنائه عندهم أصلح له وأقرب من تسامع الناس به ؛ فرحل إليهم رضي الله تعالى عنه بجميع من أطاعه . وحصل بتينملل ، وأكرمه أهلها وأنزلوه في المدينة وأضافوه وأطاعوه وبايعوه ، فرأى من كثرتهم ومنعة موضعهم وحسن بلدتهم مراحه .

فكان يخرج إلى الشريعة (2) من خارجها . ويجلس على حجر مربع أمام محراب الشريعة ، فيعظ الناس ، وكانت قبيلة هزمية يمسكون العدة فقال لهم الإمام يوما : مالكم تمسكون العدة . وأصحابنا إخوانكم الموحدون أعزهم الله تعالى لا يمسكونها ؟ فأقاموا على ترك عدتهم زمانا ، وقد كان الإمام رضي الله تعالى عنه خاف من جبهتهم لكثرتهم ومنعتهم ، وكوشف من حالهم بما اقتضى له تدقيق النظر في أمرهم ، فوصلوا في بعض الأيام إلى الوعظ دون عدة ، فما شعروا إلا وأصحابه الموحدون أعزهم الله تعالى ورضى عنهم معهم العدة قد أحاطوا بهم ، فقتل منهم في ذلك * اليوم نحو من خمسة عشر ألفا (3) ، وقتل من ذلك 47

= قبايلهم ، وكان من هؤلاء أبو محمد ابن عطية المنجصي : أرسل إلى عجرامة ، فتوفي شهيدا في هذه السنة (انظر ص 132) ، وراجع كذلك ابن خلدون : العبر 228/6 .

- (1) في الأصل : مجيئه .
 (2) ذكر دوزي في « ملحق القواميس العربية » تحت هذه المادة (748/1) أن لفظ « الشريعة » كان يطلق في الاستعمال المغربي على القاعة المخصصة لإلقاء الدروس والمواعظ في المساجد .
 (3) يبايض في الأصل بقدر كلمة .

القبيل كل من حضر في ذلك اليوم تينمل ، وسبى حرمهم ، وغنمت أموالهم ، فقسم أرضهم وكرومهم بين الموحدين من أصحابه ، وأصفى ديارها جوائز جوائز : لكل جائزة قبيلة ⁽¹⁾ .

ثم أدار على المدينة سوراً أحاط بوهبتها ، وبنى على رأس الجبل سورا ، وأفرد في قبته حصنا يكشف ما وراء الجبل ⁽²⁾ .

قال اليسع :

ولا أعلم مدينة أحصن [ولا أمنع] ⁽³⁾ منها ، إذ أنها بين جبلين لا يدخلها الفارس إلا من شرقها وغربها . فأما غربها فطريق أوسع ما به ما يمشى عليه الفارس وحده . وأضيقة ما ينزل عن فرسه خوفاً من سقوطه ، لأن الطريق مصنوعة في نفس الجبل ، تحت راكبا حافات ، وفيها مواضع مصنوعة بالخشب ، إذا أزيلت منها خشبة لم يمر عليها أحد ، ومسافاتها على هذه الصفة نحو من مسيرة يوم ؛ وكذلك من شرقها ، وهي طريق مراکش ، على صفة الغربية ⁽⁴⁾ .

وقد اتفق لهم فيها أنهم تركوا في أول الحال عسكرياً دخل إليه الطريق الشرقية مع « البربر » ⁽⁵⁾ وكان من أقماط ⁽⁶⁾ الروم فأسلم ، وكان * ⁽⁷⁾

(1) كذا ، وهو يعني : لكل قبيلة جائزة . هذا وقد نقل خبر هذه الواقعة عن اليسع - فيما يبدو - ابن الأثير (الكامل 296/8 - 297) والنويري (نهاية الأرب - ط . جاسبار رميرو - ص 190 - 191) . كذلك أشار إليها صاحب الحلل الموشية إشارة عابرة (ص 112) . وانظر أويشي : تاريخ 71/1 - 73 .

(2) في وصف تينمل ومدى ما هي عليه من حصانة انظر H. Terrasse & Basset : Sanctuaires et Fortresses almohades ، p. 37 ss . وكذلك Ferriol : Les Ruines de Tinmel ، Hesperis ، 1922 ، pp. 162 - 163 ، تاريخ 73/1 - 74 .

(3) كلمتان مطمستان لا تستبين منهما إلا بعض الحروف .

(4) في وصف الطريق المؤدي إلى تينمل انظر الإدريسي : نزهة المشتاق ص 64 ، وكذلك بحث تيراس وباسيه : المشاهد والقلاع الموحدية ص 35 .

(5) في الأصل : البربرتين ، وهو تحريف أصلحناه بما أثبتنا ، وكان قائداً مسيحياً أندلسياً من =

وما يريدونه من النزول إلى البسائط ، ⁽¹⁾ (2) العسكر الطريق هبطوا من أعلى الجبل عليهم ، فلم يفلت منهم إلا من كان في بطن الوادي .

ولما قتل الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه أهل تينمل آخى بين أصحابه ⁽³⁾ ، وكان يبعث بعوثه إلى المواضع التي تليه من ناحية سوس ، وهي قبيلة ⁽⁴⁾ تينمل ، فيغيرون عليها ، فيسبون ويقتلون ويغنمون ، وفي كل يوم يتزايدون ويصلون أفواجا إلى دين الله تعالى فيدخلون .

= فواد أمير برشلونة Barcelona وأرغن Aragon ومن كبار رجالات دولته ، ثم وقع في أسر قائد البحر المرابطي علي بن ميمون ، فوجهه هذا إلى مراکش حيث اعتنق الإسلام ولزم خدمة الأمير علي بن يوسف ، فوالاه سلطان المرابطين قيادة الجيش المسيحي المرتق الذي خدم تحت لواء المرابطين في محاولاتهم لإخماد ثورة الموحدين ، وكان اسم هذا المنصب « قائد الروم » ، وقد أبلى « البربر » في قتال الموحدين بمنطقة السوس بلاء حسناً حتى قتل في إحدى المعارك التي خاضها ضد الموحدين في سنة 539 . أما اسمه فهو اسم إسباني تعرفه المراجع الإسبانية على هذه الصورة : Reverter ، وقد كان للبربر هذا ولد اسمه علي اعتنق فيما بعد دعوة الموحدين وأصبح من أكابر رجال دولتهم ، وإليه يرجع الفضل في انتزاع جزيرة ميورقة Mallorca من أيدي بني غانية ، وقد قتل علي هذا في إحدى المعارك سنة 583 (انظر عن أخبار البربر وحياته ابن خلدون : العبر 230/2 - 231 ، البيهقي : أخبار المهدي ص 86 - 88 ، 95 - 96 ، وتعليقات ليحيى بروفنسال في ترجمته الفرنسية لهذا الكتاب ص 139 ، 155 ، ورنهارت دوزي : Recherches..., II, pp. 437 - 442 ومقال الدكتور حسين مؤنس : نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد سنة 1955 ، ص 102) . هذا ونلاحظ أن ابن خلدون يسميه « الروبرتر » بينما يسميه البيهقي « البربر » .

(6) جمع « قمت » وتكتب أيضاً « قومس » Comes (بالإسبانية Conde ، وبالفرنسية Comte) ، وهو اللقب المعروف « الكونت » .

(7) في الأصل موضع ثلاث كلمات مطموسة طمساً كاملاً ، والمقصود كما يتبين من السياق : « وكان يحول بين الموحدين وما يريدونه .. الخ » .

(1) في الأصل : البساط ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

(2) في الأصل موضع كلمتين مطموستين ، ولعلهما « فلما ساد العسكر الطريق ... الخ » أو شيء في معناها .

(3) أورد صاحب كتاب المقتبس فصلاً طويلاً عن هذه « المؤامرات » التي قام بها المهدي بين أصحابه وأنصاره (انظر أخبار المهدي ص 37 وما بعدها) .

(4) كذا ، والمعروف أن أهل تينمل لم يكونوا قبيلة واحدة ، وإنما كانوا قبائل شتى يجمعهم =

وكان رضى الله تعالى عنه أثبت في العشرة الفقيه الإفريقي ، ⁽¹⁾ فلما قتل أهل تينملل أنكر ذلك ، فقتل وصلب ، لأنه شك في عصمة الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه .

وكان مبتدأ هذه المحاولات ⁽²⁾ في سنة ثمانى عشرة . وكأنها كلها كانت فيها أو في التي بعدها ، لم يبينوا ذلك ، وكأن الأول أظهر الأمرين .

* * *

أخبار غير الموحدين أعزهم الله تعالى :
من ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى .

في هذه السنة توفي أبو الحسن موسى * بن عبد الصمد ⁽¹⁾ ، والفقيه أبو بكر ابن عطية الغرناطي ⁽²⁾ ، وقاضي قبة أبو عبد الله الموروري ⁽³⁾ ، والمشرف أبو محمد ابن مالك ⁽⁴⁾ .

ومن ذلك قتل الأفضل صاحب الأمر ، فقد قيل إنه كان في هذه السنة ، وقد قدمناه في سنة أربع عشرة ⁽⁵⁾ مع ما ذكره ابن حمّاد ⁽⁶⁾ .

(1) هو أبو الحسن موسى بن عبد الصمد بن موسى البكري القرطبي ، ولد سنة 466 وروى عن أبيه وعن أبي مروان ابن سراج وغيرهما ، وتقلد أحكام القضاء بقرطبة مع الشورى ثم صرف عن ذلك ، وله رحلة حج فيها وكتب كتباً رواها ، وقد سمع منه في المشرق ، وتوفي سنة 518 (ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 1440 . ط . مدريد ، وانظر ص 577 ، الهامش من طبعة القاهرة) .

(2) أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية الحارثي الغرناطي ، ولد سنة 441 ، وروى عن أبيه وغيره ، ورحل إلى المشرق سنة 469 فسمع صحيح مسلم وسمع بالمهدية صحيح البخاري ، وكان حافظاً للحديث وطرق علله وأسماء رجاله وكان شاعراً لغوياً ، توفي سنة 518 (ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 981 ، والفتح بن خاقان : فتلاد العقيان ص 205 - 206) .

(3) هو أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن أبي الخير بن علي الأنصاري ، وأصله من سرقسطة ، سكن قرطبة ، وله رواية عن الباجي وأبي محمد ابن فورتنش والعذري وغيرهم ، عني بالقراءات وجودها ، وحدث عنه أبو عبد الله بن الحاج قاضي الجماعة بقرطبة ، وتوفي بقرطبة سنة 518 (ابن بشكوال : الصلة ، رقم 1265 ، وابن الأبار : معجم أصحاب أبي علي الصديقي ، رقم 89) .

(4) ذكره ابن خاقان في فتلاد العقيان (ص 169 - 170) ، وسماه « الوزير المشرف » وقال إن أمير المسلمين (أي علي بن يوسف) ولاء شرق الأندلس عند ما كثر فساده ، فاستقل بعمله أحسن استقلال .

(5) سبق أن علقنا على ما ذكره ابن القطان حول مصرع الأفضل (انظر ص 79 ، حاشية رقم 2) ، وقد جعله المؤرخ في سنة 514 وإن كان قد أورد الخبر في ذكر أحداث سنة 515 ، والواقع أن مقتل الأفضل كان في سنة 515 المذكورة لا في 514 ولا في 518 كما نرى من اضطراب ابن القطان بين التاريخين ، ولعل المؤرخ خلط بين الأفضل والذي خلفه على الوزارة وإمارة الجيوش بمصر وهو أبو عبد الله المأمون بن البطائحي ، إذ أن الأمر لم يلبث أن قبض عليه وقتله هو وأخاه المؤمن بعد أن استصفى أموالهما ، وحتى ذلك إنما وقع في سنة 519 لا في السنة السابقة (انظر ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة 229/5) .

= اسم هذا الموضع كما قال عبد الواحد المراكشي (المعجب ص 323) ؛ ولهذا فربما كانت هذه الكلمة تحريفاً للفظ « قبة » أي الواقعة إلى جنوب تينملل .

(1) هو الفقيه الإفريقي الذي سبق أن نبه إليه ابن القطان عند حديثه عن أهل العشرة قائلًا إنه « لا يذكر اسمه الآن » (انظر ص 125 ، حاشية 2) ، ولم يورد اسمه صاحب كتاب « المقتبس » عند إيرادها لأسماء هؤلاء العشرة .

(2) قد تحتمل أيضاً أن تكون « المحاولات » .

قال الوراق (1) :

وظهر الأمر بعد قتل الأفضل ، بعد أن لم يكن يظهر إلا مرتين في السنة وكان الأمر سيئ السيرة . زين له بطانته أنه يملك الدنيا بأجمعها ، ورأى أن ذلك لا يكون إلا بالرجال ، والرجال لا يملكون إلا بالمال ، فنظر في صرف أموال جميع الأمراء إليه وجميع الناس فكان لا يرث بديار مصر والد ولده ، ولا ولد أباه ، وإنما يصير ما يتركه الناس من الأموال إذا ماتوا للسلطان . وأمر بأخذ أموال التجار الغرباء وسائر الناس من السوق (2) تسبب إليهم الأسباب لأخذ أموالهم ، فيؤتى إلى التاجر العطار ، فيقال له : وجد في زمن مولانا عليك كذا وكذا ! - ما يستغرق جميع ماله وأضعافه (3) - : فينكر الرجل ذلك ويقول : ما اشتريت قط بنسيئة من سلطان ولا غيره ! فلا يسمع قوله ، ويعذب حتى يقر أن جميع

(6) هو أبو الحسن علي بن حمادة الصنهاجي المتوفى سنة 628 مؤلف كتاب « النبد المحتاجة ، في أخبار صنهاجة » ، وكتاب « أخبار ملوك بني عبيد (أي الفاطميين) وسيرتهم » الذي نشره فوندرهايدن في الجزائر سنة 1927 مع ترجمة فرنسية (وإن كان الناشر قد أخطأ في اسم المؤلف إذ جعله « ابن حماد ») ، وهو غير أبي عبد الله محمد بن حمادوه البرنسي السبتي صاحب كتاب « المقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس » (انظر عن علي بن حمادة كتاب « مفاخر البربر » ص 65 ؛ وليفي بروفنسال : نص جديد عن فتح العرب للمغرب - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمديريد سنة 1954 ص 205 ، حاشية رقم 1 ؛ وكذلك ، Robert Brunschvig : Un aspect de la littérature historico-géographique del'Islam, Mélanges Gaudfroy - Demombynes, Le Caire, 1936, 1945, (p.156) .

(1) هو أبو مروان عبد الملك بن موسى الوراق صاحب كتاب « المقباس في أخبار المغرب والأندلس وفاس » ، وهو من مؤرخي القرن السادس الهجري ، وكان كتابه من أهم مراجع ابن عذارى في البيان المغرب (انظر البيان 2/1 ، 228/3 ، 249 ، 258 ، 272) وابن الخطيب (الإحاطة - ط . محب الدين الخطيب 278/1 ، 288 ؛ و ط . محمد عبد الله عنان 446/1 - 447) والسلاوي (الاستقصا 166/1 ، 169) و « مفاخر البربر » (ص 37 ، 64) ، وانظر كذلك عنه لبني بروفنسال : تاريخ إسبانيا الإسلامية 259/2 ، 264 ، 272 ؛ 81/3 .

(2) في الأصل : السرقة .

(3) في الأصل : أضعفه .

ذلك من شراء فلفل أو لاك (1) أو غير ذلك من العطر . فإذا استصفى ماله طولب بما بقي عليه فإذا لم « يوجد عنده شيء قيل له : أجل على من تعرف أنه ذو مال وكثر وتنصرف ، فيقول الرجل : فلان عنده دين ترتب لي عليه ، وهو كذا ويذكر عدداً يستغرق مال ذلك الرجل - ، فيترك الأول ، ويؤخذ الثاني فيفعل مثل ما فعل بالأول : فكانت أيامه على هذه الوتيرة (2) !

واستخلص لنفسه فتيين من الفتيان الوضاء الوجوه الحسان الخلقة ، كان أحدهما للفاحشة ، وكان رزق كل واحد منهما في كل يوم ألف دينار (3) . اسم أحدهما حرز الملوك (4) . اسم الآخر العادل ؛ وأحدث في بلاد مصر أشياء لم يستحل (5) مثلها الفراعنة ولا النماردة ، ولا سائر الأمم الماضية .

والعباسي في هذه السنة هو المسترشد في هذه السنة قبل ؛ وأمير إفريقية الحسن بن علي بن يحيى ؛ وبمصر الأمر .

(1) كذا ، وربما كانت هذه الكلمة تحريفاً للفظ « لك » (بضم اللام وتشديد الكاف) ، وهو صيغ يستخرج من بعض الأعشاب (انظر لسان العرب تحت هذه المادة) .

(2) لخص ابن عذارى هذه الفقرة في « البيان المغرب » (287/1) ناسباً إياها إلى ابن القطان ، فقال « وكان [الأمر بحكم الله] جباراً عنيداً ظالماً جائراً ، وكثر في زمانه دعوى الباطل ، ونصر الظالم على المظلوم وإعانتة على ظلمه » .

(3) نقل هذا النص أيضاً ابن عذارى (بيان 287/1) وأضاف إليه : « وكان يعمل النزاهة (كذا) ولعلها التزه) ويبيح للناس فيها المخطورات ، فلا يشاء مؤمن أن يعان منكراً مباحاً إلا عاينه » .

(4) في الأصل : هدار ملك ، وسيأتي الاسم فيما بعد في هذا الكتاب هكذا « حرز الملوك » ، وهو ما أثبتناه هنا ، وإنما يعني هذين المملوكين اللذين أشار إليهما المقرئ في الخطط (172/2) وابن تغري بردي (النجوم 240/5) واسم أولهما عند المقرئ « هزار الملوك برغوارد » وعند ابن تغري بردي « هزبر الملوك جوامرد » ، وأما الثاني فهو برغش الملقب بالعادل . هذا ويبدو من هذا النص تعامل ابن القطان على الفاطميين ومبالغته في التشهير بهم ، إذ لا يشير المقرئ ولا ابن تغري بردي إلى ما يزعم مؤلفنا هنا أنه كان الغرض من استخدامهما ، فكلا المؤرخين يقول إنهما كانا من خدام الأمر ، وإليهما يرجع الفضل في تولية الخليفة الحافظ بعده .

(5) في الأصل : يستحر ، ولعلها كما أثبتنا ، وقد تكون أيضاً « يستجر » .

ومات⁽¹⁾ في هذه السنة العزيز بالله صاحب بحاية . وولى ابنه يحيى وكان لبني الناصر [بن علاء الناس بن حماد ببجاية والقلعة وتلك البلاد]⁽²⁾ وزراء يعرفون ببني حمدون [توارثوا وزارتهم . منهم ميمون بن حمدون⁽²⁾] عند يحيى هذا ، فنشأ ليحيى ولد ، فولاه الأمر بعده ، وفوض الأمر إليه في حياته ، فجعل الولد يستنقص [الوزير]⁽²⁾ ميمونا ويقبح أفعاله ويسميه « الشيخ الكذاب » ، فخاف منه ميمون على نفسه ، فجعل يخاطب الإمام * أمير المؤمنين أبا محمد عبد المؤمن ابن علي رضي الله تعالى عنه .

باب أخبار سنة تسع عشرة وخمسمائة :

في أخبار الموحدين :

فمن ذلك ظهور أبي محمد البشير :

قال اليسع :

لما كان عام تسعة عشر وخمسمائة خرج الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه إلى الناس ، فقال له : تعلمون هذا الشيخ البشير ؟ فقالوا له : ومن البشير ؟ قال لهم : هو الونشريشي . تعلمون⁽³⁾ أنه أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب ، وتعرفون أنه لا يثبت على آية ، وقد جعله الله مبشراً لكم مطلعاً على أسراركم ، وهو من آية الله تعالى في هذا الأمر !

فأول كراماته أنه حفظه الله القرآن ، وعلمه الركوب ، ثم استعرضه أمامهم فحفظ ، فعرضه عليهم في أربعة أيام : في كل يوم ربع ، وأجرى أمامهم حصانا أتقن ركوبه غاية الإتقان ، فاستغربوا أمره وأعجبهم وصدقوا ذلك تصديقا قويا⁽⁴⁾ .

(1) نقل هذا النص حتى آخر الفقرة ابن عذارى في البيان المغرب (310-309/1) دون أن ينسبه إلى ابن القطان .

(2) إضافات يقتضيها السياق ، من البيان المغرب (الموضع المذكور في الحاشية السابقة) .

(3) في الأصل : يعلمون .

(4) أورد هذه القصة مع كثير من التفاصيل التي هي أشبه بحوك الاساطير منها بسرد التاريخ : ابن الأثير في الكامل (297/8) والنويري في نهاية الأرب . (ط . جاسبار رميرو سنة 1919) ص 192-192 ؛ =

ثم قام الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه خطيباً فيهم ، فقال لهم :

« قال الله تعالى : ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب⁽¹⁾ ﴾ ، وقال سبحانه [49] وتعالى : ﴿ منهم المؤمنون وأكثرهم ﴾ الفاسقون⁽²⁾ » ؛ وهذا البشير مطلع على الأنفس مُحَدَّث ، والنبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم يقول « إن في أمتي محدثين ، وإن عمر منهم⁽³⁾ » ؛ وقد صحبنا أقوام أطلعهم الله تعالى على ما في نفوسهم من النفاق ، ولابد من النظر في أمورهم حتى يتم المراد من العدل في أحكام هذه البلاد .

فقالوا له :

— ما أهرت يمثثل !

فنودى في الناس في جبل المصامدة المطيعين : من كان مطيعاً لله تعالى ولرسوله ﷺ وللإمام المهدي رضي الله تعالى عنه [49] فليقبل !

فكانوا يأتون قبائل قبائل⁽⁵⁾ ، فيعرضون على البشير ، فيخرج قوماً عن يمينه وقوماً⁽⁶⁾ عن يساره ، فكل من أخرجه عن يمينه يزعم أنه من أهل الجنة ، وما خرج عن يساره ، إلا شاك⁽⁷⁾ في الأمر وفي الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه .

= وانظر كذلك أويثي : الخرافة والتاريخ فيما كتب عن نشأة الدولة الموحدية (وهو الملحق الأول من ملاحق كتابه « تاريخ الدولة الموحدية ») (595/2 - 596 .

(1) سورة الأنفال ، آية رقم 37 .

(2) سورة آل عمران ، آية رقم 110 .

(3) ورد هذا الحديث في صحيح مسلم في باب فضائل عمر (رضه) (115/8) على هذه الصورة : « قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون ، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم » ؛ وفسر ابن وهب لفظ « المحدث » هنا بأنه الملهم ، وقال القسطلاني إن المحدث هو الذي يلقي في روعه الشيء قبل الإعلام به أو يجري الصواب على لسانه من غير قصد .

(4) زيادة يقتضيها السياق .

(5) في الأصل : قبائل قبائل .

(6) في الأصل : قوم وقوم .

(7) في الأصل : شاكا .

واتفقت له فيهم عجائب : منها أنه يؤتى برجل ، فيقول : ردوا هذا على
اليمين ، فإنه تائب ، وقد كان قبل كافراً بهذا الأمر ، ثم أحدث البارحة أو اليوم توبة !
فيقول الرجل : كل ما حدث به الإمام فهو حق ! ويطلق أهل اليسار ، وهم
يعلمون أنه ليس لهم إلا القتل ، فلا يفر منهم أحد . وكان إذا اجتمع منه كثير
[50 أ] قتلهم * قرباتهم : يقتل الأب ابنه والابن أباه والأخ أخاه (1) .

أخبار سنة (522)

..... * وفيها استرعي علي بن يوسف البيعة لابنه سير (2) ، فعقدت
له البيعة بقرطبة .

(1) عن هذا « التمييز » أو التطهير الذي اضطلع به البشير انظر ابن الأثير والتويرى (في الموضوعين
للدين سلفت الإشارة إليهما من قبل) ؛ والبيذق : أخبار المهدي ص 78 ؛ وابن خلدون : العبر 228/6 ؛
والسلاوي : الاستقصا 86/2 - 87 .

(2) سير بن علي بن يوسف بن تاشفين ، من أبناء السلطان المرابطي علي بن يوسف ، وقد عقد له
أبوه ولاية العهد في يوم الجمعة 14 جمادى الأولى سنة 522 (15 يونيو 1128) كما نص على ذلك ابن
عدارى في البيان المغرب (القسم المرابطي ص 78 - 79 وعبد الملك بن موسى الوراق في كتاب المقباس
حسبما نقل عنه ابن الخطيب في الإحاطة (ط . عنان) 446/1 - 447 ، وعهد علي بن يوسف في نفس
الوقت إلى ابنه تاشفين بحكم الأندلس ، فكير ذلك على سير وفلاوض أبيه في عزله لما اشتعل في نفسه من
حسد لأخيه تاشفين بسبب ثناء الناس عليه ، فلم يسمع أبيه إلا أن عزل تاشفين عن الأندلس وأمره
بالوصول إلى حضرته ، فرحل هذا إلى مراكش في أواسط سنة 531 ، وصار في جملة من يتصرف بأمر
أخيه سير ويقف ببابه كأحد حجابيه . وقد بقي سير ولياً للعهد منذ سنة 522 حتى وفاته سنة 533 « على
الصورة القبيحة » كما يقول ابن الخطيب ، وهي الصورة التي سوف يصفها ابن القطان عند الحديث عن
موته في أخبار سنة 533 ، ويتفق مع هذا ما يذكره فرانسيسكو كوديرا في بحثه عن « بني تاشفين » في
كتاب « أبحاث نقدية حول التاريخ الأندلسي » (المجلد التاسع - سرقسطة سنة 1899) ص 119 - 120
حيث يصف مجموعة من النقود المرابطية ضربت في مراكش والمرية وإشبيلية منصوباً فيها على « سير ولي
العهد » . (وانظر عن سير بن علي مقالنا « وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين » ص 132 - 133
والمراجع المذكورة في هذا الموضوع) .

وفيها عزل علي ولده أبا بكر (1) عن إشبيلية (2) ، وغربه مكبولا إلى الصحراء
لأمر نسب إليه ، لأنه لم يرض ببيعة أخيه ، وولى مكانه بإشبيلية أجداي (3) ،

(1) أبو بكر بن علي بن يوسف ، هو أكبر أبناء السلطان المرابطي ، ولد سنة 493 (1099 - 1100) ،
وكان بلقب ييكور (صيغة تصغير « أبي بكر ») وكذلك بكو ، ونشأ بالأندلس كما جرت عادة علي بن
يوسف في تشقة أبنائه ، فدرج في إشبيلية وقام على رعايته وتأديبه الطبيب الأندلسي المشهور أبو مروان
ابن زهر ، ولكنه لم يكن منصرفاً إلى التحصيل بل كان كثير التشغب والتضريب كما نستدل من رسالة من
أبيه إليه (نشر هذه الرسالة الدكتور حسين مؤنس : سيع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في
الأندلس - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، سنة 1954 ص 68 - 70) ، ويبدو أن أول
منصب رسمي عهد به إليه كان حكم إشبيلية في ذي الحجة سنة 517 (يناير - فبراير 1124) ، وإن كان لم
يضطلع به بالفعل إلا في شهر المحرم سنة 518 (فبراير - مارس 1124) ؛ وكان مما قام به أثناء حكمته
إشبيلية تعقبه لألفونسو المخارب حينما قاد حملته الطويلة التي اخترق فيها بلاد الأندلس في سنة 519
(1125 - 1126) ، وقد أسند إليه أبوه بعد ذلك قيادة جيوش الأندلس في 27 صفر سنة 520 (24 مارس
1126) ؛ ويذكر ابن الأبار من غزواته حملته إلى كولية في جمادى الآخرة سنة 522 (التكملة - ط . كوديرا
ص 87 ، الترجمة رقم 289) ، أما عزله عن إشبيلية الذي يشير إليه ابن القطان في هذا النص فإنه كان في
رجب سنة 522 (يولييه 1128) بسبب تصريحه بالتذمر والضيق من تعيين أخيه سير ولياً للعهد ، ولعله
كان يرى نفسه أحق بذلك لأنه أكبر إخوته . فنفي إلى الصحراء (صحراء المغرب) كما يذكر ابن القطان ،
ويبدو أن أبيه رضى بعد ذلك عنه إذ نرى أنه قد عهد إليه بقيادة بعض جيوش المرابطين في قتال الموحديين ،
وفي سنة 533 يتوفى سير بن علي ولي العهد فيعهد علي بن يوسف بالأمر إلى تاشفين ، ويعود أبو بكر إلى
الاحتجاج والسخط . حتى إذا ضاق به أبوه أمر بإخراجه من مراكش وحمله إلى الجزيرة الخضراء ليسجن
بها ، ويقول ابن عدارى إنه وصل إلى الجزيرة مريضاً فلم تطل مدة مجبسه هذا إلى أن هلك (انظر مقالنا
« وثائق تاريخية جديدة » ص 130 - 139 ؛ وأويشي : علي بن يوسف وأعماله بالأندلس ص 102 ، 108 ؛
وانظر كذلك ابن عدارى : البيان المغرب (القسم الموحدى - ط . بيروت ص 30) .

(2) كذا ، ويكتب هذا الاسم عادة « إشبيلية » ، على أن كتابة هذا الاسم بغير ياء - كما جاء في
الأصل - كان شائعاً في عامية الأندلس كما ينص على ذلك ابن هشام اللخمي في « لحن العامة » :
« ويقولون ببعض بلاد الأندلس إشبيلية ، والصواب إشبيلية ، وكذلك عربتها العرب ، وكان اسمها قبل
ذلك أشبانية » (انظر هذا النص و تعليق الدكتور عبد العزيز الأهواني عليه في مقاله « ألفاظ مغربية من
كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة » - مجلة معهد المخطوطات العربية - مايو سنة 1957 - ص 143) .

(3) لسنا نعرف على وجه التحقيق من هو « أجداي » هذا ، وقد ذكر أويشي في مقاله عن « علي بن
يوسف ... » أنه هو المسمى بعبد الله بن أبي بكر سير اللمتولي (ص 102 - 103 ، 112) ، ثم ذكر

فنهض من قرطبة إلى إشبيلية ، واستخلف على قرطبة أبا زيد تيكلمت⁽¹⁾

[34 أ] وفيها ولى [قضاء] قرطبة [أبو] عبد الله محمد * بن أصبغ⁽²⁾ ؛ وقدم أبو الوليد بن رشد⁽³⁾ إلى مراکش على علي بن يوسف ، وأشار عليه ببناء سور

= مرة أخرى في نفس المقال أنه عبد الله بن عمر بن سير اللمتوني (ص 107 - 108 ، 111) ؛ هذا والذي نعرفه من القائمة التي أوردها ابن عذارى لولاة إشبيلية في « البيان المغرب » (القسم المرابطي) (ص 106) أن الذي خلف أبا بكر بن علي بن يوسف على حكم إشبيلية هو عمر بن سير وظل عليها ما بين شعبان وذي القعدة سنة 522 (أغسطس - ديسمبر 1128) . انظر مقال أويثي السالف الذكر ص 108 ؛ ويرى هذا الباحث أن حكم أجداي للمدينة ربما كان بصفة مؤقتة قبل ولاية عمر بن سير المذكور .
(1) ذكر أويثي في مقاله المشار إليه (ص 111) أن أبا زيد هذا قتل في سنة 524 (1129 - 1130) في خلال معركة مع النصارى على الأرجح ، وأن حكمه لقرطبة كان لفترة قصيرة على أية حال ، إذ أن ابن القطان هو المؤرخ الوحيد الذي يشير إلى ولايته .

(2) في الأصل : « وفيها ولى قرطبة عبد الله بن محمد بن أصبغ » ، والنص على هذه الصورة يوقع في الخطأ مما حملنا على إصلاحه على ما أثبتنا ، فالذي نعرفه من سائر المراجع التاريخية أنه لم يل ولاية قرطبة أحد يحمل هذا الاسم في السنة المذكورة ، وإنما نعرف أن من بين من ولوا قضاء الجماعة بقرطبة أبا عبد الله محمد بن أصبغ الأزدي القرطبي المعروف باسم ابن المناصف ، ولد سنة 474 ، وولى خطة المظالم بقرطبة مع شيخه أبي الوليد ابن رشد ، وكان هذا يستحضره في مشايخ أهل الشورى ، ثم ولى قضاء الجماعة مدة طويلة ، وصرف بعد ذلك عنه ، ففرغ إلى التدريس وولى الصلاة بالمسجد الجامع ، وتوفى سنة 536 وقد جاوز الستين (انظر في ترجمة : الضبي : بغية الملتبس ترجمة 51 ؛ ابن الأبار : معجم أصحاب أبي علي الصدي ، ترجمة 118 ؛ ابن سعيد : المغرب 163/1 ؛ ابن بشكوال : الصلة رقم 1288) .

هذا ويدلنا على صواب ما رجحنا أن ابن القطان نفسه سيذكر في أخبار سنة 528 أن فيها عزل علي ابن يوسف « أبا عبد الله بن أصبغ » عن القضاء بقرطبة ؛ وقد انخدع بنص ابن القطان الأستاذ أويثي فعده من ولاة قرطبة في هذه السنة (انظر مقاله عن علي بن يوسف ... ص 111) .

(3) هو الفقيه المشهور أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ، ولد بقرطبة في سنة 450 ، وولى قضاء الجماعة في قرطبة سنة 511 وبقي في هذا المنصب حتى سنة 513 أو 515 إذ استغفى من القضاء لكي يتفرغ لتأليف كتابه الكبير « البيان والتحصيل » . وكانت وفاته في الحادي عشر من ذي القعدة سنة 520 . (انظر في ترجمته ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 1270 ؛ الضبي : بغية الملتبس ، ترجمة 24 ؛ ابن فرحون : الديباج المذهب ص 278 - 279 ؛ النباهي : المرقبة العليا ص 98 - 99 ؛ وانظر كذلك بروكلمان : تاريخ الأدب العربي 384/1 . والذيل 662/1 .

مراكش ، وقال له : لا يحل لك سكنى هذه المدينة دون سور ، فبناه وأنفق في بنائه نحو سبعين ألف دينار⁽¹⁾ .

وفيها مات ابن الوراق السرقسطي⁽²⁾ ، وابن يربوع المحدث⁽³⁾ ، وأبو بكر ابن ناصر⁽⁴⁾ .

والعباسي في هذه السنة المسترشد كما كان ، وبإفريقية حسن بن علي ، ومصر الأمر .

* * *

(1) من الواضح أن ابن القطان قد وهم هنا إذ جعل رحلة ابن رشد إلى مراکش في سنة 522 بينما نعرف أنه توفي قبل ذلك بستين ، ويبدو أن ابن القطان قد اعتمد في هذا التاريخ على أبي مروان الوراق في كتاب « المقباس » إذ أن هذا المؤرخ هو الذي أوحى في كلامه عن بناء سور مراکش بأن رحلة ابن رشد كانت في سنة 522 ولو أنه لا ينص على ذلك صراحة (انظر ما نقله عن الوراق في ذلك صاحب كتاب « مفاخر البربر » ص 53) ، وقد تابع ابن القطان على ذلك ابن عذارى في « البيان المغرب » (310/1) ولو أنه لا ينص على نقله عنه والصحيح أن رحلة ابن رشد إلى مراکش ونصحه لعلي بن يوسف ببناء سورها إنما كانا في أواخر سنة 519 على أثر الغزوة التي قام بها ابن رزمير (ألفونسو المخارب ملك أرغن) واحترق فيها الأندلس من شمالها إلى جنوبها . وقد نص على هذا التاريخ صاحب اللؤلؤ الموشية (ص 97) ، وقد كانت وفاة ابن رشد بعد رجوعه إلى قرطبة من تلك الرحلة بنحو خمسة شهور (انظر ترجمة أويثي الإسبانية لنص « اللؤلؤ » ص 116 ، وكذلك مقالنا « وثائق تاريخية جديدة ... » ص 124 - 126) .

(2) في الأصل : « ابن الوراق والسرقسطي » مما يوحي بأنهما شخصيتان مختلفتان والواقع أن الإشارة هنا إلى أبي المطرف عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الفهسي السرقسطي المعروف بابن الوراق ، أقرأ الناس بالمسجد الجامع بقرطبة وتولى الصلاة فيه ، وكانت وفاته في الخامس من صفر سنة 522 ، وكان مولده في سنة 442 (انظر ترجمته في ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 750) .

(3) هو المحدث المشهور أبو محمد عبد الله بن أحمد بن سعيد بن يربوع ، أصله من شنترين ، ويعتبر في عداد أهل إشبيلية ، وسكن قرطبة ، وكان بصيراً بالحديث والرجال والتعديل والتجريح ، وتوفى في التاسع من صفر سنة 522 ، وولد في سنة 444 (انظر ترجمته في الصلة ، رقم 644 ، وابن الأبار : معجم أصحاب أبي علي الصدي ، رقم 191) .

(4) لم نهند إلى شخصية ابن ناصر هذا .

باب

أخبار سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

كان الموحدون أعزهم الله تعالى بتينملل .

وفي هذه السنة وصل إلى علي بن يوسف خير من مدينة بلنسية أن ابن رزمير⁽¹⁾ عازم على الخروج إلى بلاد المسلمين ، فخشى أن تكون حركته كالتى كانت في سنة عشرين⁽²⁾ ، فقسط على الرعية سودانا يغزون في العساكر ، وكان قسط أهل فاس منها ثلاثمائة غلام من سودانهم برزقهم وسلاحهم ونفقاتهم ، يخرجون ذلك من أموالهم ، ففعلوا .

ونهبضت الحشود إلى مرسية ، وقائدها بدر بن ورقاء⁽³⁾ ، وقائد العساكر

(1) يعني به ألفونسو الأول ملك أرغون المعروف بالمحارب Alfonso el Batallador ، حكم أرغون ونبرة ما بين سنتي 499 و 529 هـ . (1104 - 1134) وهو الذي استولى على سرقسطة سنة 512 (1118) من أيدي المسلمين واتخذها عاصمة لملكه ، وكان قد قام في سنة 519 - 520 بحملة جريفة على بلاد المسلمين من سرقسطة حتى وصل إلى السواحل الجنوبية الشرقية دون أن يتعرض لمقاومة تذكر .
(2) يعني الحملة التي أشرنا إليها في الحاشية السابقة ، وقد فصل الحديث عنها صاحب الحلال الموشية ص 91 - 97 (والترجمة الإسبانية ص 109 - 110) وابن الخطيب : الإحاطة (ط . محب الدين الخطيب) 20/1 - 24 ، والإحاطة (ط . عنان) 108/1 - 114 ، وانظر كذلك : Dozy: Recherches..., 1, pp. 348 ؛ وكوديرا : اضمحلل دولة المرابطين ص 13 - 16 ؛ وبوسك يلا : المرابطون ص 233 - 236 ؛ ويوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان) ص 146 - 150 ؛ ومقالنا « وثائق تاريخية جديدة » ص 123 - 126 .

(3) في الأصل : بدر بن ورقاء ، والصواب ما أثبتنا ، وهو القائد أبو عبد الله بدر بن ورقاء ، كان واليا على بلنسية في سنة 519 (1125) حينما مرت بالقرب منها جيوش ابن رزمير (ألفونسو المحارب) خلال حملته على الأندلس ، ويبدو أن عمل مرسية أضيف إليه بعد ذلك ، ويذكر ابن عذارى (الذي يسميه محمد بن يوسف بدر) أنه توفي سنة 524 وهو على عمل بلنسية (انظر مقال أويشي عن « علي بن يوسف ... » ص 113 - 114) ، وقد نص صاحب « مفاخر البربر » عليه في القائمتين اللتين أوردتهما أعمال بلنسية ومرسية للمرابططين (ص 82) ، ومن بين « النصوص السياسية » التي نشرها الدكتور حسين مؤنس عن فترة الانتقال من المرابططين إلى الموحدين (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمغريد =

كلها ابن مجوز⁽¹⁾ ، وابن رزمير بالقليعة⁽²⁾ بمقربة من جزيرة شقر ، فالتقى

= سنة 1955 - ص 120 - 122) رسالة موجهة من ابن ورقاء هذا إلى القاضي ابن عبد العزيز بلنسية يعلمه فيها باستخلاص حصن كوالية من أعمال بلنسية من أيدي النصارى ، وتاريخ الرسالة 14 من جمادى الآخرة سنة 522 ، وهذه الغزوة هي التي اشترك فيها - باعتباره قائداً عاماً للجيوش المرابطية أبو بكر بن علي بن يوسف كما يفهم من نص لابن الأبار (التكملة ط . كوديرا - ص 87 ، ترجمة 289) ، ولعل هذه الحملة هي نفسها التي يتحدث ابن القطان عنها في هذا الموضع ، وانظر كذلك أويشي : تاريخ الدولة الموحدية 77/1 .

(1) يرى أويشي أن ابن مجوز هذا هو الذي تسميه بعض المراجع الأخرى أبا زكريا يحيى بن علي بن الحاج وأن اسم « مجوز » و « مكور » و « مقوز » ليست إلا صيغا بربرية لكلمة « حاج » العربية ، وهو من عائلة بني الحاج المشهورة التي أنجبت عدداً من أعظم القواد المرابطين ، وأول أفراد هذه الأسرة أبو عبد الله محمد بن سموين بن محمد بن ترجوت الذي كان ابن عم يوسف بن تاشفين وواحداً من خيرة قواده وهو الذي هزم ألفونسو السادس ملك قشتالة في معركة كنشرة Consuegra سنة 490 انظر حول هذه الواقعة تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى ، مدريد 1971 ص 108 ؛ وأخوه أبو الحسن علي بن الحاج هو الذي عهد إليه بحكم غرناطة سنة 496 ، وفي سنة 497 يستشهد في ميدان القتال ضد النصارى قرب بلنسية ، ويخلفه في هذه السنة أخوه محمد على حكم غرناطة ، وفي سنة 498 يعزل عن غرناطة ويظل بعيداً عن مناصب الحكم حتى يعتلي علي بن يوسف العرش ، فيعهد إليه بولاية فاس سنة 501 ، ثم بلنسية سنة 503 ، ثم يشترك في القتال الدائر بين المرابطين وألفونسو المحارب قرب سرقسطة ، ويستشهد هناك في سنة 503 ابنه يحيى وعن هذه الواقعة يتحدث ابن الأبار عرضاً في ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن حيوة الأنصارى ، إذ قال إنه توفي شهيداً بسرقسطة في « الكائنة على أى عبد الله ابن الحاج اللمتوفى بها سنة 503 » وتسمى سنة المرج . (انظر التكملة لابن الأبار ، ط . كوديرا ، الترجمة 1572 ص 554) ، وفي سنة 508 يشترك في معركة البورت Congost de Martorell التى هزم فيها المسلمون ، ويتوفى في السنة التالية في معركة ضد القشتاليين .

أما أبو زكريا يحيى بن علي بن الحاج المذكور في هذا الموضع من النص فقد أسند إليه حكم إشبيلية سنة 523 ، وفي هذه السنة يشترك في الواقعة التي انتهت بهزيمة قلييرة Cullera التي يتحدث ابن القطان عنها هنا ، وقد كان من نتائج هذه الهزيمة أن عزل عن حكم إشبيلية ، وخلفه على ولايتها أخوه عمر في سنة 524 ، ولكنه لم يلبث أن استشهد أيضاً في سنة 526 في الواقعة التى هزم فيها المسلمون أمام جيوش ألفونسو السابع ملك قشتالة . وقد أشار إلى هذه الواقعة ابن عبد الملك المراكشى في ترجمة سليمان بن جعفر الحضرمي الإشبيلي (الذيل والتكملة ، المجلد الرابع ، الترجمة 147 ص 61) إذ قال إن سليمان بن جعفر المذكور هو الذى خاطب على بن يوسف بن تاشفين عن أهل إشبيلية يعلن باستشهاد أميرها عمر بن مقور بقتل الروم إياه في رجب سنة 526 . (انظر أويشي : علي بن يوسف ص 106 - 107) .

(2) هذه الواقعة هي المعروفة باسم « قلييرة » Cullera ، وهي قرية تقع على ساحل البحر المتوسط على مسافة بضعة كيلو مترات إلى شرق جزيرة شقر Aicira .

الجمعان هنالك ، وانهزم المسلمون ، وتبعهم العدو ، وذهب أكثر الرجال قتلا وأسرا ، وحاز [العدو] ⁽¹⁾ الأسلاب والأثاث والدواب ، وذهب من المسلمين ما يزيد على اثني عشر ألفا بين قتل وأسير ؛ وبلغ ذلك علي بن يوسف ، فغاضه ⁽²⁾ ، وأمر بالكتب إلى لمتونة ⁽³⁾ بالخزى ، فكتب ابنا أبي الخصال ⁽⁴⁾ عنه إليهم بكل تنكيل وخزى ؛ وكل هذا مما مهد الله تعالى به أمر الموحدين أعزهم الله تعالى .

وأغار ⁽⁵⁾ النصارى على غَلِيْرَة ⁽⁶⁾ ، واكتسحت ما وجدت ، ورصد النصارى أجداي ⁽⁷⁾ صاحب قرطبة في بعض مخارجه ، فالتقوا به ، فنكب المسلمون وأصيب منهم جملة ، وعزل أجداي عن إشبيلية ، ووليا يحيى بن بكون ⁽⁸⁾ ؛ وعزل تميم ⁽⁹⁾

(1) زيادة يقتضيها السياق .

(2) في الأصل : فغاضه .

(3) في الأصل : لمتون .

(4) في الأصل : أبناء أبي الخصال ، وإنما المقصودان هما أبو عبد الله محمد وأبو مروان عبد الملك ابنا مسعود الغافقيان الشقوربان وكانا من أعظم كتاب الدولة المرابطية حتى وقع منهما أو من أحدهما ما أوجب غضب علي بن يوسف عليهما وإقصاءهما بسبب تلك الرسالة التي يشير إليها ابن القطان هنا ، وتوفي أبو مروان بمراكش سنة 539 ، وأما أبو عبد الله فكانت وفاته بقرطبة في السنة التالية (انظر مقالنا « وثائق تاريخية ... » ص 118 - 119) . هذا وقد نشر الدكتور حسين مؤنس نص الرسالة التي كتبها أحد هذين الأخوين على لسان علي بن يوسف إلى جند بلنسية من المرابطين حينما أوقع بهم ابن رزمير تلك الهزيمة ، وفيها يعيرهم بتخاذلهم وتقاعدهم ، وقد أفحش الكاتب الأندلسي في رسالته هذه على المرابطين وأغلظ لهم في القول أكثر من الحاجة على ما يقول عبد الواحد المراكشي في « المعجب » (ص 240 - 241) ؛ انظر « نصوص سياسية ... » ص 114 - 118 .

(5) في الأصل : وغارت .

(6) بالإسبانية Galera . انظر أويثي : تاريخ .. 77/1 .

(7) في الأصل : أجد .

(8) كذا ، ولعلها مكوز (مجوز) ، ويرى أويثي أنه أبو زكريا يحيى بن علي بن الحاج ، وأنه هو المذكور باسم « ابن مجوز » (انظر ما سبق أن أوردناه في الحاشية رقم 1 ص 153) .

(9) هو تميم بن علي بن يوسف بن تاشفين ، ذكره ابن عذارى في حديثه عن أبناء الأمير علي بن يوسف ، وقال إنه حضر مبايعة أخيه سير بولاية العهد في قرطبة في 14 جمادى الآخرة سنة 522 ، =

عن فاس ⁽¹⁾ ووليا عمر بن علي بن يوسف ⁽²⁾ .

وضرب السليطين ⁽³⁾ بالنصارى على جريدة ⁽⁴⁾ من الخيل تحمل الميرة إلى بعض الثغور ، فرموا الأطعمة وفروا أمامه .

وبعث علي بن يوسف ألفي دينار لإصلاح سور ⁽⁵⁾ سبتة .

وكان العباسي في هذه السنة المسترشد على ما كان عليه قبل . وكان بمصر أيضا في هذه السنة [الأمر] ⁽⁶⁾ ، وفي المهدي وبجاية الولاة الذين كانوا عليها في السنين التي قبلها حسبا تكرر ذكره .

* * *

= ولسنا نعرف عنه بعد ذلك إلا ما يذكره ابن القطان هنا من ولايته على فاس ثم عزله عنها ، ثم اشتراكه في قتال الموحدين (انظر أويثي : علي بن يوسف ... ص 105) .

(1) في الأصل : قابس ، والصواب ما أثبتنا .

(2) لا نعرف الكثير عن أبي حفص عمر بن علي بن يوسف المذكور هنا ، وقد ذكر ابن عذارى أنه ولي حكم غرناطة خلفا لابن عمه أبي عمر يناله ، وكان أول ما قام به هو إطلاق سراح فقهاء جيان الدين قبض عليهم سلفه عامل غرناطة ، وكان من أهم ما قام به أثناء عمله هو الاشتراك مع أخيه الأكبر أبي بكر بن علي بن يوسف في مهاجمة النصارى الذين كانوا قد استولوا على أحد حصون المسلمين ، فاستنقذ الأميران الحصن واستعرضا معا جنودهما في غرناطة ، ولكن حكمه لهذه المدينة لم يستمر إلا أربعة أشهر (من جمادى الأولى حتى رمضان سنة 522) وبعدها عزل عن غرناطة وانتقل إلى المغرب فيما يبدو (انظر البيان المغرب القسم المرابطي - ص 75 - 77 ، 97 ، 99) ونعرف من نص ابن القطان هنا أنه عهد إليه بحكم فاس في سنة 523 ؛ كذلك نعرف من نص آخر في آخر هذا الكتاب أنه هو الذي ألحق بأخيه سير ولي العهد جراحة خطيرة إثر تسوره على داره يريد زوجته ، وذلك في آخر صفر سنة 533 ، فتوفي سير من أثر هذه الجروح .

(3) في الأصل : السلطين ، وإنما المراد بالسليطين (تصغير السلطان) هو ألفونسو السابع الذي ولي عرش قشتالة في سنة 1126 بعد وفاة أمه « أراكا » بنت ألفونسو السادس وظل يحكم حتى سنة 1137 (520 - 534 هـ) ، وكان قد نصب على عرش بلاده وهو بعد صغير السن ، وربما كان هذا هو السبب في استخدام ابن القطان عند الإشارة إليه لفظ « السليطين » بالتصغير .

(4) في الأصل : حليدة .

(5) في الأصل : رسول .

(6) إضافة يقتضيها السياق .

* باب

في أخبار سنة أربع وعشرين وخمسمائة
أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى:
فيها التمييز والحركة المباركة

كان للموحدين أعزهم الله تعالى تمييز بهونا ، وقتل فيه المنافقون ، وتمييز
بتينملل ، كانت عقبه الحركة إلى البحيرة⁽¹⁾ ، وكان الإمام رضي الله تعالى عنه قد
حشد لها الناس ، وكتب رضي الله تعالى عنه [عنه] باستدعائهم وتحريضهم ،
فشيعهم الإمام رضي الله تعالى عنه إلى تينملل كرمها الله تعالى .
وتماذي الموحدون أعزهم الله تعالى في مسيرهم ، فخرج إليهم تميم بن علي
ابن يوسف بعسكر لجب مع بعض أصحابه إلى إيجيليز⁽²⁾ .

* هزيمة أبي بكر بن يندوج⁽³⁾ بكيك :

واستوفت على تميم⁽⁴⁾ الأموال والسلاح بكيك ، فطلب منه الجند قسمة
شيء من ذلك عليهم ، فوعدهم للغد ، فلما كان اليوم الثاني وقعت عليهم الهزيمة ،

(1) في الأصل : البحيرية .

(2) في الأصل : الجبلين .

(3) ربما كان أبو بكر بن يندوج هذا هو الذي يذكره ابن خلدون باسم أبي بكر بن محمد اللمتوني
عامل السوس (العبر 228/6) ولعله هو نفسه الذي يذكره البيهقي (أخبار المهدي ص 129) مسميا إياه
عمر بن يندوك ، وكان معتصما بحصن تافر ككونت في كيك غيغرة ، غزاه البشير ، ومات عمر هذا
فأخذ الموحدون له 150 فرسا ، ومات فيه 500 رجل .

(4) هو تميم بن علي بن يوسف المذكور قبل ذلك ، وقد أورد صاحب الحلل الموشية وصفا لهذه
الوقعة ، إلا أنه ظن أن تيمما هذا هو تميم بن يوسف بن تاشفين أخو الأمير علي بن يوسف (انظر الحلل
ص 84 و ص 134 من ترجمة أويش الإسبانية) . وقد نص ابن عذارى على تميم هذا عند حديثه عن أبناء علي
ابن يوسف (البيان المغرب - القسم الموحد - ط . بيروت ص 30) .

فأسلموا الأموال والسلاح والأخبية وغيرها ، وحاز الموحدون أعزهم الله تعالى ذلك
كله ، وانهزم أبو بكر بن يندوج⁽¹⁾ .

هزيمة بكو بن علي وقتل يطى بن إسماعيل :

ولما انتهت الهزيمة⁽²⁾ إلى الجروية⁽³⁾ خرج عليهم * بكو بن علي بن يوسف⁽⁴⁾
ومعه يطى بن إسماعيل⁽⁵⁾ والقواد في عسكر مجر⁽⁶⁾ ، فأخذت البشير⁽⁷⁾ تلك السنة
التي كانت تأخذه عند عظام الأمور ، فلما قام من سنته أعلمهم بالفتح وأنهم يهزمون
بكو بن علي ، وأنهم لابد لهم من يوم آخر ينزلون فيه « أفراج ابن وغواد » على مقربة من
مراكش ، وأنه يجرح⁽⁸⁾ سبعة من الموحدين - وأشار إلى أحدهم - ، فانهزم بكو ومن
معه دون مشقة ولا كبير حرب ، وأخذت محلاتهم⁽⁹⁾ ودوابهم وأمتعتهم وأسبابهم
وأسلحتهم⁽¹⁰⁾ وقبايعهم . وجدوا في آثارهم . وكان ذلك كله !

(1) في الأصل : يندوج .

(2) العزيمة .

(3) لم أستطع التحقق من هذا الموضع .

(4) نظن أن اسم [بكو] هذا ليس إلا صيغة من الصيغ التي يكتب بها اسم [أبي بكر] مثل بكور
أيضا ، ولهذا فالقصود هنا هو أبو بكر بن علي بن يوسف أكبر أبناء السلطان المرابطي الذي سبق أن ترجمنا
له (انظر ص 149 حاشية رقم 1) وقد جاء الاسم على نفس الصورة التي يوردها ابن القطان هنا فيما
كتبه عن هذه الوقعة البيهقي (أخبار المهدي ص 131 ، والترجمة الفرنسية ص 222) ؛ أما ابن أبي زرع في
روض القرطاس (157 ، 179) والسلاوي في الاستقصا (92/2) فيسميانه [أبا بكر] . وانظر أويش :
تاريخ 80/1 .

(5) يسمى صاحب الحلل الموشية هذا القائد المرابطي [بطى اللمتوني] (انظر ص 112 من النص
و 135 من الترجمة الإسبانية) .

(6) في الأصل : مجر .

(7) هو أبو محمد عبد الله بن محسن الونشريشي الذي سبقت الإشارة إليه غير مرة .

(8) في الأصل : يخرج .

(9) في الأصل : محلاتهم .

(10) في الأصل : وانسيابهم وأسلحتهم .

فوصلوا يوم الاثنين إلى أمجدار بقبلة أغمات وريكة . فوجدوا عسكر يطى وعمر بن تورجير بن يوسف زوج ابنته مريم في عساكر ، فبشر المسيح ⁽¹⁾ بهزيمتهم فانهزموا .

ولما رأى يطى بن إسماعيل الهزيمة وثب من صهوة فرسه إلى الأرض وجلس على درقته ليرجع الناس إليه ، فأدركته الدفعة وقتل وهو على درقته .

وكانت الهزيمة من أمجدار ⁽²⁾ إلى فحص مراکش حرسها الله تعالى .

الهزيمة على أغمات :

« وخرج يوم الأربعاء جميع أهل أغمات حتى التجار ، فتنادب ⁽³⁾ الموحدون أعزهم الله على القتال ، وكان المدبرون لأمر الموحدين أعزهم الله تعالى ثلاثة رجال : سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين ⁽⁴⁾ ، وأبو حفص عمر بن علي أصناج ⁽⁵⁾ ، وأبو عمران موسى بن تمارا الجدميوي ⁽⁶⁾ ، رتبوا الصفوف . فكانت الهزيمة وأخذت جميع المحلات ، وقتل من أهل أغمات مقتلة عظيمة ، ومات فيها من جناوة ⁽⁷⁾ ثلاثة آلاف أسود ، ومشت الهزيمة إلى أن وصل الموحدون أعزهم الله تعالى أفراج يوسف بن وغواد ، فباتوا هنالك ليلة الخميس .

(1) من الغريب إطلاق تسمية « المسيح » ، فلنسا نعلم أن المهدي أو أحد رجاله قد أطلق عليه هذا اللقب ، وربما كانت سهوا من الناسخ أراد به البشير المذكور قبل ذلك .

(2) في الأصل : محدار ، وقد سبقت قبل ذلك بسطور على الصورة التي صححناها بها ، وذكر ابن القفطان أنها تقع بقبلة أغمات وريكة أي في جنوبها ، ونظن أن هذا الموضع هو نفسه الذي ذكره البيهقي باسم « مكناز » في الحديث عن الأحداث التي سبقت وقعة البحيرة (أخبار المهدي ص 78 من النص و 127 من الترجمة الفرنسية) .

(3) في الأصل : فتناشوا ، ولعل الصحيح ما أثبتنا .

(4) يعنى المؤمن بن علي .

(5) عن عمر أصناج انظر ما سبق أن جاء في ص 126 ، حاشية رقم 4 .

(6) عن موسى بن تمارا راجع ص 127 ، حاشية 1 .

(7) لم يرد هذا الاسم في المصادر التاريخية أو الجغرافية الأخرى التي بين أيدينا . ومن الواضح أن المؤلف يستخدمه في الدلالة على قبيلة أو شعب من شعوب إفريقيا الغربية السوداء في المنطقة التي كان العرب يعرفونها بغانة ، ولعله يقصد به ما يدعى اليوم بـ « غينيا » .

هزيمة علي بن يوسف :

وأصبح الموحدون أعزهم الله تعالى يوم الخميس على باب الشريعة ، فخرجت إليهم العامة أجمعون بنشاط وعزم بغير سلاح ، وبرز علي بن يوسف بعساكره .

فلما رأى السوقة بغير سلاح نودي فيهم أن ارجعوا ليأخذوا السلاح ، فكان رجوعهم شيئا بالهزيمة ، فخرج الموحدون أعزهم الله تعالى على بقية ذلك من دارة لهم كانوا صنعوها - تلك الدارة - بحمي ⁽¹⁾ ، ودفع الموحدون أعزهم الله تعالى في أثر العامة دفعة واحدة ، فكانت الهزيمة إلى باب الشريعة ⁽²⁾ ، وتضايق الناس في الباب ، فمات أكثر الناس في الزحام وكثر القتل فيهم ، فدهش علي بن يوسف وحار حتى لقال له بعض الناس ممن [كان معه] ⁽³⁾ : يا مرابط ، سر من هنا ! - إلى أحد الأبواب حيث لا زحام - ، ولم يرد أن يسميه لئلا يعلم به ، ففر ودخل على باب المخزن ⁽⁴⁾ .

وكان يوما عظيما ، فمشتى الموحدون أعزهم * الله تعالى إلى بحيرة الرقائق ⁽⁴⁰⁾ أمام باب الدباغين ⁽⁵⁾ وباب أيلان ⁽⁶⁾ ، فأخذوا مروسهم ⁽⁷⁾ فيها .

(1) كذا ، ولعله يعنى أنهم للتحصن والاحتباء بها .

(2) هو الباب الذي يعرف اليوم باسم « باب الخميس » .

(3) إضافة يقتضيه السياق .

(4) هو المعروف اليوم باسم « باب الأحمر » .

(5) في الأصل : الزناعين ، والصواب ما أثبتنا ، وقد أشار إليه البيهقي (أخبار المهدي ص 103) ،

ويسمى اليوم « باب الدباغ » .

(6) احتفظ هذا الباب باسمه القديم حتى اليوم : باب أيلان (أي أغمات أيلان) .

(7) كذا .

أربعون هزيمة على مراكش وذكر يوم البحيرة

وتغادى الحصار على مراكش حرسها الله تعالى مدة من أربعين يوما يقاتلونهم في كل يوم منها أشد قتال ، يحمل الواحد من الموحدين أعزهم الله تعالى على العشرة من المثلثين فيهمزهم ، وسيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه في هذه الأيام يتقدم أمامهم لبسالته ، ويهزم الأبطال لحماسته ، والسعد يقدمه ، والنصر يخدمه ، وعلي بن يوسف يحشر عساكره من جميع الأقطار ، ويستوفد من بالأندلس منهم وفي جزائر البحار ، والعساكر تصل إليه كل يوم ، إلى أن وصله وانودين بن سير ⁽¹⁾ بعسكر سجلماصة ، فانكسر إلى باب الدباغين ، ووصل عسكر القبلة ، فلم يدخلوا مراكش ، وباتوا في أحييتهم بخارج باب أغمات ، فعرض عليهم الدخول ، فامتنعوا إلا معالجة الحرب ، فغلس الفريقان مبكرين على سروجهم وتعبيتهم .

فكانت المدافعات بينهم على رؤوس العيون من سواقي الرقائق فاستشهد من الموحدين * من الموحدين ، وانحاز باقيهم إلى التمتع بداخل البحيرة .

وإن حفيرا من تلك السواقي خندقا عظيما مغاره في السعة ثلاثون ذراعا اعترض لسيدنا الخليفة الأول رضي الله تعالى عنه في طريقه ، فوثب به فرسه - وكان فرسا أخضر - فعجب الموحدون أعزهم الله تعالى لسعة الخندق وقوة الوثبة وثبات سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه على السرج ، وقيل إنه أعاد ذلك ثانية كذلك .

(1) في الأصل : وايدين ... ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، وربما كان وانودين بن سير هذا هو نفسه الذي ذكره ابن عذارى في البيان المغرب (الجزء الرابع - ط. تطوان 1960) ص 215 وطبعة بيروت الأخيرة - قسم الموحدين ص 239 ؛ وقد قال ابن عذارى عنه إنه كان أول وال على جزيرة ميورقة بعد استنقاذها من أيدي القراصنة البيزيين والجنوبيين والقطلايين سنة 509 ، إلا أنه لم يبق بها إلا ثلاثة أشهر (انظر كذلك مقالنا « وثائق تاريخية ... » ص 161) .

وكانت الحرب في البحيرة إلى أن جمع الناس بين صلاة الظهر والعصر ، وصلوا صلاة الخوف ، فقال علي بن يوسف لما رأى الموحدين أعزهم الله تعالى يصلون صلاة العصر بعد الهزيمة في البحيرة : إن هذا لعجب : غلبوا فصلوا ، وغلبناهم فعتلناها ! ما أظن هؤلاء إلا على الحق ! . وقد كان الموحدون أعزهم الله يحافظون على الصلوات في أوقاتها وعلى شروطها .

وكانت هذه الكائنة على الموحدين أعزهم الله تعالى يوم السبت الثاني من جمادى الأولى عام أربعة وعشرين وخمسمائة ⁽¹⁾ في قول المؤرخين كلهم إلا اليسع ، فقد تقدم قوله ⁽²⁾ ، وما أراه إلا وهما .

وفقد البشير وجماعة من أهل الجماعة ، وحمل أبو حفص عمر بن يحيى ⁽³⁾ جريحاً على الأعناق ، فلما جن الليل تداول الناس جرحاهم ودفنوا من أمكنهم دفنه ، وأردف الناس بعضهم بعضاً ، وتعاونوا ورحلوا .

وكان من لطف الله تعالى أن جاءت ⁽⁴⁾ السماء بمطر وابل في عشي ذلك اليوم فانكفأ له * المجسمون إلى ديارهم ليعاودوا ⁽⁵⁾ القتال بعد ذهاب كلهم ، (11 ب) وتخلص أمير المؤمنين رضي الله عنه مع الصابرين الباقين من أصحابه ، وأمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه يتقدمهم ، ودفنوا على من كان وثب عليهم من المثلثين ، فانهزموا أمامهم ، وخلوا لهم عن الطريق .

(1) يقابل هذا التاريخ 13 أبريل سنة 1130 م . ، على أن الباحث الأستاذ أويشى يرى أن هذا التاريخ لا يطابق ما ذكره أبو بكر البيهقي في كتاب أخبار المهدي حول هذه الموقعة ، ورأى البيهقي له قيمته الكبرى إذ أنه قد اشترك في المعركة بنفسه ، وقد ساق أويشى حججه على رأيه ، وانتهى إلى أنه يمكن التوفيق بين ما ذكره المؤرخان إذا صحح ما يقول ابن القطان على أساس جعل تاريخه « الثاني عشر من جمادى الآخرة » لا الأولى أي 13 مايو سنة 1130 ، وقد كان يوم السبت أيضاً (انظر تاريخ الدولة الموحدية 83/1 - 84) .

(2) لم يتقدم هذا القول فيما بين يدينا من المخطوط ، ولعله ذهب في أحد الخروم الكثيرة التي ذهبت ببعض أوراقه .

(3) هو عمر إبنتي (المحتاتي) الذي تكرر ذكره غير مرة .

(4) قد تكون أيضاً : جادت .

(5) في الأصل : ليعادوا ، وقد تكون أيضاً : ليعادوا .

ولقد حكى السيد الأجل أبو علي الحسن بن أمير المؤمنين ⁽¹⁾ رضي الله تعالى عنه قال :

سمعت أبي رضي الله تعالى عنه يقول :

كان يوم البحيرة فارس من فرسان الموحدين ، يحمل على المثلثين فيرمونه بالنبال ، فيحميه الله تعالى من السهام ، فتصيب الرمح الذي بيده حتى يرجع رعه مثل القنفذ من السهام .

قال :

وكان يفهمنا أنه رضي الله تعالى عنه ذلك الرجل .

وقعة بجهة أغمات :

وساروا حتى إذا كانوا بجومة أغمات لحقهم الطلب ؛ فروى عن سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه أنه قال :

لما ضيقوا علينا واضطرونا إلى الدفاع كان معي عبد الله بن يعلى بن ملوية ، فانقسمنا قسمين : أنا في قسم ، وهو في قسم ، والمثلثون قد ألحوا ⁽²⁾ في اتباعنا ، فقال لي عبد الله بن يعلى : كن أنت واصحابك في اليمين واضرب فيهم ! ففعلنا ذلك ، فانهزم المثلثون في الحين إلى باب مراکش فكان عاقبة عبد الله ما اختاره لنفسه أنه من أصحاب الشمال ! ⁽³⁾

(1) سنورد ترجمة الحسن بن عبد المؤمن هذا عند الحديث عن أبناء هذا الخليفة الموحي .

(2) في الأصل : لقد لحوا .

(3) يعني بذلك خروج ابن ملوية - وكان أحد أهل الجماعة العشرة - على دعوة الموحدين أو « ارتداده » عند إعلان خلافة عبد المؤمن بن علي ، وكان قد انضم إلى صفوف المرابطين حينئذ ونهض إلى تينمل ليهدها ، فقام عليه بعض زعماء جفيسة وقتلوه وصلبوه تينمل سنة 527 (انظر ما سبق أن كتبناه عنه في الحاشية رقم 1 ص 128) .

ولما وصل الموحدون أعزهم * الله تعالى إلى جبل هزرجة - وهي بلاد الشيخ أبي ابراهيم - ⁽¹⁾ عين سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه خمسين رجلا محسبا ، وأمرهم أن يسبقوا إلى الفج ، وكان هزرجة هموا بالغدر ، وخاف أن يسبقوا إليه ، فسبق المحتسبون إليه ، وسلموا من عدوهم ، فلقوا به عسكرا من الغزاة قد بعثهم الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فساروا معهم إلى تينمل . وكان قتل هيلانة يوم البحيرة ذريعا : مات منهم زهاء اثني عشر ⁽²⁾ ألفا ، لأنهم كانوا قد حشدتهم الموحدون أعزهم الله تعالى ، وأوعبوا في الحشد ، فعملوا الهزيمة يومئذ . وكانوا أول منهزم لأنهم عمروس من بلادهم ، فتبعهم المجسمون ، فأوعبوا قتلهم .

واستشهد يوم البحيرة نصف أهل الجماعة ، وسلم نصفهم . فالذين سلموا : منهم سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه . وأبو حفص عمر بن علي ، وأبو ابراهيم ، وأبو حفص بن يحيى ، وعبد الله بن ملوية . وكان سيدنا الخليفة قد وجه رقاصا ⁽³⁾ للإمام المهدي رضي الله تعالى عنهما بالخبر . فوصل إليه . فاستجلاه ، وأعلمه بالحقيقة . فقال له : عاش أبو محمد عبد المؤمن ؟ قال : نعم ، قال له : كأنه لم يميت أحد ⁽⁴⁾ ! والبركة في بقائه . وكأنكم بالفتح !

وصادف الموحدون أعزهم الله تعالى الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه عند وصولهم إليه مريضا . فلم يعيش بعدها إلا أياما * قلائل .

(1) يعني أبا ابراهيم اسماعيل بن يسلاي المزرجي أحد أهل الجماعة العشرة (انظر ص 126 حاشية 3) .

(2) في الأصل : اثنا عشر .

(3) الرقاص في الاصطلاح الأندلسي والمغرني هو حامل البريد ؛ وقد ذكر البيهقي في كتابه (أخبار المهدي ص 79) إنه هو نفسه كان الذي أبلغ خبر هزيمة البحيرة إلى ابن تومرت (انظر دوزي : ملحق القواميس العربية 547/1) .

(4) في الأصل : أحدا .

وقية انهزم فيها المثلثون :

ذكر البيهقي أنها كانت بعد البحيرة وقية مع لمتونة ، وهم في أربعة جيوش يقدمها أربعة من صناديدهم⁽¹⁾ ، فاقتتلوا بموضع يقال له « أيجران بني توكريت »⁽²⁾ ، فلما رأوا ما لا يطيقون رجعوا إلى مراكش ، ورجع الموحدون أعزهم الله تعالى إلى تينملل ، وهذا في حياة الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، وميزهم الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، وكتب اسم عمر أصناج بعد اسمه ، وجعل رسمه عقيب رسمه .

« قال اليسع : »

..... [فقال ابن هَمْشَك :]⁽³⁾ تأمرني أن أجمع ثلاثمائة فارس وأخرج إليهم ؟ قال [علي بن يوسف :] نعم !

فصعد ابن هَمْشَك⁽⁴⁾ على باب أيلان ، وأخرج جملة من أصحابه يقاتلون أمامه لينظر أحوالهم في قتالهم ، فرآهم يخفتهم يدخلون تحت ظل الفناء ،

(1) الخبر بالتفصيل في كتاب البيهقي (أخبار المهدي ص 79 - 80) ، وقد ذكر أسماء قواد هذه الجيوش المرابطة الأربعة ، وهم سير بن وارييل ومسعود بن ورتيغ ويحيى بن سير ويحيى بن كانجان .

(2) يسمى البيهقي هذا الموضع « إيجر متاع بني كوريت » .

(3) لم يترك الناسخ هنا فراغا إلا أنه من الواضح أن عدة سطور قد سقطت من هذا الموضع مما حملنا على إضافة ما وضعناه بين حاصرتين ، على أن هذا النص كان من بين ما نقله عن اليسع صاحب « الحلل الموشية » دون أن يشير إلى مصدره ، ومؤدي النص هنالك (الحلل الموشية ص 114 - 115) أن الموحدين ضربوا الحصار قبل معركة البحيرة أربعين يوما على مراكش كان يتوالى خلالها القتال ، وكان في جيش علي ابن يوسف رجل من أهل تغور الأندلس يدعى عبد الله بن هَمْشَك ، فلما اشتد الأمر على علي بن يوسف من أجل الحصار طلب إليه ابن هَمْشَك أن يأذن له في الخروج إلى الموحدين بثلاثمائة فارس من أصحابه ... الخ .

(4) ضبط الأستاذ أويشي هذا اللفظ « هَمْشَك » بفتح الهاء وسكون الميم (انظر تاريخ الدولة الموحدية 81/1 ، وترجمته للحلل الموشية ص 118 ، حاشية رقم 1 حيث يذكر أن ضبطه لهذا الاسم على تلك الصورة إنما توخاه وقصد إليه بعد أن رآه مضبوطا هكذا في مخطوطة « نظم الجمان ») ، =

فنزل وأمر الخارجين معه إليهم أن يردوا أرماحهم من ستة أذرع ، وبرز أول النهار إليهم ، فلما انصرف حتى أدخل المدينة نحو من ثلاثمائة رأس ، ففر الناس .

وأمر علي بن يوسف بالخروج إليهم ، فالتقوا ، وانهمز الموحدون أعزهم الله تعالى ، وقتل منهم نحو من أربعين ألفا ، ولم يسلم منهم إلا أربعمائة بين فارس وراجل . فظهر أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن رضي الله تعالى عنه في هذا اليوم ظهوراً عظيماً ، وأغنى غناء بينا ، وذب عن المنهزمين ، وحمل المفلولين إلى أن جن الليل ، وكان الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه في هذه الأحوال لا يسافر إلا أن يبعث البعوث .

ولما جن الليل انصرف الموحدون أعزهم الله تعالى ، ولحقوا بالجليل فلما سمع الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه بهزيمتهم قال : إذا عاش عبد المؤمن بقي الأمر وظهر .

وفي * « البحيرة » فقد البشير ، ولم يجده الموحدون ولا المثلثون حيا ولا ميتا ، 50 ب فيقول الغلاة في أمره إنه رفع !⁽¹⁾

= وقد تبع أويشي على ذلك الأستاذ بوسك بيلا في كتابه عن « المرابطين » (ص 218 - 219) ، وإنما الصواب في ضبط الاسم هو فتح الهاء وضم الميم وسكون الشين ، أما مخطوطة « نظم الجمان » فلا يعتد بضبط ناسخها ، إذ أنه دائما حافل بالأخطاء مما لا يجعل لنا معولا عليه بأية صورة ، ويدل على صواب ما ذكرنا في ضبط هذا الاسم ذلك البيت الذي رواه ابن الأبار للشاعر أبي بكر اليعمري البوذي في هجاء ابراهيم بن هَمْشَك (المقتضب من تحفة القادم بتحقيق الأستاذ ابراهيم الايباري ص 77) :

هَمْشَكُ ضم من حرفي - من : من هم ومن شك

إذ لا يستقيم ضبط أويشي مع سلامة وزن البيت . أما عبد الله بن هَمْشَك فلم توافنا عنه المراجع بما يشفي الغلة ، وكل ما نعلمه هو أنه ينبغي أن يكون من هذه العائلة الأندلسية المسيحية الأصل والتي كان من أبرز رجالها ابراهيم بن هَمْشَك صهر أمير مرسية محمد بن سعد بن مردنيش (انظر عنه ابن الأبار في الموضع المذكور قبل ذلك ، وابن الخطيب : أعمال الاعلام ص 260 - 263 ، والإحاطة (ط . عنان) 303 - 296/1 . وابن عذاري : البيان المغرب - القسم الموحد (طبعة بيروت) ص 67 ، 69 ، 73 - 78 ، 108 - 112 .

(1) عن معركة البحيرة انظر كذلك : البيهقي : أخبار المهدي ص 78 - 79 ؛ الحلل الموشية ص 114 - 116 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 14 - 15 ؛ ابن الأثير : الكامل 289/8 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان 53/5 ؛ نهاية الأرب (ط . جاسبار ريمو) ص 192 - 193 ؛ ابن خلدون : العبر 228/6 - 229 ؛ السلاوي : الاستقصا 86/2 - 88 .

فلما انصرفوا إلى تينملل بعد الهزيمة اشتدت عليهم الأحوال .

وقال ابن الراعي :

خرج الموحدون أعزهم الله تعالى عام البحيرة حتى نزلوا بظاهر أغمات بالموضع المسمى « أمجدار »⁽¹⁾ ، وأقاموا هنالك أربعين يوما ، واتصل بهم بكور بن علي بن يوسف⁽²⁾ بشرذمته وشوكته ؛ ففتح الله تعالى لأولياته الموحدين وهزمهم واتبعوهم بالسيف والسلب إلى مراكش .

وقال غيره :

هزم بكور ويطي بن إسماعيل ، فخرج علي بن يوسف بشرذمته وشوكته ، ففتح الله تعالى لأولياته الموحدين إلى باب المدينة ؛ ودخل علي بن يوسف على باب ذكالة ، ورجع بقية المنهزمين من واد أم ربيع فحلق علي بن يوسف لحاهم .

وكان يوم البحيرة بعد شهر ونصف من وصولهم ؛ وبني الجامع ، وأنفق في بنائه نحو ستين ألفا ، وبني صومعته نحو الثلث ، وتركها تتقعد ، ثم أتم بناءها سنة سبعة وعشرين .

والعباسي في هذه السنة هو المسترشد ، وبإفريقية حسن بن علي وبمصر الأمر .

(1) في الأصل : إيجدار ، وقد سلف ذكر هذا الموضع على الصورة التي أثبتناها ، وأشرنا إلى أن الأرجح هو أن يكون هذا الموضع هو الذي يسميه البيهقي (ص 78) « مجداز » .

(2) كذا ورد الاسم هنا ، وقد سبق أن جاء « بكور » ، وقد سبق أن أشرنا إلى أن هاتين صيغتين في اسم « أبي بكر » .

• موادة الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه

للناس وإشعاره إياهم بوفاته

وذلك أنه لما تمادى مرضه خرج راكبا على بغلته ، وجمع الناس ليسمعهم كلامه ووداعه ، وأمر أن يكون الرجال أمامه ، والنساء خلفه ليسمع كلهم كلامه ، فقال لهم رضي الله تعالى عنه : إن المهدي مرتحل عنكم ! فبكى الناس واستوحشوا ، فقالت له أخته زينب : وإلى أين تغيب عنا ؟ ألم يكفك أن غبت عنا خمسة عشر عاما ؟ وقالوا له : إن كنت تسير إلى الشرق ونسير معك ؟ ؛ فقال إنما أسافر وحدي !

وكان وعظه رضي الله تعالى عنه ووداعه للناس من بعد العصر * إلى أن كاد⁴³ الشفق أن يغيب ؛ ثم التفت إلى الوقت وهو راكب ، فكبح البغلة باللجام ، ورجع إلى موضعه وصرف الناس ، وقال لهم : صلوا الصلاة في أوقاتها ، وإياكم أن تقولوا إن المهدي أخر الصلاة عن وقتها من أجل أنه قد فاتته المغرب أو كادت لاشتغاله بالوعظ ! واتصل به الألم .

وفاة الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه [عنه] :

توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رمضان المعظم من عام أربعة وعشرين وخمسمائة⁽¹⁾ ، ودفن رضي الله تعالى عنه بمدينة تينملل حرسها الله تعالى .

خاتمة للذكر دولته رضي الله تعالى عنه

بذكر ما لم ينضبط بالتاريخ من أمره :

كان رضي الله تعالى عنه يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى ، ويخبرهم أن الله سبحانه فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، وفرض عليهم زكاة تؤخذ

(1) يتفق معظم المؤرخين على هذا التاريخ (14/13 رمضان سنة 524 وهو يوافق أوائل أغسطس سنة 1130 م .) . وانظر حول ذلك أويشي : تاريخ 87/1 .

من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، ويأمرهم بقراءة القرآن وحفظه ولزوم الحزب ⁽¹⁾ بعد صلاة الصبح وبعد المغرب ، وأمر المؤذنين إذا طلع الفجر أن ينادوا « أصبح والحمد لله ! » ⁽²⁾ إشعاراً بأن الفجر قد طلع ، لإلزام الطاعة ، ولحضور الجماعة وللغلو لكل ⁽³⁾ ما يؤمرون به ؛ وأمر بغزو من خالف أمره ؛ وعلم الناس الحركة كيف تكون ، فأمرهم إذا عزموا على الركوب * أن ينادي مناد : الاستخارة بالله والتوكل عليه ! ، وإذا تحركوا أن يقدموا أمامهم لواء أبيض مع عدد من الرجال يكون بينه وبين الأمير مقدار ربع ميل ، ويكون الأمير متقدماً على الناس خلف اللواء المذكور في جملة من يختص به يحفون به ، ثم تتبعهم الرايات الكبار والطبول والعسكر المعروفون بالساقة ، ثم كل قبيل على ترتيب وحسن هيئة معه علاماته .

فأما رأيته ⁽⁴⁾ المنصورة المتقدمة بين يديه ففى أحد وجهيها مكتوباً « الواحد الله ، محمد رسول الله ، المهدي خليفة الله » ، وفي الوجه الثاني « وما من إله إلا الله ، وما توفيقي إلا بالله ، وأفوض أمري إلى الله » .

وأما رايات الموحدين أعزهم الله تعالى وأنجدهم فإنما تفنن أمرها حين تواصلت فتوحهم بعده كما سيأتي وصفها إن شاء الله تعالى ، فأما في أيامه فإنه لما ملأت عليهم رايات لمتونة الفصوص مختلفة الألوان قال لهم : لا تهولنكم هذه الخرق ، وارفعوا أئتم ماosديكم من الثياب ، فغن قريب تصوير هذه العلامات كلهم لكم ! فرفعوا أزرهم وأكسيتهم وأرديتهم ونحو ذلك ، ثم أفاء الله تعالى عليهم علامات أعدائهم .

(1) في الأصل : الحزب .

(2) أورد ذلك أيضا السلاوي في الاستقصا (94/2) ، وقد أصبح هذا النداء شعاراً للموحدين بدليل ما يذكره ابن عذاري في البيان المغرب (القسم الموحيدي - ط . بيروت ص 20) في أثناء الكلام من حصار الموحدين لوهرا : « فاجتمعوا ذات يوم في الجبل المطل على وهران ، فصاحوا صيحة واحدة بلسان واحد : أصبح والحمد لله ! ولم يكن اللمتونيون يصيحون بذلك ، فلما سمعه أهل عسكر تاشفين (بن علي بن يوسف) وقعت رجفة عظيمة ، فأمر ألا يخرج إليهم خيفة الكمين » .

(3) هذه الكلمة مكررة في الأصل .

(4) في الأصل : رأيته .

وأوصاهم في سفرهم إذا مروا على طريق متصل * بها زرع نكبوا عنه ودرأوا أهل الفساد عنه ؛ وإذا سمع صياح متظلم ⁽¹⁾ وعى قوله وأشكى من ظالمه .

وقال رضي الله تعالى عنه :

شروط العلم تسعة ، وهي : الفراغ التام ، والبصيرة النيرة ، والسريرة الحسنة ، والهمة العالية ، والصبر الحديدي ، والاقتداء بالإمام الناصح ، واتباع السبيل الواضح ، والتأدب بأدب أهله ، وألا يبتغي به ماسوى وجه الله تعالى .

وينبغي لطالب العلم أن يقدم أربعة أشياء : أن يرغب إلى الله تعالى في الهداية إلى الحق ، وأن يكون له سريرة حسنة ، وأن يقنع بما علمه الله ، وأن يعلم أن الباب مفتوح لسائر العباد .

والأعمال لا تصلح إلا بتقديم أربعة أشياء : الحذر ، والاحتياط ، والإشفاق ، والإخلاص .

والقواطع عن العلم أربعة : الحوادث الصارفة ، واشتغال النفس ، وعدم الكفاف ، ومخالطة الناس .

آداب الصحبة ثمانية : المسألة ، والمساحة ، والمساعدة ، والمناصحة ، والمؤازرة ، والمواصلة ، والمحافظة ، والمكارمة .

وكان دعاؤه رضي الله تعالى عنه :

اللهم أعنا على طاعتك ، وأتمم علينا نعمتك ، وزدنا من فضلك وإحسانك ، وثبتنا على دينك ، حتى نلقاك وأنت راض عنا برحمتك يا أرحم الراحمين ⁽²⁾ .

(1) في الأصل : متكلم .

(2) نقل هذه الفقرة من دعاء المهدي صاحب الخلل الموشية ص 118 - 119 ، وانظر كذلك ترجمة أويشي الإسبانية ص 142 - 143 .

اللهم وفقنا ولا تغفلنا ، واهدنا إلى الخير ولا تحيبننا ، ووفقنا لما تحب وترضى
[44 ب] حيثما كنا ، وأعنا على القيام بحقك ، وحفظ أمانتك ، ورعاية عهدك ، بفضلك
بارب العالمين .

اللهم تعلم ذنوبنا كلها فاغفرها ، وتعلم عيوبنا كلها فاسترها ، وتعلم حوائجنا
كلها فاقضها ، وتعلم أعداءنا فاكفنا إياهم ، كفى بك وليا ، وكفى بك نصيراً .
اللهم إن نواصينا بيدك لم تملكننا منها شيئاً ، فكما فعلت ذلك بنا فكُن
أنت ولينا ومولانا ، واهدنا إلى سواء السبيل ، إنك نعم المولى ونعم النصير ،
والحمد لله رب العالمين .

ذكر الفترة التي تلت وفاته بكتان موته
رضي الله تعالى عنه عن الجمهور ، والبيعة
الخاصة لسيدنا ومولانا الخليفة الأول
أمير المؤمنين رضي الله عنه

وذلك أنه لما توفي رضي الله تعالى عنه كتم أصحابه وفاته ، وما كان يعلمها
إلا أهل الدار المسمون قبل ، وهم خدمته وأخته شقيقته ، ولقد كتمت ذلك عن
زوجها ، وأكابر أصحابه فبايعوا سيدنا ومولانا الخليفة الأول الإمام أمير المؤمنين في
[44 أ] الحين بيعة « السر رضي الله تعالى عنه (1) » .

..... (2) وقال له : سيركبك الخيل !

(1) ذكر البيهقي أنه لم يحضر وفاة المهدي إلا خمسة أشخاص : خليفته عبد المؤمن بن علي ،
وأبو إبراهيم إسماعيل بن يسلا الهزرجي ، وأبو محمد وسنار ، وعمر أصناج ، وأخت المهدي أم
عبد العزيز بن عيسى (انظر أخبار المهدي ص 81) .

(2) لم يترك الناسخ فراغاً هنا ، ويبدو أن كلمات سقطت من النص فيها تنمة لهذه الجملة التي يتنبأ
فيها ابن تومرت لعبد المؤمن بعلو كلمته واتساع سلطانه ، ويشبه ذلك ما أورده ابن خلكان في وفيات الأعيان
(239/3) إذ يقول إن ابن تومرت كان كثيراً ما يقول لأصحابه : صاحبكم هذا =

وقال الإمام رضي الله تعالى عنه عام البحيرة لما أصيب الموحدون : أسلم
عبد المؤمن ؟ قالوا : نعم . قال : فالأمر باق إلى قيام الساعة !

فهذا وأمثاله من أقوال الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه يدل على
ما صدقه الوجود من أن الخلافة في عقبه رضي الله تعالى عنهم أجمعين إلى قيام
الساعة بحول الله تعالى كما قال النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم
في حديث البزار (1) الذي ذكرناه ، وكما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام :
« إذا اختلف الناس فالعدل في مَضَر » ؛ وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يزال
أهل الغرب (2) ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة » (3) . وقد جردنا الكلام على
هذا الحديث في « الإحكام » (4) والحمد لله .

كرمه رضي الله تعالى عنه :

كان يخرج للمواساة مرتين وثلاثاً في الشهر الواحد بحسب حضور المال (5)

= غلاب الدول ! (يعني عبد المؤمن) ، ويتبع ذلك ابن خلكان بقوله : ولم يصح عنه أنه
استخلفه ، بل راعى أصحابه في تقديمه لإشارته ، فتم له الأمر وكمل .

(1) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار حافظ عالم بالحديث ، توفي بالرملة (فلسطين)
سنة 905/292 . له مسند كبير في الحديث سماه « البحر الزاخر » ، ويوجد السفر الأول منه في خزانة الرباط
برقم 243 ق (الأوقاف) ويوجد منه السفران الثاني والثالث في مكتبة الأزهر . انظر في ترجمة البزار : تاريخ
بغداد للخطيب البغدادي 334/4 ؛ وتذكرة الحفاظ للذهبي 204/2 ؛ وشذرات الذهب لابن العماد 209/2 ؛
وميزان الاعتدال للذهبي 59/1 . ولم يتيسر لنا مقابلة الحديث المذكور على أصول مسند البزار .

(2) هذه الكلمات مضموسة في الأصل .

(3) ورد هذا الحديث في صحيح مسلم ، كتاب الإمارة 4/6 ؛ والمالكى : رياض النفوس 3/1 ؛
والحميدي : جذوة المقتبس ص 7 ؛ وابن عذاري : البيان المغرب 6/1 ؛ وعبد الواحد المراكشي : المعجب
ص 14 - 15 .

(4) يشير ابن القطان بذلك إلى كتابه الذي ألفه للخليفة الموحد المرتضى « الإحكام من آي خير
خيرة الأنام » في معجزات رسول الله (ﷺ) وآياته . راجع دراستنا لابن القطان ولأثاره في تقديمنا لهذا
الكتاب ص 10 .

(5) في الأصل : الملل .

لديه ، وكان رضي الله تعالى عنه يتفقد من يرتب ببابه الكريم بأن يغلق الباب على غفلة من الناس ويحصى من حضر ، فيعطوا على السوية عشرة دنائير عشرة دنائير ، يفعل هذا في العام مراراً كثيرة ، وربما وإلى (1) ذلك في كل شهر .

تواضعه رضي الله تعالى عنه :

قال ابن صاحب الصلاة :

إنه ما لبس قط إلا ثياب الصوف عن قميص وعن سراويل وعن جبة تواضعاً لله تعالى وزهداً .

تأديبه لبنيه الكرام رضي الله تعالى عنه وعنهم :

كان رضي الله تعالى عنه يطعمهم الطعام الحسن ويلبسهم مثل ما يلبس من الثياب ، وكان يدرهم في الدين ويشتد عليهم فيه ويعلمهم الأذان ، يأخذهم بالرمي والعموم وركوب الخيل والتدرب عليها مع الموحدين أعزهم الله تعالى (2) ، وكان يأخذهم بحضور الصلوات الخمس في الجماعات ، وبقراءة الحزب من القرآن إثر الصلاة ، ويحضرون مع المؤذنين في الأسحار على ارتقاب الفجر والمنازل ، وربما يمشون على أقدامهم ، وإذا ولاهم البلاد بعث معهم من أشياخ الموحدين أعزهم الله تعالى ورجاهم العقلاء الخيار الفضلاء وزراء وأشياخا في الأحكام ، والحمد لله رب العالمين .

(1) في الأصل : إلى .

(2) ما ذكره ابن القطان هنا حول تأديب عبد المؤمن بن علي لبنيه سواء من الناحية العلمية أو العسكرية كان متبعاً بصفة عامة في تربية الحفاظ - أي صغار الطلبة - الذين كان عددهم يبلغ ثلاثة آلاف ، وقد تحدث عن ذلك بالتفصيل صاحب الحلل الموشية (ص 150) . وانظر تعليق الدكتور أحمد مختار العبادي على هذا النص في مقاله « دراسة حول كتاب الحلل الموشية وأهميته في تاريخ المرابطين والموحدين » (مجلة تطوان - العدد الخامس سنة 1960 - ص 107) .

الإثناء الإمامي المهدي عليه رضي الله تعالى عنه والتصريح بخلافته بعده رضي الله تعالى عنهما وبقاء الأمر العلي في عقبه الكريم إلى قيام الساعة بحول الله تعالى

قال :

..... (1) * مشاويرين ، ويأمرهم بالتزام أشياخ البلاد من الفقهاء [51]

والطلبة والكتاب والشعراء ، ومذاكرتهم وملازمة الخير وقراءة القرآن وعقائد الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه وحفظها ، وحفظ التوحيد العربي والغربي ، (2) والعدل (3) والإحسان وإماتة الباطل .

علمه وحلمه وانبساطه رضي الله تعالى عنه :

أما علمه رضي الله تعالى عنه فسيأتي قطعه لزمانه بإملاء علوم المهدي رضي الله عنهما ، وقراءة العقائد (4) والموطأ ، (5) ومجالسته للطلبة ، حتى

(1) سقط أول هذا النص ، ولو أن بقيته تبدو هي التي أوردها صاحب الحلل الموشية في ص 150 - والتي تحدث فيها عن تأديب الحفاظ وتعليمهم .

(2) يقصد باللغتين العربية والبربرية .

(3) في الأصل : والأعدل .

(4) ربما كان يعني بكلمة « العقائد » مجموع تعاليم المهدي ابن تومرت لا كتاباً بعينه ، وفي هذه الحالة يكون الأرجح أنه يعني كتاب « أعز ما يطلب » الذي يتضمن بياناً لعقيدة المهدي وجملة الآراء التي كانت عماد ثورته الدينية السياسية ، وربما كان هذا اللفظ تحريفاً لكلمة « القواعد » إذ أننا نعرف أن ابن تومرت ألف كتاباً بهذا العنوان ، ولو أنه فقد لسوء الحظ . (انظر مقال الدكتور مختار العبادي حول كتاب الحلل الموشية ص 157) .

(5) كتاب الموطأ الذي صنّفه ابن تومرت إنما هو مجموعة الأحاديث النبوية التي وردت في موطأ الإمام مالك بن أنس برواية تلميذه يحيى بن عبد الله بن بكير ، وذلك بعد حذف الأسانيد ، وقد نشرت هذا الكتاب مطبعة فونتانة الشرقية بالجزائر سنة 1907 ، وبالخرزانة العامة بالرباط منه نسختان تحت رقمي 840 ج و 1222 ج (انظر مقال الدكتور العبادي المشار إليه قبل ذلك ص 157 ، حاشية 72 - 73) .

يقول ابن حبوس (1) يمدحه :

بخليفة المهدي سيدنا اغتدي (2)
وتفجرت عين النباهة بعدما
قد صير المعقول قلبا ماثلا (5)
ورعى جميع العلم في أوطانه
وافيت حضرته المقدس ترها
ووقفت وسط سماطه فوجدته
لم ألق إلا عالما وإزاءه
ومدارسا تسع الرياضة لو رأى
وسمعت كل مذاهب الحق التي

نهج العلوم مُعبداً ومذلاً
[قد] (3) كان خاطرهما أكل وأجبالاً (4)
فمتى رميناه أصبنا المقتلا
من كان يدي الضعف أن يتنقلا
فإذا الذي أبصرت لن يتخيلا
سوقا تقام على المعارف والعلا
متعلما متكلما متقللا
سقراط سيرتها لزم الهيكل
ما إن ترى عن مقتضاها معدلا

(1) هو أبو عبد الله محمد بن حبوس الفامي ، ولد سنة 500 ، وتوفي سنة 570 ، وكان أول من هنا
عبد المؤمن بن علي لدى جبل الفتوح (جبل طارق) عند عبوره إلى الأندلس ، وقال عبد الواحد المراكشي
فيه إن طريقته في الشعر كانت على نحو طريقة ابن هاني ، وقد أورد المراكشي وصفون بن إدريس في
« زاد المسافر » من شعره بيتين من بحر الأبيات المثبتة هنا ورويا وقافيتها ، هما :

بلغ الزمان بهديكم ما أملا وتعلمت أيامه أن تعدلا
وبحسبه أن كان شيئا قابلا وجد الهداية صورة فتشكلا

ولا نكاد نشك في أن هذين البيتين هما مستهل القصيدة التي اقتطف منها ابن القطان تلك الأبيات .
هذا وقد كان ابن حبوس حظيا لدى عبد المؤمن ولدى ابنه يوسف أبي يعقوب (انظر في ترجمته وأخباره :
المعجب ص 282-283 ؛ ابن الأبار : التكملة ، ترجمة 1055 ؛ صفوان بن إدريس : زاد المسافر ص 1-6 ؛
ابن حمادة : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ص 9-10 ؛ ابن دحية : المطرب ص 109 ، 199-201 ؛
وراجع مقال الأستاذ هنري بيريس عن « الشعر في فاس على عصر المرابطين والموحدين » ، مجلة إسبريس ،
المجلد الثامن عشر سنة 1934 ، ص 17-33) .

(2) في الأصل : اعتدى .

(3) زيادة تقتضيها استقامة الوزن .

(4) أى انقطع .

(5) في الأصل : ما تلا .

وبصرت بالطلوسي (1) يفهق حوله وأني المعالي (2) مجملا ومفصلا
لم ألب إلا مصقعا أو مفلقا ومجادلا عن دينه ومُرسلا
والكل في علم الإمام مقصر حسب الميز منهم أن ليلا (11)
فأترك عكاظا والوفود بسوقها جزقا (3) وسحبان الخطيب ودغفلا (4)
يعشو لها الأعشى بنار مُحلق (5) ويضم علقمة (6) إليها جزولا (7)

(1) يعنى بالطلوسي الإمام أبا حامد الغزالي .

(2) يعنى الإمام أبا المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري المعروف بإمام
الحرمين ، ولد سنة 419 وتوفى سنة 478 (انظر في ترجمته ابن خلكان : وفيات الأعيان : 170-167/2 ،
والسبكي : طبقات الشافعية 165/5 - 222 والمادة التي كتبها عنه بروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية
1100/1) ؛ أما إشارة الشاعر هنا إلى الغزالي وإمام الحرمين فلأن كليهما يعتبر من أكبر أئمة الأشعرية التي
كانت مبادئها من أهم الأسس التي أقام عليها ابن تومرت ثورته الدينية السياسية ، وفي ذلك يقول عبد
الواحد المراكشي : « وكان على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل إلا في إثبات الصفات فإنه
وافق المعتزلة في نفها وفي مسائل قليلة غيرها » (المعجب ص 255) .

(3) في الأصل : خرقا . ويعنى بالخرق الجماعات .

(4) يشير في هذا الشطر إلى سحبان والخطيب المشهور ، وإلى النسابة دغفل بن حنظلة
السدوسي أو الذهلي ، وكان قد أدرك النبي (صلعم) ولكنه لم يسمع منه شيئا ، وقتله الخوارج الأزارقة
(انظر مجمع الأمثال للميداني - ط. القاهرة سنة 1352 هـ . 308/2 ؛ وابن حجر العسقلاني : الإصابة في
تمييز الصحابة - ط. القاهرة 1252-464/1-465 ؛ وابن عبد البر : الاستيعاب في أسماء الأصحاب - على
هامش الإصابة - 467/1-468) .

(5) ورد هذا الشطر في الأصل : « يعيشوا لها الأعشى بنار مخلق » ، والصواب ما أثبتنا ، ويعنى
بالأعشى أعشى قيس الشاعر الجاهلي المعروف وبالمخلق سيدا من سادات الجاهلية في مكة ، كان فقيرا غاملا
ذا نبات ، فسبق إلى لإكرام الأعشى عند نزوله بمكة واحتفى به كثيرا ، فمدحه الأعشى بقصيدة جعلت
أشراف العرب يتهافون على الزواج من بناته (انظر القصص في ابن رشيق القيرواني : العمدة 24/1-25)
وهو يشير هنا إلى قول الأعشى من قصيدته في مدح المخلق :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمخلق

(6) يعنى الشاعر الجاهلي المعروف علقمة بن عبدة الفحل .

(7) هو الشاعر المخضرم الحطيئة جرول بن أوس العبيسي .

والحق بحضرته السنية واستمع للقول واحذر - ويك - أن تتقولا فيها كمال الدين والدنيا معا وسعادة الأرواح في أن تكملا وأما انبساطه رضي الله تعالى عنه فإنه كان يحدث جلساءه ويفاوضهم ⁽¹⁾ ، كما روى عن بعضهم أنه قال :

كنت بتلمسان أقرأ كتب أصول الدين ، وكان لي صاحب يقرأ كتب الفقه ، فرحل عني من تلمسان يريد المشرق ، فوصل إلى بجاية ، فخاطبني منها يعرفني ويقول لي : قد وصل إلى هذه المدينة فقيه عالم بالعلم الذي تطلبه ، فلتصل إليه ، فعند وصول كتابه إليّ رحلت إلى بجاية ، فلقيت بها الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ⁽²⁾ .

ومن مكارمه وحسن عهده رضي الله تعالى عنه ما حكى بعضهم أنه رضي الله تعالى عنه لما توجه إلى فتح بجاية وتوسط بقرية كبيرة ، فاستوقف ⁽³⁾ الجند وخب السير منفرداً على فرسه ، حتى وقف على باب دار من ديار القرية ساعة يسائل أهلها ، ثم انصرف ، فلما نزل في قبة المعظمة الميمونة * أمر بإحضار أهل الدار المذكورة ، فسألهم عن أيهم ، فقالوا إنه توفي منذ أعوام وتركهم أربعة بنين ، فأسلمهم ⁽⁴⁾ أرضاً واسعة للحرث ، وأعطى كل واحد منهم ألف رأس من الغنم ومثلها من البقر ، وأربعة آلاف دينار ، وكتب لهم ظهيراً بالعز والأمان والإحسان

(1) في الأصل : ويعاوضهم .

(2) عن ابتداء صلة عبد المؤمن بن علي بالمهدي انظر : أخبار المهدي ص 52 - 57 ؛ الحلل الموشية ص 106 - 107 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 247 - 248 ؛ روض القرطاس ص 173 ؛ الاستقصا 79/2 - 80 ؛ ابن عذاري : البيان المغرب (قسم الموحدين) ص 80 ؛ صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات 324/3 ؛ وانظر مناقشة أويحيى للقاء التاريخي بين رجل الدولة الموحدية وما أحاط به من أساطير (تاريخ الدولة الموحدية 43/1 - 46) ؛ وانظر ما سبق أن ساقه ابن القطان في ص 77 .

(3) في الأصل : فاستوقد .

(4) في الأصل : فأسلمهم .

وتقدمهم حكماً على قومهم رضي الله تعالى عنه ⁽¹⁾ .

ومنها أنه كان ساكناً بتينملل أيام الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فأب ⁽²⁾ من سفرة سافرها ، فأهدت له جارة كانت له من نساء الموحدين عزراً ، فقبلها بفضله ، فلما ملكه الله تعالى أعطى المرأة ثوباً وألف دينار ⁽³⁾ .

ومنها أنه رضي الله تعالى عنه أحسين بضعف طلبة مجلسه المكرم من طلبة الحضرة منهم أبو محمد المالقي ⁽⁴⁾ وغيره ، فقال لأشياخ ⁽⁵⁾ الموحدين أعزهم الله تعالى : هؤلاء طلبة غرباء ضعفاء ، والإقلال عليهم ظاهر ، فترى أن ندفع إليهم مالا نقارضهم فيه ، ويتجرون به ويردون السلف لنا ؛ فقالوا ، نعم ، فأسلفهم من مال المخزن ألف دينار لكل واحد منهم ، فاكتسبوا منها ، وكانت أصل غناهم ، ولم يأخذها منهم أبداً .

ومنها أنه رضي الله تعالى عنه تذاكر يوماً حال الأندلس مع الروم المقاتلين ، فجرى [ذكر] ⁽⁶⁾ وقعة أقليش ⁽⁷⁾ التي هزم فيها الطاغية وقتل ولده أذفونش ؛

(1) ذكر هذه القصة بتفاصيل أخرى تختلف عما جاء هنا عبد الواحد في المعجب ص 301 ؛ وكذلك ابن عذاري في البيان المغرب (القسم الموحدي) ص 80 - 81 .

(2) في الأصل : فباب .

(3) أورد هذه القصة أيضاً ابن عذاري في البيان المغرب ص 81 .

(4) لعله أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن المالقي ، وهو الذي ولي القضاء لعبد المؤمن بعد وفاة أبي محمد عبد الله بن جبل الوهراني ، وظل على هذا المنصب طوال حكم عبد المؤمن ثم صدر خلافة ابنه يوسف أبي يعقوب (انظر المعجب ص 269 ، 318) ؛ وقد وردت هذه القصة أيضاً في البيان المغرب لابن عذاري ص 81 .

(5) في الأصل : الأشياخ .

(6) إضافة يقتضيها السياق .

(7) في الأصل : افليس ، وقد سبق للمؤلف أن فصل الحديث عن هذه الوقعة التي أحرز المرابطون فيها انتصاراً عظيماً على جيوش ألفونسو السادس ملك قشتالة (انظر ص 63 حاشية رقم 1) .

[52 ب] فقال رضي * الله تعالى عنه لوزيره أبي جعفر ابن عطية ⁽¹⁾ : اخرج إلى أشياخ الجند وسلمهم هل بقي أحد ممن حضر وقعة أفلش ⁽²⁾ ؟ ففعل ، فألقى شيخا يقال له عبد الله بن زيدون قال إنه حضرها ، وعمر بن تورزجين من أشياخ لمثونة أيضا حضرها : فعرف ابن عطية بذلك أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه ، فسر بأن بقي من يحدثه بصفة تلك الحروب ، وأمر بإدخالهما إلى مجلسه العالي ، وأمر بأن يحضر معهما أشياخ الجند ، فكان ذلك ؛ وسألهما عما شاهداه من تلك الحروب ، فحكياها ⁽³⁾ من أولها إلى آخرها ؛ وعند تمام حكايتها أعطى لابن زيدون خمسمائة دينار ، ولابن تورزجين مثل ذلك ، وأعطى لأشياخ ⁽⁴⁾ الحاضرين في المجلس لكل واحد مائة دينار ، وكانت هذه الحكاية سببا لنظره لجزيرة الأندلس وتجهيزه العساكر إليها .

ومن مكارمه العظيمة رضي الله تعالى عنه حضه ⁽⁵⁾ الناس على العلم ، وإرادته لهم ولبنينهم ما يريد له لنفسه ولبنيه ، واستدعاؤه الصبيان الصغار الأسنان من

(1) هو أبو جعفر أحمد بن جعفر بن محمد بن عطية القضاعي المراكشي ، أصله من قرية بناحية طرطوشة Tortosa بالأندلس ، ولد بمراكش وتولى الكتابة لعلي بن يوسف ولابنه تاشفين سلطاني المرابطين لم لما انقطعت دولتهم أخفى نفسه مدة حتى استكنه الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي بمناسبة قضائه على ثورة الدعي الماسي ببلاد السوس فلما وصلت الرسالة التي كتبها ابن عطية إلى عبد المؤمن استحسنتها وأمر بتقريب أبي جعفر ثم استوزره ، وجرت له بعد ذلك محنة قتل فيها في أواخر سنة 553 (انظر في ترجمته عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 266 - 272 ؛ ابن الأبار : الحلة السراء 194/2 ، 225 - 226 ، 237 - 238 ؛ ابن الخطيب : الإحاطة (ط. محب الدين الخطيب) 1/263 - 271 ، الإحاطة (ط. عنان) 1/271 - 279 ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ص 31 - 32 ، 57 - 60 ؛ المقرئ : نفح الطيب 183/5 - 187 ؛ السلاوي : الاستقصا 126/2 - 130 ؛ ابن الأبار : إعتاب الكتاب ص 225 - 229) .

(2) في الأصل : أفليش .

(3) في الأصل : فحكاها .

(4) في الأصل : الأشياخ .

(5) في الأصل : وحضه .

أبناء إشبيلية ⁽¹⁾ وقرطبة وفاس وتلمسان إلى حضرته العلية ليعلمهم ويعفظهم القرآن وحدث النبي ﷺ ، فانتخب الأولاد النجباء * الحفاظ من كل بلد ، ووجهوا ^{53 ب} مخلصاً إليهم مزودين ، فكان عدد الذين توجهوا من إشبيلية ⁽²⁾ خمسين صبيا ، فسافروا نحو الحضرة العلية مع الأستاذ أبي الحسن نجية منجبهم والأستاذ أبي بكر الحصار ، نهضوا في كفالتهم حتى وصلوا حضرة مراكش حرسها الله تعالى ، فأنزلوا أكرم إنزال ، وتلقاهم الوزير أبو جعفر ابن عطية مأموراً بذلك ، وقد قبلوا بما أحسنهم من الإحسان والإنعام وإجراء الطرف والتحف ثلاثة أيام ، ثم أمروا بكتب التوحيد وحفظه ، وكتب موطأ الإمام رضي الله تعالى عنه وحفظه ، ومسلم ⁽²⁾ وحفظه ، وأقاموا كذلك تحت جراية واسعة ، وجباية بالغة ، وأستاذاهم المذكوران معهم ستة أشهر ، حتى بدا عليهم نور الإمامة ، وتميزوا بالحفظ وامتازوا بالكرامة .

ثم ولى سيدنا ومولانا الخليفة أبا يعقوب ⁽³⁾ رضي الله تعالى عنه إشبيلية وقرطبة ، فوجه معه الوزير أبا جعفر ⁽⁴⁾ ابن عطية ، وبعث الصبيان الحفاظ معه إلى آبائهم ، وقد نالوا من الخير ما نالوا وانصرف الأستاذ أبو بكر * الحصار معهم . [53 ب

(1) انظر تعليقا المتقدم على ص 149 ، حاشية 2 .

(2) يعني صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري .

(3) في الأصل : أبي يعقوب ، وهو يعني يوسف بن عبد المؤمن الذي ولى الخلافة بعد موت أبيه سنة 558 وكانت وفاته سنة 580 ؛ أما ولابنه على إشبيلية وقرطبة فقد كانت سنة 551 ويقول ابن عذارى في ذلك : « لما وصل أشياخ إشبيلية إلى الحضرة العلية في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة رغبوا في سيد يرجع معهم إليها ويستندون إليه في مصالحها وصرح ابن الجدد بطلب السيد أبي يعقوب ، فقال لهم عبد المؤمن إنه صغير السن (كان يبلغ حينئذ ثمانية عشر عاما إذ أنه ولد سنة 533) ، فقالوا : بل هو كبير ، فأسغفهم في ذلك وبعثه معهم أميرا » (البيان المغرب - القسم الموحد ص 56) .

(4) في الأصل : أبي جعفر .

كراماته رضي الله تعالى عنه :

ومنها ذكره رضي الله تعالى عنه قبل وجوده ، وأعلى ما في ذلك ما ذكره أبو القاسم المؤمن ⁽¹⁾ في كتابه الذي ألفه في « فضائل الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه » ، فإنه قال : إن في كتاب أبي عبد الله الملقب بالباقر بن علي زين العابدين ⁽²⁾ بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم مرفوعا إلى النبي ﷺ - الخضر على الإيمان بالمهدي وبطافته التي تقاتل معه وبعده وهم أنجال الخليفة الآخذ عنه ما وعد الله الخليفة المؤيد بالنصر الذي ينصره ويفتح به وعلى يديه ، المسمى في الخطبة الجامعة عن رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم - عبد المؤمن بن علي القيسي رضي الله تعالى عنه ⁽³⁾ .

قال أبو القاسم المذكور :

وهذا أيضا موجود في كتاب يحيى بن زيد ⁽⁴⁾ ، وفي كتاب القاسم الأكبر ⁽⁵⁾ ؛ وجميع ما ذكر أيضا من فضائل الإمام رضي الله تعالى عنه وعلاماته ومواضعه ورجاله وخدمته والخليفة الآخذ عنه المشار إليه في خبر وجود الخلق [54 أ] وقسمة الطوائف ⁽⁶⁾ * في الأدباني وعبدة الهوى « والناصر والمنصور بأمره المسمى

(1) راجع عن هذا المؤلف ما سبق أن كتبناه في ص 62 ، حاشية رقم 4 .

(2) في الأصل : علي بن زين العابدين .

(3) من الواضح أن هذا لا أساس له من الصحة ، وإنما هي أقاويل نسجها المؤرخون الذين كانوا في خدمة الموحدين تقوية لمركزهم .

(4) هو يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي إمام فرقة الشيعة الزيدية ، وهو الذي خرج على الوليد بن يزيد المرواني في خراسان ، فتمكن منه يوسف بن عمر والي خراسان وقتله وصلبه ، ثم أحرقه بالنار ، وذلك في سنة 125 . انظر تاريخ الطبري 228/7 - 230 .

(5) لعنه القاسم بن إبراهيم العلوي الرسي إمام الزيدية ، وتوفي سنة 246 ، وينسب إليه كتاب « الرد على ابن المقفع » و « رسائل في الإمامة » . (انظر الأعلام للزركلي 171/5) .

(6) في الأصل : الطوائف .

بالرجل المؤمن عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه في خطبة رسول الله صلى الله تعالى يوم الكشف عن ضميم النفوس » .

وإيضاح البيان في ذلك كله في كتاب « النصر » لإدريس بن إدريس ⁽¹⁾ بسند جمعه إلى رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم . وقال :

وسمعت أيضا أبا عبد الله اللخمي يقول :

رأيت في الخبر عن خير البشر رسول الله ﷺ أنه قال : خير القرون الذي أنا فيه ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، والآخر أشق ، ولا يقوم بالحق بعد الفترة التي تحدث في الخلق بعد هذه القرون إلا المهدي ، والرجل القائم بأمره ، ومن يليه من الخلفاء بعده رضي الله تعالى عنهم ⁽²⁾ .

ومن ذلك تبشير الإمام المهدي رضي الله تعالى عنهما قبل الاجتماع به ودعاؤه بلقائه ، وقد كتبنا ذلك قبل هذا في هذه المقدمة ⁽³⁾ .

(1) هو إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وأبوه إدريس ابن عبد الله هو الذي فر من وقعة فخ بالشرق والذي أسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى ، أما إدريس الثاني هذا فقد ولد سنة 177 بعد أن توفي أبوه وأمه حامل به فباعه أهل المغرب ، وهو الذي بنى مدينة فاس ، وكانت وفاته سنة 213 (انظر السلاوي : الاستقصا 160/1 - 171) ؛ ولسنا نعلم لإدريس هذا كتابا يسمى « النصر » كما يذكر المؤلف هنا .

(2) الذي ورد في صحيح البخاري (91/1) : « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال عمران : فما أدري قال النبي (صلعم) بعد قوله مرتين أو ثلاثا - ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن » ، وكذلك حديث آخر قريب من هذا : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يحيى من بعدهم قوم تسبق شهادتهم أيمانهم وأيمانهم شهداتهم » . ولم نر الحديث على الصورة التي جاء بها في النص في واحد من كتب الصحاح .

(3) حول تبشير المهدي بقاء عبد المؤمن وتبنيه به انظر القصص الواردة في ذلك في « أخبار المهدي » للبيضاقي ص 53 - 57 و « المعجب » لعبد الواحد ص 247 - 248 ، وقد جمع كل هذه الأقوال وناقشها الأستاذ أويشي في بحثه « الأسطورة والتاريخ في نشأة الدولة الموحدية » ، وهو الذيل الأول من ذيل كتابه « تاريخ الدولة الموحدية » (انظر 587/2 - 588) .

ومن ذلك ذكر ابن عبد ربه القرطبي صاحب « العقد » ⁽¹⁾ له في أرجوزة [54 ب] نظمها يقول فيها بعد ذكر المهدي رضي الله تعالى عنه * إلى وفاته :

ويرجع الأمر إلى عدنان لماجد قد خص من عيلان
ربّ الفتوح صاحب الملاحم وقامع الأعراب والأعاجم

وجرى في وصف فتوحه طلقاً مديداً .

وذكره ابن الخطاط ⁽²⁾ في أرجوزة له .

(1) يعني كتاب « العقد الفريد » للأديب الأندلسي المشهور أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي المتوفى سنة 328 ، ولم نر في كتاب العقد أية أرجوزة يتحدث فيها عما يذكره المؤلف هنا ، وكل ما جاء في العقد الفريد أرجوزته التي يتحدث فيها عن غزوات عبد الرحمن الناصر والتي انتهى فيها إلى سنة 322 هـ . (انظر العقد - ط القاهرة سنة 1944 - 501/4 - 527) ، هذا ولو أن هناك أرجوزة تنسب لابن عبد ربه سرد فيها تاريخ الإسلام والخلفاء الراشدين ، على أن ابن الأبار يذكر بمناسبة هذه الأرجوزة خبراً عن القاضي منذر ابن سعيد البلوطي يقول فيه إنه كتب بيتي هجاء في ابن عبد ربه لأنه أسقط ذكر علي بن أبي طالب (رضه) من الخلفاء الراشدين (انظر عن ذلك مقالنا « التشيع في الأندلس » - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمديرية سنة 1954 - ص 110 - 111) ، وإذا صح ذلك فما كان أبعد ابن عبد ربه - وكان معروفاً ببغضه للشيعه ومن شابههم - عن أن يتنبأ بظهور خليفة المهدي غير مقطوع بصحة نسبته إلى علي بن أبي طالب (رضه) ، هذا وقد ردد المؤرخ الموحي صاحب كتاب المقتبس من كتاب الأنساب ما ذكره ابن القطان هنا عن تنبؤ ابن عبد ربه في أرجوزته بظهور عبد المؤمن ، وأورد البيهقي المذكورين هنا وأضاف إليهما خمسة أبيات أخرى (أخبار المهدي ص 26) ، وهي أبيات ينم ضعف نسجها وركاكة ألفاظها عن الوضع والأختلاق ، كما أنه زعم أن الفقيه الأندلسي المعروف غازي ابن قيس تلميذ مالك بن أنس قد ردد النبوة في أبيات أخرى من بحر الرجز ، وهي أبيات مثل سابقتها لاشك في أنها موضوعة .

(2) هو محمد بن سليمان بن الخطاط الرعيني القرطبي ، توفي سنة 437 وكان شاعراً أديباً واسع الاطلاع على العلوم القديمة والحديثة ، وكان متهماً بفساد الدين والخلق ، وهو من الشعراء المعروفين بالتشيع (انظر في ترجمته : جنوة المقتبس للحميدي ، رقم 60 ؛ الصلة لابن بشكوال ، رقم 1435 ؛ البغية للفضي ، رقم 124 ؛ التكملة لابن الأبار ، رقم 429 ؛ المغرب لابن سعيد 121/1 - 124 ؛ الذخيرة لابن بسام ، القسم الأول 427 - 453 ؛ وكذلك مقالنا « التشيع في الأندلس » ص 142 - 143) ، وعلى أية حال فلسنا نعرف لابن الخطاط هذا أرجوزة فيها إشارة لمثل ذلك .

وذكره عبد الملك بن حبيب ⁽¹⁾ فقال :

صاحب المهدي يأتي بعده خيرة الأعراب طرا والعجم
أقبل الملك به من نعته أشيب اللحية ليس بالهرم

وذكره الطنبي ⁽²⁾ في أرجوزة له .

(1) هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب الإلبيري الفقيه المؤرخ الأديب ، ولد سنة 174 وتوفي 238 ، وقد بقي لنا من كتبه مختصر كتابه الكبير في التاريخ ، ومنه نسخة وحيدة مخطوطة محفوظة في المكتبة البوليدانية بأوكسفورد تحت رقم 127 ، وقد قمنا بدراسة هذا الكتاب وبيان قيمته التاريخية في مقالنا عن « مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي » (بحث بالإسبانية في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمديرية) - سنة 1957 - ص 189 - 200 ، كما قمنا بنشر النص العربي للفصول الخاصة بفتح الأندلس وأخبارها والتنبؤات عن الحوادث المستقبلية (ص 221 - 243) ، وليس في كل ذلك ذكر للبيتين المسبوقين هنا لابن حبيب ، ولكن في الكتاب نصاً قد يمكن تأويله بأنه يشير إلى المهدي بن تومرت ، وقد رأينا من المستحسن أن ننقل هنا هذا النص (ص 240 من المقال المذكور) : « وسمعت عبد الملك بن حبيب يقول : إذا خرجت دولة بنى أمية وولها رجل من الموالى أو البربر تكون في دولته الصبيحة ، وفي دولة أخرى من بنى أمية تكون القرمونية ، ثم تغرب قرطبة حتى لا يسكنها إلا الغربان ، وينتقل الملك إلى إشبيلية ، وتخرج الخلافة من ولد العباس ، ويصير الأمر إلى بني أبي طالب حتى يخرج الدجال ، ويدخل الداخل من قریش من ولد فاطمة ، فتبرأ إليه أهل الأندلس بالأمر ، ففي زمان هذا الفاطمي تفتح القسطنطينية ، وعلى يدي الفاطمي يقتل النصاري بقرطبة وكورها ، فلا يبقى نصراني ، ويقع السبي في ذرايعهم حين توجد الخادم بمهماز والأمرد بسوط . وأخبرني ابن أبي شمر أنه سمع حسانا يحدث بهذا » على أننا بينا في هذا المقال (ص 193 - 194) أن كل هذه الفصول زيادات أقحمت في الكتاب من بعد ، وربما كان بعض مؤرخي البلاط الموحي هم الذين أقحموها في النص تأييداً لرأيهم في ظهور المهدي ، ومهما يكن من أمر فإننا لم نجد في الكتاب ولا زياداته أي إشارة إلى عبد المؤمن .

(2) بيت بنى الطنبي من الأسر المشهورة في الأندلس ، وأصلهم من طينة عاصمة الزاب بأفريقية ، وأشهر من عرف منهم زيادة الله بن علي بن حسين الذي توفي سنة 415 ، وكان من جلساء المنصور بن أبي عامر ، وقد اختص ابن سعيد بالذكر بعض أفراد هذه العائلة (المغرب 92/2 والمراجع الأخرى المذكورة في حواشي هذا الموضوع) ، ولستنا ندري من هو الطنبي المقصود هنا ، ولعله هو نفسه الذي ألف كتابه في أخبار إفريقية والقروان ، وهو كتاب أشار إليه عبد الواحد المراكشي (المعجب ص 441) .

وذكره حبيب بن هبيرة⁽¹⁾ ؛ إلى غير ذلك من ذكره رضي الله تعالى عنه في أراجيز قديمة غير منسوخة لصفاته وأفعاله وفتوحاته .

وبعضهم يأتري ذكره رضي الله تعالى عنه عن دنيال عليه السلام وعن سطيف⁽²⁾ . وبالجملة قد كان قبل وجوده السعيد منتظرا زمانه ، ومتشوقا كيانه ، إلى أن حقق الله تعالى منه ما كان يذكر ، وأبرز للوجود ما كان ينتظر فجاءت للأمة سعادتها ، ولانت نحو الحق مقادتها ، والحمد لله رب العالمين .

ومنها مما يلحق بذكره رضي الله تعالى [عنه] قبل وجوده وجود⁽³⁾ اسمه الأعز منقوشا * في لوح رخام .

قال أبو القاسم المؤمن :

دخلت⁽⁴⁾ في أرض القدس رباطا يعمره رهبان الروم مفروشا بالرخام المجرع ، وفيه رخامة بيضاء قد نقش في سطحها الظاهر منها أحد عشر سطرا على كل سطر منها اسمان إلا السطر الأوسط فعليه اسم واحد .

قال :

وعلى السطر الأوسط السادس⁽⁵⁾ اسم الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه

وحده ؛ وعلى السطر السابع اسم الخليفة بعد الإمام المهدي رضي الله تعالى عنهما الأخلد عنه في حياته المسمى عبد المؤمن بن علي القيسي . واسم شيت عليه السلام . قال :

وعرضت ذلك على الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فأمرني بحفظه وأن⁽¹⁾ أكتب ذلك حتى يحين الوقت الذي يكون فيه ظهوره رضي الله تعالى عنه .

ومن كراماته رضي الله تعالى عنه إنجاز⁽²⁾ الوعود النبوية للطائفة المهدية بفتح الأرض ، وتدويخ الطول منها والعرض ، فما أم بلدا إلا فتحه ولا سعي سعيها إلا أحمدته واستنجزه⁽³⁾ ، تنجزا لصايق الوعود ، وكرامة بمصاحبة السعود ، حتى إنه رضي الله تعالى عنه يشير إلى ذلك مهما كتب كتابا بفتح من فتوحه ، ويفصح بأنه كرامة من كرامات الله تعالى للدعوة المهدية بفصيح * اللفظ⁽⁴⁾ وصرحه .

ومن كراماته رضي الله تعالى عن نضوب وادي سلا الذي هو بحر ترفاً فيه السفن الكبار ، فنضب لجوازه رضي الله تعالى عنه بعسكره ، حتى لم يحتج فيه إلى قنطرة ولا قارب ، كما سيأتي بعد إن شاء الله تعالى ، وذلك خرق عادة⁽⁵⁾ .

(1) في الأصل : وأنا .

(2) في الأصل : إنجاز .

(3) في الأصل : واستنجزه .

(4) انظر أمثلة لذلك في الرسائل التي كتب بها عبد المؤمن بن علي (مجموع رسائل موحدة ص 13 ، 80 - 81 ، 99 ... الخ) .

(5) يبدو أن المؤلف يشير بهذا إلى ما حدث في أثناء توجه عبد المؤمن بن علي إلى فتح بجاية في سنة 546 ، فقد جمعت جيوشه في سلا ، ومنها خرج إلى شريط ثم « الوادي متاع ورغة » ثم إلى مسون ، ولا ينص البيهقي في حديثه عن خط سير عبد المؤمن هذا على ما يذكره ابن القطان هنا من جفاف النهر حتى عبر عبد المؤمن وعسكره ، ولكنه يوحى بذلك إذ يقول : « وخرجنا من مسون ، ولم يعلم أحد أي طريق سلكنا ، وسلك بنا الخليفة على طريق لم تسلك » (انظر أخبار المهدي ص 113 ، وانظر عن هذه الحملة روض القرطاس 192 - 193 ، وأوثني : تاريخ 160/1 - 167) .

(1) لم نهند إلى شخصية حبيب بن هبيرة هذا .

(2) سطيف بن ربيعة هو الكاهن الجاهلي المشهور (انظر عنه المقال الذي كتبه عنه ليفي دلافيدا في دائرة المعارف الإسلامية 189/4 - 190) ، ويبدو أن هناك أسطورة مغربية قديمة كانت تدور حول كونه مدفونا بأرض مدينة سطيف ، فقد ذكر البيهقي في أخبار المهدي (ص 114) أن عبد المؤمن بن علي حينما مر بسطيف في طريقه لفتح بجاية دفع جواده ومعه أصحابه الموحدون حتى وصل إلى قبر سطيف وحك عليه جواده ، ثم قال لأصحابه : أتعرفون ما قال صاحب هذا القبر ؟ قالوا له : أنت العارف بذلك . فقال لهم الخليفة : « أزيلوني عن هذا القبر لئلا تدوسني خيل عبد المؤمن بن علي الكومي القيسي ! » ؛ وربما كان المؤلف يشير إلى نفس هذه القصة .

(3) في الأصل : ووجود .

(4) في الأصل : دخلة .

(5) في الأصل : السابع ، والصواب ما أثبتنا .

ومنها ثمان دراهمه رضي الله تعالى عنه ، كما حكى بعض الموحدين من كومية قال :

كان سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه أيام طلبه قد سافر من تلمسان إلى فاس في طلب العلم ولقاء المشايخ بها ، فصحب في طريقه تاجرا مليا ⁽¹⁾ من أهل الإسكندرية ، فرافقه إلى فاس ، فطلب المكربى من التاجر كراء دوابه ، فأعوزته منه خمسة عشر درهما ، فاستسلفها التاجر من سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه : ثم إن التاجر طلبه بفاس ليقضيه إياها . فلم يجده ، فكتب اسمه في زمامه ⁽²⁾ ، ثم رحل إلى الإسكندرية ؛ ثم توغل في المشرق ، وجال ⁽³⁾ نحو ثلاثين سنة ؛ وكان جعل تلك الخمسة عشر درهما رأس مال على حدة ⁽⁴⁾ ، فوضع الله تعالى فيها البركة ونمت ثمان عظيمًا إلى أن صارت ألف دينار ؛ ثم رجع التاجر إلى بجاية بعد غيبته تلك السنين الطويلة ، * فوجد أبا محمد عبد الله بن سليمان صاحب إمارة البحر ⁽⁵⁾ ، فثقف ماله حتى يعلم حاله ، فاستعجل التاجر الوصول إلى الحضرة

(1) أي غنيا .

(2) في الأصل : زمانة .

(3) في الأصل : وبحال .

(4) في الأصل : جدة .

(5) أبو محمد عبد الله بن سليمان التينمالي المسكالي من أهل خمسين المستدركين بعد التميز ، وكان هو وأخوه يوسف من كبار قواد عبد المؤمن وخيرة رجال دولته ، وقد ولى عبد المؤمن عبد الله هذا على سبعة بعد إخضاع الثورة التي قام بها القاضي عياض سنة 543 ، واضطلع بأمر الفرقة التي سارت إلى قبيلة غمارة وقضت على ثوار تيطاوين (تطوان) ، ويبدو أن عبد المؤمن وكل إليه قيادة أسطوله البحري في سنة 546 ، وكان عبد الله ابن سليمان هو الذي تولى إخماد ثورة يصلاح بن المعز ، كما كان له فضل القضاء على ابن قسي الثائر في جبل شلير وأركش ووادي آش بالأندلس (انظر أخبار المهدي ص 35 ، 108 ، 111 ، 115 ، 125 ؛ والمعجب ص 262 ، 281 ؛ وابن عذاري : البيان المغرب (القسم الموحد) ص 54 - 55 ؛ ومجموع الرسائل الموحدة ص 11 وهي رسالة كتب بها عبد المؤمن إلى طلبة سبتة ويشير فيها إلى قيادة عبد الله للأساطيل الموحدة ، وقد جاء في نفس هذه الرسالة (ص 13) أمر من الخليفة بتقيف التجار الذين يحملون المرافق إلى مالقة ، مما يؤكد ما يذكره المؤلف هنا من كون عبد الله بن سليمان هو المكلف بذلك .

العلية ، وقصد لقاء أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه فلققه في طريق البحيرة ، فسلم عليه ، فقال له : من الرجل ؟ فذكر مسأله وتعرف له ، وأحضر زمامه والاسم مكتوبا على الخمسة عشر درهما وأنها قد نمت حتى بلغت ألف دينار ، فجزاه على أمانته خيرا وكتب له ظهيرا بالأمان في أهله وماله ونفسه ، وأمر بصرف كل ما ثقف له عليه .

أمره رضي الله تعالى عنه بالمعروف ونهيه

عن المنكر وعدله ، ونهجه مناهج الحق وفضله :

بذلك قطع أيامه ، ورفع أعلامه ، وأحيا الحق وأعلى مراسمه ، وأقام أسواق العدل ومواسمه ، ⁽¹⁾ ونخضد ⁽²⁾ الباطل وقطعه ، وقمع شرذمته وشيعه ، حتى علا منار الهدى وارتفع ، وبهر نوره وسطع ، وانقشعت حناديس الظلم وغياهبه ⁽³⁾ ، واتسعت مقاصد الفضل ومذاهبه ، فكل حركاته وسكناته أمر بمعروف ونهى عن منكر ، وفضل وعدل لا تزال آثاره تحمد وتشكر ، والتعرض للإحصاء ، لآحاد ⁽⁴⁾ ذلك العلاء ، ليس بممكن ، فلا ينزف البحر بالدلاء .

لكن له رسالة جامعة لأنواع من الأوامر ، الباقية فخرا لمن تفاخر . * خلدت من مآثره ⁽⁵⁾ السننية ، وأوامره السننية ، ووصاياه الحكمية ، وآدابه العلمية ، ما يقر معه بفضله كل سامع لها وآثر ، ويعلم أن فضله وعدله ⁽⁶⁾ وهي من إنشاء الكاتب أبي جعفر ابن عطية ، فرأيت تدوينها هنا في جملة ما أثبتته أنموذج ⁽⁷⁾ معاليه ،

(1) في الأصل : ومن اسمه .

(2) في الأصل : وحضره .

(3) في الأصل : وعوايية .

(4) في الأصل : آحاد .

(5) في الأصل : مآثر .

(6) يبدو أنه سقطت هنا عبارة تتم بها السجعة .

(7) في الأصل : المودج .

التي هي إحدى فرائد (1) هذا الكتاب وآليه .

وهي بعد البسملة والصلاة (2)

من أمير المؤمنين أيده الله تعالى بنصره ، وأمده بمعونته ، إلى جميع الطلبة الذين بالأندلس ومن صحبهم من المشيخة والأعيان والكافة ، وفقهم الله تعالى واستعملهم بما يرضاه .

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد :

فالحمد لله ، وهو اللطيف الكريم ، الرؤوف الرحيم ، الذي بعدله قامت السموات والأرض وبه تقوم ، وعلى محمد نبيه المصطفى الصلاة المباركة والتسليم ، ولأمته المخلصة في عليين كتابها المرقوم ، والرضا عن الإمام المعصوم ، المهدي المعلوم ، الذي بعثه رحمة للمؤمنين ، ينيلهم (3) به الرّوح والنعيم ، ويريم حقيقها المختوم .

وكتابتنا هذا - كتب الله تعالى لكم كل رأفة ورحمة ، وسوغكم من اليمن والأمن أنعم نعمة ، وجعلنا وإياكم فيمن قدم لدار قراره ونعمه - ، من الحضرة العلية بتينملل - حرسها الله تعالى - في سادس عشر من شهر ربيع الأول سنة

(1) في الأصل : فوائد .

(2) هناك رسائل من هذا القبيل وصلت إلينا في بعض المراجع الأخرى مثل الرسالة التي وجهها عبد المؤمن إلى طلبة سبتة (مجموع رسائل موحدية ص 1-3) ، ورسالته إلى جماعة المشيخة بقرطبة (نفس المرجع ص 13-17) ، وإلى طلبة سبتة (ص 61-67) ، ورسالة الفصول إلى أهل بجاية (ص 126-138) ، وأخبار المهدي ص 13-17 و 134-145) ؛ وجميع هذه الرسائل - مثل هذه التي أوردها ابن القبطان بجملتها هنا - مما كتبه عن الخليفة كاتبه ووزيره أبو جعفر ابن عطية .

(3) في الأصل : ينيلهم .

ثلاث وأربعين وخمسمائة (1) : وقد وصلناها - والحمد لله - وجناح الرحمة مخفوض (2) ، وطرف المكاره « مغضوض (3) ، وفيض العدل والبذل (4) منتشر مستفيض ، وشأن الظلم - بإذن الله تعالى - مكفوف مقبوض ، والحق أبلغ لا كناية ولا تعريض (5) .

وكان مقصودنا من هذه الوجهة المباركة زيارة قبر المكرم المهدي رضي الله

(1) لعبد المؤمن كتاب وجهه إلى طلبة صنهاجة تاسفرت بتاريخ 27 من ربيع الأول سنة 543 ، أي بعد تاريخ الرسالة المذكورة هنا بعشرة أيام (انظر مجموع الرسائل الموحدية ص 5-6) ، وقد جاء في تلك الرسالة الموجهة من مراکش أنها كتبت بعد صدور الخليفة من الحضرة بتينملل حيث كان عبد المؤمن يؤدي واجب الزيارة لقبر المهدي محمد بن تومرت ، وهذا يتفق مع ما جاء في تاريخ الرسالة التي أوردها ابن القبطان هنا وتحديد مكان إرسالها ، إذ أن هذه الرسالة كما يتبين إنما كتبت في أثناء زيارة عبد المؤمن لتينملل وبمناسبتها ، ونوه هنا بما ذكره عبد المؤمن في رسالته إلى طلبة صنهاجة تاسفرت حيث يقول : « وتصلكم طي كتابنا هذا نسخة كتاب خاطبنا بمثلها كل جهة من جهات الموحدين - وفقهم الله - فيما قرب وبعد ، وحملناها من الوصايا ما نرجو أن يعين على أمر الله ويعضد ، ورأينا إنفاذها إليكم لتتألموا من بركاتها ما تحبون أثره قريبا » (انظر ص 6) ، ونكاد نقطع بأن النسخة التي أرسلها عبد المؤمن طي كتابه المذكور إنما هي نفس تلك الرسالة التي أوردها ابن القبطان هنا بنصها . وقد كان لهذه الرسالة شهرة عظيمة وانتشار واسع وأصبحت مثلاً يقتدى بعد ذلك لدى سلاطين الموحدين ، نرى ذلك فيما كتبه عنها ابن صاحب الصلاة بمناسبة إirاده نص رسالة مماثلة كتبها أبو الحسن ابن عياش عن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في الثالث من شهر رمضان سنة 561 (انظر نص هذه الرسالة في كتاب « المن بالإمامة » ص 302-307 ، إذ يقول ابن صاحب الصلاة معلقاً عليها : « وصل الأمير الأجل الأعدل أبو يعقوب رضي الله عنه بأمره الكريم في هذه الرسالة العلية بالأمر والعدل الأمر الذي بدأه أولاً أبوه الخليفة رضي أمير المؤمنين رضي الله عنهم في رسالته المشهورة بالعدل والنهي عن المنكر المؤرخة بالسادس عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة التي كتبها في الحضرة العلية بتينملل حين زيارته قبر المهدي رضي الله عنه إلى جميع الطلبة والأشباخ والعمال من الموحدين ببلاد العدو والأندلس ، فاقتفى رضي الله عنه في ذلك أثره » (انظر نفس المرجع ص 307) .

(2) في الأصل : منفوض .

(3) في الأصل : معضوض .

(4) في الأصل : والبذل .

(5) في الأصل : تعويض .

تعالى عنه لتجديد عهد به تقادم ، وشفاء شوق إليه لزم ولازم ، والنظر في بناء مسجده المكرم تمتعا ببركاته ، ورجاء في تضاعف الأجر بكل لبنة من لبناته (1) ، وحرصا على أن يتوافر به حظ التوفيق وقسمه ، ويعلو في الملأ الأعلى ذكره ورسمه ، ورغبة في رفع بيت من أفضل البيوت التي أمر الله عز وجل أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، ولتنعم الجوارح بمشاهدة (2) هذه المشاهد المنعمة ، والمواسم المعظمة ، وتزود بالتطوف على معاهدة ما عهدته العوارف المتممة ، كل ذلك غرضا في ذات الله تعالى نفرضه ، وأمر يستحب المرء إليه طلب ذلك الخير ويستنهضه (3) .

وقد تم - بحمد الله تعالى - هذا الوطر (4) ، واقتضي الإياب إلى النظر في المصالح والرأى الجميل النظر ، وتفجرت - بحمد الله تعالى - منابع الخير وفاضت ، وعادت روابض الأمر إلى أشرف حالاته وآضت ، وانبعثت موارد البركات بعد ما غارت في غير هذا الزمن المذكور وفاضت ، ونسأل الله تعالى عوناً على شكر هذه النعم التي عمت ملابسها ، * ووعت (5) الأفئدة نفائسها ، ونخاب عن رحماها خاسر الكلمة وبائسها .

وإن الله تعالى قد قضى بأن يكون شرف صاحبه به وامتساكه ، وبين العدل والجور حياة العالم وهلاكه ، فالسعيد من لقي ربه مُبرِّئاً من اتباع الهوى سليماً ، والشقي من أتى مليماً ، باكتساب الكبائر ملوماً ، * ومن يكسب إثماً فلإنما يكسبه على نفسه ، وكان الله عليماً حكيماً (6) ، والله سبحانه يهب الرحمة

للمسترحمين ، ويحب الرفق ويحل به كنفه الأمين ، وفي الحض على ذلك يقول وهو أصدق القائلين : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ (1) ، وبرحمته سبحانه بسط لعباده النعماء ، وبرأفته كشف عنهم العناء ، قال النبي ﷺ : إنما يرحم الله من عباده الرحماء (2) .

وقد اتصل بنا - وفقكم الله تعالى - أن من لا يتقي الله تعالى ولا يخشاه ، ولا يراقبه في كبيرة يغشاها وتغشاها ، ولا يؤمن يوم الحساب فيما أذاعه (3) من المنكر وأفشاها ، يتسلطون بأهوائهم على الأموال والأبشار . وينشرون بالقتل بأعراض الناس أقبح الانتشار ، يستحلون (4) حرمت المسلمين من غير حلها (5) ، ويسارعون إلى نقض عقد الشرع وحلها ، ويصفون الشدة والغلظة بطراً ورياء في غير محلها ، ويتبدعون من وجوه المظالم * ما تضعف شواهد الجبال عن حملها ، ويستنبطون من فواشح الآثار ما تذهب نفوس المؤمنين لأجلها ويتسببون إلى قتل المسلمين فضلاً عن استباحة أموالهم وأعراضهم بتلبيسات ينشئون ، ومزورات يضيفونها إليهم وينسبون ، وينظرون إلى احتضام حق الله تعالى فيهم بأباطيل يعدونها ظلماً ويحسبونها ، ويسعون في استئصال نفوسهم بكل قاطعة موجعة ، ويعيشون (6) فيهم بكل غاصبة للقلوب منتزعة ، والنبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم يقول : « من قتل عصفوراً بغير حق عبثاً جاء يوم القيامة وله

(1) سورة الشعراء ، آية رقم 215 .

(2) ورد هذا الحديث الشريف في صحيح البخاري (كتاب الجنائز) 79/2 ؛ وفي سنن أبي داود (باب البكاء على الميت) 58/2 ؛ وفي سنن ابن ماجه (باب ما جاء في البكاء على الميت) 481/1 ؛ وفي صحيح مسلم 39/3 ؛ وفي سنن النسائي 22/4 .

(3) في الأصل : اداعه .

(4) في الأصل : يستحبون .

(5) في الأصل : حلها .

(6) في الأصل : ويعشون .

(1) في الأصل : لبانه .

(2) في الأصل : بمشاهدة .

(3) في الأصل : وتستنهضه .

(4) في الأصل : الوطن .

(5) في الأصل : ونعت .

(6) سورة النساء ، آية رقم 111 .

صراخ عند العرش يقول : يارب ، سل هذا فيم قتلني عبثاً من غير منفعة ؟ » ، (1) ولا يلتفتون إلى عاقبة ولا ينظرون ، ولا يُبرؤون بأذنانهم ما يفعل الله تعالى بأمثالهم ولا يحذرون ، « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون » ، (2) هيهات ! هيهات ! إنهم ساء ما كانوا يعملون ، تالله ليأتينهم من العقاب الأليم في أقرب أمد ما يهدهم هذا (3) ، ويجعل بينهم وبين النجاة من اشتداد الهلكة سدا ، ويستأصلهم (4) بصواعق الانتقام فقد جاعوا شيئاً إذا .

[58 ب]

أما « علموا أن الله تعالى يطلع على نجواهم ، ويوقعهم في مهاوي بلواهم ، ويلبسهم أردية سرائرهم فيما استهواهم الشيطان به واستغواهم ؟ أما علموا أن أمر المهدي رضي الله تعالى عنه تساوى في الحق به أضعف المسلمين وأقواهم ؟ ألم يقل رسول الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : « المسلمون تتكافأ (5) دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » (6) ؟ لقد آمنوا مكر الله جرأة عليه وإقداماً ، وأعمت الشهوات بصائرهم إذهاباً لنور الحق من نفوسهم

(1) أورد هذا الحديث الإمام ابن حنبل في مسنده مخرجا إياه عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضه) . انظر عبد الرؤوف المناوي : فيض القدير في شرح الجامع الصغير 192/6 - 193 .

(2) سورة البقرة ، آية رقم 9 ؛ وقد جاء في الأصل : « ... وما يخادعون إلا أنفسهم » .

(3) في الأصل : هدى .

(4) ويتأصلهم .

(5) في الأصل : تتكفى ، ولعلها كما أثبتنا .

(6) جاء في صحيح البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة) : « دمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » (97/9) ، والذي ذكره الإمام البخاري هو أن ذلك لم يكن حديثاً نبوياً شريفاً ، وإنما كان مكتوباً في صحيفة قرأها علي بن أبي طالب (رضه) في إحدى خطبه ورواه النسائي مختلفاً بعض الشيء في ألفاظه ، إذ قال إن قيس بن عباد والاشتر انطلقا إلى علي (رضه) فسألاه : هل عهد إليك نبي الله (صلعم) شيئاً لم يعهده إلى الناس عامة ؟ قال : لا ، إلا ما كان في كتابي هذا . فأخرج كتاباً من قراب سيفه فإذا فيه « المؤمنون تكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم .. الخ » (سنن النسائي 19/8 - 20) ؛ ورواه ابن ماجة عن طريقين مختلفتين مع بعض الخلاف في ألفاظه (سنن ابن ماجة 150/2 - 151) ؛ ورواه كذلك أبو داود في (السنن 249/2) .

وإعداماً ، وتالله لو تعين لنا فاعل ذلك وتشخص ، لما خرج من حباله مكره ولا تخلص ، ولسارع إليه من أسرع عقابنا ما يححو رسمه نحو الفنا ، ويكتب يديه بما قدمنا من الخنى (1) ! .

ولقد ذكر لنا فيما ذكر من تلك المظالم ، المستغرقة لأنواع المآثم ، الموبقة لأهلها حين يقرع سن الندم النادم ، أن أولياءك الخائضين في غمرات أبحرها ، المثيرين لأسباب منكرها ، الصارمين لعلق الشريعة القاطعين لأبهرها ، يمدون أيديهم إلى ضرب الناس بالسياط إبلاغاً في الانتهاك بكثرتها وإحاشا (2) ، ويتسببون بذلك إلى أخذ أموال الناس إغياراً للصدور وإحاشا (3) . وذلك « أمر معاذ الله أن يرضى به مؤمن بالله ، أو يتجه إليه حق بنوع من الاتجاه ، ما أبعد العدل - أصلحكم الله تعالى - عن هذه الأمثال والأشباه !

وقد علمتم أن عادتنا فيمن يستوجب الضرب أو يستحقه ، ممن يظلم الأمر الشرعي أو يعقه ، حدود معلومة ، دون إفحاش ولا انتهاك ، ومواقف مرسومة ، تقابل كلا بمقتضى جرمه من أثم أو أفاك .

ولقد ذكر لنا في أمر المغارم والمكوس والقبالات (4) وتحجير المراسي (5) وغيرها ما رأينا أنه أعظم الكبائر جرماً وإفكاً ، وأدناها إلى من تولاهما دماراً وهلكاً ،

(1) في الأصل : الغنى .

(2) في الأصل : وإحاشا ، والإحاش هو سجع الجلد (أي خدشه بشدة) أو إحراقه .

(3) في الأصل : وإحاشا .

(4) القبالة هي في الأصل الضريبة التي تدفع لبيت المال ، وقد أطلق استعمال هذا اللفظ على الضرائب الزائدة على ما يقضى به الشرع ، وكانت هذه الكلمة تستخدم في المغرب والأندلس للدلالة على الضرائب التي كان يؤديها أهل الحرف أبو بائعو السلع الرئيسية (انظر دوزي : ملحق القواميس العربية 305/2 - 306) .

(5) في الأصل : المراسي ؛ وتحجير المراسي يعني به منع التصرف فيها والحجر على حرية الانتفاع منها ، وهو مأخوذ من الاصطلاح الشرعي « التحجير » بمعنى الحجر وهو منع التصرف (انظر دوزي : ملحق القواميس العربية 250/2) .

وأكثرها في نفس الديانة عيشاً وفتكاً ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ! هل قام هذا الأمر العالي إلا لقطع أسباب الظلم وغلّقه ؟ وتمهيد⁽¹⁾ سبيل الحق وطرقه ؟ وإجراء⁽²⁾ العدل إلى غاية شأوه⁽³⁾ وطلّقه ؟ اللهم إنا نشهدك أن سبيلنا سبيلك ، وإنا نستعيذك مما استعاذك منه محمد رسولك . روى عنه عليه السلام أنه قال : « أعوذ بالله من المغمم والمأثم⁽⁴⁾ » تنبيهاً على ما في إغرام الناس من الظلم المظلم . ولئن نقل إلينا - والله الشاهد - أن نوعاً من هذه الأنواع المحرمة ، أو صنفاً من تلك الأصناف المظلمة ، يتولاه أحد هنالك من البشر ، أو يأمر بشيء من ذلك الفعل المستنكر : لنعاقبه بمحو أثره ، عقاباً يبقى * [عظة⁽⁵⁾] لمن اتعظ ، وعبرة لمن تنبه لزاجر الحق واستيقظ .

[59 ب]

وإن من ذلك الرأي الذميم ، والسعي المنقوم ، ما ذكر لنا في أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم وعمارتها ، والطوائف المارة على البلاد لمعنى تجارتها ، يتسبب إليهم قوم من هؤلاء الظلمة الدخلاء الذين يضعون الغش طي ما يوهمون به من النصيحة ، ويستبطنون⁽⁶⁾ المكر في تصرفاتهم القبيحة ، فيقولون للرجل منهم : عندك من حقوق الله كيت وكيت ، وإن للمخزن جميع ما به أتيت ! ويقرنون بهذا من الوعيد والإغلاظ الشديد ما يرضى له المذكور بالخروج عن جملة ماله ، ويعتقد⁽⁷⁾ السلامة من ذلك الظالم الغاصب أعظم مناله ، وإنها لذهابية⁽⁸⁾ عاقرة ، قاصمة للظهرة فاقرة ، ويا عجباً لكم - معشر الطلبة والشيوخ وكافة الموحدين - فإنكم بذلك مطلوبون ، وما حجتكم وما أنتم على حق كيف

(1) في الأصل : وسد ، ولعلها تحريف عما أثبتنا .

(2) في الأصل : أجزاء .

(3) في الأصل : شهوة .

(4) أورده النسائي في جملة ما يتعوذ به في الصلاة (السنن 57/3) .

(5) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل .

(6) في الأصل : ويستبطنون .

(7) في الأصل : ونعتقد .

(8) في الأصل : للذهابة .

نكيف هذه الكبائر وأنتم للأمور هنالك رصّد⁽¹⁾ ؟ أم كيف تجري هذه الظلمات وقد قام للحق أود ؟ أم كيف تكون الدماء على هذه الصورة تسفك ؟ والحرمات تنتهك ؟ ولا يمتنع ذلك منكم أحد ؟ كلا ، لعاقبن كل من⁽²⁾ جنى ، وليظهرن ما قصد القاصد وما عنى . وإن وراء قولنا « لتتبعنا يبحث⁽³⁾ » عن ذلك ويخلص ، وبظراً يفرق بين المشكل منه ويخلص !

ولاشك - والله أعلم - في أن أسباب تلك المنكرات ، ودواعي تغير تلك الأحوال المتغيرات ، قوم يتوسطون بينكم وبين الناس ، ويقولون ما لا يفعلون ذهاباً إلى التدليس عليكم والإلباس ، ويجعلون النفي بالظلم والعدوان بدلاً من العدل والقول الجميل والإناس ، وذلك لغيب المباشرة ومباينتها ، وبعدكم عن مشاهدة الأمور ومعابيتها ، والتعجب عن مطالعة الأمور داعية كبرى لفسادها واختلالها ، وسبب⁽⁴⁾ قوي في انتقاضها وانحلالها ، وفرصة لوسائط السوء بانهمالها في البواطن واسترسالها ، فلا تكلوا النظر فيها إلى أحد سواكم ، ولا تبعدوا بغلظ⁽⁵⁾ الحجاب عما قصدكم من الخير ونواكم ، وباشروا الأحكام هنالك مباشرة المتعهد المتفقد ، وعليكم بالتواضع لأمر الله تعالى وترك الاستعلاء المنتقد ، وتحفظوا في جانب المسلمين من كل خفيف المقال ، كثير الاضطراب في الباطل والانتقال ، فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال ، وتثبتوا⁽⁶⁾ - وفقكم الله - في الأحكام التي لا بد لكم من النظر فيها تثبت البحث عن حقائق الأمور والاستقصاء ، وتعهدوا الناس بالتحذير من اللدد في الخصام ، وبالغوا في الإيضاء .

(1) كرر الناسخ هذه الجملة في الأصل .

(2) في الأصل : ما .

(3) في الأصل : بحث .

(4) في الأصل : ونسب .

(5) في الأصل : بغلظ .

(6) في الأصل : وثبتوا .

ولا تظنوا أن الاجتهاد في الأمور يؤدي إلى الهجوم عليها والافتحام ، ويخرج
النظر عن الثبوت في القضايا والأحكام ، فاذهبوا فيها « مذهبا وسطا ، واقتصدوا
الاعتدال مقصدا مقسطا ، ولا تجتهدوا في شيء لا تعلمون فيه حكما ، وشاورونا
فيما يخفى عنكم وجهه لرسم لكم فيه رسما ، فليس كل مجتهد مصيبا برأيه ،
ولا كل هاجم على رأي منجح في سعيه ، وبين طرفي الأحوال واسطة جميلة فيها
معقد السياسة ومناطها ، وخير الأمور - كما قال عليه الصلاة والسلام -
أوساطها .

وعليكم أن تبحثوا بغاية جدكم عن أولئك المسبيين لتلك القبائح الساعين
في صد ما يرضاه الله تعالى من المصالح ، وتعرفونا بهم بعد تثقيفهم لنشرد بهم من
خلفهم ، ونكف بعقابهم نوعهم الظالم وصنفهم ، وقد استخرنا الله في سد تلك
الذريعة ، وصدد تلك الأفعال الشنيعة ، فرأينا أن ترفعوا إلينا أحكام المذنبين
للكبائر ، وتعلمونا بنبأ كل من ترون أنه يستوجب القتل بفعله الخاسر ، دون أن
تقيموا الحد عليه ، أو تبادروا بالعقاب إليه ، ولا سبيل لكم إلى قتل أحد من كل
من هو في بلاد الموحدين وأنظارهم ، ومن هو معهم وداخل في مضمارهم ، وكل
من ترون أنه يستوجب القتل ، ممن يريد المكر في أمر الله والختل ، فعرفونا بجلية (1)
أمره وتصحيحه ، وخاطبونا بميز أمره ومشروحه ، لينفذ فيه من قبلنا ما يوجبه الحق
ويقتضيه ، ونمضي في عقابه ما ينفذه الشرع ويمضيه ، فإياكم من مخالفة أمرنا هذا
في قتل أحد ممن « ذكرناه كائنا من كان ، كبر ذنبه عندكم أو هان ، ولتبادروا إلى
إعلامنا بذنبه بعد سجنه وتثقيفه لنقابله بما نراه ، ونجزي الحق فيه مجراه .

وإنه أعلمنا بأن من يرضى من تلك الفواحش بما يرضاه ويستبيحه ، ولا
يبالي أحسن الفعل فعله أم قبيحه ، يبتاع المرأة ويبيعها دون استبراء (2) ، ويعبث في

(1) في الأصل : سجلية .

(2) في الأصل : استتار ، والاستبراء هو التلبث على المرأة حتى تحيض ويؤكد عدم حملها .

ذلك بكل إقدام على الله تعالى واجترأ ، ولا يتحفظ من مواجهة الزنا المحض ،
ومخالفة الواجب مع الفرض ، وإن في ذلك من اطراح ما أمر الله تعالى به من اتباع
الفرع ، وإفساد الأصل من السنة والفرع ، ما لا يحل (1) سماعه ، ولا يستقر
بنفس مؤمنة استطلاعه . فلا سبيل لأحد ممن هنالك أن يبتاع شيئا ممنه أو يبيع ،
حتى يستأذن الحاكم لأمره منكم والشيوخ لئلا يذهب الحق في ذلك ويضيع .
وتقدموا للنظر في أسواقهم من ترضون دينه وأمانته ، وتتحققون ثقته وصيانيته .
فمن أبيع له البيع والابتيع أحضره الأمين المذكور ليرتفع بشهادته الشك والنزاع ،
وليجري السنة مجراها ويمثل الأمر المطاع . وكذلك فليتوقفوا عن بيع النساء في جميع
من لغنونهن في تلك الأرجاء ، حتى تخاطبونا بأصل أمرهن وكيفية ، وتعلمونا
من ذلك بحليته . لرسم لكم فيه ما يكون عليه اعتمادكم ، ويجري إليه اقتصادكم .

والله الله في البحث على الخمر ! وتقديم النظر في أمرها فهو من أهم
الأمور ، فإنها مفتاح الشرور ، ورأس الكبائر والفجور ، وهي رابطة أهل الجرم ،
وجامعة « أشتات الظلم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يجمع الله بين
« الخمر جماع الإثم » (2) ، فخذوا في طلبها في المواطن المتهمة بشانها ، واجتهدوا في
إرافتها وكسر دنائها ، واعمدوا إلى السبب الذي يؤدي إلى التمكن منها فارغوه
والحظوه ، واطرحوا الإغفال لذلك والفظوه ، وقدموا أمناء متخيرين للتطوف على
مواضع الترتيب ، يكون بالمحافظة على ذلك محل الكالي الرقيب ، ولا يكن منهم
إلا من يفرق بين الحلال والحرام ويميز ، ويعرف ما يجوز شربه وما لا يجوز ، ومروهم
بالعهد لمواضع بيع الرب واعتصاره وخذوهم بتوقف جدّهم على ذلك

(1) في الأصل : يحمل .

(2) لم نجد هذا الحديث بلفظه في كتب الصحاح المعروفة ، وأقرب ما ورد إليه هو ما أخرجه ابن
ماجه في السنن (327/2) عن أبي الدرداء (رضى) أنه قال : أوصاني خليل (صلعم) لا تشرب الخمر
فإنها مفتاح كل شر ، وعن عباد بن الأرت عن النبي (صلعم) أنه قال : إياك والخمر ، فإن خطيئتها
لنزع الخطايا كما أن شجرها تفرع الشجر .

واقتصاره ، فما حل منه أباحوه ، وما كان غير ذلك قطعوه أصلاً وفرعاً وأراقوه .
« الحلال بين والحرام بين ⁽¹⁾ » ، ولقضايا الشرع نظام ؛ قال رسول الله صلى الله
تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : « ما أسكر كثيره فالجرة منه حرام ⁽²⁾ » .

وإن ممن ⁽³⁾ يسعى في نوع من أنواع الفساد ، ويستصحب الإضرار
بالمسلمين في الإصدار ⁽⁴⁾ والإيراد ، هؤلاء الراقصين ⁽⁵⁾ الذين يردون بالكتب
ويصدرون ، ويمشون فيما بيننا وبينكم وينفرون ، فإنه ذكر لنا أنهم يأخذون الناس
بالنظر في كلفهم ، ويلزمونهم في زادهم من كل موضع وعلفهم ، وهذا فعل كل
فرقة منهم في سيرها ، وسوء رأيهم ⁽⁶⁾ بذلك * في المخازن وغيرها ؛ وإن من جملة
ما حكى عنهم أنهم يتألفون في الطرق جموعاً ، ويحلون بأفنية الناس حلولاً شنيعاً ،
يكلفونهم مؤناتهم تكليف المجرم ⁽⁷⁾ ، ويتحكمون عليهم بحكم المغرم ، حتى إنهم
لا يرضون في ضيافاتهم إلا بأسمن الجزر ، وناهيكم بهذا الاجترار العظيم الضرر ؛
فسارعوا - وفقكم الله تعالى - إلى حسم ⁽⁸⁾ هذه العلة من أصلها ، وبادروا إلى
قطع تلك العادة الذميمة وفصلها ⁽⁹⁾ ، وتخيروا لرسائلكم أرسالا ، وانتقوا من أهل

(1) أورد هذا الحديث البخاري (الصحيح 20/1) ؛ ومسلم (50/5) ؛ وابن ماجه
(476/2 - 477) ؛ وأبو داود (82/2 - 83) ؛ والنسائي (242/7 - 243) .

(2) الذي جاء في كتب الصحاح « ما أسكر كثيره فقليله حرام » (انظر فيض القدير للمناوي
420/5 ؛ وسنن ابن ماجه 332/2 ؛ وسنن النسائي 300/8 - 301 ؛ وسنن أبي داود 130/2) ؛ وقد جاء في
فيض القدير (نفس الموضع المشار إليه قبل) وفي سنن أبي داود كذلك حديث آخر أشبه بهذا ، وهو « ما
أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام » (والفرق بفتحين مكيال يسع ستة عشر رطلا) .

(3) في الأصل : من .

(4) في الأصل : الإصرار .

(5) الراقص مثل الرقاص التي سبق التعليق عليها ، والمقصود هو حامل البريد . ص 341

(6) في الأصل : وسواء وأتهم .

(7) في الأصل : المجترم .

(8) في الأصل : تحسيم ، ووضع الناسخ عليها علامة شك ، فلعلها كما أثبتنا .

(9) في الأصل : وفصلها .

المقدرة على ذلك والثقة ⁽¹⁾ رجلاً ، وادفعوا إليهم زاداً يقوم بهم في المعى
والانصراف ، ويقطع شأنتهم عن التكليف والإلحاف ، وارسموا لهم أياماً معروفة
العدد ، معلومة الأمد ، لينتهوا بها إلى مواقف رسائلهم ، ويوزعوها على مسافات
مراحلهم ، وحذروهم من تكليف أحد من الناس ولو مثقال ذرة ، وأوعدوا من
تسبب منهم إلى مسلم بمساءة أو مضرة ، والله تعالى المستعان على دفع أسباب
الجور ، ونستعبد به سبحانه من الخور ⁽²⁾ .

وكذلك ذكر لنا - وفقكم الله تعالى - من التحكم في الأموال ، وقلة
المبالاة بالتفريق بين الحرام منها والحلال ، أن أولئك الذين ذكرت خدعهم ،
ووصفت غرضهم الذميمة ومنزعهم ، يفعلون في أموال الناس ما تقدم ذكره ،
وشرح مكره ، وتمتد أيديهم إلى المخازن هنالك فيعيشون ⁽³⁾ فيها ويتحكمون ،
ويجروون في التعدى عليها ملء شأوهم « وأنفسهم يظلمون ، فاتقوا الله تعالى فيها ،
فإنها أمواله المخزونة في أرضه ، وبادروا إلى كف كل معتد وقبضه ، ولا سبيل لكم
أن تنفذوا منها قليلاً ولا كثيراً إلا بعد استئذاننا ⁽⁴⁾ وتعريفنا بالدقيق والجليل مما
هنالك ، وهذا أمر منا لكم ولكل من وقف على كتابنا هذا من الطلبة والشيوخ
والموحددين كافة ، أمراً دائماً لازماً ، سنته بالاستمرار مستظلة ، وصحته بفضل
الله لا تدخلها تعلقة .

وقد خاطبنا بمثل ما خاطبناكم به جميع الطلبة والموحددين وكافة البلاد التي هي
بالدعوة المهدية معمورة ، وبكلمة الإيمان مشرقة ⁽⁵⁾ منيرة ، فأمرنا بجميع فصول

(1) في الأصل : وثقة .

(2) في الأصل : الجور ؛ والجور هو النقصان ، وفي هذه العبارة إشارة إلى الحديث النبوي الشريف
« نعوذ بالله من الجور بعد الكور » أي من النقصان بعد الزيادة أو من فساد أمورنا بعد صلاحها

(3) في الأصل : فيعيشون .

(4) في الأصل : استئذاننا .

(5) في الأصل : مشرقة .

كتابنا هذا إليكم ولسواكم شامل ، وفي كافة أقطار الموحدين نافذ عامل ، فمن خالفه بوجه من وجوه الخلاف فقد تبين عناده ، وساء في العاجل والآجل مآله ⁽¹⁾ ومعه ، ومن لم يمثله بواجب الامتثال ، ويكف يده عما رسمناه في كافة الأحوال ، فقد تعرض لأشد العقاب وأوحاه ⁽²⁾ ، واستقبل من ارتكاب النهي ما يصده الانتقام به عن سوء منحاه ، فاستصحبوا حدنا هذا استصحابا مؤيدا ، واتخذوه في كافة أحوالكم مستندا ومعتمدا ، وعلى كل من إلى نظركم من أهل تلك البلاد المنتظمة في سلك التوحيد ، الآخذة بالمذهب الرشيد ، عون الأمير - أيده الله تعالى - على بسط * العدل ، وإفاضته على الكل ، ورفع لعبء ثقل ⁽³⁾ وكَلَّ : أن يسلكوا في جميع تصرفاتهم سبيل الاستقامة ، ويستمروا على استعمال الحقائق والمواصلة على ذلك والاستدامة . ويتجافوا عن مواقع الظلم فالظلم ظلمات يوم القيامة ، وينقادوا ⁽⁴⁾ للواجبات بداراً إليها وإسراعاً ، ويكونوا ⁽⁵⁾ في التساعد على الصلاح كالنفس الواحدة تألفا واجتماعاً .

ولما كان هذا الأمر عندنا - وفقكم الله تعالى - أهم أمر وأوجبه ، وأحق ما أدناه الحق وقربه ، وكان اهتمامنا به قد جعله على كل حالة مقدما ، وأنفذه بأمر الله تعالى إنفاذا ملتزما ، رأينا أن نجعل في كتابنا هذا علامة بخط يدنا ، وها هي قد رفعت الإشكال رفعا بَيِّنا ، وأرتكم فرط اهتبالنا حقاً مُبَيِّنا ، فبادروا إلى تلقيها بالامتثال والمشاركة ، وصلوا ابتداء شأنها بالمواصلة له والمتابعة ، وأحضروا للاجتماع على هذا الكتاب جميع من في تلكم البلاد من الطلبة والعمال ، وكافة المقدمين

(1) في الأصل : فآله .

(2) أي أسرعه .

(3) في الأصل : ورفع العبد المثقل وكل ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، والكل (بفتح الكاف) هو

الثقل من كل ما يتكلف ، ويطلق على العيال .

(4) في الأصل : وينقاد .

(5) في الأصل : ويكون .

للأعمال ، ولا تقدموا أمرا من الأمور على إنفاذ جميع ما تضمنه ، والاعتمال بكل ما شرحه وبينه ، ولا تشتغلوا بشغل قبل الاشتغال بمعانيه ، وبما أمركم به على قواعده ومبانيه ، ومخاطبتنا بما يكون منكم في تلقيه ، واتباع ما ينبيه إليكم وبلقيه ، وأقرأوه على الكافة أعالى المنابر ، واستحضروا له وفود القبائل من البوادي والحواضر ، وأسمعوا به إفصاحا وإعلانا ، وأشربوه قلوب الناس جماعات ووحدا ، وأحسنوا إيهال أغراضه ⁽¹⁾ إليهم ، فإن الله تعالى يجزي الاحسان إحسانا .

فإذا تفرغتم من قراءته على الجماهير « وبلغتم حجتة بواجب التبليغ والتقريب ، فاكتبوا منه نسخا إلى كل قبيلة من قبائل ذلك النظر ، وكل كورة من تلك الكور ، وأكدوا عليهم فيما أكدنا عليكم فيه ، من تقديم العمل فيه على كل الوجوه ، وامتثال مضمينه على ما يحبه الله تعالى ويرضيه ، وحذروهم من التعرض لمخالفته فلا عذر لمن لا يقصده على الفور ويأتيه ، ونحن بمرصد التطلع والتسمع لما يكون منكم ومنهم ، لنقابل بالواجب ما يصدر عنكم وعنهم .

وقد علم الله تعالى أن غرضنا بجميع المسلمين إشفاق وحنان ، وجانبنا لهم دعة مستمرة وأمان ، ولدينا من التراؤف بهم والرفق بجنانهم شان لا يقاربه ⁽²⁾ من فضل الله تعالى شان ، وقد علمتم ذلك منا وخبرتموه ، وجربتموه على مر الزمان وصبرتموه ⁽³⁾ ، فلتتلقوا كل من استزعكم الله أمره بكل طلاقة ويسر ، ولتنبشروا ⁽⁴⁾ عليهم جناح الرحمة أكمل نشر ، ولتعلموا - رعاكم الله - أن من شملته كلمة التوحيد ، في العهد القريب أو البعيد ، في مضمار واحد من العدل محمولون ، وأنكم عن كل من هنالك مسئولون ، ولفظ الموحدين بيننا وبينهم جميعا ، والحق يسلك بينهم من التناصف مسلكا مشروعا ، وقد ألقت الكلمة بينهم ، فبعضهم

(1) في الأصل : إعراضه .

(2) في الأصل : يفارقه .

(3) كذا في الأصل ، وربما كانت « وسيرتموه » .

(4) في الأصل : ولينشروا .

لبعض في الخير أسوة ، وقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ⁽¹⁾ ، فاعتقدوا فيهم هذا الاعتقاد الجميل قصداً * إلى مرضاة الله تعالى وإتيانا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، وأحسنوا بهم - رعاكم الله - ظناً ، وعودوهم الخير لفظاً ومعنى ، وتحلقوا معهم بمحاسن الأخلاق ، وقولوا للناس حسنى ، واستألفوا الناس بالتي هي أحسن ، وابذلوا لهم من المساعدة في ذات الله تعالى غاية ما يتمكن ، وانهجوا لهم من الميزات منها ما يبدو به مضمركم الجميل وتبين ، وسيروا بصالح عملكم وبشروا ، وبسروا - كما قال عليه الصلاة والسلام - ولا تعسروا ⁽²⁾ ، وسكنوا ولا تنفروا .

واعلموا أن السعي في هذا الغرض الواجب ، والاعتمال في رفع ذلك المانع الحاجب ، لا يتأتى لكم جملة واحدة ، حتى تكون نفوسكم متألفة عليه متساعدة ، وتعاونوا على مرضاة الله تعالى تعاوناً يجمع في الصلاح آراءكم ، ويضمن النجح التام لكم ولن وراءكم ، فعليكم بالمظاهرة ، والمناصرة والمؤازرة ، فهي سواعد السعد ، قواعد الود ، وشيم الكرام الحافظين للعهد ، وبها يعمر محل الرضى ونديه ، وبه أوصى الله تعالى ورسوله ومهديه .

وقد نصحنكم فاقبلوها نصيحة قصدت في ذات الله تعالى قصدها ، وذكرناكم بهذه التذكرة فاستقبلوها رشدًا ، ونبهناكم تنبيهاً * بالغاً ، وللحال ما بعدها ، جعلنا الله تعالى وإياكم ممن امتثل أمره المطاع بخالص نيته ، وأفرغ الرحمة على قالب سجيته ، وحفظ ما استرعاه الله تعالى ، فكل راع مسئول عن رعيته .

وكان مما بعثنا - وفقكم الله تعالى - على تنبيهكم وإذكاركم ، وإيقاظكم للنظر في تلك المصالح وإشعاركم ، ما ألفتناه بحضرة مراکش - حرسها الله - من بعض تلك الأنواع ، مما أحدثه فيها بعض أهل الابتداع ، كنوع القبالة ، وما يجرى مجراها في وجوب الإزالة والإحالة ، فإننا كنا لا نبحت عن ذلك ، لتخلينا أنه

(1) سورة الحجرات ، آية رقم 10 .

(2) تمام الحديث « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » (انظر فيض القدير للمناوي 361/6) .

لا يجرؤ أحد أن يسلك في هذا الأمر الذي أظهره الله تعالى تلك المسالك ، فلما كان الحث عما يجب ، وزال ⁽¹⁾ عن وجه المشاهدة ما كان يجب ، اطلعنا على ذلك فأنكرنا ما كان نكيرا ، وأزلنا بعون الله تعالى ما كان محذورا بالشرع محظورا ، حتى تظهر ثوب الأمن من دنسه ، وتجلي الوجه الخالص عن ملتبسه ، واقتبس نور الحق من مُقْتَبَسِهِ ، وجرت الأمور على ما عهدناها عليه من الاعتدال والقوام ، بحكم ما أحكمه الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه في القضايا والأحكام ، وإذا كان الافتيات في شيء من هذا ونحن على اقتراب ، فكيف الأمر فيمن هو في حكم * بُعْدِ عَنَا واغتراب ؟ !

فانظروا هذا - وفقكم الله تعالى - نظر أولي الأبواب . ولتسعوا جهدكم في رفع ذلك العمل المستراب ، ولتذهبوا إلى إظهار أمر الله سبحانه على موجب الكتاب .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

(1) في الأصل : وأزال .

مدة خلافته رضي الله تعالى عنه :

بويح رضي الله تعالى عنه إثر موت الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه عام أربعة وعشرين وخمسمائة بيعة خاصة ، وأعلن بيعته حين أعلن بموت الإمام المهدي رضي الله تعالى عنهما عام تسعة وعشرين وخمسمائة ⁽¹⁾ ؛ وكانت مدة خلافته رضي الله تعالى عنه اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر غير ستة أيام .

* * *

عمره رضي الله تعالى عنه :

قبل ثلاث وستون سنة ، وقيل أربع وستون سنة ⁽¹⁾ وقت وفاته ومدفنه رضي الله تعالى عنه :

توفي قبل الفجر يوم الثلاثاء ⁽²⁾ الثامن من شهر جمادى الآخرة عام ثمانية وخمسين وخمسمائة ، ⁽³⁾ ونقل رضي الله تعالى عنه إلى تينملل - شرفها الله تعالى - يوم الجمعة غرة شعبان المكرم عام ثمانية وخمسين وخمسمائة ،

* * *

(1) نقل ابن أبي زرع الرأين وأسد الأول إلى ابن الخشاب ، والثاني إلى ابن صاحب الصلاة (الروض ص 202) ، وأما عبد الواحد المراكشي فقال إن عبد المؤمن ولد سنة 265 (المعجب ص 197) ، وقال ابن خلكان إنه ولد سنة 500 وقيل إنها كانت سنة 490 (الوفيات 239/3) ، أما ابن عذارى فإنه نقل عن أبي زكريا يحيى بن وسنار (في الأصل : بن سنان) أن عمره كان ثلاثا وستين سنة ، وقيل : أربعاً وسبعين (البيان المغرب - الطبعة الثانية - ص 55) .

(2) في الأصل : الثلاثة .

(3) يتفق كل المترجمين لعبد المؤمن على أنه توفي في شهر جمادى الآخرة سنة 558 ، غير أنهم يختلفون في تحديد اليوم ، أما البيهقي فإنه يتفق مع ابن القطان في أن ذلك كان في يوم الثلاثاء الثامن من هذا الشهر (أخبار المهدي ص 83) ، وكذلك ابن أبي زرع في أحد قولي (الروض ص 202) والسلوي (الاستقصا 139) ، ولو أن هذين المؤرخين يعلنان الثامن من جمادى الآخرة موافقا ليوم جمعة لا الثلاثاء ، وأما ابن عذارى فإنه يحدد وفاة عبد المؤمن بليلة الخميس العاشر من جمادى الآخرة (البيان المغرب ص 55) ، ويوافق ابن أبي زرع في قول آخر له على العاشر من هذا الشهر إلا أنه يجعله يوم الثلاثاء (202) أما عبد الواحد المراكشي فإنه ينفرد بإيراد تاريخ السابع والعشرين من الشهر المذكور (المعجب ص 306) ، وأقوال المؤرخين المشاركة مضطربة فابن خلكان والنويري يعلنان ذلك في العاشر الأخير أو الآخر (كذا) من ذلك الشهر (الوفيات 239/3 ؛ ونهاية الأرب ص 214) ، ويحدده ابن الأثير بالعشرين من جمادى الآخرة (الكامل 81/9) . وقد رجح أويشي في بحثه لهذا التاريخ ما استقر عليه ابن القطان والبيهقي أي الثامن من جمادى الآخرة الموافق ليوم الثلاثاء 14 مايو سنة 1163 م . (انظر تاريخ الدولة الموحدية 209/1) .

(1) هكذا ذكر ابن القطان ، وأكد ذلك أيضا ابن عذارى في البيان المغرب (312/1) ، ويقول أويشي إن ابن الأثير يتفق معهما أيضا على هذا التاريخ ولو أننا لم نجد في « الكامل » نصا صريحا على ذلك ، أما البيهقي فإنه يجعل البيعة العامة لعبد المؤمن في سنة 527 (أخبار المهدي ص 133) وكذلك ابن صاحب الصلاة (فيما ينقل عنه ابن أبي زرع في الروض ص 184) وابن خلدون والسلوي اللذان يذكران أن أصحاب ابن تومرت المقرين إليه كتموا وفاته ثلاث سنوات مما يفهم منه أن البيعة العامة لعبد المؤمن كانت في سنة 527 (انظر العبر 229/6 والاستقصا 100/2) ؛ غير أن ابن أبي زرع والسلوي يعودان فيجعلان البيعة في يوم الجمعة 20 من ربيع الأول سنة 526 أي بعد وفاة المهدي بستين على الرغم مما أشرنا إليه من نقلهما عن ابن صاحب الصلاة كون هذه البيعة في سنة 527 (الروض ص 186) ، وقد ذكر أويشي أن هذا التاريخ الأخير خاطيء إذ أن يوم 20 ربيع الأول المذكور لم يكن يوم جمعة وإنما يوم الأربعاء ، فضلا عن أن ابن أبي زرع كثير الغلط غير جدير بالثقة في كل ما يقول ؛ ويرى أويشي أخيرا أن ما ورد هنا إنما هو على الأرجح تحريف من ناسخ المخطوط لسهولة الخلط بين رقمي « السبعة » و « التسعة » ، على أننا نستبعد هذا الرأي ، إذ أننا سنرى ابن القطان في أخبار سنة 529 يعود إلى تأكيد ما ذكره هنا من أن الإعلان ببيعة عبد المؤمن تم في هذه السنة (انظر مناقشة أويشي للآراء المختلفة حول هذه الناحية في « تاريخ الدولة الموحدية » ص 109) .

[65 ب] « أولاده الكرام رضى الله تعالى عنهم أجمعين : (1) »

فمنهم سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو يعقوب رضى الله تعالى عنه ، وشقيقه السيد الأسني أبو حفص [عمر] ، (2) والسادات المكرمون أبو عبد الله ، (3) وأبو محمد عبد الله صاحب بجاية ، (4) وأبو سعيد عثمان ، (5)

(1) عن أبناء عبد المؤمن واختلاف المؤرخين حول عددهم وأسمائهم انظر الحلل المشوية (ص 142) ، وابن أبي زرع (الروض ص 202 - 203) ، وعبد الواحد (المعجب ص 266) ، والزرکشي : تاريخ الدولتين ص 9 ، وابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة 222 - 223 ؛ وابن عذارى (البيان ص 56) . وانظر كذلك الملحق الثاني من الملاحق التي ذيل بها أويني كتابه (613/2 - 624) .

(2) في الأصل بياض بقدر كلمة ، وقد أضفناها اعتماداً على مختلف المراجع الموحدية ، وأبو حفص عمر هذا هو شقيق يوسف بن عبد المؤمن كما ذكر المؤلف ، وأمهما هي بنت أبي عمران موسى بن سليمان التيمملي الكفيف أحد أهل الخمسين (انظر أخبار المهدي ص 34 ، 116 ؛ وروض القرطاس ص 205 ؛ والمعجب ص 308) ؛ وقد تولى أبو حفص الحجابة لأخيه يوسف كما قاد له الجيوش وتوفي سنة 575 (انظر أويني : تاريخ 613/2 - 614) .

(3) هو محمد أكبر أبناء عبد المؤمن وولي عهده له في حياته ، وقد تولى الخلافة بعد موت أبيه خمسة وأربعين يوماً . ثم خلع عن العرش وبويع بعده أبو يعقوب يوسف أخوه (انظر في هذه الأحداث : أويني : تاريخ 219/1 - 223) .

(4) ولده أبوه عبد المؤمن على بجاية سنة 551 في جملة من ولده من أبنائه على البلاد ، ولم تكن سنة تجاوز حينئذ خمس عشرة أو ست عشرة سنة ، فلما بويع أخوه يوسف بن عبد المؤمن رفض الاعتراف بخلافته ، واشترك في العصيان مع أخيه أبي سعيد عثمان عامل غرناطة ، ولكنه لم يلبث أن أعطي عهده بالطاعة بعد أن رأى أخاه المذكور يعلن الولاء ويكف عن الثورة ، فقبل منه أبو يعقوب ، وتوجه عبد الله إلى مراكش ليبيع أخاه ، ولكنه مات في الطريق مسموماً (انظر أويني : 620/2 - 621) .

(5) أصناف ابن أبي زرع إلى اسمه « صاحب غرناطة » (203) بينما ذكر قبل ذلك أن أباه ولده سبعة وعطبعة (197) ، وقد ولي الجهتين بالفعل في سنة 549 في حياة أبيه مضافاً إليها مالقة والجزيرة الخضراء (البديق ص 116 والمعجب ص 293) ، وقد أشرنا إلى رفضه الاعتراف بخلافته أخيه يوسف ثم إفائه بالطاعة سنة 560 ، وقد كان له نشاط عسكري كبير في الأندلس ، وكانت وفاته في سنة 571 (انظر أويني 618/2 - 619) .

وأبو علي الحسن ، (1) وشقيقهما أبو الربيع سليمان ، (2) وأبو زكريا يحيى ، (3) وأبو ابراهيم اسماعيل ، (4) وأبو إسحاق ابراهيم ، (5) وأبو يوسف يعقوب ، (6)

(1) ولي عمل ستة لأخيه يوسف ، وفي سنة 564 عاد إلى مراكش ، ثم ولي في سنة 567 قيادة جيش غمارة في غزوة وبدة بالأندلس ، وفي سنة 570 ولي عمل إشبيلية واشترك بعد ذلك في سنة 572 مع أخيه أبي الحسن علي في مهاجمة طليعة ، وتوفي سنة 574 وهو عامل على إشبيلية (نفس المرجع 620/2) .

(2) عين عاملاً على تادلا في حياة أبيه عبد المؤمن ، وفي سنة 580 توجه إلى مراكش لمبايعة ابن أخيه يعقوب المنصور ثم اشترك في قتال بني غانية ببجاية فلمحقت به الهزيمة ولجأ إلى تلمسان ، ثم عاد بعد ذلك إلى عمل تادلا حيث حاول الثورة على يعقوب المنصور ، ولكنه لم يلبث أن هزم وأسر ، ثم قتل في الرباط سنة 584 (نفس المرجع 622/2) .

(3) عين عاملاً على بجاية سنة 561 خلفاً لأخيه عبد الله المذكور قبل ذلك ، وظل في هذا المنصب حتى سنة 565 حين توجه قائداً على عرب إفريقية إلى الأندلس مع أخيه أمير المؤمنين يوسف ، واشترك بعد ذلك في حملة وبدة قائداً لأهل كومية ، وكانت وفاته سنة 571 وهو مرافق لأخيه يوسف عند عودته إلى مراكش (نفس المرجع 620/2) .

(4) أمه بنت ماكسن بن المعز صاحب مليلة ، ولي عمل إشبيلية سنة 561 خلفاً للحافظ أبي عبد الله ابن إسماعيل إبيح ، وفي سنة 563 تولى لإرسال بيعة أهل إشبيلية إلى أخيه أمير المؤمنين يوسف ، وفي السنة التالية تلقى طاعة ابن همشك للخليفة الموحيدي ، ثم رافقه إلى غزوة وبدة قائداً على عسكر جنفيسة ، وفي سنة 568 توجه هو والشيخ أبو حفص عمر إبنتي إلى قتال القومس النصراني المعروف باسم « البيوح El Giboso » (الأحدب) فقتلاه وهزما عسكره . ولا يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد (نفس المرجع 620/2) .

(5) ولي قرطبة لأخيه أمير المؤمنين يوسف سنة 563 ، وفي سنة 564 استدعى إلى مراكش ، وفي سنة 567 كان على رأس قبيلة جدموية في حملة وبدة ، ثم ولي عمل إشبيلية في سنة 576 ، وقام في سنة 578 باستعادة مدينة شنتفيلة من أيدي النصارى وعزل بعد ذلك عن عمل إشبيلية ، وفي سنة 580 اشترك في حملة شنترين ، ويبدو أنه صرح بالسخط على ابن أخيه يعقوب المنصور حينما بويع له بالخلافة في نفس هذه السنة مما أدى إلى نفيه إلى تلمسان . وقد قتل في سنة 583 فتلك به أهل تلمسان على ما يبدو (نفس المرجع 621/2 - 622) .

(6) لا يعرف من أخباره إلا أنه كان عاملاً على مرسية سنة 579 ، وأن أخاه يوسف امتنع عن لقائه حينما ذهب لزيارته في مراكش (نفس المرجع 623/2) .

وأبو الحسن علي ، ⁽¹⁾ وأبو زيد عبد الرحمن ، ⁽²⁾ وأبو سليمان داود ، ⁽³⁾ وأبو موسى عيسى ، ⁽⁴⁾ وأبو العباس أحمد ، ⁽⁵⁾ رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

بناته رضي الله تعالى عنه وعنهن :

الحرتان المكرمتان صفية وعائشة ⁽⁶⁾ .

وزراؤه رضي الله تعالى عنه :

السيد الأعلى أبو حفص ⁽⁷⁾ ابنه ⁽⁸⁾ رضي الله تعالى عنهما ، وأبو جعفر

أحمد بن عطية ، ⁽¹⁾ وأبو محمد عطية ، ⁽²⁾ ، وأبو محمد عبد السلام بن محمد ، ⁽³⁾ وأبو العلاء * إدريس بن [جامع ، وكان يقعد بين يدي] ⁽⁴⁾ السيد أبي حفص . [66 أ

* * *

(1) في الأصل : وأبو جعفر وأحمد بن عطية ، وقد سبق أن عرفنا بالوزير ابن عطية ومظان ترجمته (انظر ص 178 حاشية رقم 1) .

(2) أبو محمد أو أبو عقيل عطية بن عطية أخو أبي جعفر المذكور قبيله ، وكان مثله كاتباً ووزيراً لعبد المؤمن حتى نكحها وقتلها في أواخر سنة 553 (انظر المقرئ : نفع الطيب 183/5 - 186 ؛ السلاوي : الاستقصا 129/2) وقد نشر ليفي برونفسال عدة رسائل من إنشائه في مجموع الرسائل الموحدية (ص 22 - 26 وص 71 - 93) . وانظر كذلك بحث الأستاذ محمد المنوني : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ص 166 .

(3) عبد السلام بن محمد الكومي نسبة إلى كومية قبيلة عبد المؤمن بن علي ، استوزره عبد المؤمن بعد إيقاعه بأبي جعفر ابن عطية ، وذلك في شوال سنة 553 عند خروج عبد المؤمن إلى غزوة المهدي ، ويقول ابن أبي زرع إن والد عبد المؤمن كان قد تزوج أم عبد السلام هذا ثم طلقها . هذا ولم يستمر عبد السلام الكومي طويلاً في منصبه إذ أخذ عليه الاستبداد بعمله والاستئثار بالسلطة فضلاً عما اتهم به من الغلول في غنائم قابس وشكايات أهل الأندلس من العمال الذين وجههم إليهم ثم لما نسبته إلى أبناء عبد المؤمن من شرب الخمر وغير ذلك من القبائح كذباً وبتناً ، وأخيراً قبض عليه عبد المؤمن في أثناء حملته التي دخل فيها تلمسان سنة 555 واحتال في قتله بأن سمه في قدرة لبن (انظر المقرئ : نفع الطيب 183/5 ؛ ابن أبي زرع ص 196 ، 200 ؛ ابن عذارى ؛ البيان ص 57 ، 61 ، 66 - 68 ؛ ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص 136 ، 173 - 181 ؛ ابن الأبار : الحلة السيرة 237/2 - 239 ؛ وأويشي : تاريخ 192 - 193) .

(4) أضفنا هذه الزيادة نقلاً عن ابن عذارى (البيان ص 80) وابن أبي زرع (الروض 205 - 206) ، وأبو العلاء إدريس بن ابراهيم بن جامع كان من كبار رجال الدولة الموحدية ، وأبوه ابراهيم بن جامع كان أصله من طليطلة بالأندلس ونشأ بساحل شريش ثم انتقل إلى العدة واتصل بابن تومرت وأصبح من جملة أصحابه (أهل الدار) ، وكان من أبنائه إدريس المذكور الذي ظل وزيراً لعبد المؤمن حتى وفاته ثم لابنه يوسف من بعده حتى سقط عليه هذا وقبض عليه واستصفى أمواله في سنة 577 (انظر ابن عذارى : البيان ص 114 ، 118 ، 132 ، 139 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 316 ، 390 ؛ السلاوي : الاستقصا 105/2) .

(1) في سنة 551 ولاء أبوه عبد المؤمن على فاس ، ثم استخلفه على مراكش عندما قام بغزوته إلى إفريقية ، وفي سنة 558 قام بحمل رفات والده إلى تينملل لدفنها هناك ، وفي سنة 571 تولى عمل قرطبة ثم اشترك في حملة وبدة ومهاجمة طليطلة بالأندلس ، وعاد بعد ذلك في سنة 576 إلى المغرب ، فولاه أخوه يوسف على إفريقية ، ولكنه وقع أسيراً في أيدي العرب ، وفي سنة 580 وكل إليه عمل تلمسان (نفس المرجع 619/2 - 620) .

(2) عين عاملاً على السوس موطن أمه - بصفة رمزية على ما يظهر لصغر سنه عندئذ (أخبار المهدي ص 116 - 117) ، وفي سنة 594 تولى عمل إشبيلية إلى أن عزله عنها محمد الناصر بن يعقوب المنصور عند توليه الخلافة سنة 595 ، ووجه به الخليفة بعد ذلك إلى سجلماسة حتى سنة 607 حينما أعاده إلى الأندلس عاملاً على جيان (نفس المرجع 623/2) .

(3) ذكره كذلك ابن أبي زرع في الروض (203) وابن عذارى في البيان (ص 56) ، ولكننا لم نعلم على شيء من أخباره .

(4) ولي لأخيه أمير المؤمنين يوسف القيروان سنة 576 بعد فتح قفصة ، وفي سنة 581 وقع في بجاية أسيراً في يد ابن غانية ، بينما كان يزعم الرحلة إلى مراكش لتبثته ابن أخيه يعقوب بالخلافة ، ثم أطلق سراحه في السنة التالية حينما استرد الموحدون المدينة ، ثم عين بعد ذلك عاملاً على إشبيلية في سنة 601 . وقد كان حياً في سنة 621 (نفس المرجع 622/2) .

(5) لا نعرف من أخباره إلا أنه كان عاملاً على سجلماسة حتى وفاته سنة 574 (نفس المرجع 623/2) .

(6) ذكرها أيضاً ابن أبي زرع (الروض 203) وابن عذارى (البيان ص 56) .

(7) هو أخوه عمر المذكور قبل ذلك .

(8) في الأصل : ... وابنه : وهو تحريف من الناسخ يوقع في الخطأ إذ يوهم أن ابناً لأبي حفص عمر بن عبد المؤمن قد ولي الوزارة لجده ، وهو أمر ليس هناك ما يؤكد .

قضائته رضي الله تعالى عنه :

أبو عمران موسى صهره ⁽¹⁾ من تينملل ، ⁽²⁾ وحجاج بن يوسف . ⁽³⁾

كتابه رضي الله تعالى عنه :

أبو جعفر ابن عطية ، أو محمد عبد الله بن جبل ⁽⁴⁾ عطية بن عطية ⁽⁵⁾ ،
ميمون الهواري ⁽⁶⁾ ، أبو الحسن ابن عياش ⁽⁷⁾ ، أبو علي الأشيري ⁽⁸⁾ ، أبو القاسم

(1) في الأصل : صهره .

(2) هو أبو عمران موسى بن سليمان الكفيف ، وقد مر ذكره في نظم الجمان عند إيراد أسماء أهل خمسين من أصحاب ابن تومرت ، كما أشار إليه أيضا صاحب كتاب الأنساب (أخبار المهدي ص 34) ، وكان موسى من شيوخ أهل تينملل وأعيانهم من ضيعة أنسا ، وكان عبد المؤمن يستخلفه على مراكش إذا خرج منها ، وتزوج من ابنته زينب ، وهي أم ولدي يوسف خليفته على الملك وأبي حفص عمر ، وكانت مصاهرة عبد المؤمن إياه أيام كان تينملل يرأى ابن تومرت (المعجب ص 308 ، 421) ويسميه ابن أبي زرع « موسى بن سهل » (الروض 205) .

(3) هو أبو يوسف حجاج بن يوسف الهواري قاضي الجماعة بمراكش وخطيبها ، وكان من ناحية بحاية ، وهو من أهل العلم والأدب ، نال دنيا عريضة وأورث عقبه نباهة . وتوفي مكفوف البصر في الطاعون الذي أصاب المغرب سنة 572 (انظر ترجمته في التكملة لابن الأبار ، رقم 93) .

(4) ذكره ابن صاحب الصلاة (المن بالإمامة ص 150 ، 223 ، 231) وابن عذارى (البيان ص 80) وابن أبي زرع (الروض 205) في الكلام عن كتاب عبد المؤمن ، وأما عبد الواحد المراكشي فإنه اعتبره من قضائته ، وقال إنه كان من أهل مدينه وهران من أعمال تلمسان (المعجب ص 269) ، وذكر ابن صاحب الصلاة أنه كان صاحب أبي الحسن بن الإشبيلي عند الخليفة يخطب بعده إذا خطب . وترجم له ابن الأبار ، فقال إن أصله من الأندلس وإنه كان فقيها وخطيب مفوها وتوفي بمراكش مستهل ربيع الآخر سنة 557 ، ودفن بروضة الشيوخ . (التكملة ، الترجمة 1484 ص 527) .

(5) هو أبو عقيل أو أبو محمد ، أخو أبي جعفر ابن عطية الذي سبقت الإشارة إليه من قبل .

(6) أشار إليه ابن صاحب الصلاة وابن عذارى وابن أبي زرع (في المواضع المشار إليها قبل ذلك) ، ولعله هو الذي ترجم له ابن الأبار في التكملة (رقم 1136) وقال عنه إنه كان من سكان قرطبة وكان أدبيا فقيها ، وإن له شعرا فيما جرى بين ابن رشد وأبي محمد بن أبي جعفر في التفضيل بين الهائلة والحمدلة .

(7) هو أبو الحسن عبد الملك بن عياش بن فرج بن عبد الملك الأردني الهباري ، سكن أبوه قرطبة ونشأ هو بها ، واشتهر أولا بالزهد والورع حتى كان يسمى « الزاهد » ثم صحب بني حمدين الثائرين =

أخيل بن إدريس الرندي ⁽¹⁾ .

= على المرابطين في قرطبة ، وفر منها في الفتنة وانتقل إلى إشبيلية ثم انتقل إلى كتابة السيد أبي حفص وسار معه إلى تلمسان ولم يزل في صحبته وكتابه حتى استدعاه عبد المؤمن لكتابه ونال دنيا عريضة وعدل عن طريقته الأولى في الزهد ، وتوفي سنة 568 متوليا الكتابة ليوسف بن عبد المؤمن (ابن الأبار : التكملة ، ترجمه 1721 ، ابن عذارى : البيان ص 166 - 167 ، ابن أبي زرع ، الروض 194 ، 205 - 206) ، وكان له ابن يدعى أبا محمد عياش بن عبد الملك ولي الكتابة أيضا ليوسف بن عبد المؤمن (المعجب ص 269 ، 316) .

(1) هو أبو علي حسن بن عبد الله بن حسن الأشيري من أهل تلمسان ، نشأ بها ودرس بالمغرب والأندلس ، وكان من أهل العلم بالقراءات واللغة والنسب والغريب مجيدا للنظم والنثر ، وله مجموع في غريب الموطأ وكتاب في التاريخ سماه « نظم الآلي » في فروع الأمر العالي « كان من بين الأصول التي اعتمد عليها صاحب الحلل الموشية كما نقل عنه صاحب نظم الجمان نفسه ، وكانت وفاته سنة 569 (ابن الأبار : التكملة ، ترجمه رقم 66) ، وقد روى له البيهقي (أخبار المهدي ص 97) وابن أبي زرع (الروض 188 - 189) وصاحب الحلل الموشية (ص 130 ، 149) أبياتا يمدح بها عبد المؤمن ويذكر قصة الأسد الذي ملق بين يديه ، وأشار إليه ابن الأبار كذلك في الحلة السيرة 92/2 ، 192 - 196) وقد اعتمد صاحب الحلل الموشية على كتاب أبي علي الأشيري فيما كتبه عن نهاية الدولة المرابطية والمواقع الدائرة بين الموحدين وناشقين بن علي (انظر ص 130) ، كما نشر الاستاذ ليفي برونفسال قطعة فيها نقول عن تاريخه مع دراسة وترجمة فرنسية تحت عنوان (Notes D'histoire almohade » ، Hesperis ، 1930) (وقد تبين بعد ذلك أن هذه القطعة إنما هي بقضة أوراق من كتاب البيان المغرب لابن عذارى (انظر طبعة أويني الثانية ص 18 ، 23) .

(1) اشتغل أولا بالكتابة لبعض أمراء المرابطين ثم استكتبه أبو جعفر ابن حمدين ، فلما دخل ابن غانية قرطبة ذهب إلى بلده رندة واستبد بقبضتها زمنا ثم أخرجه منها أبو الغمر ابن السائب ، وتوجه أخيل ابن إدريس إلى مالقة وجاز منها إلى مراكش فاتصل بأبي جعفر ابن عطية الوزير وما زال حتى ولي قضاء قرطبة ثم قضاء إشبيلية ، وكان من بين من استقبلوا عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح عند جواره إلى الأندلس ومدحه ، ونفاه عبد المؤمن مدة إلى مكناسة ثم عفا عنه ، وقال المقرئ إن سبب ذلك هو قوله إن الخلافة لا ينبغي أن يتولاها إلا قرشي ، وتوفي بإشبيلية سنة 560 أو 561 (انظر في ترجمته الحلة السيرة لابن الأبار المجلد الثالث 241 - 244 ، والتكملة لابن الأبار - ط . بن أبي شنب - ص 252 والمقتضب من تحفة القادام ص 61 ، وابن سعيد : المغرب 230/1 - 336 ، والمقرئ : نفع الطيب 469/3 ، 202/4 ، ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ، 32 ، 224 - 226) .

الطلبية في حضرته السنية رضي الله تعالى عنه :

الخطيب أبو الحسن بن الإشبيلي⁽¹⁾ ، الخطيب أبو محمد ابن جبل⁽²⁾ ،
أبو بكر ابن ميمون القرطبي⁽³⁾ .

* * *

فهذه المقدمة لدولته السعيدة ، وخلافته الحميدة ، التي شرق ضياؤها
وسطع ، وعلا سناؤها وارتفع ، وأقرت عين الدين ، وقهرت كل الملحدين ؛ وقرب

(1) تحدث عنه ابن صاحب الصلاة طويلا في كتاب المن بالإمامة (ص 150 ، 228 ، 231 ، 285)
فقال إنه « الفقيه الخطيب شيخ طلبة الحضرة ، هو الخطيب المصقع بين يدي الخليفة (يوسف بن
عبد المؤمن) عند حضور الوفود الناطق بالفصاحة والبلاغة المنظومة نظم العقود .. الخ » ، ويقول ابن
صاحب الصلاة إنه كان عالي المكانة لدى يوسف بن عبد المؤمن ثم لدى ابنه الخليفة يعقوب المنصور وأنه
تزوج من ابنة القاضي ابن الملقوم مما رفع من مرتبته ، والتقى به ابن صاحب الصلاة نفسه بحضرة مراكش
سنة 560 فسمع عليه قراءة عقيدة التوحيد والعقيدة المسماة بالطهارة وكتاب أعز ما يطلب بقراءة الكاتب
أبي عبد الله بن عميرة ، وكان إذا قرأ القارئ المذكور فصلا من تلك الكتب تولى شرح غامضها وتقريب
معانيها على الطلبة ، وتوفي بحضرة مراكش دون أن يحدد ابن صاحب الصلاة تاريخ وفاته على أن ابن الأبار
يزيدنا تعريفاً به فيقول إنه على بن محمد بن خليل ، سكن المرية وأخذ عن أبي القاسم ابن ورد ولازمه
وأثقت علم الأصول وبرع فيها وكان خطيباً مفوهاً ، وأخذ عنه أبو القاسم بن الملقوم وابن صاحب
الصلاة ، وكانت وفاته سنة 567 (التكملة ، كوديرا ، ترجمة 1862) .

(2) هو أبو محمد عبد الله بن جبل الذي سبق أن أشار ابن القطان إليه من بين كتاب عبد المؤمن .
(3) ذكره ابن أبي زرع إلا أنه قال إنه كان من بين قضاة عبد المؤمن ، وأورد بعض أخباره ابن
صاحب الصلاة وقال إنه كان من أساتيد مراكش وصل إلى الحضرة العلية واستوطنها حتى نسي قرطبة
وانثال إليه الطلبة من كل مكان وكان يتهاجى مع الشاعر اليكبي . (ابن أبي زرع : روض القرطاس 205 ؛
المن بالإمامة ص 226 - 228) وترجم له ابن الأبار فسماه محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس العبدري
كان متقدما في علم اللسان متصرفا في سائر الفنون . خرج من بلده قرطبة أيام الفتنة فنزل مراكش وأقرأ
بها العربية والآداب وكان يحضر مجلس عبد المؤمن في جملة العلماء ولكن عبد المؤمن هجره ومنعه من
حضور مجلسه وصرف بنيه عن القراءة عليه بعد أن سمع منه أبياتاً في الغزل فيها إساءة أدب . ومات
بمراكش في 567 عن عمر يناهز التسعين (التكملة ، كوديرا ، ترجمة 751 ، وانظر كذلك بغية الوعاة
للسيوطي 147/1 ، 148) .

الله تعالى بها من نصر الدين ما بعد ، وجلا به عن أبصار المهتدين الرمد ، وشفى
العدل من الظلم بعد ما أشفى ، وأحيا به من مراسم الدين ما كان عفا ، فلاح
الدين سيفاً مصلتاً⁽¹⁾ حده ، متوالياً جُده متعالياً جُده ، فشيده من الشريعة مباني
عالية ، وأبدى بهجته الرفيعة من المكرمات معاني سامية ، فلا ترى « إلا ظلال
عدل ، وانهمال فضل ، وتأثيل مجد ، وإقامة رسم للهداية وحد ، وتمسكا بكتاب
الله تعالى وسنة نبيه ، وهدي صحابته وهدي مهديه ، والدين تشرق بهجته ، وتونق
لهجته ، والحق يظهر سموه ، والعدل يُقهر عدوه ، والفضل يعلى مناره ، والبذل
نوارد⁽²⁾ آثاره ، يدعو العفا لسان للإحسان فصيح ، ويسعهم ميدان للامتنان
فسيح ، يغص بهم الفضاء ويسعهم فناؤه ، ويقضي لهم بنيل الأماني بشره واعتناؤه⁽³⁾ ،
فوردون من كوثر كثرة الإحسان عذبا صافيا ، ويتفياون من اليمن والأمان ظلا⁽⁴⁾ ،
صافيا ، فالوفود ترجى⁽⁵⁾ ركائبها ، وتثنى - لو سكتوا - حقائبها⁽⁶⁾ ، فلا قطعة
من الأرض إلا عمها ظل عدله ، ولا بقعة إلا وساح بأرجائها بحر فضله .

قرنت الدعة ببيعته والأمان ، وقرت عين الإسلام وطابت نفس الإيمان ،
وأصبح الحق عالي المعالم ، والدين لا يخشى ظلامه ظالم ، متنا من الله تعالى على
عهده وإحسانا ، وفضلا عمهم جماعات ووحدانا ، فلا لسان إلا بالحمد والشكر
باطق ، ولا قلب عدو إلا طائش من المخافة خافق .

(1) في الأصل : مصلة .

(2) في الأصل : توارى ، ولعلها كما أثبتنا أي تتوارد ، وقد تكون أيضا « تواتر » .

(3) في الأصل : واغتناؤه .

(4) في الأصل : ضلا .

(5) في الأصل : ترجى .

(6) في الأصل : حقائبها ، وهو تحريف ، وإنما ضمن المؤلف هنا بيتا من شعر نصيب بن رباح في

مدح الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك :

فعاوجوا فأثبوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق

(انظر الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني 130/1) .

فأعظم بها خلافة * مهدية ، وبشارة حقق الله [بها] ما في (1) الوعد النبوي الصادق ، وقسم (2) كل باغ حاسد منافق ، وجعل كلمة الخلافة والإمامة ، والسعادة المستدامة ، باقية لسيدنا ومولانا الخليفة الإمام المؤمن بالله تعالى المرتضى لأمره جل وعلا ، أمير المؤمنين أبي حفص (3) ابن سيدنا ومولانا الأمير الظاهر أبي إبراهيم بن سيدنا ومولانا الخليفين الإمامين أمير المؤمنين المنتخب من صفوة أنجاله ، السالك مسلكه القيم في كافة أحواله ، أسنى الخلائف قدرا ، وأسماهم ذكرا ، وأقسطهم حكما ، وأوسعهم علما ، ونظم في سمط ملكه كافة المشارق والمغارب ، وأبقاه للإيمان عضباً مرهف (4) الغرايين ماضي المضارب ، تركز (5) رايته المنصورة في أقصى البسيطة [وترفع] ، (6) ويزداد بها من ناوأ الحق ويدفع ، وهو سبحانه يديم اتصال هذه الكلمة له ولأعقابه الكرام ، ويمدهم بالنصر العزيز والفتح المستدام بمنه .

* * *

أخبار الأندلس في هذه السنة :

فيها ولي الزراجنة تيكلمت (1) قرطبة : وفيها قتل .

وفيها غزا الحشمي ينتان بن علي (2) القومس غشتون (3) زعيم النصارى فقتل الزعيم ، وحمل رأسه إلى مراکش فطيف به .

وغزا الحشمي تاشفين بن علي بن يوسف صاحب غرناطة حصن

(1) لسنا نعرف عن أبي زيد تيكلمت هذا إلا ما أمدنا به ابن القطان ، وقد سبق أن ذكر في أحداث سنة 522 أن عامل المرابطين على إشبيلية أجدادي قد استخلف تيكلمت على قرطبة ، ولهذا فإن من الغريب أن يقول هنا إنه ولي قرطبة في هذه السنة ، إلا إذا كان معنى قوله السابق أن استخلافه في سنة 522 لم يكن قد تم بصفة فعلية وإنما كان بصورة مؤقتة .

(2) في الأصل : ينتان بن علي ، والصواب ما ذكرنا ، وهو أبو يعقوب ينتان بن علي بن يوسف بن تاشفين ، أصغر أبناء علي بن يوسف على ما يذكر ، وابن عذارى (البيان - القسم الموحد ص 30) ، والأخبار التي نعرفها عنه قليلة ، ويرجع الفضل فيها إلى الجزء الخاص بالمرابطين من البيان المغرب (ص 81 ، 107) ، ومجمل ما فيه أن ينتان هذا ولي عمل بلنسية في سنة 524 (1130 م .) خلفا لعمد بن يوسف المعروف باسم بدر الذي توفي في هذه السنة ، وفي سنة 527 (1133) نقل إلى إشبيلية فحكمها سنة وستة أشهر من شوال 527 حتى صفر 529 (من أغسطس 1133 حتى نوفمبر - ديسمبر 1134) ، واشترك أثناء حكمه لإشبيلية في الحملة التي قادها أخوه تاشفين إلى عقبة البقر ، وقد ذكر اسمه أيضا صاحب كتاب « مفاخر البربر » (ص 72) في قائمة ولاية بلنسية في عهد المرابطين وقال إنه خلف عليها القائد بدر بن ورقاء ، إلا أن صاحب المفاخر سماه القائد ينتان بن علي . كذلك أشار ابن عذارى إلى تلك الغزوة التي وجهها ينتان إلى إسبانيا المسيحية (لعلها منطقة قطلونية) والتي هزم فيها القومس غشتون المذكور هنا ، وقد حدد تاريخ ذلك بجمادى الثانية سنة 524 (مايو - يونيو 1130) . انظر مقال أويشي : علي بن يوسف وأعماله بالأندلس ص 106 ، 109 ، 113 .

(3) في الأصل : غشتون ، والصواب ما ذكرنا وهو الذي تذكره المراجع المسيحية باسم الكونت Conde Gaston de Bearn وكان ينتان بن علي قد هزم الجيوش المسيحية التي كان يقودها هذا القومس وأسقف مدينة وشقة Huesca ، وهو غير غشتون الذي كان من أصحاب البربر وتاشفين بن علي أثناء فتلهاما للموحدين بعد إيقاع عبد المؤمن بقبيلة جزولة (انظر عن غشتون هذا البيهقي : أخبار المهدي ص 96) .

(1) في الأصل : باقي .

(2) في الأصل : وقسم .

(3) هو الخليفة الموحد الثاني عشر أبو حفص عمر المرتضى بن أبي إبراهيم إسحاق بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، ولي الخلافة سنة 646 ، وتوفي قتيلا سنة 665 . انظر تقديم الكتاب .

(4) في الأصل : مرهب .

(5) في الأصل : تركن .

(6) إضافة يقتضيها ما يجري عليه المؤلف هنا من التزام الجمع .

[67 ب] السكة ⁽¹⁾ ، فافتتحه « وقتل كل من فيه من النصرارى وأسر ⁽²⁾ بعضهم .

أخبار الغرب وما والاها :

فيها ولي الزراجنة عمر بن علي بن يوسف فاس ⁽³⁾ ، فجار في ولايته فعزل ؛
وولي يحيى بن أبي بكر بن تيفلويت ⁽⁴⁾ ، ابن أخت علي بن يوسف وهو الوالي بتلمسان

(1) غزوة تاشفين لحصن السكة معروفة في المراجع التاريخية الإسلامية والمسيحية على السواء ، وقد فصل الحديث عنها ابن الخطيب في « الإحاطة » (ط . محب الدين الخطيب 282/1 وط . عنان 451/1 - 453) ، إذ قال إن تاشفين بن علي بن يوسف خرج في رمضان سنة 524 بجيش غرناطة ومطوعتها - وكان عاملا على هذه المنطقة - واتصل به جيش قرطبة ، فتوجه إلى حصن السكة من أعمال طليطلة ، وكان قائده القومس فرند قد ألحق كثيرا من الأذى بالمسلمين ، فافتتح تاشفين الحصن عنوة وقتل من كان به وجمل قائده فرند وجملة من فرسانه أسرى معه إلى غرناطة . وتتفق المراجع المسيحية مع المصادر العربية في ذلك ، إذ ورد في « الحوليات الطليطلية Anales Toledanos » أن تاشفين هاجم هذا الحصن الذي كان النصرارى يسمونه Ceca أو Azeca (حصن السكة) وأسر قائده المعروف باسم Tello Fernández (فرند المذكور في الإحاطة) وكان محاربا أصله من سلطانية Saldaña (في شمال إسبانيا) ؛ كذلك جاء في « حوليات ألفونسو السابع Cronica de Alfonso VII » أن تاشفين حطم هذا الحصن حتى سواه بالأرض وأن قتل النصرارى في هذه الواقعة قد بلغ عددهم ثلاثمائة ، وأن تاشفين حمل فرند المذكور مع جماعة من أصحابه إلى قرطبة ، ثم أجازهم البحر إلى مراكش للخدمة في حاضرة المرابطين (انظر بحث الأستاذ فرانسيسكو كوديرا عن « أسرة بني تاشفين » في مجموعة « دراسات نقدية حول التاريخ الأندلسي » ، ط . مدريد 1917 ، المجلد التاسع ص 125 - 126) .

(2) في الأصل : وأسرى .

(3) سبق لابن القطان أن ذكر ولاية عمر بن علي بن يوسف على فاس في أخبار سنة 523 قائلا إنه خلف عليها أخاه تميم بن علي بن يوسف (انظر ص 155 ، حاشية رقم 2) ، ولا ندري إن كان عمر المذكور هنا هو نفسه المتقدم ذكره أو أنه أخ له كان سميا له ، إذ أننا نعلم مما نص عليه ابن عذارى في البيان (القسم الموحد ص 30) أن علي بن يوسف كان له ولدان يسميان عمر : أحدهما الكبير ، والآخر الصغير .

(4) هو أبو زكريا يحيى بن أبي بكر بن ابراهيم المسوفي ، وأبوه أبو بكر بن ابراهيم هو المعروف بابن تيفلويت ابن عم علي بن يوسف بن تاشفين وكان مسكنه الصحراء ثم وفد على علي بن يوسف فزوجه من أخته وولاه على مرسية ثم بلنسية خلفا لابن الحاج ثم على سرقسطة ، وهو مملوح ابن خفاجة ومخدوم الفيلسوف ابن باجة السرقسطي ، وكانت وفاته سنة 510 بسرقسطة ؛ أما ابنه أبو زكريا يحيى المذكور هنا =

وما وراءها من طاعة المثلثين ، فاستتاب ⁽¹⁾ بفاس موسى بن أبي هارون .

ولي هذه السنة كان القحط والوباء بفاس .

أخبار إفريقية وما إليها :

صاحبها في هذه السنة حسن بن علي بن يحيى بن تميم على ما كان عليه ؛
وصاحب بجاية [يحيى] ⁽²⁾ بن العزيز بالله ووزيره ميمون بن حمدون ؛ وبالمهدية [الحسن بن علي] ⁽³⁾ .

أخبار مصر في هذه السنة :

كان بمصر في هذه السنة الأمر على ما تقدم ذكره ، وفي هذه السنة مات
على قول ⁽⁴⁾ .

وصفة مقتله - وكان جبارا عنيدا - أنه لما استبد بالوزارة الغلام الذي اسمه

= فإنه هو الذي أطلق عليه أيضا اسم ابن فنو أو فانو كما سيأتى في نظم الجمان نفسه وذلك نسبة إلى أمه بنت يوسف بن تاشفين وأخت علي بن يوسف ، وولي يحيى بن فانو هذا عمل تلمسان كما نص على ذلك المؤلف هنا ، وهو الذي كان عاملا على تلمسان حينما دخلها محمد بن تومرت المهدي ، فاجتمع به في مخبر بقصه علينا البيهقي (أخبار المهدي ص 62) ، وكان ليحيى هذا أخ يدعى علي بن أبي بكر كان عاملا على غرناطة للمثلثين في سنة 539 (انظر الحلة السيرة لابن الأبار 212/2 ، 215 ، وله ابن يدعى عمدا اشترك في الحروب الدائرة بين المرابطين والموحدين في المغرب على ما سيذكر ابن القطان (انظر الإحاطة - ط . عنان - 404 - 409 ؛ وبحث الأستاذ فرانسيسكو كوديرا عن بني تاشفين ص 114 - 116) .

(1) في الأصل : فاستتاب .

(2) الزيادة عن البيان المغرب 311/1 .

(3) زيادة يقتضيها السياق وتطابق التاريخ ، إذ أن الحسن بن علي ظل يحكم هذه المنطقة حتى سنة 543 .

(4) هذا القول هو الصحيح ، إذ أن الأمر قتل كما هو معروف في الثاني من ذي القعدة سنة 524 (انظر

المقريزي : اتعاظ الخلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، ط . القاهرة سنة

1967 - الملحق الخامس عن الخلفاء الفاطميين) ، وكان قد ولي الخلافة في الرابع عشر من صفر سنة 495 .

« حرز الملوك ⁽¹⁾ » قتل مولاه الأمر ، وقد كان الأمر ولي عهده أبا الميمون عبد المجيد المنتصر بالله تعالى ⁽²⁾ ، وكان صغير السن فجاء الناس يهنون حرز الملوك بإبقائه على الحجابة ، وقد كان أراد أن يستبد بالأمر ، إلا أن أبا العباس ⁽³⁾ ابن الأفضل أبى ذلك ، فأخرج حرز الملوك الدنانير ، وأعطى العسكرية ، وأشار عليه * أنه يمضى للموت ، فأراد الرجوع ، فقالت له طائفة من العسكر : إلى أين ترجع ؟ أنت حاجتنا ! فقال لهم : لا تفعلوا يا قوم ، ما عندي مال . قالوا له : ما نريد منك مالا ونادوا بأصحاب الأفضل ، فتكاثر الناس عليه ، وساروا به للقصر .

فلما رأى حرز الملوك ما فعل الناس أقفل باب القصر ، فأرادوا كسره وإحراقه ، فأخرج لهم عبد المجيد رأسه ، وقال لهم : يا قوم ، ما تريدون ؟ قالوا : رأس حرز الملوك ! فأمر بقطع رأسه ورمى به إليهم .

وقال عبد المجيد لأبي العباس ابن الأفضل : قدمتك للحجابة مكانه ⁽⁴⁾ فقال له : ما أريد تقديمك . الله قدمني والعسكرية ! أعطني عشرة توايت مالا ، فأعطاه إياه ، فأعطى الفارس خمسين مثقالا ، والراجل ثلاثين : فلما تمت قال : زدني . فزاده عشرة أخرى ، ففرقها . وما زال يفرق عشرة في عشرة حتى كملت ثمانين تابوتا .

وقد كان الأمر ⁽⁴⁾ يقول : أما أنا فمقتول . ويلي الأمر بعدي أبو العباس ابن الأفضل ، فإن تم له العام وهو في الأمر ففيه يبقى حتى يموت وإن مات قبل العام فهو الذي رأينا في كتابنا !

فمكث تسعة أشهر وأياما ، وقبض على عبد المجيد وثقفه ، وسأل : هل في القصر صبي من أبناء الأمر والمستعلي ؟ فقبل له : لا ، إلا امرأة حامل ، فجعل أبو العباس * يقول للناس : إن الإمام يولد الآن ! وقطع الخطبة والأمر عن عبد المجيد ، وجعل يدعو للأمير ⁽²⁾ المنتظر ، وادعى أنه وصله كتاب محمد بن الحنفية وأنه خرج ؛ وكان يقول : أنا النائب عنه ، وكان يخطب لنفسه « النائب ⁽³⁾ عن الإمام ، أبو العباس أمير الجيوش سيف الإسلام » ، فبقى كذلك إلى أن تم له عام كامل ، فتحيل عبد المجيد ، وأغرى ⁽⁴⁾ العسكرية به فقتلوه ⁽⁵⁾ .

وظهر عبد المجيد ، وتلقب بالحافظ لدين الله ، وقدم للحجابة ⁽⁶⁾ شخصا نصرانيا يعرف بالأسقف ⁽⁷⁾ ، فجعل يعلن بالكفر في الأسواق ويدعو إلى عبادة عبد المجيد ، فوجهه للصعيد ، فأراد القيام عليه والانتصار بالحبيشة النصارى ،

(1) في الأصل : الأمير .

(2) في الأصل : للأمير .

(3) في الأصل : النائم .

(4) في الأصل : وأغوى .

(5) ذكر المقرئ أن مقتل « أبي علي » بن الأفضل كان في 16 من المحرم سنة 526 وأن الحافظ

أخرج يومئذ من معتقله ، فاتخذ هذا اليوم عيداً سماه « يوم النصر » ، وصار يعمل كل سنة .

(6) في الأصل : للمحجبة .

(7) ذكر المقرئ أن الحافظ قدم للوزارة بعد مقتل أبي علي ابن الأفضل يانس صاحب الباب ،

فظل عليها حتى مات في ذي الحجة ، سنة 524 بعد تسعة أشهر ، فلم يستوزر أحداً ، وتولى الأمور بنفسه

إلى سنة 528 ، فأقام ابنه سليمان ولي عهده مقام وزير ، فتوفي بعد شهرين ، فجعل مكانه ابنه حيدرة بما

أدى إلى حسد ابنه الآخر حسن له وثورته على أبيه ، إلا أنه قتل بعد ذلك ، وولي حينئذ على الوزارة بهرام

الأرمي النصراني في جمادى الآخرة سنة 529 ، وهو الذي يذكره ابن القطان هنا بالاسم « الأسقف » .

(1) سبق أن ذكر ابن القطان خبر هذا الغلام (انظر ص 145 وتعلقنا على النص في الحاشية رقم 4) ،

وقد علقنا من قبل على اختلاف المؤرخين في اسمه إذ يكتبه المقرئ « هزار الملوك برغوار » وابن تغري بردي « هزير الملوك جوامرد » ، أما ابن عذارى فإنه اتبع ما أثبتته ابن القطان هنا (البيان المغرب 311/1) .

(2) لم يكن من صغر السن بحيث يتصور قاري النص ، فقد كانت سن عبد المجيد في ذلك الوقت ستاً أو سبعا وعشرين سنة إذ أنه ولد في المحرم سنة 497 أو 498 (الخطط 172/2) .

(3) كذا ، وكنيته لدى سائر المؤرخين المشاركة « أبو علي » واسمه أحمد ، وهذا وقد أشار المقرئ في إيجاز إلى الأحداث التي يتحدث عنها ابن القطان هنا (انظر الخطط 172/2) . وراجع كذلك ابن الأثير ، الكامل 332/8 ؛ وابن خلكان : وفيات الأعيان 451/2 ، 235/3 ، 237 .

(4) ذكر المقرئ في الخطط (172/2) أن ابن الأفضل استبد بالوزارة في 16 من ذي القعدة سنة

فاستعمل شمعا عدتها اثنتا عشرة⁽¹⁾ شمعة ، في كل شمعة الف دينار ، فتمى الخير إلى عبد المجيد ، فخرج إلى نزهة . ورجع في طريقه على الأسقف ، فوجده في كنيسة والشمع عنده ، فسأله عنها ، وذكر له أن بعض القبط يبعثها إلى الكنيسة العظمى ، فطلب منه بعضها ، فحملت بين يديه ، فأمر بكسرها ، فوجد فيها المال ، فاستقره ، فأقر⁽²⁾ وطلب منه العفو ، فلم يعفه ، وأمر بعذابه إلى أن مات . وخرج عبد المجيد لرؤية الخليج ، فأمر به * فصير على لوح ، وأرسل في التيار⁽³⁾ فحمله⁽⁴⁾ .

وكان لعبد المجيد ولد ، وقيل ابن عم ، اسمه حسن⁽⁵⁾ ، فجعل يستميل العسكرية ويعطيهم الأموال ، ويقول لهم : إن عبد المجيد لا يصلح للأمر . وأنا أفعل معكم وأصنع ، ويعدهم ويمنيهم ، فقاموا على عبد المجيد حاملين⁽⁶⁾ ، فلما استوسق الأمر لحسن أخذ في قتل رؤساء الأجناد ، فقاموا عليه في شهر رجب من سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وزحفوا إليه بالسلاح ، فهرب من داره ، ودخل في دار عبد المجيد ، فصاحوا : أخرجنا ، وإلا جعلناه عليك نارا ! وجاءوا بالخطب والنار ، فقال عبد المجيد لحسن : أخرج رأسك ، وانظر إلى ما أحدثت . فأخرج

(1) في الأصل : اثنا عشر .

(2) في الأصل : فأمن .

(3) في الأصل : التيار .

(4) ما ذكر هنا عن مقتل « الأسقف النصراني » بهرام الأرمني يختلف عما أورده المقرئ ، إذ أنه يذكر أن الذي قام بالايقاع به إنما هو رضوان بن ولخي الذي كان متولي الغريبة ، فقد جمع الناس لحرب بهرام وسار إلى القاهرة ، فدخلها وقتل بهرام واضطلع بالوزارة سنة 531 (الخطط 172/2 - 173) .

(5) هو ولده كما ذكر المقرئ ، وهو الذي ثار على أبيه الحافظ ، وقد فصل المقرئ خبر ثورته في الخطط (27/3 - 29) ، وفيه يذكر أن حسنا شق عليه تولى أخيه حيدرة لعهد أبيه الحافظ واضطلعه بوزارته ، فسعى في نقض ذلك بالايقاع بين الطائفة الجيوشية والطائفة الريحانية ، فحاول أبوه الحافظ مداراته وتدارك أمره وكتب له بولاية العهد ، فلم يزد ذلك إلا جرأة على أبيه ، وحينئذ بعث الحافظ إلى بلاد الصعيد يستنجد بعساكر الريحانية ، وأفسد حسن أمره في هذه الأثناء بالإساءة إلى أعيان الأمراء والأجناد ، فأجمعوا على قتله وشددوا الحصار عليه ، فلجأ إلى قصر أبيه ، وقبده هذا ، ثم أرغمه الجند على أن يقتله ، فتولى ذلك له الطبيب ابن قرقة النصراني أعد له سقية قاتلة .

(6) في الأصل : حاملا .

رأسه فرأى أمة لا تحصى ، فلما أبقن⁽¹⁾ بالهلاك قال له عبد المجيد : إن قبضوا عليك عذبوا فيك وعذبوك ، وتكون وصمة عظيمة بهذه البيعة التي نحن منها ، ولكن اشرب السم تسترح وتسترخ منك ! وأعطاه سما ، فشربه فمات من حينه ، فغسله وكفنه ، فأخرجه لهم ، فحملوه وصلوا عليه ودفنوه ؛ وبقي عبد المجيد إلى أن تولى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة .

فانظر إلى هذه المحاولات الشنيعة ، والأمور الفظيعة : (2) قتل الأمر حرز الملوك ، وقتله ، واستيلاء ابن الأفضل وقتله ، وظهور عبد المجيد ، * وما كان من الأسقف من الكفر والأمر بعبادة عبد المجيد ثم قتله ، ثم استيلاء حسن بن عبد المجيد - أو ابن عمه - والقيام عليه إلى أن قتل نفسه بسم ، ورجوع عبد المجيد إلى الولاية ؛ كل تلك الأمور على نسقها إلى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بين لك من ذلك ما كان في الأرض من ظلمات المظالم ، وانتهاك المحارم ، والخروج عن مراسم السنة وحدودها وتنكب تلك الفئات عن الحق وصدودها ، وذلك من حين وفاة المهدي رضي الله تعالى عنه إلى حين ظهور أمر الموحدين أعزهم الله تعالى ، واتساق كلمة الأمر المطاع العالي ، المخصوص بالمكارم والمعالى ؛ فتحقق بذلك⁽³⁾ صدق البشارة النبوية الكريمة بهذه الخلافة المهدية القويمة ، القائمة بأمر الله تعالى وإحياء كلمته ، وإعلاء الحق وهداية أمته ، وكتم برهان قاطع ، ودليل ساطع ، أبرزه الوجود ، فتحصل منه العلم اليقين المقصود ، والحمد لله رب العالمين ، والله سبحانه يعلي مناره ، ويديم بالخلافة المؤمنية المرتضية ضيائه⁽⁴⁾ وأنواره ، إلى يوم الدين .

أخبار العراق في هذه السنة :

لا أدري من أمرها غير أن العباسي فيها * هو المسترشد على ما ذكر في سنة ولايته .

(1) في الأصل : يقن .

(2) في الأصل : الفضيعة .

(3) في الأصل : ذلك .

(4) في الأصل : ضيائه .

باب

في ذكر أنباء سنة خمس وعشرين وخمسمائة

أما أخبار الموحدين أعزهم الله في هذه السنة فإنهم كانوا وادعين بتينملل ،⁽¹⁾ ولوفاة الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه كاتمين .

وأما أخبار غيرهم في هذه السنة ففيها ولي قرطبة الزراجنة ابن أخي علي بن يوسف : عبد الله بن أبي بكر المعروف بابن قنونة⁽²⁾ .

ووقعت النار بسوق الكتانين بقرطبة ، واتصلت بسوق البر ، فاحتقرت أموال الناس .

ورجم الناس ابن المناصف⁽³⁾ بسبب المعونة⁽⁴⁾ .

والعباسي في هذه السنة المسترشد كما كان .

(1) يتفق هذا مع ما يذكره سائر مؤرخي الدولة الموحدية من سكوت الموحدين خلال هذه السنة .
(2) في الأصل : قنونة ، أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين المعروف باسم ابن قنونة أو ابن جنونة كما سماه صاحب « مفاخر البربر » ، وقنونة اسم أمه ، ويسميه ابن عذارى في البيان المغرب (القحط المرباطي ص 79) أبا عبد الله بن تنجمار (أو إنجمار) ، ولي على قرطبة في السنة التي يذكرها ابن القطان وعزل عنها في سنة 526 ثم سجن لشكايات ترددت منه (انظر بحث أويثي عن علي بن يوسف ص 111 ؛ ومفاخر البربر ص 82) .

(3) يعني قاضي الجماعة بقرطبة أبا عبد الله محمد بن أصبغ الأزدي المعروف بابن المناصف المتوفى سنة 536 ، وقد سبق التعريف به من قبل بمناسبة إيراد ابن القطان خبراً عن ولايته قضاء الجماعة بقرطبة سنة 522 (انظر ص 150 ، حاشية رقم 2) ، وقد جاء الاسم هناك خطأ « عبد الله بن محمد بن أصبغ » .
(4) في الأصل : نسبت المعونة ، ولعلها كما أصلحنا ، ونرجح أن المؤلف يعني بلفظ « المعونة » هنا ما جرت العادة به في الأندلس من وجوب اضطلاع أهل كل حي في المدينة بإصلاح أسوار الجهة التي يسكنونها ، فقد ذكر ابن عذارى في البيان المغرب (القسم المرباطي ، ص 73) أن العمل في إصلاح أسوار قرطبة بدأ في سنة 520 ، ولعل القاضي ابن المناصف أخذ الناس ببعض الشدة في ذلك مما أدى إلى ثورة أهل قرطبة عليه ورجعهم إياه ، بل ربما كان ذلك هو السبب الذي أدى إلى عزله بعد ذلك بستين (في سنة 528) على ما سيذكر ابن القطان بعد .

باب

في ذكر أنباء سنة ست وعشرين وخمسمائة

أخبار الموحدين أعزهم الله :

في هذه السنة فتحت تاسغيموت⁽¹⁾ .

وفي هذه السنة أيضاً فتحت درعة وتادلا على قول⁽²⁾ .

وفي هذه السنة وَحَدَّ الفلاكي⁽³⁾ ؛ وشرح حديثه أنه رجل كان من دُعَارِ إشبيلية وفتاكها وقطاع الطريق ، ثم تاب عن ذلك وصفح عنه وإلى إشبيلية وقدمه على الرماة والرجالة ، ثم وصل لعلي بن يوسف ، فأحسن إليه وقدمه * على حصنة ، ووجهه إلى السوس قائداً عنه لمكافحة الموحدين أعزهم الله تعالى ، ووالي السوس حينئذ وانودين بن سير⁽⁴⁾ ، فواصل الفلاكي⁽³⁾ الضرب على الموحدين ،

(1) في الأصل : تاسغيموت ، والتصويب عن كتاب البيهقي (أخبار المهدي ص 131) ، إلا أن هذا يجعل فتح الحصن المذكور لا في هذه السنة وإنما في سنة 517 ونسب البيهقي هذه الغزوة إلى عبد الرحمن بن زجو (ص 84) ، وقال إن حصن تاسغيموت كان من بين الحصون التي بناها المرابطون من أجل ضرب الحصار على الموحدين والتضييق عليهم وإن الذي بناه هو ميمون بن ياسين ، وكان فيه القائد أبو بكر ابن اللمطي بمائتي فارس وخمسمائة راجل من قبيلة هزرجة وإن عبد الرحمن بن زجو وجنوده الموحدين اقتحموه وقلعوا أبوابه وحملوها إلى تينملل فجعلوها على باب الفخارين (ص 128) ، كذلك قتلوا في الحصل ابن وزروال الذي كان من قواد المرابطين به (ص 131) ؛ وقد أشار ابن خلدون إلى هذه الغزوة إشارة موجزة ، إلا أن الاسم ورد هناك محرفاً إلى « تاسعون » (وانظر كذلك عن هذه الغزوة كتاب أويثي تاريخ 106/1 - 107) . وعن تاسغيموت وما بقى من أطلالها انظر بحث الأستاذين هنري ليراس وهنري باسيه عن « المشاهد والقلاع الموحدية » - مجلة إسبريس سنة 1927 .

(2) من بين من قال بذلك من المؤرخين ابن خلدون (العبر 229/6) إذ أنه يجعل فتح درعة وتادلا في سنة 526 ، وسيتحدث ابن القطان عن غزوة تادلا مرة أخرى في سنة 530 .

(3) في الأصل : الملكان ، وهو تحريف لما أثبتنا ، وقد سبق لابن القطان أن يتحدث عن الفلاكي الأندلسي هذا وعلقتنا على ذلك في موضعه (ص 132 ، حاشية 4) ، والخبر الذي ذكره ابن القطان هنا عن توحيد الفلاكي ساقه أيضاً البيهقي (أخبار المهدي ص 88) . (وانظر أويثي : تاريخ 107/1 - 108) .

(4) في الأصل : أبو دين ... ، وهو تحريف ، وقد سبق أن علقنا على اسم هذا القائد (انظر ص 160 ، حاشية 1) .

مجتهداً في خدمة الزراجنة ، ثم انفسد ما بينه وبين علي بن يوسف ، وهذاه الله تعالى فوحد ، وصار يفعل في حصون لتونة وبلادهم مثلما كان يفعل لهم ، وظهرت نصيحته للموحدين أعزهم الله تعالى ، وألحفوه⁽¹⁾ ملاءة كرامتهم وجاههم ، واستفتح لهم حصونا في السوس ، ولم يزل في خدمتهم إلى أن ارتد بعد هذا .

وصفة فتح تاسغيموت⁽²⁾

وهو حصن مانع⁽³⁾ مرتب على الجبل ، وكان له باب من حديد ، وكان في الحصن هجبكة⁽⁴⁾ من هزرجة يحرسونه ، فدبر معهم الموحدون أعزهم الله تعالى كيفية فتحه ، وأن يمكنهم منه ليلاً ، فكان ذلك ، فأحرق الباب وقتل والي الحصن أبو بكر بن ورسوال⁽⁵⁾ ، وقتل من فيها من المثلثين ، وحملت صفائح الحديد من بابها ، فركبت على تينملل شرفها الله تعالى ، وكانت هذه المحاولة المنجحة في أول هذا العام .

وصفة فتح درعة

أن سيدنا ومولانا الخليفة أمير * المؤمنين رضي الله تعالى عنه توجه إليها ودخل حصن تازاجورت⁽⁶⁾ ، وكان واليها يحيى بن مريم الزرجاني ، فضربت عنقه ،

(1) في الأصل : وألحفوه .

(2) في الأصل : تاسقيموت .

(3) كذا ، وهو يعني بلا شك « منيع » .

(4) كذا ، وربما كانت كلمة بربرية بمعنى « حامية » .

(5) هو الذي ذكره البيهقي باسم « ابن وزروال » (أخبار المهدي ص 131) ، وجاء اسمه لدى ابن خلدون « أبو بكر بن مازر » (العبر 229/6) .

(6) كان ابن تومرت المهدي قد وجه قبل ذلك حملة إلى تازاجورت ، وهي غزوة الثامنة ، وكانت حينئذ بلا سور ، ففتحها وأسر من بها (البيهقي ص 77) ، على أنه يبدو أن المرابطين استعادوها وسورها حتى وجه إليها عبد المؤمن هذه الحملة وهي التي تحدث عنها البيهقي كذلك (ص 85) ، إلا أنه ذكر أن والي الحصن هو يدر بن ولجوط لا يحيى بن مريم كما يذكر ابن القطان ، (وانظر كذلك أويني تاريخ 110/1 - 111) .

وقال فيها من شيع التجسيم نيف على عشرين ألفاً ، وأخذت زوجة الوالي المذكور ميمونة بنت يثنان بن عمران ، وبقيت في الجبل حتى افتك بها من كان في للمسان من رجال الموحدين أعزهم الله تعالى⁽¹⁾ .

وفي هذه السنة كان فتح جلاوة ، وذلك أنه توجه الشيخ أبو حفص عمر ابن يحيى⁽²⁾ في آخرين من عظماء الموحدين أعزهم الله تعالى وحصة منهم إلى أوصليم⁽³⁾ من بلاد جلاوة ، وهم المردة الذين كانوا جرحوا الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه⁽⁴⁾ ، فدخلوه عنوة ، وقتل كل من فيه .

وفي هذه السنة كان فتح حصن هزرجة ، وذلك أنه تحرك سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه إلى الخميس ان يعب⁽⁵⁾ إن

(1) هي ابنة يثنان بن عمران أو عمر كما يذكر البيهقي ، وكان من كبار رجالات المرابطين ، وإليه يرجع الفضل في إطلاق سراح محمد بن تومرت من سجن علي بن يوسف بن تاشفين ، وذلك أن الفقيه مالك بن وهيب الإشبيلي كان قد حرض علي بن يوسف على تعذيب ابن تومرت بعد مجادلته لفقهائه دولته ، فدخل له يثنان بن عمران هذا وأبو بكر سير بن ورييل ، فقال يثنان ، يا أمير المسلمين ، كيف تسجن رجلاً يعرف الله ، وهو أعرف أهل الأرض بالله ؟ (انظر تفاصيل القصة في أخبار المهدي ص 67 - 69) ، وكذلك الحلل الموشية ص 101 ، ولو أنه يسميه « يثنيان » ؛ على أن أول غزوة للمهدي وهي غزوة تادوزت كانت ضد الجيش المرابطي الذي كان يقوده يثنان هذا (أخبار المهدي ص 74) وقد أشار البيهقي إلى بنت لهذا القائد اسمها تاماجونت لا ندري إن كانت هي نفسها ميمونة المذكورة هنا أم أختها لها ، إذ يقول إن عبد المؤمن بعد إحدى غزواته للسوس حمل معه عدداً كبيراً من النساء يبلغ نحو أربعمائة من الأسيرات ، وكان فيهن تاماجونت المذكورة فقالت هذه لعبد المؤمن : أشفع والدي يثنان في المهدي ؟ فقال لها : صدقت وأطلقها وأطلق معها جميع النساء (ص 88) وحينما فتح عبد المؤمن فاس قتل أسرى المرابطين واستثنى منهم أبناء يثنان المذكور (ص 102) ؛ كذلك ذكر ابن عذاري في أخبار سنة 540 أن عمر بن يثنان وصل إلى عبد المؤمن فاراً من أمير لتونة فلقى من الكرامة ما لا مزيد عليه ثم ارتد ودخل فاس فلما فتحها عبد المؤمن حصل في يد الموحدين مع جملة من الناس ، فأمر بقتلهم وبقي هو معفواً عنه لما تقدم من وصية المهدي على ذرية يثنان « (البيان المغرب ص 25) .

(2) هو عمر المختار المعروف باسم « إيتني » .

(3) في الأصل : أو صيلم ، وقد سبقت الإشارة إلى هذا الحصن (ص 138 ، حاشية 7) .

(4) هذه الغزوة التي يشير إليها في النص هي التي قام بها المهدي سنة 522 وجرح فيها .

(5) كذا وردت هذه الكلمات الثلاث في الأصل ، ولم يهتد إلى وجهه في تأويلها .

وصروال من هزرجة ، فدخله وأحرقه ، وقتل الباغبين أهله ، ودخل مدينة جشمجال وأحرقها وقتل من فيها ، ثم تحرك رضي الله تعالى عنه إلى داي مرة ثانية ، ورد سرية إلى بلد هزرجة وهم غافلون ، فقتلهم قتلا ذريعا .

ثم تحرك رضي الله تعالى [عنه] إلى أجلاحال من عجدامة ⁽¹⁾ الجبل ، وهم الذين قتلوا أبا محمد عطية مع عجوزته يوم العيد ، وكان من أصحاب الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فجمعهم الخليفة رضي الله تعالى عنه ، وقتل منهم نيفا على ثلاثمائة رجل ، ثم أقبل إلى تينملل .

وفي هذه السنة وحد قبائل من هزرجة وهسكورة ، ثم ارتدوا .

أخبار الأندلس وغيرها في هذه السنة :

فيها اشتدت المجاعة والوباء بالناس بقرطبة ، وكثر الموتى ، وبلغ مد القمح خمسة عشر دينارا ، وكثر الشر وابن قنونة ⁽²⁾ الزرجاني لا يفتر ولا يني ⁽³⁾ عن قتل أهله .

وضربت خيل النصارى على قرى إشبيلية من جهة حصن القليعة ، فأوسعها غارة وسبيا وقتلا ونهباً ، ثم أغارت خيل النصارى على قرى إشبيلية ثانيا ، واقتحمت الشرف ، والناس على غرة وغفلة ، فقتلت منهم عالما لا يحصى ، وأسرت من النساء والولدان ما يُعجزُ وصفه ⁽⁴⁾ ، وقربت النصارى من إشبيلية ، فطارت

(1) في الأصل : عجراية ، وقد سبق أن علقنا على هذا الاسم ، وعلى مقتل أبي محمد عطية فيما سبق . انظر ص 138 والحاشرين 9 ، 10 .

(2) هو أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين الذي سبق أن أشرنا إليه عند ذكر ولايته على قرطبة .

(3) في الأصل : يأتي .

(4) كان ذلك في المعركة التي تطلق المراجع المسيحية عليها اسم Azareda في شرف إشبيلية Ajarafe في رجب سنة 526 (مايو - يونيو 1132) . انظر أولي : على بن يوسف ... ص 107 .

الجمعة فيها . فجزع الناس ، وخرج إلى إشبيلية عمر بن مقور ⁽¹⁾ على وجه مطوار مع من خف من المثلثين وسرعان الناس ، فلقيته خيل النصارى بهاجنه ، فنكص فارا ، فأدرك فقتل وقتل معه جماعة من المسلمين ، وغُلقت أبواب إشبيلية ، ودهش الناس ، ثم رجع النصارى - دمرهم الله تعالى - إلى بلادهم بعد نكابة عظيمة في المثلثين ⁽²⁾ .

وفي هذه السنة أيضا ضربت النصارى على جهة يابرة ، فعمد إليهم المثلثين ، وهو إذ ذاك صاحب غرناطة ، وابن قنونة ، وكان صاحب قرطبة ،

(1) في الأصل : مقور ، ولعل الصواب ما أثبتنا وقد سبق أن علقنا على هذا الاسم بمناسبة الكلام من أحد أفراد هذه الأسرة وهو أبو زكريا يحيى بن علي بن الحاج المعروف بابن مقور أو مجوز (انظر ص 132 ، حاشية 1) ، أما ابن مقور المذكور هنا فهو أخو يحيى بن علي المشار إليه في الموضع السابق ، واسمه عمر بن علي بن الحاج ، ولإشبيلية سنة 524 واستشهد في معركة Azareda في شرف إشبيلية سنة 526 ، وقد عرض لهذا القائد ابن عبد الملك المراكشي في كتاب « الدليل والتكملة » (مخطوط الاسكوريال رقم 1682 ، ورقة 26 ب = بقية السفر الرابع ص 61 في ترجمة سليمان بن جعفر الحضرمي) واسمه في كتاب الدليل « عمر بن مقور » أما ابن الخطيب فإنه ذكره باسم أبي حفص عمر بن علي بن الحاج وقال إنه استشهد في تلك الغزوة التي شنها النصارى على إشبيلية (الإحاطة - ط . عنان 452/1) وقد ظن الباحث فرانسيسكو كوديرا عندما رأى اختلاف الاسم أنهما شخصان مختلفان ، بينما الحقيقة أنهما اسمان لشخص واحد (انظر بحثه عن « أسرة بني تاشفين » ص 132) .

(2) أورد ابن الخطيب نبأ مهاجمة النصارى لإشبيلية وإيقاعهم بالمسلمين فيها فقال إنهم هاجموا إشبيلية في آخر سنة 526 ، فصبحوها في النصف من رجب وبرز لهم عمر بن علي بن الحاج في نفر من المسلمين فاستشهد جميعهم ، ونزل العدو على فرسخين من المدينة فجلبها بها وغارة . (الإحاطة - ط . عنان 451/1 - 452) ، وتشير المراجع المسيحية أيضا إلى هذه الغزوة ، فقد جاء في حوليات ألفونسو السابع (Cronica de Alfonso VII) أن قائد جيوش طليطلة والمكلف بقتال المسلمين في منطقة غرب الأندلس (Extremadura) وكان يدعى رودريجو جوثال Rodrigo González هاجم إشبيلية ، فخرج له أميرها المسلم ، والتحمت بينهما معركة عنيفة قتل فيها هذا الأمير وكثير من رجاله ، وعاد رودريجو جوثال محملا بالغنائم . وتنص الحوليات الطليطلية Anales Toledanos على اقتحام رودريجو جوثال هذا شرف إشبيلية وقتاله للمسلمين بها وانتصاره على أميرها الذي تسميه « عمر » (أي ابن الحاج المذكور) وقله إياه في معركة Azareda التي سبقت الإشارة إليها وذلك في سنة 1130 م . (انظر بحث فرانسيسكو كوديرا : أسرة بني تاشفين ص 130 - 132) .

فالتقوا معهم فهزموا هم النصرارى وقتلوهم وأنقلوا الغنيمة ⁽¹⁾ .

ولما رجع تاشفين من هذه الغزوة وافاه كتاب علي بن يوسف بولاية قرطبة وغرناطة وإشبيلية ⁽²⁾ ، وعزل عبد الله بن قنونه عن قرطبة وسير إلى إشبيلية فسجن فيها ، ودخل تاشفين قرطبة واليا في شعبان ⁽³⁾ .

وأكلت الجراد زرع قرطبة .

والعباسي في هذه السنة هو المسترشد على ما كان عليه .

* * *

باب

في ذكر أبناء سنة سبع وعشرين وخمسمائة

أما الموحدون أعزهم الله تعالى فلا أعرف لهم في هذه السنة حركة .

وأما أخبار غيرهم ففي هذه السنة خرج السلطان النصراني الطاغية ⁽¹⁾ وابن هود ⁽²⁾ إلى بلد المسلمين ، فهبطوا إلى إشبيلية ، وانبسطت خيلهم واكتمحت ⁽³⁾ ما وجدت ، ثم هبطوا إلى شريش فدخلوها وقتلوا من وجدوا فيها واستباحوا وبالغوا في نكابة المسلمين ، ثم رجعوا إلى بلادهم .

(1) من الواضح أنه يعني به ألفونسو السابع ملك قشتالة ما بين سنتي 1126 و 1137 م. (520 - 531 هـ) وإنما يسميه ابن القطان « السلطان » لانه اتخذ لقب « امبراطور Emperador » في سنة 1133 م. (529) ، على الرغم من صغر سنه حينما ولى الملك ومن كونه تحت وصاية أمه . وذلك أن ألفونسو السابع هذا كان ابن أراكة Urraca (ابنة ألفونس السادس ملك قشتالة و فاتح طليطلة الذى هزمه المرابطون في « الزلاقة ») وكان مولده سنة 1106 (499 هـ) وولى الملك صغيراً تحت وصاية أمه ، ولهذا لقبه « بالملك الصغير » Rex Parvus وهذا اللقب هو الذى ترجمه الأندلسيون إلى « السلطان » . أما عن اشتراك ألفونسو السابع بنفسه في تلك الغزوة فإنه لا المراجع المسيحية ولا المراجع العربية الأخرى تؤكد ذلك في صراحة ، وهو خير ينفرد به ابن القطان .

(2) في الأصل : الطاغية بن هود ، هذا ونلاحظ كذلك أن ابن القطان هو المؤرخ الوحيد الذى يشير إلى اشتراك ابن هود مع القشتاليين في تلك الغزوة الموجهة إلى إشبيلية وشريش Jerez ، ولاشك أنه يعني سيف الدولة أحمد المستنصر بن عماد الدولة عبد الملك بن المستعين أحمد بن المؤتمن يوسف بن المنذر أحمد بن سليمان بن أحمد بن هود ، وهو من سلالة بني هود ملوك سرقسطة في عهد الطوائف ، وكان ابن هود هذا هو صاحب قلعة روضة Rueda من عمل مدينة تطيلة Tudela بالشر الأعل ، ولكنه لم يستطع الاستقرار بها ، فسلمها للنصارى واشترك في الفتن التى أثرت على المرابطين في الأندلس ، فاستولى على قرطبة زمنا في سنة 539 عندما ثار ابن قسى على المثلثين ، ثم ملك جيان وتنقل بينها وبين غرناطة ومرسية وقتل في سنة 540 في غارة للنصارى على مرسية (انظر ابن سعيد : المغرب ، 438/2 ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص 175 - 176 ، وابن خلدون : العبر 163/4 ، ابن الأبار : الحلة السراء 249/3 - 252) .

(3) في الأصل : واكتمحت .

(1) تحدث ابن الخطيب وصاحب الحلل الموشية عن غزوة تاشفين هذه عقب كلامه عن مهاجمة النصرارى لإشبيلية (الإحاطة - ط . محب الدين الخطيب 283/1 ؛ وط . عنان 452/1 - 453 ؛ والحلل ص 122) ، فذكر ابن الخطيب أن خبر غزو النصرارى لإشبيلية لم يبلغ تاشفين حتى خف بأعقاب النصرارى متبعاً لهم ، فأدركهم عند فلاة بقرب الزلاقة ، وكان النصرارى قد قصدوا بطليوس Badajoz وباجة Beja وباهرة Evora ، فدارت المعركة هناك ، وهبأ الله لتاشفين انتصاراً عظيماً استوصل فيه الجيش النصراني ، وعاد تاشفين ظافراً إلى بلده في جمادى من هذا العام أي 526 . كذلك أشارت بعض المراجع النصرانية إلى تلك الغزوة ، فقد جاء في حوليات ألفونسو السابع عقب الحديث عن مهاجمة النصرارى لإشبيلية أن نفراً من قادة شلمنقة Salamanca حينما علموا نبأ مهاجمة رودريجو جونزالث لإشبيلية وانتصاره على المسلمين فيها ألقى ذلك في نفوسهم الأمل وقوى عزيمتهم على مهاجمة بطليوس ، وكان تاشفين حينما علم نبأ مقتل ابن الحاج أمير إشبيلية قد جمع جيشاً كبيراً وتوجه إلى لقاء نصارى شلمنقة ، فالتحمت بين الفريقين معركة مزق فيها الجيش المسيحي ولم ينج منه إلا نفر قليل ، وعاد تاشفين إلى قرطبة ظافراً ، وتضيف الحوليات إلى ذلك أن مثل هذه الكارثة قد حل بالنصارى بعد ذلك ثلاث مرات متوالية (انظر كوديرا : أسرة بني تاشفين ص 132 - 135) .

(2) يختلف هذا عما جاء في الإحاطة - ط . عنان 446/1 (نقلا عن عبد الملك الوراق) إذ ذكر هناك أن علي بن يوسف ولى ابنه تاشفين على غرناطة والمرية ثم قرطبة مضافة إلى ما بيده سنة 522 ؛ ولو أن قوله « ثم قرطبة » قد يدل على أن ولايته إياها كانت متأخرة بعض الشيء مما يحتمل معه أن يكون ذلك قد تم في السنة التي يذكرها ابن القطان .

(3) يتفق ابن عذارى مع ابن القطان في هذا التاريخ إذ يحدد تعيينه على قرطبة إلى جانب ما كان تحت يده من بلاد الأندلس في 30 رجب سنة 526 = 6 يونية 1132 . (انظر أويلى : علي بن يوسف ص 111) .

١ 72 أ | وتوجه تاشفين إلى حصن أنطاظة ⁽¹⁾ « بمقربة من قنطرة السيف ⁽²⁾ فنزل فيها بالعساكر ، وقتالها ، فافتتحها المسلمون عليهم وقتلوا كل من فيها وسبوا النساء والصبيان ، وهدم الحصن إلى أسفله ⁽³⁾ .
وأكلت الجراد زرع هذه السنة .

وفي هذه السنة قتل المسترشد العباسي ، وصلى عليه ابنه الراشد بالله تعالى أبو جعفر منصور المذكور ⁽⁴⁾ .

(1) ربما كانت هذه الغزوة هي التي يشير إليها ابن الخطيب في الإحاطة (ط . عنان 451/1 ، وقد قرأها الأستاذ محمد عبد الله عنان : « شنت إسطين » وقال إنها جاءت في المخطوطين اللذين اعتمد عليهما : « بشط اسطن ») ، وقرأها كوديرا في مخطوط المجمع التاريخي الملكي بمديرد « أنتطش أو « أشطش » (أسرة بني تاشفين ص 128) ؛ أما أويثي في مقاله عن « روض القرطاس والمرابطين » (مجلة إسبريس - سنة 1960 - ص 529 - 540) فإنه قال إن خير تفسير لهذا العلم الجغرافي هو أنه الذي يقع الآن في البرتغال ويسمى Idanha - a - Vella قريبا من الحدود البرتغالية الإسبانية في منطقة Castell - Branco على بعد 150 كيلومترا من ماردة ، وعلى أية حال فإن ابن الخطيب يجعل هذه الغزوة في سنة 528 لا في سنة 527 كما يذكر ابن القطان .

(2) كذا في الأصل ، ولسنا ندري ما إذا كان النص صحيحا على هذه الصورة أم سقطت منه بعض الألفاظ ، فإن أبي زرع الذي يشير إلى هذه الغزوة يقول (روض القرطاس ص 164) : « فيها غزا الأمير تاشفين بن علي قنطرة محمود فدخلها بالسيف » ، ومن هذا نرى أن هذا الموضع كان اسمه « قنطرة محمود » لا « قنطرة السيف » كما جاء في نص ابن القطان . وقد أورد الإدريسي في جغرافيته موضعا يسمى « قنطرة محمود » على ضفاف نهر تاجه بين القنطرة وشنترين (نزهة المشتاق ص 189 وترجمة سافيدرا الإسبانية ص 53) . وانظر تعليق أويثي على هذه الغزوة في مقاله المشار إليه ص 540 .

(3) يشير كوديرا في بحثه عن « بني تاشفين » (ص 134 - 135) إلى أن ابن الخطيب في كتاب آخر له - غير كتاب الإحاطة ، وإن كان لم يحدد أي كتاب هو - (مخطوطة الجزائر رقم 1617) تحدث عن غزوة لتاشفين قد تكون هي المقصودة هنا ، إذ يقول - نقلا عن ابن الصيرفي المؤرخ المرابطي - إنه في سنة 527 بلغ تاشفين أن نفرا من قادة النصارى وعظماهم أغاروا على بطليوس وباجة ويابرة ، فنصدى لهم تاشفين بجيش عظيم وأوقع بهم مقتلة كبيرة ، وفك سراح أسرى المسلمين وعاد ظافرا إلى غرناطة في جمادى الآخرة سنة 528 .

(4) ليس صحيحا أن مقتل المسترشد العباسي كان في هذه السنة ، إذ المعروف أنه قتل في سنة 529 ، والمسترشد هو أبو منصور الفضل بن أحمد المستظهر بن عبد الله المقتدى ، بويح بالخلافة في -

وقيل ⁽¹⁾ إن موت الأمر صاحب مصر كان في هذه السنة ، بعث الله تعالى قوما من عبادته لم يعرف من هم ⁽²⁾ تحالفوا وتعاهدوا على قتل الجبار العنيد بمصر الملقب بالأمر . قيل إنهم قصدوا إليه من بلاد الشام ، فأقاموا بمصر ، وعلموا يوم ركوبه ، وكان إذا ركب سدت الديار والخوانيت في ممره ، ولا يمر بطريقه أحد سواه ، ويجعل نصف عسكره أمامه ونصفهم وراءه . وفي وسط كلتا المسافتين اللتين أمامه وخلفه فارسان بينهما وبينهما ما بينهما وبين العسكر ، وحوله أربعة من خواص عبيده وصاحب مظلله ، ⁽³⁾ هؤلاء هم الذين يحفون به ويسمون « الركابية » ، وهو راكب على فرس قد عود أنه لا يبول ولا يتغوط ، وقد اعتم بعمامة عظيمة يخرج مقدمها على جبهته مقدار شبر ، قد أمسك بعضها ببعض بإبر مغرورة فيها ، ويسدل من ورائه منها ذؤابة ، وكان كبريى * اللون ⁽⁴⁾ أعين غليظ الشفتين ضخم الجسم ، بين عينيه لؤلؤة كبيرة لم يخرج قط من البحر أعظم منها قدر بيض الحمام ، كانت خرجت من البحر أيام المستنصر جد هذا الجبار العنيد فقصدها ، فكان هذا المارد إذا خرج يعلقها بين عينيه ،

= ربيع الآخر سنة 512 ، ومولده في سنة 485 ، واغتاله الباطنية في السابع عشر من ذي القعدة سنة 519 ، وبويح بعده ابنه أبو جعفر منصور الملقب بالراشد (انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي 256/5 - 257) ، هذا ويبدو أن ذلك الخطأ قد تناقله بعض المؤرخين المغاربة الآخرين ، نذكر منهم ابن عذاري الذي يعتمد في إيراد على كتاب « المقباس » للوراق (انظر البيان المغرب 311/1) .

(1) في الأصل « وقال » هذا وقد كان موت الأمر وولاية الحافظ في سنة 524 كما سبق أن ذكر ابن القطان في أخبار تلك السنة ، ولو أن المؤلف لم يكن متأكدا كل التأكد من ذلك .

(2) ذكر المقريزي أن هؤلاء كانوا عدة من النزارية (الخطط 378/2) والنزارية هم الطائفة التي كانت ترى أن الخلافة من حق أبي منصور نزار بن المستنصر عم الخليفة الأمر ، وهو الذي قتله أبوه بيده ، وأن المستنصر والأمر مختصان للخلافة دون وجه حق ، وقد كانت هذه الجماعة شديدة التعصب لرأيها ، وهي التي دبرت مصرع الأمر كما ذكر المقريزي وكما نص عليه أيضا ابن تغري بردي (السجوم 184/4 - 185) والمقري (نفع الطيب 224/2) .

(3) في الأصل : مظلله .

(4) أي نحاسي اللون كبير العينين .

ليس على رأسه ولا منكبيه رداء ولا طليسان ، ويداه في كفيه ، لا يمسك عناناً ولا يشتغل بشيء سوى ركوبه على السرج ، وكان يفرش له طريقه بتراب لم تطأه قدم قط .

فقصده هؤلاء القوم إلى طريقه الذي عهد سلوكه عليه ، وفيه فرن على مر الشارع ، وكانوا عشرة رجال ، فقصدوا إلى الفرن ومعهم دقيق ، وقالوا له : نريد منك أن تخبز لنا خبزاً من هذا الدقيق فإننا قوم غرباء مسافرون ، فقال لهم الفرن : مولانا اليوم يمر على هذا الشارع ، فإن أنتم أبطأتم فلا يصح لكم ما تريدون ، وإن أنتم عجلتم صبح لكم ذلك . قالوا له : الساعة نفرغ من ذلك وأرغبوه في الأجرة ودفعوها إليه ، فأذن لهم وشرط عليهم العجلة . فجعلوا يتأنون ويحدثون أشغالاً والفرن يتعجلهم إلى أن مر عليهم مقدم العسكر الأول الذي يمشي أمامه ، فأعنف عليهم الفرن في الخروج ولم يمهلهم ؛ فلما رأوا ذلك منه اجتمعوا عليه ودسوه في داخل الفرن ، وسدوا فمه بغطائه فشووه .

[73 ب]

وأقاموا * بالفرن وبابه مغلق عليهم إلى أن سمعوا وقع حوافر فرسه ، فأول من خرج من الفرن كهمل منهم ، وجعل يسجد إلى الأرض وينادي : أنا بالله وبعدل مولانا ! ، ويسجد سجدة أخرى ويقول مثل قوله ، ويقترّب منه وهو يمشي إليه إلى أن ألقى يده في شكائم الفرس ، وسل من حزامه سكيناً وضرب بها بطن الفرس ، فسقط جميع ما في بطنه ، وسقط على الأرض .

وخرج أصحابه من الفرن بعد ذلك ، وألقى يده في مجامع ثياب ذلك الجبار ، وضربه ضربة فرى بها أوداجه ، وتبادر أصحابه فضربوه بسكاكينهم ضربات كثيرة ، وألقى الله عز وجل السبات على ركابية الجبار إلى أن فرغ من قتله . وحينئذ صرف الله تعالى أرواحهم إليهم ، فوقعوا على الفاعلين فقتلوهم أجمعين ، ووجهوا إلى مقدمة الجيش بسد الدرب القريب منه ، وفعلوا كذلك بالذين من خلفهم ، وذكروا لهم أن مولانا كبا به فرسه ، وكان هذا الموضع قريباً من النيل ، فأتوا بيزورق وحملوه وفرسه ، وأدخلوه الزورق ، وأزالوا الدم من ذلك المكان وغيره ، وغيروا من أمره ما استطاعوا وقذفوا به ، وحملوه إلى قصره بالقاهرة ،

والنقض خبره وقت مدته ، وأراح الله تعالى منه عباده وبلاده ⁽¹⁾ .
« [واختلف الناس على] ⁽²⁾ من يلى الأمر من بعده ، إذ لم يترك ولداً ، فأرادت عمته أن تولى بعده فتاة « حرز الملوك ⁽³⁾ » ، فأدخلته القصر وعزمت على ذلك ، وجمع هذا الأمراء والقواد ، فأنفقوا ⁽⁴⁾ أن يلى عليهم من صفته تلك ، وزحف جميع العسكرية لما بلغهم ذلك إلى القصر ، فصاحوا ، فأغلق في وجههم ، فقالوا : إن لم يخرج إلينا الفاعل الصانع الذي تريدون أن تؤمروه لتضرمته ناراً على [من فيه] ⁽⁵⁾ ! فأمرت العمة بحرز الملوك ⁽⁶⁾ ، فقتل ورمى رأسه إليهم ، فسكنت سورهم ، فولوا أمرهم ابن الأفضل بن أمير الجيوش ، فتولى عليهم بمدة من عشرين شهراً ، ثم عدوا عليه فقتلوه . وتولى الأمر بعده شيخ من آل عبيد من ولد المستنصر ⁽⁷⁾ كان يغسل موتى القصر ⁽⁸⁾ . فأحسن السيرة ، وجمع الناس . ودام أمره إلى سنة أربعين وخمسمائة ⁽⁹⁾ ، وتلقب بالحافظ لأمر الله .

(1) يتفق ما جاء في هذا الخبر في جملة مع ما ذكره المقرئ في وصف اغتيال الأمر (الخطط 379/2) وابن تغري بردي (النجوم 184/5 - 185) وابن خلدون (العبر 71/4) وابن الأثير (الكامل 332/8) وابن حماد (أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ص 60) والمقرئ (فتح الطيب 294/2) ، هل أن خبر ابن القطان يشتمل على كثير من التفاصيل الشائقة التي ينفرد بها ، وقد ذكر ابن عسار في البيان (311/1) أن الذي قتل الأمر هو الغلام الذي اسمه « حرز الملوك » والذي يسميه المقرئ هزار الملوك .
(2) في هذا الموضع قطع بقدر ثلاث كلمات ، وقد أكملنا السياق بما لا نظنه يخرج عن معنى ما ألقنا .

(3) في الأصل : « هزار ملك » ، وقد تكرر ذكره قبل ذلك كما أثبتنا هنا .

(4) في الأصل : فاتفقوا .

(5) كلمتان غير واضحتين في الأصل .

(6) في الأصل : بهزار ملك .

(7) في الأصل : المنتصر .

(8) المعروف أن عبد الحميد الحافظ بن أبي القاسم محمد بن معد المستنصر ولي الخلافة بعد مقتل الأمر على أنه كفيل للولد الذي كان الأمر قبل وفاته أشار إلى أنه سيولد له من جارية عنها ، ثم إن هذه الجارية لم تلد فمضت خلافة الحافظ بعد ذلك ، وكان حرز الملوك (أو هزار الملوك كما يسميه المقرئ) قد وُزر له هو وبائس متولي الباب ثم أبو علي أحمد بن الأفضل (انظر ابن تغري بردي : النجوم 240/5 - 241) .

(9) كذا ، والمعروف أن خلافة الحافظ استمرت حتى جمادى الآخرة سنة 544 إذ توفي في هذا الشهر

باب

في ذكر أنباء سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

أما أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى فقليل إن الموحدين أعزهم الله تعالى قتلوا ابراهيم بن تاعياشت في غزوة أثارها ، وكانت الدبرة عليه . وكبابه فرسه فقتل . وهو ابراهيم بن يوسف الزرجاني ⁽¹⁾ [وللمؤرخين] ⁽²⁾ المعتنين بهذا الشأن اختلاف في [ميقات] ⁽²⁾ ذلك وكيفيته ، * وهذا أشبه ما [رأيته في ذلك] ⁽²⁾ . [74 ب]

أخبار غيرهم :

فيها عزل علي بن يوسف الزرجاني أبا عبد الله ابن أصبغ ⁽³⁾ عن القضاء بقرطبة ، وولى أبا عبد الله محمد بن [الحاج] ⁽⁴⁾ قضاءها ؛ وولى علي قضاء إشبيلية أبا بكر ابن العربي ⁽⁵⁾ ؛ وشرع في بناء سور إشبيلية من جهة الوادي بأمر علي بن يوسف ⁽⁶⁾ .

- (1) سبق أن عرفنا بآب تاعياشت (أو تعيشت) هذا تعريفا وافيا (راجع ص 130 ، حاشية 2) .
- (2) كلمات غير واضحة في الأصل .
- (3) انظر ما سلف أن كتبناه عن القاضي ابن أصبغ المعروف باسم ابن المناصف عند إيراد ابن القطان خبر ولايته على قضاء قرطبة (ص 150 ، حاشية 2) .
- (4) مكان هذه الكلمة بياض في الأصل ، وقد استكملناها بفضل ما تدل عليه المراجع الأخرى ، وابن الحاج هذا هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن ابراهيم بن لب بن بيطر التجيبي ، ولد سنة 458 ، وكان من جلة العلماء والمحدثين رأسا في الشورى ، وكان له مجلس بالمسجد الجامع بقرطبة ، وتقلد قضاء الجماعة في هذه القاعدة مرتين ، ولم يزل متوليا للقضاء للمرة الثانية حتى قتل وهو ساجد لاربع بقين من صفر سنة 529 ، وسيدكر ابن القطان نبأ اغتياله بعد قليل (انظر في ترجمته ابن بشكوال : الصلة ، رقم 1278 ، والنباهي : المرقبة العليا ص 102) .

(5) سبق أن عرفنا بأبي بكر ابن العربي الإشبيلي (راجع ص 71 حاشية 3) .

(6) وافانا ابن عذارى بتفصيل عظيم القيمة عن الإصلاحات والترميمات الكثيرة التي اضطلع بها المرابطون في أسوار قواعد الأندلس ولا سيما غرناطة وقرطبة وإشبيلية والمرية ابتداء من سنة 520 ، ويبدو أن الفضل في هذه الأعمال كان يرجع إلى النصيحة التي أسداها الفقيه ابن رشد القرطبي لعلي بن يوسف =

وفي هذه السنة نازل ابن رذمير إفراغة ⁽¹⁾ ، وحاصرها ، وهزم ابن رذمير لعنه الله تعالى وقتل رجاله ، ثم مات هو على أثر ذلك .

وفي هذه السنة ⁽²⁾ فنادق قرطبة حتى كان ⁽³⁾ .

وأكلت الجراد ما كان على الأرض من [زرع وكلاء] ⁽⁴⁾ .

= (انظر تفصيل الأخبار الخاصة بذلك في القسم المرابطي من البيان ص 73 - 74 ، والترجمة الإسبانية لملك النصوص في مقال الأستاذ أويثي : علي بن يوسف ص 101) .

(1) سيمود ابن القطان للحديث بالتفصيل عن موقعة إفراغة في أخبار سنة 529 ، والصحيح أن تاريخ هذه المعركة في سنة 528 كما ذكر المؤلف هنا لا كما ينقل بعد عن الوراق .

(2) قطع في الأصل بقدر كلمة .

(3) قطع بقدر كلمتين أو ثلاث .

(4) كلمتان غير واضحتين في الأصل لطمس وقطوع ، ولعلها كما أثبتنا .

باب

في ذكر أنباء سنة تسع وعشرين وخمسمائة

في هذه السنة كان الإعلان بموت الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه (1). والإعلان ببيعة سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين، ورفع الغطاء، وسطع الضياء، وبهرت الشمس ما دونها من السحاب، وتبلغ الحق واضحا بغير حجاب، وكملت السنة، وهملت المنة، وخلص العدل من محاقه، ودام الفضل في اتساقه، (2)

[75 أ] « نبايعك على ما بايعنا الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه !

فمد يده فبايعوه، واتصلت البيعة ثلاثة أيام (3)، فأشرقت الأرض بنور إمامته، ونال أهلها عظيم حظوته وكرامته، ولاحت غرر الفتوح زاهرة، وأقبلت المسرات متتابعة متواترة، والحمد لله رب العالمين.

(1) أشرنا من قبل إلى اختلاف المؤرخين حول تاريخ الإعلان بموت المهدي وبيعة عبد المؤمن (راجع ص 204، حاشية 1).

(2) ينقطع النص هنا لحرم وقع فيه، ولننقل في هذا الموضع عن كتاب أخبار المهدي للبيدق (ص 85) نصه عنبيعة عبد المؤمن ففيه إكمال لما ذهب هنا من خبر ذلك، وقد جعل البيدق ذلك بعد غزوة عبد المؤمن بجزولة ورجوعه إلى تينملل:

« وصاح بالقبائل، وضم الموحدين، وحفل (في الأصل: وجعل) المجلس، فاستعمل ركائز، وحال بين الرجال والنساء، ثم وعظ الناس، وقال لهم في آخر كلامه: بقي عندكم عهد بيعة المهدي (رضه)، قالوا: نعم. فقع، ثم وعظ أبو إبراهيم، ثم وعظ عمر آصناج، ثم سائر المشيخة رضي الله عنهم أجمعين. ثم قال لهم: المهدي قد توفي رضي الله عنه، فبكى الناس، ثم قال لهم: اسكتوا. فسكتوا. فقال أبو إبراهيم وعمر آصناج وعبد الرحمن بن زجو ومحمد بن محمد لعبد المؤمن: امدد يمينك نبايعك... الخ ».

(3) كذا ذكر البيدق أيضا (انظر الموضع المشار إليه في الحاشية السابقة) وكتاب أويشي: تاريخ

وصارت حصون الفلاكي كلها لهم، وصار الفلاكي يغير على جهات السوس وجهات أغمات والموحدون في كل يوم تنمى أحواصهم، وتزيد عساكرهم ورجالهم، وزاد فهم صنهاجة الجبل وهسكورة الجبل، ودخلوا تارودانت وإيجلي، وهما مدينتان من السوس الأقصى.

وذكر ابن الراعي رسالة سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنهم التي يذكر فيها دخول تارودانت، فرأيت إثباتها هنا، ليتبين منها كيفية فتح السوس:

« وذلك أن فيها فتح السوس وأن الموحدين أعزهم الله تعالى لما استولوا على بلاد السوس من أوله إلى آخره، من فوقه إلى أسفله، فقتل أهله، وانجلي من لم يقتل منهزمين إلى كل أفق مما حواليه من هنكيسة وجزولة، وبعضهم قد انحصر مع المثلثين بتيونوين، فكان آخر هزائمهم التي هزمهم الموحدون أعزهم الله تعالى فيها هي الهزيمة التي قتل فيها توجين (1)؛ ثم قنطوا من سوس ويسوا منه، فانقبضوا بتيونوين في ذل وخزي ورعب، لا يستطيعون حيلة، ولا يقدرين على حركتهم، والحمد لله الذي أظهر ضعفهم، وأخذهم بسوء فعلهم.

ولما بلغوا هذا المبلغ زادهم الله تعالى استدراجا ومكرا، فقام المخدول العليج « الأعرج (2) من أجر فرجان، فاقتحم بنفسه في طريق إيغيران تطوف في حال غفلة من الموحدين أعزهم الله تعالى الذين عليها (3) حتى جاز عليهم. ولم يشعروا به حتى فاتهم بمن معه هارين، فاتبعهم الموحدون حتى وصلوا إلى بلاد السوس، ولاشك في أن الله تعالى قد علم في ذلك خيرا، إذ هو المدبر لهذه الأمور، ولم يكلها إلينا، والحمد لله رب العالمين.

(1) لم يرد ذكر لهذا القائد المرابطي في أي مرجع آخر.

(2) يبدو أنه يعني به القائد المعروف « البربرير El Reverter » الذي تكرر ذكره فيما سبق،

كما يقول أويشي في تاريخه (112/1).

(3) في الأصل: عليهم.

ولم يصل العليج إلا بنحو أربعمائة برذون ، فلما وصل إلى تيونوين تسامع به من فر إلى الأطراف من بقية أهل سوس ، فكان هو معبودهم ومُتَبَّعُهُمْ ، فاتكَلُوا عليه ونسوا ربهم ، وجهلوا أمر الله تعالى ، واغتروا بقدمه ، فرجعوا إلى أوطانهم . وحسبوا أنه يمنعهم من بأس الله مع أنهم لم يجدوا في الدنيا مهرباً ولا ملجأ ، فبادروا إلى النزول في بلادهم ، فميزنا عسكرياً مباركا من خيل ورجل ، فخرجوا إلى ناحية تارودانت ، وبعثنا تلك الليلة سرية إلى أسفل السوس ، فوجدوا بلاد الجسم معمورة قد سكنوا بأهاليهم ومواشيهم ، فقتلوه وغنموا أموالهم بقرا وغنا ودواب (1) وعبيدا ، وسبوا ذراريهم وأهاليهم ، ورجعوا سالمين غانمين . ثم بعثنا سرية أخرى في الليلة التي تليها إلى بقية تلك الناحية ، أعنى أسفل السوس ، فقتلوا مقتلة أكثر من الأولى ، وغنموا أكثر مما غنم (2) أصحابهم .

وأما العسكر فقصدوا إلى تارودانت حتى دخلوها ، فوجدوا البقية * التي رجعت إليها هاريين قد بعث إليهم المثلثون المحصورون بتيونوين حين عاينوا عسكر الموحدين أعزهم الله تعالى قد أقبل إليهم فقالوا لهم : انجوا بأنفسكم ! قد غشيكم عسكر الموحدين أعزهم الله تعالى ، فهربوا إلا بعض من كان في أطراف البلد مثل تاجندويت ورقالة ، فقتل الموحدون من وجدوا .

ثم نزل الموحدون في وسط تارودانت ، واستقروا بها ساكنين وهزموها وحرقوها وأطلقوا النار في القصب ، إذ لا يقدر عليه من كثرتة إلا بالنار ، ونحن ننظر (3) إلى الدخان قد علا وارتفع في الهواء (4) ، وتآلف فصار كالسحاب المتراكم ، والكفرة بتيونوين لا يقدر أن يكثر من النظر إلى الدخان والنيان تضرم في منازلهم وأوطانهم ، وهم مع العليج لم يزدادوا بقدمه عليهم إلا شدة هول وحصار

(1) في الأصل : ودواب .

(2) في الأصل : غنموا .

(3) في الأصل : ننظروا .

(4) في الأصل : الهوى .

وخوف وجوع ، ولما أبقن البربر وغيرهم بعجز العليج انكسرت قلوبهم ، واستمرت الهزيمة عليهم ، والحمد لله الذي أخذهم بذنوبهم ، وانتقم منهم بحربهم (1) .

ومما كان في هذا العام حركة الخليفة رضي الله تعالى عنه إلى بني ييغز (2) ، وسببها أنهم قتلوا أبا محمد عبد العزيز الغيغائي (3) من أصحاب الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، كان توجه داعية لهم ، فغدره وقتلوه ؛ وتحرك سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه إلى أشقشد من بلد بني ييغز (4) سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

فلما نزلت المحلة هنالك أخذت بنويغز (5) حزم الخطب ، فربطوها على ظهور الجمال ، وأضرموا فيها النار ليلا . وأطلقوا الجمال في المحلة ، فنفر الناس ، وصارت بنويغز (5) إثر جماعهم حتى وصلوا إلى خباء سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه ، وجللوا بالرماح ، وكان سيدنا ومولانا الخليفة * رضي الله تعالى عنه قد أخذ بالحزم ليلتين ، فحاد عن خبائه المعروف له ، وأخفى موضع مبيته احتياطا ، فسلمه الله تعالى ، وله الحمد كثيرا (6) .

(1) ينفر ابن القطان بتفصيل هذه الأخبار دون غيره من مؤرخي الدولة الموحدية . وانظر أوهبي :

تاريخ 110/1 - 113 .

(2) في الأصل : ييغز ، وبني ييغز بطن من هنتاة على ما يذكر صاحب كتاب المقتبس (أخبار

المهدي ص 41) .

(3) في الأصل : الغيغادي ، وهو أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله الغيغائي الذي سبق لابن القطان أن ذكره من بين طبقة أهل الدار من طبقات الموحدين (انظر ص 87) وقد ذكره أيضا صاحب كتاب المقتبس فاعتبره مرة من أهل الدار ومرة أخرى من أهل الجماعة (أخبار المهدي ص 29 ، 33) .

(4) في الأصل : يعز .

(5) في الأصل : يعز .

(6) لعل هذا الخبر الذي يروي به ابن القطان هنا في واقعية وإيجاز ودقة هو الذي نسج حوله بعض

المؤرخين المتأخرين أسطورة من أساطير البطولة تراها مروية بشكل متباين لدى عبد الواحد المراكشي وابن أبي زرع . أما الأول فإنه يذكر أن قوما من قرابة محمد بن تومرت تأمروا على أن يدخلوا على عبد المؤمن خبائه ليلا فيقتلوه ، فإذا فعلوا أصبح الأمر لهم ، فعلم بذلك أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزرعي ، فسأل عبد المؤمن أن يدعه يبيت تلك الليلة في خبائه ، فأجابه عبد المؤمن إلى ذلك ، ودخل أولئك القوم

ومن تلك الليلة رتبت إساقفة تيطاف للمبيت في الليل إيهيتيجمي⁽¹⁾ وكانت ملحمة عظيمة ، وأخذ رجلان من بني ييغز في خباء سيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله تعالى عنه . ففيل لهما⁽²⁾ عند الصباح : ما كان غرضكما⁽³⁾ ؟ فقالا : قتل الخليفة . فأمر بقتلهما ، وتراجع الناس . ومكث سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه هنالك أربعين يوما ، ثم رجع إلى تينملل .

* * *

أخبار الأندلس⁽¹⁾ في هذه السنة :

فيها وثب على قاضي قرطبة أبي عبد الله بن الحاج في المسجد الجامع في صلاة الجمعة في السجدة الأولى من الركعة الأولى وهو ساجد فقتل واحتمل في لعش بدمائه ، فمات في داره عشية ذلك اليوم الذي هو يوم الجمعة لخمس بقين من صفر⁽²⁾ ، وقتل قاتله في الحين في صحن الجامع⁽³⁾ .

وخرج تاشفين الزجاجي وهو صاحب قرطبة لحيل ظهرت وأغارت ، واستنفر الناس ، فخرجوا وأوعبوا ، وخرجت عساكر إشبيلية وبابرة⁽⁴⁾ واجتمع عليهم بشر كثير . فنزل المسلمون في موضع يعرف بالبكار⁽⁵⁾ ليكون اللقاء [في]⁽⁶⁾ يوم آخر ، فعاجلتهم خيل النصارى وهجمت عليهم بالليل ، فتخلخلت المحلة . وخاف⁽⁷⁾ الناس وتخاذلوا ، فقتل من المسلمين ناس كثير ، ونهبت أسبايقهم وأمتعتهم ، وفر المسلمون تحت ظلام الليل على وجوههم ، وقصد النصارى نحو خباء تاشفين ، فكانت للمسلمين هنالك جولة ، ثم ثبت النفر اليسير ، وأصيب من النصارى هنالك زعيم منهم ، وصد الله تعالى بلطفه النصارى ، ونكصوا على أعقابهم ، « وأصبح⁽⁸⁾ تاشفين في موضع محلته ،

= وتولوا النائم بالحديد حتى مات وكانوا يظنون عبد المؤمن ، فلما أصبحوا وعلموا بالأمر فروا إلى مراكش ، أما عبد المؤمن فإنه لما علم بالخبر أعظمه ووجد على أبي إبراهيم وجدا شديدا (انظر المعجب ص 303 - 304) ؛ أما ابن أبي زرع فإنه يقول إنه لما طالت بالموحدين الإقامة بالشرق (أثناء غزوة إفريقية) والتغرب عن أولادهم عزمت طائفة منهم في سنة 555 على قتل عبد المؤمن والفتك به في خبائه إذا نام ، فعلم بذلك أحد المخلصين للخليفة فأخبره بالخبر وطلب منه أن يبيت بخبائه تلك الليلة ويفديه من الموت ، ففعل واستشهد الرجل ، فلما أصبح عبد المؤمن بنى قريبا من موضع مصرعه قبة وجامعا ثم أمر ببناء مدينة حول المسجد ، وهي المدينة التي أصبحت تحمل بعد ذلك اسم « البطحاء » (روض القرطاس 199 - 200) . وانظر عن هذه الأسطورة كذلك بحث الأستاذ أويشي عن « الأسطورة والتاريخ في نشأة الدولة الموحدية » في كتاب تاريخ الدولة الموحدية 606/2 - 608) .

(1) كذا في الأصل ، ولم نهند إلى وجه في تأويلها .

(2) في الأصل : لهم .

(3) في الأصل : غرضكم .

(1) في الأصل : الموحدين ، وقد أصلحناها بما يتفق مع السياق .

(2) في الأصل : سفر .

(3) انظر تعليقا السابق (ص 234 حاشية 4) .

(4) في الأصل : وتابرة ، والصواب ما أثبتنا ، وبابرة (وتكتب أيضا « بابورة ») هي التي تسمى الآن Evora في البرتغال .

(5) في الأصل : بالنكار ، ويكتب أيضا « فحص البكار » ، وهو الموضع الذي يسمى الآن Albacar على بعد 20 كيلومترا إلى الشمال من قرطبة .

(6) إضافة يقتضها السياق .

(7) في الأصل : وخاض .

(8) في الأصل : وأصلح .

فثاب الناس إليه ، وأقبلوا عليه ، وأخذ بهم في الانصراف إلى حصن قصرش (1) من حصون المسلمين ، ثم رجع بالناس إلى قرطبة ، وتفرقت العساكر ، ورجعت النصرارى بغنائمهم إلى بلادهم (2) .

ومحت الجراد ما على الأرض من زرع وكلاً ، وأمر الناس بالخروج إليها ، فساقوا منها خمسة آلاف عدل وثلاثمائة وثلاثين عدلاً . وما غاب عن العيون أكثر تركت في الموضع الذي قتلت فيه ولم تحمل (3) .

(1) بالإسبانية الآن Cáceres

(2) أشار أيضاً إلى تلك الغزوة ابن الخطيب في ترجمته لتاشفين في كتاب الإحاطة نقلاً عن أبى بكر الصيرفي (مخطوطة مكتبة الجزائر التي أشرنا إليها من قبل ، ورقة 107 على ما يذكر كوديرا في بحثه عن أسرة بني تاشفين ص 137 - 138 ؛ ولم يرد هذا النص في طبعة محب الدين الخطيب ولا طبعة الأستاذ محمد عبد الله عنان لكتاب الإحاطة) . ويقول ابن الخطيب في ذلك النص إن جيوش تاشفين فوجئت بمهاجمة الجيوش المسيحية ، فتفرق عنه أصحابه ولم يبق هو إلا في عدد قليل لا يتجاوز أربعين رجلاً ، إلا أنه ثبت في هذه المعركة ثباتاً منحه الله فيه النصر ، وابن الخطيب يحدد مكان هذه الموقعة بفحص البكار ولكنه لا يحدد تاريخها . ويضيف كوديرا في تعليقه عليها أن « حوليات ألفونسو السابع » تشير إليها أيضاً ، فتقول إن تاشفين خرج من قرطبة ومعه الزبير بن عمر أمير قرطبة (ويطلق عليه المرجع المسيحي اسم Azubel) وقائد آخر تسميه Abenzeta أمير لإشبيلية مع غيرهم من زعماء المسلمين في جيش ضخم متوجهين لمغاورة طليطلة ، فلما بلغ جيش المسلمين إلى اليسانة Lucena خرج إليهم ألف من فرسان أبلة Avila وشقوبية Segovia وعدد كبير من الرجالة ، وهم متوجهون للإغارة على بسائط قرطبة ففاجأوا معسكر تاشفين ، وأخذ المسلمين على غرة ، فوقع الاضطراب في صفوفهم ، ثم عاد فريق من المسلمين فالتفتوا بتاشفين وذبوا عنه ذبا شديداً ، واشتد وطيس المعركة ، فخرج تاشفين ، واضطر إلى الهرب على فرس بغير ركاب وقد أصيبت ساقه ، فبقى بعدها أعرج بقية حياته . هذا هو مجمل ما يقوله المرجع المسيحي حول تلك المعركة ، ومن الواضح أن الخبر على هذه الصورة فيه من المبالغة وسعة الخيال الشيء الكثير ، إذ أننا نرى من وصف ابن القطان للموقعة - وهو مؤرخ متحامل على المرابطين متصيد لأخبار هزائمهم - أن تاشفين لم يفر من ميدان المعركة ولم يصب تلك الإصابة التي يتمدح بها المصدر المسيحي ، على أن الخبر إذا عرى من تلك المبالغات يتفق في جملة مع ما يذكره ابن الخطيب وابن القطان هنا (انظر بحث كوديرا المذكور ص 136 - 137) .

(3) إلى ابن القطان يرجع الفضل في امدادنا بهذه الأخبار حول فتك الجراد بحقول الأندلس فيما بين سنتي 527 و 531 ، ويبدو أن تلك الأضرار قد أصبحت من مشاغل الحكومة المرابطية التي وجهت =

وقتل يهودي مسلماً ، فاستطال المسلمون على اليهود ، فنهبت أموالهم ، وهدمت ديارهم ، وذلك بقرطبة .

وبقيت قرطبة أشهراً دون قاض ، ثم وليها أبو جعفر حمدين بن حمدين (1)

قال الوراق :

ومن أغرب ما كان في سنة تسع وعشرين (2) هزيمة الطاغية

= إليها اهتماماً خاصاً ، كما نرى في الرسالة التي كتبها عن علي بن يوسف الكاتب الأندلسي أبو بكر ابن الخطوبه « بعض على قتل الجراد » ، وقد نشرنا هذه الرسالة في جملة ما نشرناه من الرسائل المرابطية (انظر بحثنا « وثائق تاريخية جديدة .. » ص 164 ، 186 - 188) .

(1) هو أبو جعفر حمدين بن محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي القرطبي ، أصله من باغ من عمل غرناطة ، ولي قضاء الجماعة في قرطبة في شعبان سنة 529 ، وذلك بعد الفترة التي أعقبت اغتيال أبى عبد الله بن الحجاج الذي قتل في المسجد الجامع في صفر من هذه السنة على ما سبق أن أورد ابن القطان وغيره من المؤرخين ، أي بعد أن بقيت قرطبة من غير قاض أكثر من خمسة شهور ، وظل ابن حمدين على قضاء قرطبة حتى سنة 532 إذ صرف عن هذا المنصب بأبى القاسم أحمد بن محمد بن رشد ، ثم استعفى ابن رشد فأعفى وعاد ابن حمدين إلى تولي القضاء سنة 536 . وفي سنة 539 قام بإعلان الثورة على حكم المرابطين بعد أن بلغته أنباء ثورة ابن قسى في غرب الأندلس ، وتسمى بأمر المسلمين المنصور بالله ، ودعى له على منبر قرطبة وأكثر المنابر الأندلسية ، ولكن ولايته لم تطل ، وتعاورته الهن ، وخرج إلى العلوة المغربية وأقام هنالك وقتاً ، ثم عاد فاستقر بمالقة وتوفى سنة 548 (انظر في ترجمته الضبي : بغية الملتبس ، رقم 685 ؛ ابن الأبار : التكملة ، رقم 119 والحلة السيرة 204/2 - 206 ، 211 - 219 ؛ وابن الخطيب أعمال الاعلام ص 252 - 254 حيث يسميه أحمد بن محمد ؛ ومن الانتخابات الحديثة : فرانسيسكو كوديرا : اضمحلال دولة المرابطين في الأندلس ص 53 - 67 ، ص 298 - 295 ؛ وبوسك فيلا : المرابطون ص 288 - 291) .

(2) هكذا ذكر ابن القطان في تاريخ هذه الموقعة نقلاً عن الوراق ، وقد قدمنا أن الصحيح هو ما سبق أن أوردته من قبل من أنها كانت في الثالث والعشرين من رمضان سنة 528 (17 يولييه 1134) ، ويؤيد ذلك ما يذكره الضبي في ترجمته لعالمين توفيا في سنة 528 المذكورة (بغية الملتبس ص 95 ، 406) وما تذكره سائر المراجع المسيحية التي أورد رواياتها كوديرا في بحثه عن اضمحلال دولة المرابطين (ص 269 - 272) ، وقد جاء في الروض المعطار لابن عبد المنعم الحميري أن الموقعة كانت في سنة 925 (انظر ص 24 - 25 من النص العربي) ولو أن ذلك يبدو مجرد خطأ مطبعي إذ أن ليفي بروفنسال ينهى =

ابن رذمير⁽¹⁾ - لعنه الله تعالى - مدينة إفراغة من الثغر المصاقب لبلاد الفرنجة وذلك أن اللعين لما تغلب على الثغر الأعلى : مدينة سرقسطة وذواتها ، ومدينة تطيلة وذواتها ، وقلعة أيوب وذواتها ، وسواها ، وهزم عساكر لمتونة وقهرهم في مواطن كثيرة رأى ذلك البرشلوني⁽²⁾ مضاهيهم في الثغر الأعلى ، فاشترأب إلى التغلب على ما يجاوره من البلاد : لا ردة وإفراغة وغيرهما ، ونظر لمتونة إلى ذلك ، فخافوا أن يفتق عليهم فتق آخر من البرشلوني . فصالحوا البرشلوني باثني عشر ألف دينار يؤدونها له في كل سنة صلحا عن هذا الثغر الذي يصاقبه ، ويستريحون⁽³⁾ من شره ولا يكابدون حرين ، وذلك عن أمر علي بن يوسف ؛

= في ترجمته الفرنسية لهذا الكتاب (ص 31) على أنها كانت سنة 528 ، أما ابن الأثير فقد تحدث عنها في أخبار سنة 529 (الكامل 351/8) . وانظر كذلك ما كتبه عنها ابن الخطيب في الإحاطة في ترجمتي يحيى بن علي بن غانية (344/4) ومحمد بن سعد بن مردنيش (121/2) وكذلك (108/1) ، ثم في أعمال الاعلام ص 259 - 260 ؛ وأخيراً بحث بوسك فيلا عن المرابطين ص 240 - 241 .
(1) يعني به ألفونسو الأول ملك أرغون الملقب بالمحارب ، وقد مر ذكره من قبل (انظر ص 152 ، حاشية رقم 1) .

(2) في الأصل : البرشلوني ؛ والذي يشير إليه ابن القطان هنا من مهادنة المسلمين لقومس برشلونة ودفعهم الجزية له جديد لا نعرفه في أي مرجع آخر من المراجع التي تحدثت عن ملابسات وقعة إفراغة (بالإسبانية Fraga) ؛ أما هذا « البرشلوني » فلا بد أنه يعني به « ريموند بن برنجار » (المعروف في المراجع الإسبانية باسم Ramon Berenguer III والملقب بالعظيم El Grande) ، ولي إمارة برشلونة بين سنتي 1096 و 1131 م . (497 - 525 هـ .) ؛ ويبدو من الغريب أن يصل الأمر بالمسلمين إلى دفع الجزية له ، إذ أن هذا الأمير لم يعرف له كبير نشاط من الناحية العسكرية ضد المسلمين ، وكل ما عرف من ذلك عنه هو توجيهه حملة غير موفقة إلى مسلمي مدينة مريبطر Murviedro سنة 499 هـ . (1098) ثم اشتراكه مع القراصنة الجنوبيين والبيزيين في غزو جزيرتي ميورقة ويايسة سنة 508 (1114) ، وحتى هذه الحملة لم يتح لها نصيب كبير من النجاح ، إذ أن القوات المتحالفة اضطرت إلى الجلاء عن ميورقة ويايسة في سنة 509 بعد أن وجه على بن يوسف أسطولاً كبيراً لاستنقاذهما (انظر مقالنا « وثائق تاريخية ... » ص 158 - 160) ؛ أما أبناء ريموند بن برنجار الذين وزع عليهم مملكته بعد وفاته فلم يعرف لهم أيضاً نشاط حربي يذكر (انظر عن حكم هذا الأمير كتاب أجوادو بلييه : تاريخ إسبانيا في العصور الوسطى ص 632 - 634) . وعلى أية حال فلهذا النص قيمته في بيان ما كان بين مملكتي برشلونة وأرغون من تنافس .
(3) في الأصل : ويستريحون .

ولم يخلف عن اللعين ابن رذمير هذا التدبير ، فأسفه وغاضبه⁽¹⁾ وقال : هؤلاء العمال الصناع يؤدون الإتاوة للصانع الفاعل ، ولو أعطوني أنا درهماً واحداً لأخذته ، ويعلم أي قهرهم وغلبهم ! وحلف بأيمان مغلظة عنده : لأنزلن على تلك البلاد⁽²⁾ التي يؤدون عليها الجزية⁽²⁾ ، فأصيرها في ملكي ، وأقطع منفعتها عن الفاعل الصانع البرشلوني ، حتى يعلم أهل الأرض أي قهرهم في كل وجه !

فجيش جيشه ، ونزل على مدينة إفراغة ، لما كانت أمنع تلك المدن وأحصنها ، وأهلها أسند ذلك الصقع ، فتازها وأقسم بجميع أيمانه لا يقلع عنها حتى يستحوذ عليها .

وكان القائد بيلنسية يدر بن ورقاء⁽³⁾ ، والقائد بمرسية يحيى بن علي بن غالية⁽⁴⁾ . فلما مات يدر جمع علي بن يوسف عمله إلى ابن غانية فسكن مدينته بلمسية ، واجتمع عليه عسكرها ، ولما طاول ابن رذمير حصار مدينة إفراغة

(1) كذا في الأصل ، وربما كان الأقرب : وأغضبه ، وقد تكون : وغاظه ، فالناسخ كثيراً ما يخلط بين الغضاد والغلاء .
(2) في الأصل : الجزية .

(3) سبق أن علقنا على شخصية أبي عبد الله يدر بن ورقاء هذا (ص 152 ، حاشية 3) .
(4) هو أبو زكريا يحيى بن علي بن غانية الصحراوي ، وغانية اسم أمه ، وتزوج عامل قرطبة أبو عبد الله محمد بن الحاج من أمه غانية هذه بعد موت أبيه وكفله ، فنشأ يحيى في كنفه ، وولاه مدينة إسبجة Ecija فهي أول ولاية له ، ثم رغب يدر بن ورقاء صاحب بلمسية إلى السلطان علي بن يوسف في توجيه يحيى إليه ليستعين به على العدو لما اشتهر من بسالته وغنائه فأجيب إلى ذلك ، ووصل يحيى إلى بلمسية وأقام بها ، ويبدو أن يدر بن ورقاء أسند إليه عمل مرسية من قبله في سنة 511 على ما يذكر ابن عداري في القسم المرابطي من البيان ، فلما توفي يدر بن ورقاء في سنة 524 ضم علي بن يوسف عمل بلمسية مع عمل مرسية إلى يحيى بن غانية كما يذكر ابن القطان هنا ، وأصبح نظره بذلك يشمل شرق الأندلس كله ، وقد ظهر غناؤه وطار صيته ولا سيما بعد هزيمته لابن رذمير (ألفونسو المحارب) في إفراغة سنة 528 ، كذلك كان له بلاء عظيم في مدافعة النصارى عن مدينة الإشبونة (لشبونة) في غرب الأندلس ، ثم ولاه تاشفين بن علي على قرطبة في سنة 538 ، فاستقامت أحوال الأندلس بحسن سيرته إلى صفر من عام 539 حينما نشبت ثورة ابن قسي بغرب الأندلس على المرابطين ، ثم ثورة ابن حمدين بقرطبة ،⁽⁵⁾

وضاقت بهم الأمور كتبوا إلى يحيى بن غانية يشكون إليه ⁽¹⁾ ويرغبون إليه في إدخال القوت عندهم ، فما بقي لهم من القوت إلا اليسير « وإن أنت لم تفعل خضعنا لابن رذمير وأعطيناه المقادة » .

فلما قرأ كتابهم نظر لهم في الميرة ، واستجاش وأرضخ ⁽²⁾ العطاء لأهل عسكره ، وأخبرهم أنه باق على لقاء عدوه ابن رذمير ، وأعتق بعض إمامته ⁽³⁾ وعبيده ، وكتب وصيته . فقال له بعض خاصته : تغزو بهذا العسكر وليس للمسلمين عسكر بالأندلس سواه ؟ فكيف تلقى علي بن يوسف بعد ⁽⁴⁾ اليوم وقد انهزمت ؟ . [قال ⁽⁵⁾ :] فليصنع بي ما شاء ، إلا إن فتح الله تعالى للمسلمين في هذا الغزو ! .

= وكان يحيى قد توجه إلى لبلة Niebla لإخماد ثورة ابن قسى حينما بلغته ثورة ابن حمدين ، فركب راجعا إلى إشبيلية فثار به أهلها وناصبوه الحرب فلبجأ إلى حصن برجانة ، ثم تحرك إلى حرب ابن حمدين فهزمه واستولى على قرطبة في شعبان سنة 540 ، ولكن ابن حمدين استغاث بملك قشتالة وأطمعه في دخول قرطبة وأبلى ابن غانية في دفاع النصارى أحسن البلاء ، ودخل الملك القشتالي قرطبة بالفعل حينما بلغته أنباء استفحال سلطان الموحدين ، فرأى من حسن الرأي أن يهادن ابن غانية ، حتى يكون سدا بينه وبين الموحدين ، واستقر يحيى بقرطبة ، وتنقل بعدها بين شتى قواعد الأندلس حتى لجأ أخيراً إلى غرناطة آخر معاقل المرابطين بالأندلس فأقام بها شهرين ثم توفي في الرابع عشر من شعبان سنة 543 (ديسمبر 1148) ، وكان ليحيى أخ هو محمد الذي ولى في سنة 520 على جزيرة ميورقة ، واستقر بها نسله مكونين بها إمارة مستقلة خلال نحو قرن (انظر الترجمة الضافية التي أفردها ابن الخطيب ليحيى بن غانية في الإحاطة 344/4 - 347 ؛ والبحث الذي أفرده المستشرق الأستاذ ألفريد بيل Alfred Bel عن بني غانية « Les Benou Ghanya » - ط . باريس سنة 1903 - ص 1 - 14 والمراجع المذكورة في ثنايا البحث .

(1) في الأصل : يشكون إليها .

(2) مشتق من الرضخ وهو العطية ، ويقال راضخ الرجل أي أعطاه من ماله وهو كاره .

(3) في الأصل : وإمامته .

(4) في الأصل : على بعد .

(5) إضافة يقتضيه السياق .

وقصد قصده وكان اللعين ابن رذمير مل الثواء والإقامة على مدينة إفراغة . ونشب في يمينه التي خرجت منه ، وكان قد جاءه بعض الرهبان من داخل الفرنجة ، وقال له : أنا أدعو عليهم ، فيهدم حصنهم ، وتدخل عليهم عنوة ! وصح قوله ذلك عند ابن رذمير ، وجاء هذا الراهب إلى قرب سور إفراغة ، فصعد ربوة من الرى ، ونظر السور ، وكان خير الراهب قد سمع به أهل إفراغة ، فلما رأوه قائما على الربوة لم يشكوا « في خبره أنه هو ، وكان عندهم منجنيق قوى ، فصوبوه إلى الربوة وغرض الراهب ووضعوا في كفته حجراً كبيراً ، ورموا به إلى غرض الراهب وهو في دعائه على المسلمين يجد جده ، فأصابه حجر المنجنيق على هذه الحالة ، فذهب بنصفه وبقي نصفه في موضعه !

وقد كان اللعين ابن رذمير تهيأ للدخول ، وعسكره واقف بإزائه الراهب ، فلما رأى ذلك هاله وانصرف إلى موضع محلته مهين النفس خائب الأمل ، ثم ما زال أمره مختلا . وأهل إفراغة يدبرون الخيل عليه ، وهو يدبرها أيضا عليهم ، إلى أن وافت عساكر المسلمين ، فلما نظر أهل إفراغة إلى مجيئها ، وخرج ابن رذمير من معسكره إليهم ، فتحووا باب مدينتهم وخرجوا إلى محلته ، فنهبوا جميع ما كان ⁽¹⁾ فيها من الطعام والأدم ، وأدخلوه مدينتهم ، ولقي اللعين ابن رذمير المسلمين موقنا بالظفر والغلبة على عادته ، فانعكس عليه الأمر ، وكانت الدائرة عليه ، فأهلكه الله تعالى وجنوده ، وقتلهم المسلمون أبرح قتل .

ومن أغرب ما جرى من أخبار هذه السنة أن طائفة من النصارى لجأوا إلى كهف ظنوا أنه ينجيهم ، فسقط عليهم ، فلم ينج منهم أحد آية من الله عز وجل ؛ وفر اللعين ابن رذمير في شزيمة قليلة جدا ، ولحق بمدينة سرقسطة واله العقل مخبول الذهن ، واستخذى للمسلمين الذين فيها ، ولأن لهم القول ،

(1) في الأصل : كانوا .

ثم خرج منها إلى وشقة فأقام بها مختبلاً أشهراً قليلة ، وحن أجله إلى نار الله الحامية ⁽¹⁾ .

وولى قضاء فاس في هذا العام عبد الحق بن عبد الله بن معيشة ⁽²⁾ فأراق الخمر ، وكسر الدنان ، وتشدد على أهلها ، وكتب إلى علي بن يوسف إن الجامع ضاق عن المصلين ، فأذن له في الزيادة فيه ، فكان البناء فيه في بقية هذه السنة ⁽³⁾ .

(1) ذكر ابن الأثير (الكامل 351/8) أن ابن رزمير لم يعيش بعد هزيمته في إفراغة إلا عشرين يوماً . والواقع أن المراجع المسيحية لا تتفق على تاريخ وفاة الملك المسيحي ، فحوليات ألفونسو السابع تجعل وفاته في 25 يناير سنة 1134 ، وهو أمر مستحيل إذ معناه أنه توفي قبل معركة إفراغة بسبعة أشهر ، ويرى الأستاذ كوديرا أن أرجح الأقوال هو ما ذكره خيمينث دي إمبون Jiménez de Embun الذي يقول إن وفاة ألفونسو المحارب كانت في 7 سبتمبر من هذه السنة أي بعد معركة إفراغة بنحو شهرين ، وهو ما يمكن أن يتفق مع ما يذكره ابن القطان هنا (انظر اضمحلال دولة المرابطين ص 271 - 272) .
(2) أبو محمد عبد الحق بن عبد الله بن معيشة ولي قضاء فاس بعد وفاة أبي عبد الله محمد بن داود . وقد احتفظ لنا بجملة من أخباره ابن أبي زرع في روض القرطاس (61 - 62 ، 71) ، وانظر كذلك ابن عذارى : البيان المغرب (312/1) .

(3) يذكر ابن أبي زرع في حديثه الطويل عن جامع القرويين بفاس أن الذي يرجع إليه فضل الزيادة في المسجد هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن داود الذي كان قاضي المدينة في أيام علي بن يوسف قبل ابن معيشة ، وكانت فاس قد كثرت فيها العمارة حتى ضاق الجامع بكثرة الناس في أيام الجمعة حتى كانوا يصلون في الأسواق والشوارع والطرق ، فاستأذن ابن داود علي بن يوسف في الزيادة فيه فأذن له ، وبدأت أعمال الزيادة التي يسطر ابن أبي زرع وصفها ، وأتم تركيب الباب والقبلة في شهر ذي الحجة سنة 528 ، ثم توفي القاضي ابن داود فولى القضاء بعده ابن معيشة المذكور ، فواصل أعمال الزيادة كما جعل الأبواب مغطاة بالصفر وعمل أمام الباب قبة وزاد في سعته ، وبذل الصومعة ، وشرع في بناء الخراب والقبلة التي عليه منقوشين بالذهب واللازورد وأصناف الأصبغة ، فتم له كل ذلك ، وجاء على غاية الكمال ، ثم ولي قضاء فاس أبو مروان عبد الملك بن بيضا القيسي ، فواصل أعمال الزيادة والنقوش حتى شعبان سنة 538 ، على أن كثيراً من هذه النقوش والخراب قد غطي وزال إذ أنه لما أوشك الموحدون على دخول المدينة خشى فقهاؤها أن يتفقدوا عليهم ذلك فعملوا على تغطيتها (انظر ابن أبي زرع : الروض 59/1 - 65) .

باب

ذكر أخبار سنة ثلاثين وخمسمائة

أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى :

في هذه السنة كانت وقعة مصكروطن ⁽¹⁾ ، وخروج سير بن [علي بن] ⁽²⁾ يوسف الزجاجي .

قال اليسع :

إن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه هبط قبل عام أحد وثلاثين إلى أجرفرجان ومصكروطن ، وخرج المجسم سير بن علي بن يوسف [وهو ولي] ⁽³⁾ عهد أبيه بالجيش ، وسيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه (متعلق) ⁽⁴⁾ بالجال ، يطاول في حروبه ، فإذا رأى ضالته وثب عليها وثوب اللئث على الفريسة ، فالتقوا على مصكروطن ، فهزمهم سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه ، وكانت وقعة أخذ فيها من أموال المجسمين شيء عظيم .

وغزوة تادلا .

قال ابن صاحب الصلاة :

إنها أول غزوات سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه بعد الإعلان في

(1) يسمى البيدق هذا الموضع « مسكروطن » (أخبار المهدي ص 129) .

(2) في الأصل : سير بن يوسف ، والصواب ما أثبتنا حسباً سيأتي في هذا النص بعد قليل .

(3) كلمتان مطعومتان في الأصل ، ولعلهما ما قرأنا .

(4) بياض في الأصل بقدر كلمة ، ولعها ما كتبنا أو شيء في معناها ، وإنما أثبتناها لأن هذا التعبير

سيكرر بعد ذلك في النص على نحو ما ذكرنا .

باب

ذكر أخبار سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة

لا أدري ما كان فيها من غزوات الموحدين أعزهم الله تعالى غير أن سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه متعلق بالجبال ، وأمره في غاية الاستفحال ⁽¹⁾ .

وذكر ابن صاحب الصلاة له رضي الله تعالى عنه غزوة إلى بني ييغز ⁽²⁾ لم يورخها ، وقال إنها ثالثة غزواته رضي الله تعالى عنه ، فهي في هذه السنة أو ما يقاربها . قال : إن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله تعالى عنه لما أراد النهوض من حضرة تينملل لغزو بني ييغز ⁽³⁾ تقدم إليهم من إخوانهم المجاورين لهم من أندهرم ونصحهم ، فانقادوا وأذعنوا ووجدوا ، فقدم أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه عليهم ، وانصرف إلى تينملل قافلا ظافرا ظاهرا .

وكان في هذه السنة بالأندلس غزوة تاشفين بن علي بن يوسف الخليل من النصراري ، فهزموهم على مقربة من قصر عطية ، واحتوى على أسلابهم وأنهاهم ؛ وغزوته أيضا التي نازل فيها أشكلونة ، فدخلها المسلمون بالسيف عنوة ، وقتلوا كل من فيها ، وأسروا نساءهم واحتوا على أسلابهم وأنهاهم ظافرين ⁽⁴⁾ .

(1) في الأصل : الاستفحال .

(2) في الأصل : ييغز .

(3) في الأصل : يغز .

(4) أشار ابن أبي زرع أيضا إلى هاتين الغزوتين من غزوات تاشفين ، وفيما يلي نص ما يقول (روض القرطاس 164) : « وفي سنة 530 هزم الأمير تاشفين جموع الروم بفحص عطية وأفى منهم خلقا كثيرا ... وفي سنة 532 هزم الأمير تاشفين من الأندلس إلى العدو بعد أن غزا مدينة أشكلونة (كذا ، وفي الطبقات الفاسية للروض : أشقولة) وحمل من سبيلها إلى العدو ستة آلاف سبية وفتحها عنوة ، فوصل إلى مراكش ، فلقاه والده علي أمير المسلمين في زي عظيم وفرح به » . كذلك تحدث عن غزوة تاشفين لجبل القصر ابن عذارى في القسم المرابطي من البيان المغرب ص 94 ، وقد نقل السلاوي ما كتبه ابن أبي زرع (الاستقصا 67/2) . على أن خير ابن القطان أكثر دقة في تحديد المواضع »

عام ثلاثين ⁽¹⁾ ، فميز الجيش بتينملل ، وقسم البركة ، وتشاور مع الموحدين . أعزهم الله تعالى في أي وجهة يقصد ، فأشاروا بتادلا ، فأضمر ذلك في نفسه سرا ، ثم نهض موريا بوجهته حتى صبح تادلا وجهاتها ، فقتل وسبي ، وامتألت أيدي الموحدين أعزهم الله تعالى ⁽²⁾ ، ففر عنه ⁽³⁾ أصحابه وتركوه ، فكر منصورا ، فكبا به فرسه وسقط عنه ، فأدركه الموحدون أعزهم الله تعالى وقتلوه .

أخبار غيرهم :

منها موالاة تأثير الجراد في زرع الأندلس التأثير الفاحش ، وموالاة البناء في الزيادة في جامع فاس على يد القاضي ابن معيشة ، وتوزع المال الذي ينفق في ذلك على أهلها وسد ثلمات ⁽⁴⁾ سورها ، وزاد فيه أبراجا ، وبني سورا يحيط [79 أ] بالمقابر ، * وتوزيع عشرين ألف دينار على أهل فاس معونة للجيش ، بكتاب علي ابن يوسف الزرجاني .

والعباسي في هذه السنة هو الراشد .

(1) يجعل ابن أبي زرع خروج عبد المؤمن لهذه الغزوة في الرابع والعشرين لربيع الأول سنة 526 (روض القرطاس ص 187) ، ويذكر السلاوي نقلا عن ابن مطروح القيسي أن عبد المؤمن سار في شوال سنة 526 أولا إلى مراكش ، فحاصرها ثم ارتحل عنها إلى تادلا ، إلى سلا . فلقاه أهلها مطيعين ، فدخلها في الرابع والعشرين من ذي الحجة في السنة المذكورة (الاستقصا 106/2) . كذلك جعلها ابن خلدون في سنة 526 ، وذكر أنها كانت قبل غزوة تاسغيموت (العبر 22/6) ، ويوافق صاحب الخلل الموشية هؤلاء المؤرخين على أن غزوة تادلا كانت أولى غزوات عبد المؤمن بعد اعلان البيعة له (ص 143) . وانظر أويشي : تاريخ 114/1 .

(2) يستشف من السياق أن هناك كلمات سقطت من النص في هذا الموضع .

(3) لسنا نعرف على من يعود الضمير هنا ، ويبدو أن اسم القائد المرابطي الذي يعود عليه الضمير قد سقط في الحزم الذي أشرنا إليه في الحاشية السابقة ، على أننا نقطع بأن القائد المعنى ليس هو سير بن علي ابن يوسف المذكور قبل ذلك . فهو لم يميت في هذه الوقعة .

(4) كلمة غير واضحة في الأصل .

وساقوا جملة من نسائهم وغنائمهم ، وسيقت نواقيص ⁽¹⁾ كثيرة فيها ناقوص ⁽¹⁾ عظيم ، وكان يوم دخول ذلك كله بروز عظيم بقرطبة وسرور كثير .
وفيه كان بناء تاشفين الناعورة ⁽²⁾ على النهر الأعظم بقرطبة .

وخروج الجراد وإضرارها بالزرع كثيراً .

وكان في هذه السنة تمام الزيادة في جامع فاس ، وعزل ابن معيشة عن قضائها ⁽³⁾ .

والعباسي في هذه السنة هو الراشد .

* * *

باب

ذكر أنباء سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة

أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى :

في هذه السنة * كانت هزيمة زناتة بجبل غياثة ⁽¹⁾ ، وذلك أنه تحرك سيدنا 91 ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه من حضرته تينملل - زادها الله تشريفاً - إلى جبل غياثة ، ونزل به ، فخرج المجسم سير بن علي بن يوسف ولي عهد أبيه في عساكره يريد غياثة ، فنزل بجراندة ⁽²⁾ بمقربة من المقرمة عند وادي أبي حلوا ، ونزلت محلاته بها ، فوافاه بها عسكر الغرب عليهم عبد الله بن يحيى ابن أبي بكر بن تيفلويت المجسم ⁽³⁾ ، فنزل قريبا منه على أميال . وحشدوا زناتة ، فاجتمعت لهم جموع من قبائلهم يقدمهم يحيى بن فانو ⁽⁴⁾ ، وهو أخو عبد الله ابن يحيى لأبيه ، فكان عسكر يحيى هذا نيفا على خمسة آلاف فارس .

(1) ينفرد ابن القطان بالحديث عن هذه الغزوة دون سائر مؤرخي الدولة الموحدية .

(2) يسميها ابن عذارى : كراندة ، ويعرفها بأنها الجبال المجاورة لفاس (البيان المغرب - القسم

الموحدي - ص 16) .

(3) أبو بكر بن ابراهيم المسوفي الصحراوي المعروف بابن تيفلويت جد عبد الله هذا كان من أمراء المرابطين المعروفين ، وهو صهر علي بن يوسف كان زوجاً لأخته وأباً لولده منها يحيى ، وهو الذي كان واليا على غرناطة سنة 500 ثم على سرقسطة حتى وفاته في سنة 510 (انظر في ترجمته ابن الأبار : معجم شيوخ أبي علي الصديقي ص 67 ؛ ابن الخطيب : الإحاطة - ط . عنان - 404/1 - 409 ؛ ديوان ابن خفاجة بتحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي - الإسكندرية سنة 1960 - ص 443) ، أما أخت علي بن يوسف المذكورة فهي فانو أو فنو التي كانت أمماً ليحيى - أبي عبد الله المذكور هنا - ولعلي بن أبي بكر الذي عرف أيضا باسم « ابن فنو » ، وكان واليا على غرناطة في سنة 539 أثناء ثورة ابن أضحي على المرابطين (انظر ابن الأبار : الحلة السيرة 2/212 وما بعدها) . ويؤكد ابن القطان يكون المؤرخ الوحيد الذي احتفظ لنا بأخبار عن عبد الله بن يحيى (بن فانو أو فنو) المذكور هنا (انظر كذلك بحث كوديرا عن أسرة بني تاشفين ص 114 - 116 ، ونلاحظ أن هذا الباحث خلط بين يحيى بن أبي بكر بن تيفلويت ويحيى ابن غانية) .

(4) إذا صح هذا النص وكان هذا القائد المرابطي المشهور أخاً لعبد الله بن يحيى بن أبي بكر =

= والتواريخ ، وهاتان الغزوتان كانتا في غرب الأندلس (البرتغال الحالية) . وانظر ما كتبه عنهما كوديرا في بحثه عن أسرة بني تاشفين ص 141 - 142 ؛ وتحقيق أويشي لهما في بحثه « روض القرطاس والمرابطون » - مجلة إسبريس - الرباط سنة 1960 - ص 540 .

(1) كذا في الأصل .

(2) في الأصل : الناعوت .

(3) ذكر ابن أبي زرع أن ابن معيشة عزل والمنير والبناء وباب الجنائز والصحن من جامع القرويين بفاس لم يكمل بناؤها بعد ، وأن متولى القضاء بعده ، وهو أبو مروان عبد الملك بن بعض القيسى هو الذي أمم كل ذلك ، وكان الفراغ منه في شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة (روض القرطاس ص 62) .

وعند احتفال جموعهم هذه وحّد زيري بن ماخلوخ⁽¹⁾ من أشياخ زناتة ، ولحق بسيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله تعالى عنه ، وطلب عسكريا تظهر به خدمته في عساكر الغرب فأعطى حصة قدّم عليها أحد أشياخ الموحدين أعزهم الله تعالى ، فضرب على محلاتهم وهم غارون ، فانهزموا وقتل من أدرك ، وسبى محلاتهم ، وجلا الفتح والسلب إلى أعلى جبل غياثة للمحلة المباركة المؤيدة المنصورة .

= المذكور قبل ذلك فمعنى هذا أن صحة اسمه « يحيى بن يحيى بن أبي بكر » ، ففانو اذن التي ينسب إليها ليست أمه في الواقع وإنما هي أم أبيه يحيى وقد تكون نسبته إليها بسبب شهرتها لكونها أخت علي بن يوسف ابن تاشفين سلطان المرابطين . ولا نعرف من أخبار يحيى هذا إلا ما ذكره البيهقي من أنه كان عاملا على أجر سيف حينما دخلها محمد بن تومرت بعد عودته من رحلته إلى المشرق ، إذ يقول إن المهدي حينما حل بأجر سيف وأقبل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استصرخ به عاتما وكانت فقلت لعامة لوزير يحيى ففرغ الناس بها ألف مثقال فطلب عامة البلد من ابن تومرت الشفاعة لهم لدى العامل فسار ابن تومرت إلى يحيى (بن يحيى) بن فانو وأعلمه بالأمر فأنكر يحيى ذلك وأمر أن يفرغ الوزير ما أخذ من الناس من المظالم وهم يقتله فقال له المهدي : ما عليه قتل إنما عليه الأدب ورد المظلمة (أخبار المهدي ص 62) ، ونرى مما يذكره ابن القطان هنا أنه كان يتولى قيادة عسكر تلمسان في سنة 532 وأنه تولى أثناء قتاله للموحدين لمرض أصابه كما سيأتي .

(1) لعل زيري بن ماخلوخ هذا هو الذي يذكره ابن خلدون باسم « أبي بكر ابن ماخلوخ » وكان من قواد المرابطين على زناتة ومن أمراء قومه بني ومانو ، وقد خرج بعد ذلك على المرابطين وأصبح من كبار قو : عبد المؤمن بن علي ، ويقول ابن خلدون إنه وصل إلى عبد المؤمن وهو بمكانه من الريف هو ويوسف بن يدر أحد أمراء بني ومانو أيضا فبعث عبد المؤمن معهما ابن يغمور ويوسف بن وانودين في عسكر من الموحدين فأخذوا في بلاد بني عبد الواد وبني باجدي سبيا وأسرا ، وأمدتهم عساكر لمتونة ومعهم البربر قائد الروم فاجتمعت عليهم زناتة وبني عبد الواد فأوقعوا في بني ومانو واستنقذوا غنائمهم وقتل أبو بكر (زيري) بن ماخلوخ في ستائة من قومه ، وذلك في سنة 537 ؛ وكان لابي بكر هذا أخ اسمه تاشفين بن ماخلوخ خرج بعد هزيمة أخيه ومقتله صريحا إلى عبد المؤمن على لمتونة وزناتة ، فارتحل معه إلى تلمسان ، فأمره على قومه وسيره لقتال عسكر بجاية الذين استنجد بهم المرابطون فهزم تاشفين ذلك العسكر هزيمة شديدة (انظر البيهقي : أخبار المهدي ص 108 ؛ ابن خلدون : العبر 230/6 - 231 ؛ السلاوي : الاستقصا 102/2 - 103) .

ومات يحيى بن فانو قائد عساكر تلمسان من زناتة وغيرهم لمرض أصابه ، فوجه الرجالي سير بن علي ولده محمد بن يحيى بن فانو⁽¹⁾ عوضا منه ليتدارك جموع زناتة قبل انقراضهم ، فكان كذلك ، اجتمعت عليه عساكر أبيه ، فوصلهم ونزل على مقربة من وجدة ، وكانت طلائعهم على مجشر قلال .

واتصل بسير بن علي أن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله عنه يريد بلاد غمارة ، فنصب له ألفي فارس على طريقه : يقيم الألفان جمعة ، ثم يُبدّلون بالآلئين آخرين ، هكذا يتناوبون طول مدة المقام بجبل غياثة ، وكان المقام به شهرين اثنين .

وإن زيري بن ماخلوخ راسل إخوانه من زناتة ، واتفق معهم على أن يعملوا الهزيمة يوم « اللقاء » ، فوجه سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه حصة مختارة [80 أ] مع زيري بن ماخلوخ من جبل غياثة حتى وصلوا إلى محلة محمد بن يحيى مع زناتة ، فاضربوا فيهم فركبوا وهربوا صفوفهم ، وعبأوا عسكرهم ، فاقتتلوا معهم ، وكان يوما شديدا ، وكان النصر فيه للموحدين أعزهم الله تعالى ، فانهزمت قبائل زناتة وعسكر محمد بن يحيى .

(1) أشار البيهقي وابن عذاري وابن خلدون والسلاوي وابن الأثير إلى المعارك التي دارت بين محمد ابن يحيى بن فانو هذا وعبد المؤمن بن علي ، ويبدو أن هذه المعارك اتصلت ما بين سنة 532 التي يعرض ابن القطان أخبارها هنا وسنة 537 التي تنص المراجع الأخرى على أن مقتل ابن فانو حدث في خلالها ، ويفصل ابن عذاري هذا الخبر فيقول إن الموحدين كانوا قد انقسموا في سنة 537 بعد وفاة علي بن يوسف ابن تاشفين على ثلاث فرق : فرقة منهم بجبل غياثة ، وفرقة بجبل الريف بملوية ومليلة وغمارة ، وفرقة مع يوسف بن وانودين وابن زجو وابن يومور . وتوجهوا إلى جبل مديونة وجهة تلمسان ، فخرج إليهم الوالي علي تلمسان حينئذ محمد بن يحيى بن فانو بعسكر من زناتة وغيرهم فالتقى معهم وقتل محمد بن يحيى المذكور في واد كان هنالك ، وانهزم عسكره ، وينص ابن خلدون والبيهقي على أن الذي أوقع بمحمد ابن يحيى وقتله هو القائد الموحد يوسف بن وانودين ، ويذكر هذا المؤرخ الأخير أن هذه الغزوة كانت في حندق الجمر الذي يسمى بوادي الزيتون وأن ابن وانودين قتل فيها قائدا مرابطيا آخر مع ابن فانو بسمه أبا بكر الجوهر (انظر أخبار المهدي ص 94 : العبر 230/6 ؛ البيان المغرب ص 18 ؛ الاستقصا 102/2 - 103 ؛ الكامل 299/8 ؛ وانظر كذلك بحث كوديرا عن أسرة بني تاشفين ص 115 ؛ أوبني ؛ تاريخ 115/1 - 116 ، 127) .

أخبار غيرهم :

في هذه السنة كان انصراف أبي جعفر ابن حمدين عن قضاء قرطبة ،
 وولاية أبي القاسم ابن رشد ⁽¹⁾ لقضاها .
 ووصول المجسم تاشفين بن علي بن يوسف من غرناطة إلى قرطبة ،
 وخروجه منها إلى العدو مستدعي من أبيه ⁽²⁾ .

وخروج العدو ⁽³⁾ دمره الله تعالى إلى بلد المسلمين في جيش عرمرم ، فأجازت
 جملة منهم الوادي الكبير في أعلاه بمقبرة من بياسة وأيدة ، ووصلت بالغارة إلى
 البراجلة ، وأوقعت بالمسلمين نكابة صغرت في جانب ما وقى الله تعالى بتوالي نزول
 المطر وإكبابه مدة من عشرين يوما ، فمد النهر ، ولم تقدر الخيل المغيرة على عبوره إلى
 محلهم ، وصنعوا معادي للجواز ، فانقطع بعضها وغرق من كان فيها ، وتبعهم قائد
 جيان ، فأصاب منهم فوارس ، وانصرف العدو - دمره الله تعالى - بعد أن قاتل
 حصن شبيوطة من عمل أبدة فأعجزه ، وارتاد تاشفين لما خرج من قرطبة نحو العدو
 مدافعهم ، فتلوم لأجل المطر وغيره أربعين يوما ، فكفى الله تعالى أمر النصارى ،
 وأجاز البحر في صدر جمادى الأولى ، ودخل مراکش في أول رجب من هذه السنة .

(1) هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد ، ولد سنة 487 ، ووالده هو قاضي الجماعة
 الفقيه المعروف الذي توفي سنة 520 ، أما أبو القاسم المذكور فقد لازم أباه كثيرا وأخذ عنه ، ولي قضاء
 الجماعة سنة 532 بعد صرف أبي جعفر ابن حمدين الذي ولي في سنة 529 كما ذكر ابن القطان من قبل ،
 ولكن ابن رشد استعفى من هذا المنصب بعد فترة قصيرة ، ويقول ابن بشكوال إنه كان محبا إلى الناس
 طالبا للسلامة منهم بارا بهم ، وكانت وفاته في 13 رمضان سنة 563 (انظر في ترجمته ابن بشكوال :
 الصلة ، ترجمة 172 ؛ وابن الأبار : المعجم ، ترجمة 33) .

(2) ذكر ابن الخطيب في ترجمته لتاشفين بن علي أن خروجه من الأندلس إلى المغرب كان في سنة
 531 أو في 532 دون أن يقطع برأي في ذلك ، على أن ابن القطان كان أكثر دقة إذ سترى في بقية هذا
 النص أن خروجه كان في جمادى الأولى سنة 532 ، ووصل إلى مراکش في أول رجب من هذه السنة
 (انظر الإحاطة لابن الخطيب - ط ، عنان - 361/1) .

(3) ينفرد ابن القطان بذكر تفاصيل هذه الوقائع ، وانظر كذلك بحث الأستاذ أويشي : روض
 القرطاس والمرابطون ص 540 - 541 ، وبياسة Baeza وأبدة Ubeda ببلدتان من أعمال جيان Jaén
 وكذلك قرية شبيوطة Sabiote .

وفي هذه السنة كانت ولاية ابن المناصف ⁽¹⁾ لقضاء غرناطة .

وفيهما كان غرق المراكب المصرية التي وصلت من الإسكندرية ، منها
 المركب الغيطالي والمركب العجزي ⁽²⁾ ، وكانت عظيمة الجرم جدا ، وكانت فيها
 أموال عظيمة وخلق كثير ⁽³⁾ .

وفيهما كان موت الراشد العباسي ⁽⁴⁾ ، وولاية عمه المقتفي لأمر الله تعالى أبي
 عهد الله محمد .

وفيهما كان موت عبد المجيد صاحب مصر ⁽⁵⁾ ، وكان قد عهد في حياته

(1) هو القاضي أبو عبد الله محمد بن أصبغ الأزدي القرطبي المعروف بابن المناصف ، وقد تكررت
 الإشارة إليه فيما سبق .

(2) كذا ، ومن الواضح أنهما نوعان من المراكب الضخمة .

(3) يبدو هذا الخبر كما يروي ابن القطان هنا غامضا مضطربا ، ولعله يشير إلى ما ذكره ابن عذارى في
 البيان المغرب (312/1 - 313) - ولو أنه يجعل ذلك في سنة 536 - من أن الحسن بن علي بن يحيى بن تميم
 صاحب المهديّة استولى في تلك السنة على مركب كان لصاحب بجاية يحيى بن العزيز بن المنصور بن علاه
 الناس ، وكان قد أقطع من الإسكندرية بضائع عظيمة وهدية إلى صاحب بجاية ، فتعرض له الحسن بن علي
 المذكور واستولى عليه - وكانت العلاقات سيئة بين المهديّة وبجاية - ويضيف ابن عذارى أنه كان مركبا
 كبيرا ، فأمر الحسن بن علي بتفريغه ، وبقي في ميناء بجاية فارغا حتى جاءت صدمة أكتوبر - هكذا يقول
 ابن عذارى ، ولعله يعني عاصفة شديدة هبت في هذا الشهر - فتكسر . إلا أنه استغل أخشابه فصنع
 منها مركبا جديدا ظل في مرسى المهديّة حتى هجم عليه جرجي الصقلي بمخمسة وعشرين غرابا (مركبا
 حربيا) فاستولى عليه في جملة ما غنمه من مراكب المهديّة . وربما كان ابن القطان يشير إلى هذه الواقعة .

(4) ولي الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد سنة 529 كما أسلف ابن القطان ، وتوفي سنة
 532 ، وكان مولده سنة 502 ، وخرج بعد خلافته بقليل إلى الموصل لقتال السلطان مسعود بن محمد شاه
 السلجوقي ، فخلده أصحابه ، وقبض عليه السلطان مسعود وخلعه من الخلافة ثم حبسه إلى أن قتله في
 شهر رمضان سنة 532 بظاهر إصبهان (انظر النجوم الزاهرة 263/5) ، وولي بعده أبو عبد الله محمد
 الملقب بالمقتفي بالله بن أحمد المستظهر بن المقتدي .

(5) أخطأ ابن القطان هنا مرة ثانية إذ أورد وفاة الخليفة الفاطمي الحافظ عبد المجيد في هذه السنة ،
 وإنما كانت وفاة الحافظ وولاية ابنه الظاهر أبي منصور إسماعيل على مصر في جمادى الآخرة سنة 544 =

لابنه الأصغر وسماه الظافر ، فلما مات عبد المجيد اختلفت العسكرية ، فقامت [80 ب] طائفة منهم مع ولده الأكبر ، * وقامت طائفة أخرى مع الأصغر ، وظهر الأكبر على الأصغر ⁽¹⁾ ، وكان بالإسكندرية وال يعرف بابن السلار ⁽²⁾ ، فطلع بالعساكر والجنود لنصرة الظافر ، وزعم أن أباه جعله له حاجبا ، فكسر العساكر التي قامت مع الأكبر ، وقبض على الأكبر القائم .

وكانت قد قدمت على الإسكندرية جارية كانت لعلي بن يحيى صاحب المهديّة ⁽³⁾ - أفضت الإمارة إليه بعد وفاة أبيه - ولها جمال رائع ، فقيل لها : من أنت ؟

(انظر ابن تغرى بردى : النجوم 288/5 ، ابن الأثير : الكامل 24/9) ، هذا ويبدو أن ابن عذارى تابع ابن القطان على ذلك الخطأ ، إذ أرجح الظن أنه كان مرجعه فيما أورده من أخبار الفاطميين (انظر البيان المغرب 312/1) .

(1) كان الظافر أبو منصور اسماعيل بن الحافظ عبد المجيد فعلا أصغر لإخوته سنا ، ولد بالقاهرة سنة 527 (انظر ابن خلكان : الوفيات 237/1 - 238 ؛ ابن تغرى بردى : النجوم 288/5) ؛ على أننا لا نعرف في مختلف المراجع ما يشير إليه ابن القطان هنا من القتال بين الظافر وبين أخيه الأكبر .

(2) هو أبو الحسن وأبو منصور علي بن إسحاق المعروف بابن السلار والمتلقب بسيف الدين الملك العادل ، كان كرديا من تربية القصر بالقاهرة وتقلب في ولايات الصعيد وغيره حتى ولي وزارة الظافر في رجب سنة 544 ، وكان الظافر قد استوزر أولا لنجم الدين أبا الفتح بن مصال في أول ولايته ، ثم قدم ابن السلار القاهرة ، وتولي تدبير الأمور ، وحشد ابن مصال جماعة من المغاربة فانصرف عليه ابن السلار بدلاص في الوجه القبلي وذلك في أواخر سنة 544 ، وقد ظل ابن السلار على الوزارة حتى قتله على فراشه نصر بن العباس ، وكان أبوه العباس ربيبا لابن السلار ، وذلك في سنة 548 في شهر محرم ، وسيورد ابن القطان خبر مصرعه (عن ابن السلار انظر ترجمته في وفيات الأعيان 416/3 - 419 ؛ الكامل 24/9 - 25 والدكتور حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ص 181 - 185) .

(3) اسم هذه الجارية على ما تذكر المصادر الشرقية بلار بنت القاسم بن تميم بن المعز وزوجة أبي الفتح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي : وكانت قد وصلت إلى مصر في سنة 503 مع ولدها أبي الفضل عباس ، وكان طفلا إذ ذلك ، فتزوج منها ابن السلار واتخذ ابنها أبا الفضل عباسا ربيبا له درج في كنفه ، حتى كان منه ومن ابنه نصر ما يشير إليه ابن القطان بعد (انظر المراجع المذكورة في الحاشية السابقة) .

قال : من قصر صاحب المهديّة ، فبلغ خبرها ابن السلار ⁽¹⁾

والها عليها قدمه عبد المجيد المذكور ، وجعل له النظر لولي عهده الظافر ، فارتفع قدره ، ونشأ العباس ربيبه في رفاهية ، وتزوج وولد له ولد ⁽²⁾ .

فلما مات عبد المجيد المذكور ووطد ابن السلار دولة ولي عهده الظافر استوطن ابن السلار وربيبه العباس ⁽³⁾ مع أمه وزوجته وولده مصر ، وقدم وال آخر على الإسكندرية ، ويسمى هذا ابن السلار بأمير الجيوش شاهنشاه ⁽⁴⁾ سيف الدولة ⁽⁵⁾ ، وكان والي مصر المسمى بالظافر من نحو ستة عشر عاما ، وكان يميل إلى مخالطة الصبيان ، فدخل إليه ولد العباس ، وتعرف به وخالطه .

فلما أراد الله تعالى إنفاذ وعده قال الظافر لولد العباس : اقتل ابن السلار ، ونولي الحجابة أبأك ونستريح معه . فعمل مع بعض العبيد على قتله ، فقتله . فقام الناس والعباس يطلبون قاتله ولا يدرون من هو ، فقالت أم العباس للعباس ⁽⁶⁾ : والله ما قتله إلا ابنك ! فهم بقتل ابنه ، فقالت له : تقتل ابنك وقد قتل ⁽⁷⁾ محل

(1) لم يترك الناسخ فراغا بعد هذه الكلمة ، غير أنه من الواضح أن عبارات سقطت من هذا الموضع ، وعلى أية حال فإننا نعرف من المراجع المصرية والشرقية أن ابن السلار تزوج من هذه الجارية واتخذ ابنها عباسا ربيبا له .

(2) هو نصر بن العباس الصنهاجي الذي سيورد ابن القطان خبره دون أن يذكر اسمه .

(3) في الأصل : العباسي .

(4) في الأصل : شاه بن شاه .

(5) الذي جاء في المراجع الشرقية أن لقبه كان « سيف الدين » ، وقد ذكر الدكتور حسن ابراهيم حسن أن ابن السلار كان سنيا غالبا على الرغم مما يشعر به ذلك اللقب « سيف الدين » من انضوائه تحت لواء المذهب الفاطمي (انظر تاريخ الدولة الفاطمية ص 183) .

(6) في الأصل : العباسي للعباسي .

(7) في الأصل : قتل .

أبيك ، فتجتمع عليك وزين⁽¹⁾ ؟ فكف ، ورجع العباس حاجباً ، وذلك في سنة أربع وأربعين⁽²⁾ .

فلما بقي شهراً قال الظافر للصبي : قتلت ابن السلار ، اقتل والدك العباس وتكون الحجابة لك ، ولا نجد من ينقض⁽³⁾ علينا فما زال حتى أسلم له . وأخذ في ذلك مع بعض العبيد ، فوشى العبد بذلك إلى العباس⁽⁴⁾ فأشفق من ذلك ، ووجه عن ولده ، واستفهمه عن القصة ، وتوعده إن لم يصدقه ليقبلته . فصدقه وعرفه أن الظافر أمر بقتله ، فقال : لا بأس عليك ! اعمل طعاماً * وادع الظافر للأكل عندك والمبيت ، وليأتك مستترا ، فقال الصبي للظافر : بنيت داراً ، وأريد أن أعمل فيها طعاماً ، فعسى أن تشرفني وتكون أنت أول من يأكل طعامي فيها . قال له : وكيف يكون ذاك ؟ قال : تأتي مستترا في الليل في زي الأستاذين⁽⁵⁾ ، وترجع مع السحر في الغيش فأسعفه في ذلك ، فلما كان بعد المغرب خرج مستترا إلى أن دخل دار العباس . فلما اطمأن به المجلس هجم عليه العباس ، وقتله ودفنه .

[81]

فلما أصبح وأقبلت الأجناد على جرى العادة إلى العباس ركب معهم إلى⁽¹⁾ القصر ، وقال : نريد الدخول للظافر ، فقيل له : هو مشغول ، فقال : لابد من ذلك . وحمل الأجناد فدخل القصر ، فلما حصل فيه قال للصقالبة⁽²⁾ أين الظافر ؟ قالوا : لا علم لنا . قال لهم : قتلتموه . فأرسل عن وجوه الناس والفقهاء والشيعية وقال لهم : ما جزاء من قتل ؟ قالوا : يقتل قال : فهؤلاء قتلوا الظافر وأخفوه . ف ضرب أعناقهم ، واستحوذ على القصر .

وكان في الصعيد⁽³⁾ رجل تركي يعرف بكلكي⁽⁴⁾ ، فسمع ما جرى . فمسكر وحشد ، وأقبل يريد مصر للعباس ، فسمع العباس خبره ، فأخذ جميع الأموال والذخائر وعياله وولده ، وخرج يريد الشام ليصير إلى حلب أو دمشق ، فوجد ويدعو لبني العباس ويخلع العبيدية من مصر ، فخرجت إليه العرب والروم من عسقلان ، فقاتلهم هو ومن معه ، فقتلوا عن آخرهم ، واستولى العرب والروم على تلك الأموال .

(1) زيادة يقتضيها السياق .

(2) ورد في تاريخ أسامة بن منقذ وفي وفيات الأعيان أن العباس إنما اهتم بقتل الظافر أخويه يوسف وجبريل فقتلتهما (تاريخ أسامة ص 16 - 18 على ما يذكر الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص 186 ؛ ووفيات الأعيان 237/1 - 238 ؛ واتعاظ الحنفا للمقريزي 213/3 - 214) ؛ هذا وقد ذكر ابن القلانسي أن الظافر قتله أخواه يوسف وجبريل وابن عمهما صالح بن الحسن حقيقة ، ولكن ابن تقي بري الذي يورد هذه الرواية يقول إن جمهور المؤرخين اتفقوا على أن قاتله نصر بن عباس (النجوم الزاهرة 291/5) .

(3) في الأصل : الصعيد .

(4) كذا في الأصل ، ويبدو ذلك وهما من الناسخ ، فالمعروف أن والي الصعيد الذي استصرخ به نساء القصر اللاتي اهتمن العباس وابنه نصرأ بقتل الظافر هو طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح الذي تكفل بالثار من العباس وولى الوزارة حتى قتل أخيراً بدسيسة من صهره (زوج ابنته) الخليفة العاضد الذي كان آخر الخلفاء الفاطميين . وذلك في رمضان سنة 556 (انظر في ترجمته النجوم الزاهرة 311/5 وما بعدها ؛ وفيات الأعيان 526/2 - 529 ابن الأثير : الكامل 44/9 ؛ الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ ص 186 - 187) .

(1) في الأصل : فتجتمع عليك ورعين .

(2) يختلف ما يذكره ابن القطان هنا عما أورده المؤرخون المشاركة والمصريون فبينما يجعل ابن القطان الخليفة الظافر هو محرض نصر بن عباس على قتل ابن السلار كافل أبيه ، ويقول إن عباساً لم يكن لديه علم بمشروع ابنه إذا بالمؤرخين المصريين يقولون إن عباساً نفسه هو الذي حرّض ابنه على قتل ابن السلار ، وكان ممن شجعه على ذلك أسامة بن منقذ ، وذلك أن ابن السلار أنفذ عباساً إلى الشام ليشارك في قتال الصليبيين وكان في صحبته أسامة بن منقذ وابنه نصر ، فلما وصل إلى بليس تذكر طيب البلاد المصرية وعسر ما هو مقدم عليه من بلاء الحرب ، فأظهر شكواه لأسامة بن منقذ ، فبين هذا له أنه يستطيع أن يتجنب كل ذلك بقتل ابن السلار واتفق معه على أن يقوم ابنه نصر بتنفيذ خطة الاغتيال ، وأن ذلك إذا تم فإنه أى عباساً يستطيع أن يتولى الوزارة مكانه ، فعاد نصر إلى القاهرة ، وتولى القيام بهذه الحطة الغادرة في 6 محرم سنة 548 (انظر الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص 184 - 185 والمراجع المذكورة في هذا الموضع) .

(3) في الأصل : ينقص ، ويمكن أيضاً أن تكون « ينقص » .

(4) في الأصل : العباسي .

(5) يعني خدم القصر الحصيان .

وجاء التركي فدخل مصر ، فوجدها مقفرة وقصورها خالية وأموالها فانية ، فقال : يا قوم ، بقي من أهل البيت - يعنى العبيدية - أحد ؟ قالوا : ما بقي إلا ولد للظافر من نحو خمسة أعوام . فأخرجه وأجلسه وسماه بالفائز بالله (1) ، وقام بحجابه ، وتلقب هو بالصالح .

وأما ولد العباس فحمل إلى بيت المقدس ، فاحتضنته أم الملك ، وكانت هي القائمة بالملك ، فصرفت الملك إليه - أعنى ولد العباس - وتنصر وأقام معها ، إلى أن شرب مع خاصة قوادها وقال لهم : أنتم رغاء الأمم ، تتبعون امرأة ذات فرج وتتركون من يملككم ديار مصر ؟ فسمى الخبر للملكة فأمرت بتثقيفه ، وخاطبت بني عبيد بأنها توجهه لهم ، فرفعوا لها فيه أربعين ديناراً مصرياً ، وبعثته إليهم * في قفص من حديد ، فأدخلوه القصر في القاهرة . وقرضوا لحمه بالمقاريض ، وحرقوه بالنار ، وذلك في سنة سبع وأربعين وخمسمائة (2) .

فهذه أخبار مصر إلى هذه السنة ، وتعذر تقطيعها على السنين فأوردناها هكذا جملة .

وكان بالمهدية حسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز من عام أربعة عشر وخمسمائة كما تقدم .

(1) هو أبو القاسم عيسى بن الخليفة الظافر أبي منصور إسماعيل بن الحافظ عبد المجيد ، ولد في الحرم سنة 544 ، وولى الخلافة بعد مقتل أبيه الظافر في الحرم سنة 549 ، وتوفى في رجب سنة 555 ، عن إحدى عشرة سنة .

(2) يتفق هذا الخبر في جملة ما أورده ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة (310/5 - 311) وإن كان ابن القطان قد انفرد ببعض التفاصيل الجديدة .

باب

ذكر أخبار سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى :

في هذه السنة تحرك سيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله تعالى عنه من مدينة تينملل شرفها الله تعالى . ونزل في بلد بني ملول من منانة الفحص من حاحة ، فزحف تاشفين بن علي بن يوسف من مراكش بالعساكر ومعه البربر (1) ، فنزل بجيشه في تاحكوط من حاحة ، وكانت منانة الجبل قد قتل علي بن يوسف أعيانهم ، فوجدوا ، ثم ارتدوا ، ثلاث مرات ؛ فأقام سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه في بني ملول شهراً وثلاثة أيام يضرب عليهم ويقتلهم قتلاً ذريعاً في وعمرهم العظيم ، فلما اجتمعت الغنائم وما في تلك الخومات من الحلى والثياب والزبيب والعسل والزيت والطعام والحنا وغير ذلك تحرك سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه إلى قبيلة بني وجدزان ، ثم إلى بني سوار من منانة الجبل ، وهم الذين قتل منهم [أبو] بكر بن علي بن يوسف أشياخهم وأعيانهم لأجل توحيدهم في كاسطت من منانة .

ثم سار سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه من بني سوار إلى آجر فرجان ، فتبعه الجسم تاشفين ، وسد (2) له الطريق لئلا ينفذ إلى جبل مزورح حيث الطريق ، فرتب سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه العساكر ، ولحقت به الجيوش من مزورح وغيره بالدرق والرماح ، فكان القتال في آجر فرجان ، فانهزم تاشفين ، وقتل أصحابه كل مقتل ، فضرِبَ أخيبته وقتل ،

(1) في الأصل : اللبثير .

(2) في الأصل : وتمد .

٨٢ أ | فأخرج عنها ، فانهزم ، ثم ضرب أخبثته ثلاث مرات حتى فر . بنفسه إلى جهة الميزتانوت ، فضمت ^(١) السلاح وأحمال الثياب والنبال والحللات والبغال والعبيد والحيوان وغير ذلك .

وكان عسكر جزولة قد وصلوا مدداً لمراكش فتشبطوا بها عن اللحاق بتاشفين ، حتى كانت الهزيمة عليه ، فوصلوا إلى موضع الهزيمة ، وطمعوا أن يستنقلوا ^(٢) الغنيمة وأن يكون لهم أثر يرقع ذلك الخرق ؛ فجعلت لهم الكمائن والخنادق والأوعار ، وقدم سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه الغنائم بين يديه ، وقال للكمائن : إذا سمعتم الطبول فادفعوا .

فضربت جزولة في ساقه الغنيمة ، وقتلوا ناسا ، وطمعوا في أن يحوزوا الغنيمة ، فلما توسطوا الوعر ضربت الطبول ، وخرجت الكمائن فقتلت جزولة عن آخرهم . وأخذت دوابهم وأسلحتهم ، وكانوا آلافاً من الفرسان والرجالة ، وسار أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه على أمسكر ، وظن الجبل الجبل ^(٣) على بلاد جنفيسة ظافراً ظاهراً ، والحمد لله رب العالمين .

وقد قتل في هذه الغزوة غير هذه المساق وإن سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه عزم على أن يبنى حائطاً في أضيق موضع من هذه المضايق يمنع به المثلثين من الانصراف إذا انصرفوا حتى يهلكوا في تلك الهضاب ، فأحس تاشفين بذلك ، فهرب نحو مراكش ، ورجعت عنه جزولة من رجاجة ، وقد أُرْصِدَ لهم في طريقهم عسكر عليه الشيخ أبو حفص أصناج فقتلهم واستاق من خيلهم

إلى تيممل ثلاثة آلاف ^(١) فرس اقتسمها الموحدون أعزهم الله تعالى وقووا بها . ثم ألبت جزولة بعد ذلك ووجدوا ^(٢) .

(١) في الأصل : الألف .

(٢) يكاد ابن القطان ينفرد بهذا الخبر وما تضمنه من تفاصيل حول هذه الغزوة ؛ انظر كذلك

أويني : تاريخ الدولة الموحدية 117/1 - 118 .

(١) كذا ، وربما كانت تحريفاً للفظ : فغتمت .

(٢) في الأصل : يستنفروا .

(٣) كذا في الأصل ، ولم يهد إلى وجهه في تأويلها .

أخبار الأندلس وغيرها في هذه السنة :

منها غزوة الزبير بن عمر⁽¹⁾ ، افتتح فيها حصن مورة .

82 ب | وغزوة عسكر شنترين ويا بورة لعسكر من النصارى * أرادوا دخول بلاد

المسلمين ، فالتقوا على غير وعدة ، فكانت للمسلمين جولة ، ثم كر المسلمون عليهم . فانهزم النصارى - دمرهم الله تعالى - ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأسروا منهم جملة ، واحتوى المسلمون على أسلابهم وأنهاهم .

وغزوة المسلمين للسليطيين⁽²⁾ ؛ وذلك أن اللعين طاغية النصارى السليطيين

(1) في الأصل : الزبير بن عمراني ، والصواب ما أثبتنا ؛ وهو أبو محمد الزبير بن عمر ، كان من أعظم قواد المرابطين في الأندلس ، وكان على ما يذكر ابن الخطيب وزيراً لتاشفين بن علي بن يوسف أثناء عمله على الأندلس ، ووصفه ابن الصيرفي بأنه كان ندرة الزمان كرمًا وبسالة وحزمًا وأصالة (انظر الإحاطة - ط . محب الدين الخطيب - 279/1 ؛ وط . عنان 450/1) ، وقد اشترك في موقعة إفراغة التي هزم فيها المرابطون جيوش ابن رذمير (ألفونسو الأول المعروف بالخباز ملك أرغون) سنة 528 (انظر ابن الأثير : الكامل 351/8) ، ولما استدعى علي بن يوسف ابنه تاشفين من الأندلس ليوليه عهده خلفه على عمل إشبيلية سنة 533 ثم ضم إليه عمل قرطبة ، وظل عليهما حتى استشهد في المعركة التي دارت بينه وبين مونيو أونسو Munio Alonso قائد طليطلة المسيحي ، وذلك في سنة 538 ، وكان الزبير بن عمر عاملاً على قرطبة في سنة 536 بشهادة ابن عبد الملك المراكشي إذ يذكر أنه شهد جنازة الكاتب ابن المرحى المتوفى في قرطبة في 17 من ذى الحجة من هذه السنة (انظر ترجمة ابن المرحى رقم 1080 في المجلد السادس ص 405 ، وتسميه المراجع المسيحية Azuel (انظر « نبذ تاريخية من أخبار البربر » ص 82 ، وأويثي : على ابن يوسف ص 111 ، 113 ؛ وكوديرا : انحلال دولة المرابطين ص 17 ، 27 - 28) وأورد ابن سعيد في المغرب (102/1 ، 242 ؛ 127/2 - 128) أخبار بعض من اتصل به من الشعراء ، ونقل بعض ذلك المقرئ في نفح الطيب (489/3 - 490) ، وكان في قرطبة متنزه مشهور ينسب إليه ويعرف بمية الزبير (النفح 471/1) .

أما هذه الغزوة التي يشير إليها ابن القطان فلم تمدنا المراجع الأخرى بأي شيء عنها .
(2) كنا ، ويفهم من السياق أن العبارة كان يعني أن تكون « وغزوة السليطيين للمسلمين » .

أغزا⁽¹⁾ [أرليه⁽²⁾] في شهر رمضان المعظم من هذه السنة ، فنهدت إليه عساكر الأندلس من جميع أقطارها أجناداً ومطوعة ، ثم كفوا ورجعوا من الطريق ، وأسلموا أهل أرليه⁽²⁾ ، فحلت بهم الفاقة ، وقطع عنهم الماء ، واشتد بهم الحصار ، فأسلموا الحصن للنصارى .

وفي هذه السنة هلك سير بن علي بن يوسف في آخر صفر⁽³⁾ وكان علي بن يوسف قد فتن به وقدمه ولي عهده ، ولم يكن أهلاً لشيء ، فعكف⁽⁴⁾ على البطالة ، ودخل متسوراً⁽⁵⁾ على أخيه عمر يريد زوجته ، فجرح جراحة سجلت منيته ، فجزع عليه أبواه .

وفيهما كانت ولاية تاشفين بن علي بن يوسف للعهد كما كان أخوه سير قبله في الثامن من شهر ربيع الآخر .

وفيهما كانت ولاية الزبير بن عمر لقرطبة⁽⁶⁾ وغرناطة .

(1) إضافة يقتضها السياق .

(2) في الأصل : إربليه ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، وإنما يعني القلعة التي كانت تسمى Aurelia والتي أصبح اسمها الإسباني بعد ذلك Oreja ؛ وهذه الغزوة لا نعرف عنها شيئاً في المراجع العربية الأخرى ، فابن القطان هو أول من أمدنا عنها ببيان ، أما المراجع المسيحية فقد أفاضت في الحديث عنها معتبرة إياها من أكبر انتصارات الجيوش النصرانية على المرابطين . وتشير إليها الحوليات الطليطلية « Anales Toledanos » فتقول إن الامبراطور (أي ألفونسو السابع ملك قشتالة الذي تسميه المراجع العربية السليطيين) اقتحم أرض المسلمين واستولى على أرليه المذكورة ، كذلك تشير إلى هذه الغزوة « حوليات الامبراطور Cronica del Emperador » (انظر كوديرا : انحلال دولة المرابطين ص 26) .

(3) حول مصرع سير وأقوال المؤرخين في كيفية وقوعه ، وهي أقوال قطع ابن القطان الجدال فيها بهذا النص الصريح انظر مقالنا « وثائق تاريخية جديدة » ص 133 .

(4) في الأصل : فعكف .

(5) في الأصل : مقصوراً .

(6) في الأصل : للقرطبة .

وفيهما وقع الحريق في سوق مدينة فاس . واحترق من رأس عقبة الخرازين إلى باب (1) واحترق سوق الثياب والقراطين (2) وغير ذلك (3) من الأسواق إلا البقالون ، وكان ذلك في أول الليل . فتلقت فيه أموال جلييلة . وافتقر فيه خلق كثير . فاشتد القاضي علي بن سليمان على أهل الريبة حتى رجع بعض الشيء من أيديهم .

* * *

المصادر والمراجع المستخدمة في الدراسة والتحقيق

- (1) كلمة مطموسة لم نستطع تبينها .
- (2) القراقون هم باعة الأقواق - جميع قرق (بضم القاف وسكون الراء) وهو ضرب من الأخفاف أو الصنادل . انظر حول هذا اللفظ ومشتقاته ما كتبه دوزى في ملحق القواميس العربية 334/2 والمقال القيم الذي اختصه به الباحث الأستاذ خايمه أوليفر أسين تحت عنوان « القرق في الأندلس » : (Jaime Oliver Asin : « Quercus » en la Espanā Musulmana) - مجلة الأندلس ، المجلد الرابع والعشرين ، سنة 1959 ، ص 125 - 181 .
- (3) كلمتان مطموستان لم نتمكن منهما شيئا .

المصادر والمراجع المستخدمة في الدراسة والتحقيق

1- المصادر

ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي) :

- إعتاب الكتاب ، تحقيق الدكتور صالح الأشر ، دمشق 1961

- التكملة لكتاب الصلة ، نشر فرانسيسكو كوديرا ، مدريد 1887 - 1889

- الحلة السيرة ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة 1963

- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي ، نشر كوديرا ،

مدريد 1885

- المقتضب من تحفة القاد ، تحقيق إبراهيم الإياري ، القاهرة 1957

ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي الكرم) :

- الكامل في التاريخ ، القاهرة 1348 - 1353 (1929 - 1934)

أحمد بابا التنبكتي (أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر) :

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج (علي هامش « الديباج المذهب » لابن

فرحون ، القاهرة 1351 (1932)

أحمد بن حنبل الشيباني :

- المسند ، القاهرة 1311 (1893)

الإدريسي (الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد) :

- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذة من كتاب

« نزهة الآفاق في اختراق الآفاق » ، بتحقيق رابنهارت دوزي

ودي خويه ، 1866

الإصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين القرشي) :

الأغاني ، ط . دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة 1923

الخطاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) :

الصحیح ، القاهرة 1312 (1894)

ابن بسام (علي بن بسام الشنتري) :

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ،

بيروت 1979

ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن أحمد بن عبد الملك) :

- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ، نشر عزت العطار

الحسيني ، القاهرة 1955

البهقي (أبو بكر الصنهاجي) :

- أخبار المهدي ابن تومرت ، تحقيق ليفي بروفنسال ، باريس 1928

(ومعه قطعة من المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة

الأصحاب)

ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) :

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ط . دار الكتب المصرية ،

القاهرة 1929 - 1949

ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي) :

- الإصابة في تمييز الصحابة ، القاهرة 1352 (1933)

ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) :

- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، القاهرة

1971

ابن حمادة (أبو الحسن علي بن حمادة الصنهاجي) :

النبد المحتاجة في أخبار صنهاجة

أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، نشر فوندرهايدن ، الجزائر 1927

الحميدى (أبو عبد الله محمد بن فتوح) :

- جذوة المقتبس ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، القاهرة 1952

الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم) :

- صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب « الروض المعطار في خبر

الأقطار ») تحقيق ليفي برونسسال ، القاهرة 1937

الخزرجي (أحمد بن عبد الله) :

- خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال ، القاهرة 1322 (1904)

الخطيب البغدادي (أبو بكر محمد بن علي) :

- تاريخ بغداد ، القاهرة 1931

ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي) :

- الإحاطة في أخبار غرناطة ، نشر محب الدين الخطيب ، القاهرة 1319

- الإحاطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، ط . الخانجي ، القاهرة

1975 - 1973

- أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام ، القسم

الخاص بتاريخ الأندلس ، تحقيق ليفي برونسسال ، بيروت 1956

- أعمال الأعلام ، القسم الثالث الخاص بتاريخ المغرب (نشر تحت

عنوان تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط) ، تحقيق الدكتور

أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، الدار البيضاء 1964

ابن خفاجة (أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة الشقري) :

- ديوانه ، تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي ، القاهرة 1960

ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد) :

- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، القاهرة 1284 (1867)

ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) :

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ،

بيروت 1968 - 1972

أبو داود (سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني) :

- السنن ، القاهرة 1348 (1929)

ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن الحسن الكلبي) :

- المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق الأستاذ إبراهيم الإياري ،

القاهرة 1954

ابن أبي دنيار (محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني) :

- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس 1286 (1869)

الذهبي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز) :

- تذكرة الحفاظ ، حيدرآباد الدكن 1333 - 1334 (1914 - 1915)

ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق) :

- العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين

عبد الحميد ، القاهرة 4391

ابن الزبير (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم) :

- صلة الصلة ، القسم الثاني ، تحقيق ليفي برونسسال ، الرباط 1937

ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي) :

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة

فاس ، ط . دار المنصور ، الرباط 1973

الزركشي (محمد بن إبراهيم اللؤلؤي) :

تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تونس 1289 (1872)

السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي) :
- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح

محمد الحلو ، القاهرة 1967

ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي) :
- المغرب في حلى المغرب ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة

1955 - 1953

السلوي (أحمد بن خالد الناصري) :
- الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى ، الدار البيضاء 1954 - 1956

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن محمد) :
- الجامع الصغير (انظر عبد الرؤوف المناوي)
- شرح سنن النسائي وعليه حاشية الإمام السندي ، القاهرة 1930

ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن محمد بن أحمد الباجي) :
- المن بالإمامة على المستضعفين ، السفر الثاني ، تحقيق الأستاذ
عبد الهادي التازي ، بيروت 1964

صفوان بن إدريس التجيبي المرسى :
- زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر ، تحقيق عبد القادر محداد ،

بيروت 1949

الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة) :
- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، نشر فرانسسكو كوديرا ،

مدريد 1884 - 1885

العباس بن إبراهيم المراكشي :
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، فاس 1936

ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر الثمري) :
- الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، على هامش الإصابة لابن حجر

العسقلاني ، القاهرة 1358 - 1359 (1939 - 1940)

عبد الرؤوف المناوي :

- فيض القدير في شرح الجامع الصغير للسيوطي ، القاهرة 1938

عبد السلام بن سودة :

- دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، تطوان 1950

عبد الملك بن حبيب :

- التاريخ الكبير ، مخطوطة المكتبة البودليانية بأوكسفورد ، برقم 127
(وانظر محمود علي مكي : مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي
في المراجع الأوربية)

ابن عبد الملك المراكشي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري) :
- الذيل والتكملة لكتاني الموصول والصلة :

- بقية السفر الرابع والسفر الخامس ، تحقيق الدكتور إحسان
عباس ، بيروت 1964 - 1965

- السفر السادس ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت
1973

- السفر الثامن ، تحقيق الدكتور محمد بنشريفة ، الرباط
1984

ابن عبد المنعم (انظر الحميري)

عبد الواحد المراكشي :

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ،
القاهرة 1963

ابن عذاري المراكشي :

- البيان المغرب في أخبار المغرب :

المجلدان الأول والثاني ، تحقيق ليفي بروفنسال وجورج كولان ،
باريس 1948

- المجلد الثالث الخاص بملوك الطوائف ، نشر ليفى بروفنسال ، باريس

1930

- المجلد الرابع الخاص بالمرايطين ، نشره أويش في مجلة إسبريس ثم أعاد نشره الدكتور إحسان عباس ، بيروت 1967

ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد) :

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مكتبة القدسي ، القاهرة

1350 (1931)

علي بن يوسف الحكيم :

- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تحقيق الدكتور حسين

مؤنس ، مدريد 1960

الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله) :

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ،

الجزائر 1910

الفتح بن خاقان :

- قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، ط . القاهرة 1283 (1866)

ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد) :

- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، القاهرة 1351 (1932)

ابن القاضي (أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي) :

- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، ط .

فاس الحجرية سنة 1309 (1892) وطبعة دار المنصور ، الرباط 1973

ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري) :

- قطعة من كتاب « الاكتفا في أخبار الخلفاء » حققها الدكتور أحمد

مختار العبادي ونشرها بعنوان « تاريخ الأندلس » ، مدريد 1971

ابن ماجة القزويني (أبو عبد الله محمد بن يزيد) :

سنن المصطفى ، القاهرة 1349 (1930)

مجهول :

- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق الدكتور سهيل زكار

والأستاذ عبد القادر زمامة ، الدار البيضاء 1979

مجهول :

- مفاخر البربر ، نشر ليفى بروفنسال بعنوان « نبذ تاريخية جامعة في

أخبار البربر في القرون الوسطى » ، الرباط 1934

مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، نشر ليفى بروفنسال ،

الرباط 1941

محمد بن تاويت :

- محاضرات في تاريخ التشريع الإسلامي ، تطوان 1961

محمد بن تومرت المهدي :

- أعز ما يطلب ، نشر لوسياني Luciani وتقديم جولدتسيهر I. Goldziher ،

الجزائر 1903

محمد بن جرير الطبري :

- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ،

القاهرة 1979

مسلم بن الحجاج القشيري :

- الجامع الصحيح ، القاهرة 1933 (1915)

المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني) :

- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق الدكتور إحسان

عباس ، بيروت 1968

المقريري (تقي الدين أحمد بن علي) :

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة 1324 - 1326

(1906 - 1908)

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، القاهرة 1387 (1967)

الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري) :

- مجمع الأمثال ، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة

1955

النباهي (أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي المالقي) :

- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، نشره ليفى بروفنسال

بعنوان تاريخ قضاة الأندلس ، القاهرة 1949

النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب) :

- السنن ، بشرح السيوطي وحاشية الإمام السندي ، ط . القاهرة

1930

النووي (محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني الشافعي) :

- تهذيب الأسماء واللغات ، ط . القاهرة ، المطبعة المنيرية ، بدون تاريخ

النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) :

- نهاية الأرب في فنون العرب ، الجزء الخاص بتاريخ المغرب والأندلس ،

نشر وترجمة المستشرق جاسبار رميرو Gaspar Remiro في مجلة المركز

التاريخي للأبحاث الخاصة بمملكة غرناطة Centro de Estudios

Historicos del Reino de Granada, 1917 - 1919

الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى التلمساني) :

المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس

والمغرب ، بيروت 1981

2- المراجع العربية

أ - كتب :

حسن إبراهيم حسن :

تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة 1958

حسن أحمد محمود :

قيام دولة المرابطين ، القاهرة 1957

- حسن حسني عبد الوهاب :

الإمام المازري ، تونس 1955

- محمد المنوني :

العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، تطوان 1950

ب - أبحاث ومقالات :

دكتور أحمد مختار العبادي :

- دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية

وأهميته في تاريخ المرابطين والموحدين ، مجلة تطوان العدد

الخامس سنة 1960

دكتور حسين مؤنس :

- الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين مع أربع وثائق

جديدة ، مجلة كلية الآداب بالقاهرة ، المجلد الحادي عشر ،

الجزء الثاني ديسمبر 1949 ص 91 - 143

- نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد الثالث ،

سنة 1955 ص 97 - 140

- سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس ،

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد الثاني ،

سنة 1954 ص 57 - 84

دكتور عبد العزيز الأهواني :

- ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة ،

مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، مايو 1957

دكتور محمود علي مكي :

- التشيع في الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية

بمدريد ، المجلد الثاني سنة 1954

- مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي

(انظر قائمة المراجع الأوربية)

- وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد

الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلدان السابع والثامن

1959 - 1960 ص 109 - 198

ج - كتب مترجمة :

- يوسف أشباح :

تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة الأستاذ

محمد عبد الله عنان ، القاهرة

- أنخل جونثال بالثيا :

تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ،

القاهرة 1955

2- المراجع الأوربية

- Aguado Bleye, Pedro :

Manual de historia de España, Espasa-calpe, Madrid, 1947 .

أجوادو بلييه ، بدرو : موجز تاريخ إسبانيا ، مدريد 1947

- Alarcon, Maximilano :

Lámpara de 105 principes, de Abu Bakr al-Turtusi, Madrid, 1930

الآركون ، مكسيميليانو : ترجمة إسبانية لكتاب « سراج الملوك » لأبي بكر

الطرطوشي ، مدريد 1930

- Bel, Alfred :

Les Benou Ghanya, Paris, 1903

بيل ، ألفريد : بنو غانية ، باريس 1903

- Bosch Vila, Jacinto :

Los almoravides, Tetuan, 1956

بوسك فيلا ، خاينتو : المرابطون ، تطوان 1956

- Brockelmann, Carl :

Geschichte der Arabischen Literatur, ed. Leyden, 1943

بروكلمان ، كارل : تاريخ الأدب العربي ، ليدن 1943

- Brunswick, Robert :

Un Aspect de la littérature historico-géographique de l'Islam, Mélanges Gaudetfr:

Demombynes, Le Caire, 1936 - 1945

برونشفيج ، روبر : مظهر من مظاهر الأدب التاريخي الجغرافي في الإسلام ،

بحث في مجموعة الدراسات المهداة لذكرى جودفروا ديمومبين ،

القاهرة 1936 - 1945

دولة الموحدين ، مجموعة الدراسات المهداة للذكرى بانيه ،

باريس 1925 ص 335 - 393

Notes d'histoire almohade, Hespérès, 1930

(ملاحظات حول تاريخ دولة الموحدين ، مجلة إسبيريس 1930)

- Pons Boigues, Francisco :

Ensayo biobibliográfico sobre los historiadores y geógrafos árabe-españoles,

Madrid, 1898

(فرانسيسكو بونس بويجس : المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون ، مدريد

(1898)

- Menéndez Pidal, Ramón :

La España del Cid, Madrid, 1947

(رامون منندث بيدال : إسبانيا في عصر السيد ، مدريد 1947)

- Oliver Asín, Jaime :

Quercus en la España Musulmana, Al-Andalus, Vol. xxiv, 1959, pp. 125 - 181

(خايمة أوليفر أسين : القرق في الأندلس ، مجلة الأندلس ، المجلد الرابع

والعشرون ، سنة 1959 ص 125 - 181)

- Henri Terrasse & Basset :

Sanctuaires et forteresses almohades,

(هنري تيراس وباسيه : المشاهد والقلاع الموحدية)

- Makki, Mahmud A. :

Egipto y los orígenes de la historiografía árabe-española, Revista del instituto Egipcio

de Estudios islámicos en Madrid, vol. v, 1957, pp. 157 - 248

(محمود مكى : مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي ، صحيفة معهد

الدراسات الإسلامية بمطريد ، المجلد الخامس 1957 ص 157 - 248)

Calera, Francisco :

Estudios Críticos sobre la historia árabe-española, Vol. ix, Zaragoza, 1917

فرانسيسكو كوديرا : دراسات نقدية عن تاريخ الأندلس ، المجلد التاسع ، 1917

Decadencia y desaparición de los almorávides, Zaragoza, 1899

Dozy, Reinhardt :

Supplément aux dictionnaires arabes, Paris-Leyden, 1927

رينهارت دوزي : ملحق القواميس العربية ، باريس - ليدن 1927

Recherches sur L'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge, Leyden,

1881

أبحاث حول تاريخ إسبانيا وأدبها خلال العصور الوسطى

Ferriol :

Les ruines de Tinmel Hespérès, 1922

فيربول : أطلال تينمل ، مجلة إسبيريس 1922

- Gaspar Remiro, Mariano :

Historia de Murcia Musulmana, Zaragoza, 1905

جاسبار ريميرو : تاريخ مرسية الإسلامية ، سرقسطة 1905

- Huici Miranda, Ambrosio :

Historia política del imperio almohade, Tetuan, 1956

(أويشي ميراندا ، أمبروسيو : التاريخ السياسي لدولة الموحدين ، تطوان 1956)

Las grandes batallas de la Reconquista, Madrid, 1956

(المعارك الكبرى في حرب الاسترداد المسيحي ، مدريد 1956)

Ali b. Yusuf y sus empresas en al-Andalus, en Tamuda, Tetuan, 1959, pp. 77 - 122

(علي بن يوسف وأعماله في الأندلس ، مجلة تامودا ، 1959 ص 77 - 122)

- E. Lévi-Provençal :

Six fragments inédits d'une chronique anonyme du début des Almohades, Mélanges

René Basset, Paris, t. 11, pp. 335 - 391

(ليفي بروفنسال : ست قطع مخطوطة من تاريخ مجهول المؤلف حول بداية

الفهارس

- 1- فهرس الآيات القرآنية
- 2- فهرس الأحاديث النبوية
- 3- فهرس الشعر
- 4- فهرس أسماء الأعلام
- 5- فهرس الأعلام الجغرافية والقبائل والطوائف والفرق
- 6- فهرس أسماء المؤلفين
- 7- فهرس أسماء الكتب العربية والأوربية

فهرس الآيات القرآنية

- « الآن حصحص الحق » سورة يوسف ، آية 51 ص 120
- « الأعراب أشد كفراً ونفاقاً » سورة التوبة ، آية 97 ص 117
- « الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه » سورة الزمر ، آية 18 ص 119
- « إن النفس لأماراة بالسوء » سورة يوسف ، آية 53 ص 103، ص 120
- « إنما المؤمنون إخوة » سورة الحجرات ، آية 10 ص 202
- « فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً » سورة العنكبوت ، آية 14 ص 120
- « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر » سورة المجادلة ، آية 22 ص 98
- « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » سورة الأنفال ، آية 63 ص 118
- « ليميز الله الخبيث من الطيب » سورة الأنفال ، آية 37 ص 147
- « من يهد الله فهو المهتد » سورة الكهف ، آية 17 ص 119
- « منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » سورة آل عمران ، آية 110 ص 147
- « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » سورة الشعراء ، آية 215 ص 191
- « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا » سورة البقرة ، آية 89 ص 108
- « ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » سورة الجاثية ، آية 18-19 ص 99
- « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار » سورة هود ، آية 113 ص 98
- « ولا تطع الكافرين والمنافقين » سورة الأحزاب ، آية 4، 48 ص 98
- « ولا تطع كل حلاف مهين » سورة القلم ، آيات 10-13 ص 98
- « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » سورة الكهف ، آية 28 ص 98
- « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ... » سورة الأنبياء ، آية 105 ص 117
- « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ... » سورة الحج ، آية 40 ص 100
- « وما ينطق عن الهوى ... » سورة النجم ، آية 3-4 ص 106
- « ومن يتوهم منكم فإنه منهم » سورة المائدة ، آية 51 ص 98
- « ومن يتوهم فأولئك هم الظالمون » سورة الممتحنة ، آية 9 ص 98
- « ومن يضلل الله فلن تجد له ولية مرشداً » سورة الكهف ، آية 17 ص 103

- « ومن يحسب إنما فإثماً يحسبه على نفسه » سورة النساء ، آية 111 ص 130
 « يا أيها النفس المطمئنة ... » سورة الفجر ، آيات 27-30 ص 163
 « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا ... » سورة آل عمران ، آية 149 ص 98
 « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » سورة التوبة ، آية 121 ص 99
 « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ... » سورة الممتحنة ، آية 1 ص 98
 « يخادعون الله والذين آمنوا ... » سورة البقرة ، آية 9 ص 192

فهرس الأحاديث النبوية

- « إذا اختلف الناس فالعدل في مضر » ص 171
 « أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون بعدى ... » ص 95
 « إن طالت لك مدة أو شكت أن ترى قوماً ... » ص 80
 - « إن في أمتي محدثين وإن عمر منهم ... » ص 147
 - « إن في أمتي المهدي ... » ص 110
 - « إنما يرحم الله من عباده الرحماء » ص 191
 - « بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ... » ص 96
 - « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ... » ص 97
 - « الحب والبغض في الله من علامات اليقين » ص 98
 - « الحلال بين والحرام بين ... » ص 198
 - « خالفوا اليهود وخالفوا المشركين ... » ص 97
 - « الخمر جماع الإثم » ص 197
 - « خير القرون الذي أنا فيه ... » ص 181
 - « صنفان من أهل النار لم أرهما ... » ص 80
 - « على المرء السمع والطاعة ، أمرت أن أقاتل الناس ... » ص 99
 - « على المرء السمع والطاعة ، ما لم يؤمر بمعصية ... » ص 99
 - « فليزاد رجال عن حوضي كما يزداد البعير الضال ... » ص 95
 - « لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي ... » ص 109
 - « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق ... » ص 171
 - « لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ... » ص 95
 - « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ... » ص 97
 - « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم ... » ص 109
 - « ما أسكر كثيره فالجرعة منه حرام » ص 198
 - « ما من نبي بعثه الله في أمة قبل ... » ص 100

- « المسلمون تنكافأ دماؤهم ... » ص 106
 « من قتل عصفوراً بغير حق عبثاً ... » ص 107
 « المهدي من عترتي من ولد فاطمة ... » ص 109
 « وددت أني قد رأيت إخواننا ... » ص 111
 « يسروا ولا تعسروا ... » ص 112
 « يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل هارباً من أهل المدينة ... » ص 113
 « يكون المهدي في أمتي سبعاً إن قصر ... » ص 112

فهرس الشعر

- « قالت لي النفس إني في أذى وقذى »
 « فقلت صبراً وإجمالاً كذا يجب »
 من بحر البسيط - مجهول القائل ص 102
 « فعاجوا فأنثوا بالذي أنت أهله »
 ولو سكتوا أنثت عليك الحقائق
 من بحر الطويل - لنصيب بن رياح ص 213
 « بث الصنائع لا تحفل بموقعها »
 لآمل شكر الإحسان أو كفرا
 من بحر البسيط - لأبي الحسن ابن سراج ص 75
 « لعمري لقد لاحت عيون كثيرة »
 إلى ضوء نارٍ باليفاع تحرق
 من بحر الطويل - للأعشى ص 175
 « بخليفة المهدي سيدنا اغتدى »
 نهج العلوم معبداً ومذلاً
 من بحر الكامل - لابن جبوس الفاسي ص 174
 « صاحب المهدي يأتي بعده »
 خيرة الأعراب طراً والعجم
 من بحر الرمل - منسوب لعبد الملك بن حبيب ص 183
 « أقول لنفسي حين فاجأها الردى »
 ولأذت فراراً من يسار إلى يمنى
 من بحر الطويل - مجهول القائل ، لعله لابن طاهر المرسى ص 102

ويرجع الأمر إلى عدنان
لماجد قد خص من عيلان

- ص 182 من بحر الرجز - منسوب لابن عبد ربه
- جاء وفي يساره قوس وفي اليمنى قدح
- ص 39 من مجزوء الرجز - لأبي بكر ابن مجبر المرسى
- إذا رتل القرآن في جنح ليله ألى بن كعب لم يغن غارق
- ص 23 من الطويل - مجهول القائل ، تمثل به ابن القطان
- ألا فاقدروا قدر هذا المقام فهذا الإمام وهذا الإمام
- ص 21 من المتقارب - لابن القطان

فهرس الأعلام

(الهجرة) (*)

- أبو على أو أبو العباس (صاحب الخليفة
الحافظ الفاطمي) 221 / 219 / 218
- 233 - أحمد بن تومرت الكفيف (أخو محمد بن
تومرت المهدي) 123
- أحمد بن جعفر بن محمد بن عطية / أبو جعفر
210 / 209 / 188 / 179 / 178 / 47
- 211 - أحمد بن سلمة الأنصاري اللوزي 30
- أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن يوسف بن
هود 229 / 32
- أحمد بن عبد المؤمن بن علي / السيد
أبو العباس 208
- أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد (أبو القاسم)
قاضي الجماعة بقرطبة 256 / 243
- أحمد بن محمد بن حمد بن / أبو القاسم (قاضي
الجماعة بقرطبة) 74
- أحمد بن المستنصر / أبو القاسم (المستعل
الفاطمي) 219 / 79 / 75 / 42
- 231 - أحمد بن المقتدي عبد الله / أبو العباس
(المستظهر العباسي) 75 / 69
- أحمد بن يزيد بن مخلد القرطبي / أبو القاسم
21
- ابن الأحمر 32
- الأمر بأحكام الله انظر : منصور بن
أبي القاسم المستعلي
- الإباضي / أبو حاتم 41
- إبراهيم بن جامع (من الغراء - من طبقات
الموحدين) 209 / 85
- إبراهيم بن خلف الغساني السنبوري /
أبو إسحاق 28
- إبراهيم بن سليمان الجفيسي / أبو إسحاق
(من أهل الخمسين - من طبقات
الموحدين) 85
- إبراهيم بن عبد المؤمن / السيد أبو إسحاق 207
- أبو إبراهيم الهزرجي (انظر : إسماعيل بن
يسلاي إبيح) 207 / 165
- إبراهيم بن همشك 207 / 165
- إبراهيم بن يوسف بن تاشفين / ابن تاعيش
أو تعيش 234 / 131 / 130
- أبي بن كعب (الصحابي) 23
- أجداي ر عامل المرابطين على إشبيلية (149 /
215 / 154 / 150
- الأحدث انظر : يوسف بن محمد بن المعز
/ أبو الحجاج
- الأحسن بن علي (من أهل العشرة / من
طبقات الموحدين) 125
- أحمد بن الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي /

(*) هذا الفهرس للأعلام الذين وردت أسماءهم سواء في متن الكتاب أو في حواشيه ، مرتباً على حروف المعجم ،
بعد حذف كلمات أب وابن وأداة التعريف وقد أدخلت فيه الكني والأنساب والألقاب .

- أخيل بن إدريس الرندي (من كتاب عبد المؤمن ابن علي ، 210 / 211)
إدريس بن إبراهيم بن جامع (وزير عبد المؤمن ابن علي) 209
إدريس بن إدريس بن عبد الله (ثاني أمراء الأدارسة بالمغرب الأقصى) 111 / 181
إدريس بن عبد الله بن الحسن (مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب) 111 / 181
إدريس (المؤمن) أبو العلاء 24 / 25 / 37 / 26
إدريس (الوائلي) / أبو العلاء - أبو دبوس 34 / 35 / 36
إدريس بن يحيى الحمودي 43
أد فونش انظر =
ألفونسو الأول (المحارب / ابن رذمير)
ألفونسو السادس
ألفونسو السابع (السليطين)
ألفونسو التاسع
أراكة (ملكة قشتالة وليون بنت ألفونسو السادس وأم ألفونسو السابع) 64 / 155
أسامة بن منقذ (الوزير الكاتب في دولة الفاطميين) 260 / 261
أبو إسحاق بن دائية (قائد مرابطي) 76
إسحاق بن أبي زيد / أبو إبراهيم (من القبائل من طبقات الموحدين) 85
إسحاق بن عمر الهنتاتي / أبو يعقوب (من مشايخ هنتاتة) 134
إسحاق بن محمد الصنهاجي (من أهل الخمسين) 85
إسحاق المرغني (من أهل الخمسين) 84
- إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن / أبو إبراهيم 214
إسحاق بن يونس المسكوري (من أهل الخمسين) 85
الأسقف انظر : بهرام الأرمني
إسماعيل بن عبد الجيد الحافظ (الطافه العاطمي) 258 / 259 / 260 / 261 / 262
إسماعيل بن عبد المؤمن بن علي / السيد أبو إبراهيم 207
إسماعيل بن محمد بن عباد 42 / 43 / 45
إسماعيل بن يسلاي لإيجج / أبو إبراهيم المرزجي (من أهل العشرة) 126 / 163 / 170 / 236
الأشعري / أبو الحسن 175
الأشيري انظر : الحسن بن عبد الله / أبو علي الأشيري
ابن أصلماط 33
ابن أضحى (الثائر على المرابطين في غرناطة) 253
الأعرج / أبو زيد 36
الأعشي (الشاعر الجاهلي) 175
الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي (صاحب الأمر الفاطمي) 75 / 79 / 143 / 144
البرهانش (القائد القشتالي) 63 / 64
ألفونسو الأول (المحارب) / ابن رذمير (ملك أرغون) 64 / 65 / 66 / 149 / 151 / 152 / 153 / 154 / 243 / 244 / 245 / 246 / 247 / 248 / 266
ألفونسو السادس (أذفونش الطاغية ملك قشتالة) 63 / 64 / 65 / 153 / 155

- ألفونسو السابع (السليطين ملك قشتالة) 153 / 155 / 216 / 229 / 266 / 267
ألفونسو التاسع 17
إمام الحرمين انظر : عبد الملك بن عبد الله الجويني / أبو المعالي (الباء)
البابوج (ملك ليون) 17
ابن باجة السرقسطي (الفيلسوف) 216
الباجي (انظر : سليمان بن خلف / أبو الوليد) الفقيه 91 / 143
أبو النجوم الباجي 52 / 54
باديس بن حبوس (ملك غرناطة) 43
باديس بن المنصور بن الناصر بن علاء الناس أو علناس (صاحب بجاية) 76
البرشلوني (انظر : ريمند بن برنجار)
برغش / العادل (من خدام الخليفة الفاطمي الأمر) 145
برغوارد / حرز الملوك أو هزار الملوك أو هزير الملوك جوامرد (أحد خدام الخليفة الأمر الفاطمي) 145 / 218 / 221 / 233
البشير الوشرشي (انظر : عبد الله بن محسن / أبو محمد) 44 / 125 / 126 / 146 / 147 / 157 / 161 / 165
ابن البقار انظر : أبو عبد الله
ابن البقال (انظر : سليمان بن مخلوف الحضري الهواري / أبو الربيع أو ابن تاعظيم - من أهل العشرة) 127
أبو بكر بن إبراهيم المسوفي الصحراوي (عامل المرابطين على مرسية وبلنسية وسرقسطة)
ابن تيفلوت 216 / 253
أبو بكر بن الجوهري (من قواد المرابطين)
- 255
أبو بكر الحصار (من رجال الموحدين) 179
أبو بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين (بكو أو بكور) ولي عهد علي بن يوسف 149 / 150 / 153 / 155 / 157 / 166 / 263
أبو بكر بن القبطورنه 243
أبو بكر بن أبي قحافة (خليفة رسول الله ﷺ) 99 / 111
أبو بكر بن اللمطي (قائد مرابطي) 223
أبو بكر بن محمد (انظر : أبو بكر بن بندوج)
أبو بكر بن ميمون (من طلبة الموحدين) 20 / 212
أبو بكر بن ناصر 151
أبو بكر بن واسينو (قائد مرابطي) 76
أبو بكر بن ورييل (انظر : سير بن ورييل) قائد مرابطي 129 / 133 / 136 / 164 / 225
أبو بكر بن ورسوال أو وزروال (قائد مرابطي) 223 / 224
أبو بكر بن ييجت / أبو يحيى (من أهل الخمسين) 84
أبو بكر اليعمري الويزي (شاعر موحدي) 165
أبو بكر بن بندوج (أبو بكر بن محمد اللمتوني) قائد مرابطي 156 / 157
بلار بنت القاسم بن تميم بن المعز الصنهاجي (زوجة ابن السلا) 258
بلج بن بشر القشيري 41
بهرام الأرمني / الأسقف (صاحب الحافظ الفاطمي) 219 / 220 / 221

- ابن بعلير : انظر : محمد بن أحمد بن خلف
التجسبي (ابن الحاج)
(الفاء)
التادلي : انظر : (أبو محمد التادلي)
- تاشفين بن سليمان (عامل مرابطي على قرطبة)
68
- تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين (أمير
المسلمين) 148 / 149 / 168 / 178 /
210 / 215 / 216 / 227 / 228 / 241 / 242 /
245 / 251 / 252 / 256 / 263 / 266 / 267
تاشفين بن ماخوخ (من قواد الموحدين)
254
ابن تاعظميت (انظر : سليمان بن مخلوف الحضري)
ابن تاعياشت أو ابن تعيشت : انظر : إبراهيم
ابن يوسف بن تاشفين
التجسبي : انظر : أبو عبد الله 12
ثميم بن علي بن يوسف بن تاشفين (عامل أبيه على
فاس) 154 / 155 / 156 / 216
ثميم بن المعز بن باديس الصنهاجي (أمير
إفريقية) 69 / 75 / 92
ثميم بن يوسف بن تاشفين 63 / 64 / 65 / 156
توجين (قائد مرابطي) 237
ابن تومرت : انظر : أحمد بن تومرت
- ابن تيفلوت : انظر :
- أبو بكر إبراهيم المسوفي الصحرأوي
(عامل المرابطين على مرسية وبلنسية
وسرقسطة)
- عبد الله بن يحيى بن أبي بكر بن
إبراهيم (قائد عسكر الغرب
للمرابطين) 253
(الجيم)
جابر بن عبد الله (الصحابي) 94

- (ابن القطان المؤلف) 15 / 27 /
29 / 30 / 31 / 32 / 36 / 37 / 38 / 39 /
40 / 42 / 44 / 45 / 46 / 47 / 48 / 49 / 50 /
54 / 53
- الحسن بن علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي
(أمير إفريقية) 78 / 145 / 151 /
166 / 217 / 257 / 262
- أبو الحسن بن كوثر 12
- أبو الحسن بن مؤمن 12
- أبو الحسن بن النقرات 12
- الحسين بن علي بن عبد الملك / أبو عبد الله
(ابن القطان) 15 / 28
- الخطيطة (الشاعر) : انظر : جبرول بن أوس
- أبو حفص بن تفرجين (عامل عبد المؤمن على
مراكش) 123
- حمدين بن حمدين / أبو جعفر (قاضي
الجماعة بقرطبة الناصر على المرابطين)
243 / 245 / 246 / 256
- ابن حمدين : انظر :
- أحمد بن محمد بن حمدين /
أبو القاسم (قاضي
الجماعة بقرطبة)
- محمد بن علي بن حمدين /
أبو عبد الله
- ابن الحنفية : انظر : محمد بن علي بن أبي طالب
- حيدرة بن عبد المجيد الحافظ الفاطمي (ولي
عهد الحافظ) 219 / 220
(الحاء)
- أبو خالد بن رقاعة 12
- الحشني : انظر : أبو ذر الحشني
- ابن أبي الحفص (كاتب علي بن يوسف)
: انظر : محمد بن مسعود الغافقي /
أبو عبد الله (ابن عم يوسف بن
تاشفين
يحيى بن علي بن الحاج / أبو زكريا
(ابن مجوز)
- الحافظ (الفاطمي) : انظر : عبد المجيد
(الحافظ) بن منصور (الأمر) بن
أحمد المستعلي
- حبيب بن هيرة 184
ابن حبيش 71
- حجاج بن يوسف الهواري (من قضاة عبد المؤمن
ابن علي) 210
- أبو حرب الجذميوي (من أهل الخمسين)
85
- حرز الملوك (انظر : برغوارد / أحد خدام
الخليفة الأمر)
- ابن حزمون : انظر : عبد العزيز بن عبيد الله
القرطبي (أبو الأصمغ) (إمام المسجد
الجامع بقرطبة)
- الحسن بن إبراهيم الجذامي / أبو علي 89
- أبو الحسن بن الأشبلي (الخطيب في حضرة
عبد المؤمن) 20 / 212
- أبو الحسن التينمالي (من أهل المشورة السبعة)
86
- الحسن بن عبد الله الأشيري (من كتاب
عبد المؤمن) 210
- حسن بن عبد المجيد الحافظ (الناصر على
أبيه) 219 / 220 / 221
- الحسن بن عبد المؤمن بن علي / السيد أبو علي
207
- الحسن بن علي بن أبي طالب (رضه)
44 / 109 / 110 / 113
- حسن بن علي بن عبد الملك أبو محمد

أبو عبد الله

- ابن خفاجة الشقري (الشاعر الأندلسي)

216 / 130

- خلف الحصري (المشبه بشام المؤيد) 43

- خلف بن والال الهنتاتي (من مشايخ هنتانة)

134

- ابن الخياط انظر : محمد بن سليمان

(الدال)

- دانيال (عم) 184

- ابن دانية انظر : أبو إسحاق بن دانية

- داود بن عاصم الهنتاتي (من أهل الخمسين)

84

- داود بن عبد المؤمن بن علي / السيد أبو سليمان

208

- دغفل بن حنظلة الذهلي السدوسي (النسابة)

175

(الذال)

- أبو ذر الحشني 12

(الراء)

- الراشد العباسي انظر : منصور بن الفضل

ابن الراعي 47 / 38

- الربربر (من قواد المرابطين) 215 / 141

263 / 254 / 238 / 237

- رجاء الثاني (ملك صقلية) 78

- ابن رزمير انظر : ألفونسو الأول

- ابن رشد انظر :

أحمد بن محمد / أبو القاسم

محمد بن أحمد (الحفيد) / أبو الوليد

محمد بن أحمد (الجد) / أبو الوليد

- ابن أبي رنغ (من قواد وعمال المرابطين)

68 / 65 / 63

- رودري جونثالث (القائد النصراني لجيوش

قشتالة)

228 / 227

- الرنسيخ بن بقور (من قواد المرابطين)

137 / 136

- ريمند بن برنجر (الطاغية البرشلوني) قومي

برشلونة 245 / 244

(الزاي)

- الزبير بن عمر اللمتوني (أمير قرطبة - من

قواد المرابطين) 267 / 266 / 242

- ابن زرقون انظر : أبو عبد الله بن زرقون

- زكريا بن عمر القرطبي / أبو الوليد 12

- زكريا بن يحيى بن وسنار / أبو يحيى (من

مشايخ الموحدين) 61

- ابن زهر انظر : أبو مروان عبد الملك

- زيادة الله بن علي الطيني (الأديب الرواية)

183

- أبو زيد بن إسحاق 33

- أبو زيد تيكلمت (عامل المرابطين على قرطبة)

215 / 150

- زيد بن الحواري العمي البصري (قاضي هراة -

المحدث) 110

- زيري بن ماحوخ الزناتي (من مشايخ زناتة من

قواد المرابطين والموحدين) 255 / 254

- زينب بنت تومرت (شقيقة المهدي)

170 / 167 / 123

- زينب بنت موسى بن سليمان التينمالي (زوجة

عبد المؤمن بن علي) 210

(السين)

- سبحان وائل (الخطيب) 175

- سحنون بن غازي الجديوي / أبو علي (من

أهل الخمسين) 127 / 85

- سراج بن عبد الملك بن سراج / أبو الحسن

(الأديب الأندلسي) 74

- سطوح بن ربيعة (الكاهن) 84

- ابن سعادة (الفقيه الأندلسي) 71

- سعد الله الجديوي (من أهل الخمسين)

85

- أبو سعيد ابن جامع 18

- أبو سعيد الحادري (الصحابي) 110 / 109

112

- ابن السقاء 43

- سكاتو (من طلبة الموحدين) 134

86

- سكاتو (من طلبة الموحدين) 134

- ابن السلا انظر : علي بن إسحاق

- السليطين انظر : ألفونسو السابع

- سليمان الجزولي (من الغرباء من طبقات

الموحدين) 85

- سليمان بن خلف التجيبي الباجي / أبو الوليد

(الفقيه) 143 / 91

- سليمان بن عبد الملك بن مروان (الخليفة

الأموي) 213

- سليمان بن عبد المؤمن بن علي / أبو الربيع

207

- سليمان بن مخلوف الحضري الهواري / أبو الربيع

ابن البقال أو ابن تاعظيتم (من أهل

العشرة) 127

- سواجات البرغواطي 43

- السيد القنبيطور (القائد النصراني) 63

74 / 65 / 64

- سير بن علي بن يوسف بن تاشفين 130

148 / 149 / 154 / 249 / 250 / 253

261 / 255

- سير بن فودي (قائد مرابطي) 137 / 136

- سير بن ورييل / أبو بكر (قائد مرابطي)

255 / 164 / 136 / 133 / 129

(الشين)

- شايخ بن أذفونش (ابن ملك قشتالة المقتول في

أقليش) 177 / 66 / 64 / 63

- شايخ الثاني (ملك ليون) 64

- شيت (عم) 185

(الصاد)

- صفية بنت عبد المؤمن بن علي 208

- صلاح الدين الأيوبي انظر : يوسف بن

أيوب

(الطاء)

- طارق بن زياد 41

- الطاغية البرشلوني انظر : ريمند بن برنجر

- ابن طاهر المرسى انظر : محمد بن عبد الرحمن

/ أبو عبد الرحمن (الحفيد) ، محمد بن

أحمد بن إسحاق / أبو عبد الرحمن

(الجد)

- الطيني انظر : زيادة الله بن علي

- ابن الطراوة المالقي 30

- الطرطوشي انظر : محمد بن الوليد الفهري /

أبو بكر

- طلائع بن رزيك (الوزير الفاطمي) الملك

الصالح 261

- ابن الطوير انظر : عمر بن محمد بن علي

الصنهاجي / أبو علي

(الطاء)

- الظاهر الفاطمي انظر : إسماعيل بن

عبد المجيد (الحافظ)

(العين)

عائشة بنت عبد المؤمن بن علي 208

ابن عائشة : انظر : محمد بن يوسف بن تاشفين

العاذل : انظر : برغش العادل / عبد الله العادل

العاذل الفاطمي 261

العباس بن أبي الفتوح الصنهاجي / أبو الفضل

(ربيب ابن السلار) 259 / 258

260 / 261 / 262

أبو العباس بن سلمة اللورقي 12

عبد الحق بن إبراهيم (الفقيه / خصم المهدي بن

تومرت) 83

عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي 13 / 10

عبد الحق بن عبد الله بن معيشة / أبو محمد

(قاضي فاس) 248 / 250 / 252

عبد الحق بن معاذ الزناتي / أبو محمد (من

أهل الخمسين) 85

عبد الرحمن آمازار الجفقيسي / أبو زيد (من

أهل الخمسين) 85

أبو عبد الرحمن التينملي (من أهل الخمسين)

84

عبد الرحمن بن حبيب 41

عبد الرحمن بن داود المرغني / أبو زيد (من أهل

الخمس) 84

عبد الرحمن بن زجو الجفقيسي / أبو زيد (من

أهل الخمسين) 85 / 223 / 236

255

عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الفهمي /

أبو المطرف (ابن الوراق السرقسطي)

151

عبد الرحمن بن سليمان المرغني / أبو زيد (من

أهل الخمسين) 84

أبو عبد الرحمن بن طاهر المرص 47

عبد الرحمن بن عبد المؤمن بن علي / السبا

أبو زيد 802

عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله (الخليفة

الأموي) 182

عبد الرحمن (المستظهر الأموي) بن هشام بن

عبد الجبار 42

عبد الرحمن بن بنومر (من أهل الخمسين)

85

عبد السلام بن محمد الكومي / أبو محمد

(وزير عبد المؤمن بن علي) 209

عبد العزيز بن تومرت (أخو ابن تومرت

المهدي) 123

عبد العزيز التينملي / أبو محمد (من أهل

الخمس) 84

عبد العزيز بن عبد الله الغيفائي / أبو محمد

(من أهل الدار - من طبقات الموحدين)

87 / 239

عبد العزيز بن عبد الله القرطبي / أبو الأصبع

ابن حزمون (إمام المسجد الجامع

بقرطبة) 74

ابن عبد العزيز القاضي / أبو بكر (صاحب

بلنسية 153

عبد الكريم أفغو (من أهل الدار) 87

عبد الكريم بن تماري الجدميوي (من أهل

الخمس) 85 / 127

عبد الله بن إدريس بن إدريس (أمير السوس

الأقصى وجد محمد بن تومرت) 111

أبو عبد الله بن البقار 12

أبو عبد الله النجيب 12

عبد الله أبي بكر بن سير اللعتوني (قائد

مرايطي) 149 / 150

أبو عبد الله بن أبي بكر بن بندوس الهسكوري

(من أهل الخمسين) 85

عبد الله بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين /

أبو محمد (ابن جنونة أو قنونة)

222 / 226 / 227 / 228

عبد الله بن جبل الوهراني / أبو محمد (من

كتاب عبد المؤمن) 20 / 177

210 / 212

عبد الله بن الحاج الجفقيسي (من أهل

الخمس) 85

عبد الله بن رحمن (أو عبد الرحمن) العراقي

(الفقيه الراوية) 72

أبو عبد الله بن زرقون 12

عبد الله بن زهدون (شيخ حضر وقعة إقليش)

178

عبد الله بن سعيد بن أحمد الشنتريني الإشبيلي

/ أبو محمد (ابن يربوع الإشبيلي)

المحدث 151

عبد الله بن سليمان التينملي المسكالي (من

أهل الخمسين - قائد أسطول عبد المؤمن)

186

عبد الله العادل 31 / 24 / 23

عبد الله بن عبد الرحمن المالق / أبو محمد

(من قضاة عبد المؤمن) 177

عبد الله بن عبد الرحمن أو وجليد (والد

المهدي بن تومرت) 88

عبد الله بن عبد المؤمن بن علي / السيد

أبو محمد 206

عبد الله بن عبد الله الهسكوري (من أهل

الخمس) 85

عبد الله بن هروس 12

عبد الله بن عمر بن سير اللعتوني (من قواد

المرايطي) 150

عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضه)

الصحافي 94

عبد الله بن عمرو بن العاص (الصحافي)

94

عبد الله بن فاطمة / أبو محمد (من قواد

المرايطي) 65 / 76

عبد الله بن الفخار 12

عبد الله اللخمي 181

عبد الله بن محسن / أبو محمد (البشير

الونشريشي) 44 / 125 / 126

146 / 147 / 156 / 157 / 161 / 165

عبد الله بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن

(البياسي) 24

عبد الله بن أبي العباس محمد بن القائم بأمر

الله (المقتدي) 69

عبد الله بن همشك 164

عبد الله بن يحيى بن أبي بكر بن إبراهيم (قائد

عسكر الغرب للمرايطي) 253

عبد الله بن يعلى أو يعلا بن الزناتي / ابن ملوية

128 / 162 / 163

عبد الله ينسك التينملي (من أهل الخمسين)

84

عبد الله بن أبي يوسف المريني 34

عبد الله بن يونس 34

عبد المجيد بن الأمر منصور بن المستعل أحمد

(الحافظ الخليفة الفاطمي) 42 /

145 / 148 / 218 / 219 / 220 / 221 / 221

233 / 257 / 258

عبد الملك بن بيضا القيسي / أبو مروان

(قاضي المرايطي على فاس) 248 /

252

- عبد الملك بن جهور (أمير قرطبة) 43
عبد الملك بن حبيب الإليزي / أبو مروان
(الفقيه المورخ الأندلسي) 183
عبد الملك بن زهر / أبو مروان (الطبيب
الأندلسي) 149
عبد الملك بن سراج / أبو مروان (الأديب
الراوية) 143
عبد الملك بن عبد الله الجويني النيسابوري /
أبو المعالي (إمام الحرمين) 175
عبد الملك بن عياش الأزدي البصري القرطبي /
أبو الحسن (من كتاب عبد المؤمن)
210 / 189
عبد الملك بن مروان 29
عبد الملك بن مسعود الغافقي الشقري /
أبو مروان (ابن أبي الخصال) كاتب
على بن يوسف المرابطي 154
عبد الملك بن موسى الوراق 47
عبد الملك بن يحيى الحرغي / أبو مروان (من
أهل الخمسين) 84
عبد المؤمن بن علي الكومي القيسي (خليفة
ابن تومرت المهدي) 48 / 47 / 44 / 20
77 / 78 / 84 / 101 / 102 / 121 / 123 /
125 / 126 / 127 / 133 / 135 / 137 / 146 /
158 / 161 / 162 / 163 / 165 / 170 / 171 /
212 / 224 / 225 / 226 / 236 / 237 / 239 /
240 / 249 / 250 / 251 / 253 / 254 / 255 /
263 / 264
عبد الواحد الرشيد (ابن المأمون) 37
عبد الواحد بن عمر التونسي (من فقهاء
إفريقية - تلميذ ابن تومرت المهدي)
77
عبد الواحد بن عمر (من أهل الدار) 87
- عبد الواحد بن يوسف (أخو المنصور) 23
عبد الله الشيعي المهدي 42
عبد الله بن يوسف الزنالي (من الغرابة) 85
عثمان بن عبد المؤمن بن علي / السيد أبو سعيد
206
- عثمان بن عفان (رضه) 21
- العثالي 18 / 22 / 26 / 31
- العذري (المحدث الجغرافي الأندلسي) 143
- ابن العربي الإشبيلي / أبو بكر (الفقيه القاضي
المحدث) 71 / 101 / 234
- العزفي 34
- العزيز بالله بن المنصور بن الناصر بن علاء
الناس أو علناس (صاحب بجاية)
76 / 93 / 146 / 257
- ابن عطوش 35
- ابن عطية انظر : أحمد بن جعفر بن محمد
ابن عطية
- عطية بن جعفر بن محمد بن عطية القضاعي /
أبو محمد أو أبو عقيل (كاتب
عبد المؤمن) 209 / 210
- عطية (أو ابن عطية) المنجسي / أبو محمد
(من طلبة الموحدين) 20 / 138 /
139 / 226
- عقبة بن نافع 40
- علي بن أحمد بن محمد الجذامي 89
- علي بن إسحاق / أبو الحسن أو أبو منصور
(عامل الإسكندرية ووزير الظافر
الفاطمي) 258 / 259 / 260
- علي بن أبي بكر بن إبراهيم بن تيفلويت / ابن
فانو 253
- علي بن تابشا اللمتوني (من قواد المرابطين)
129 / 133

- علي بن أبي الحسن الجذامي (القاضي -
صاحب ابن تومرت المهدي) 47 / 89
علي بن الحاج / أبو الحسن 153 / 216
علي بن الربرتير (من قواد الموحدين) 141
علي السعيد 32
علي بن سليمان (قاضي فاس) 268
أبو علي الصوفي 89
علي بن أبي طالب (رضه) 42 / 109 / 113 /
113 / 114 / 182 / 183
علي بن عبد الملك بن يحيى الكتامي الفاسي /
أبو الحسن (ابن القطان الأب) 9 /
10 / 11 / 12 / 13 / 14 / 15 / 17 / 18 /
19 / 20 / 21 / 22 / 23 / 24 / 25 / 26 / 27 /
28 / 29 / 30 / 31 / 32 / 39 / 50
- علي بن عبد المؤمن علي / السيد أبو الحسن
207 / 208
- علي بن محمد الجذامي البرجي 89
- علي بن ميمون (قائد البحر المرابطي) 141
- علي بن ناصر الصنهاجي / أبو الحسن (من
أهل الخمسين) 85
- علي بن يا مصل التينملي (من أهل الخمسين)
84
- علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي (أمير إفريقية)
69 / 78 / 92 / 258
- علي بن يندر 34
- علي بن يوسف بن تاشفين (سلطان المرابطين)
43 / 63 / 64 / 65 / 66 / 69 / 70 /
71 / 74 / 76 / 83 / 128 / 130 / 132 /
133 / 136 / 143 / 148 / 149 / 150 / 151 /
152 / 153 / 154 / 155 / 156 / 159 / 160 /
161 / 164 / 165 / 166 / 178 / 215 / 216 /
222 / 223 / 225 / 228 / 234 / 244 / 245 /
246 / 248 / 250 / 251 / 253 / 254 / 256 /
264 / 266 / 267
- علقمة بن عبدة الفحل (الشاعر الجاهلي) 175
- ابن عمار الشليبي / أبو بكر (وزير المعتمد بن
عباد) 101
- عمر بن أبي إبراهيم إسحاق بن يوسف بن
عبد المؤمن (المرتضى) 11 / 26 / 31 /
32 / 33 / 34 / 35 / 36 / 40 / 47 / 49 / 214 /
- عمر أصناج / أبو حفص عمر أو يملوك بن علي
الصنهاجي (من أهل العشرة ووزير ابن
تومرت) 126 / 125 / 127 / 130 /
158 / 163 / 164 / 170 / 236 / 264
- العمران (؟) 138
- ابن أبي عمران التينملي 23 / 24
- عمر بن تورزجين (قائد مرابطي حضر وقعة
إقليمش) 178
- عمر بن تورجير بن يوسف (من قواد المرابطين)
158
- عمر بن الخطاب (رضه) 99 / 147
- عمر بن ديان (قائد مرابطي) 138
- عمر بن سير اللمتوني (قائد مرابطي) 150
- عمر بن عبد المؤمن بن علي السيد أبو حفص
206 / 208 / 210
- عمر بن علي بن الحاج / أبو حفص (ابن مجوز)
153 / 227 / 228
- عمر بن علي بن يوسف بن تاشفين 155 /
216 / 267
- عمر بن فلقول (كاتب العزيز بن علاء الناس
صاحب بجاية) 94
- عمر بن محمد بن علي الصنهاجي / أبو علي
(ابن الطوير) 15
- عمر بن محمد بن علي بن عمار 15

- عمر بن محمد القيسي المراكشي / أبو علي
(ابن القاسي) 30
أبو عمرو (؟) 163
عمر بن يحيى الهنتائي / أبو حفص عمر إيتي
(من أهل العشرة) 125 / 127 /
128 / 134 / 161 / 178 / 207 / 225
عمر بن يثان بن عمران (من رجال
المرايعين) 225
عمرو بن حفص 41
ابن عياش انظر : عبد الملك بن عياش
عياض بن موسى البحصي السبتي (القاضي
عياض) 186
العيس بن ثماري الجديوي / أبو محمد (من
أهل الخمسين) 85 / 127
عيسى / أبو موسى (من أهل الدار) 87
عيسى بن أبي منصور إسماعيل الظافر بن
عبد المجيد (الفائز الفاطمي) 262
عيسى بن تومرت (أخو المهدي) 123
عيسى بن ريعان الأزدي 41
عيسى بن عبد العزيز الجزولي / أبو موسى
(العالم المغربي) 66
عيسى بن عبد المؤمن بن علي / السيد أبو موسى
208
عيسى بن مريم 25
(الغين)
الغازي بن قيس القرطبي (الفقيه الأندلسي)
182
غالب بن عطية الغرناطي / أبو بكر (المحدث
الأندلسي) 143
ابن غانية انظر : محمد بن علي بن غانية
، يحيى بن علي بن غانية
غرساردونس (الفم المعوج) من قواد قشتالة

- الفلاكي 132 / 133 / 223 / 224 / 231
فليح / أبو محمد 12
الفم المعوج انظر : غرسا ردونس
ابن فورنش / أبو محمد 143
(القاف)
- القاسم بن إبراهيم العلوي / القاسم الأكبر
180
- القاسم بن حمود 42
- القاسم بن محمد التيملي (من أهل الخمسين)
84
- ابن قسي (الثائر على الموحدين) 186 /
243 / 245 / 246
- قطران بن تارسان / أبو ما غليف (من
رجال هنتاة) 134 / 136 / 137
- قطران بن ما غليف الهنتائي (من أهل المشورة
السبعة) 86
- القنبيطور انظر : السيد القنبيطور
- ابن قنونة (أو جنونة) انظر : عبد الله بن
أبي بكر بن يوسف بن تاشفين
(الكاف)
- كعب بن عجرة (الصحابي) 94
- كلثوم بن عياض 41
- كلكي (؟) انظر : طلّاع بن رزيك
(اللام)
- اللمطي / أبو يعقوب (من الغرباء) 85
- اللورقي انظر : أحمد بن سلمة
(الميم)
- المأمون انظر : إدريس / أبو العلاء
- المأمون بن البطاحي / أبو عبد الله (الوزير
الفاطمي) 79 / 91 / 143
- المازري (الفقيه الإفريقي) 93
- الماسي انظر : محمد عبد الله بن هود
- مالك بن أنس 182
- مالك بن وهيب الإشبيلي 225
- ماكسن بن المعز (صاحب ملية) 207
- المتوكل 32
- ابن مجوز انظر : عمر بن علي بن الحاج
يحيى بن علي بن الحاج
- محرز بن زياد (زعيم عرب رباح) 78
- ابن محشوة انظر : أبو الفضل بن طاهر
- الملق (مدوح الأعشي) 175
- محمد بن أبي إبراهيم إسماعيل المزرجي /
أبو عبد الله (عامل الموحدين على
إشبيلية) 207
- محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم بن
لب التجيبي / أبو عبد الله - ابن الحاج
(قاضي الجماعة بقرطبة ابن بيهلير)
234 / 241 / 243
- محمد بن أحمد بن رشد / أبو الوليد (الجد)
الفيق القاضي 150 / 151 / 243
- محمد بن أحمد بن طاهر المرسى (الجد) 101
- محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد
(الحفيد) الفيلسوف 210
- محمد بن أحمد (المستظهر) بن المقتدى /
أبو عبد الله (المفتي العباسي) 257
- محمد بن أصبغ / أبو عبد الله - ابن المناصف
(قاضي الجماعة بقرطبة) 14 / 30 /
150 / 222 / 234 / 257
- أبو محمد بن أصناج 34
- أبو محمد التادلي 12
- محمد بن تومرت المهدي 7 / 19 / 20 /
25 / 37 / 39 / 43 / 44 / 45 / 47 / 48
/ 53 / 61 / 62 / 67 / 72 / 73 / 76
/ 77 / 81 / 83 / 84 / 87 / 88 / 89

- المتفتي العباسي انظر : محمد بن أحمد المستظهر
- ابن مقوز انظر : عمر بن علي بن الحاج / يحيى بن علي بن الحاج
- ابن المجوم (القاضي) 212
- ابن ملوية انظر : عبد الله بن يعلى
- ابن المناصف انظر : محمد بن أصبغ
- منذر بن سعيد البلوطي (قاضي الأندلس) 182
- المنصور بن أبي عامر 183
- منصور بن الفضل المسترشد بن المستظهر أحمد / أبو جعفر (الراشد العباسي) 230 / 231 / 250 / 252 / 257
- منصور بن أبي القاسم المستعلي / الأمر بأحكام الله الخليفة الفاطمي 42 / 51 / 75 / 79 / 143 / 144 / 145 / 146 / 151 / 166
- 217 / 218 / 219 / 221 / 231 / 232 / 233
- المنصور بن يوسف (الخليفة الموحدى) انظر : يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن
- مهدي بن تولى (قائد مرابطى) 136
- موسى بن تمارا الجدميوى / أبو عمران (أمير الجماعة) 127 / 158
- موسى التينملى / الحاج (من أهل الخمسين) 84
- موسى بن سليمان التينملى / أبو عمران (صهر عبد المؤمن بن علي وقاضيه) 84 / 206 / 210
- موسى بن عبد الصمد القرطبي / أبو الحسن (الفقيه المشاور بقرطبة) 143
- أبو موسى بن عزوز 35
- موسى بن نصير 41
- موسى بن أبي هارون (نائب ابن تغلوت على

68

- مخارق (المغنى) 23
- المرتضى انظر : عمر بن أبي إبراهيم إسحاق ابن يوسف
- ابن مردنیش انظر : محمد بن سعد بن مردنیش
- مريم بنت يطل بن إسماعيل 158
- مزدي بن سلكان / أبو محمد (قائد مرابطى) 65 / 68 / 74
- المسترشد العباسي انظر : الفضل بن أحمد المستظهر بن عبد الله
- المستظهر الأموى انظر : عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار
- المستظهر العباسي انظر : أبو العباس أحمد ابن المقتدى عبد الله
- المستعلي الفاطمي انظر : أبو القاسم أحمد ابن المستنصر
- المستنصر الفاطمي انظر : معد بن الظاهر على
- أبو مسعود (قائد مرابطى) 136 / 137
- مسعود بن محمد شاه السلجوقي 257
- مسعود بن ورتسيغ (قائد مرابطى) 114
- ابن مصال انظر : نجم الدين / أبو الفتح
- ابن مطروح القيسى (مؤرخ للموحدين) 250
- المعتضد بن عباد 43
- المعتمد بن عباد (ملك إشبيلية) 101
- معد بن الظاهر على (المستنصر الفاطمي) 42 / 75 / 79 / 231 / 233
- ابن معيشة انظر : عبد الحق بن عبد الله / أبو محمد
- المقتدى بالله العباسي انظر : عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله

- أبو محمد بن عبد الله بن أبي بكر (قائد مرابطى) 244
- محمد بن عبد الله الجففى / أبو عبد الله 13
- محمد بن عبد الله بن الحسن الجدامي المالقي قاضي غرناطة 89
- محمد بن عبد الله بن هود الماسي (الشاعر على الموحدين) 128 / 178
- محمد بن عبد المؤمن بن علي / السيد أبو عبد الله 206
- أبو محمد بن عبيد الله 12
- محمد بن علي بن حمدين (القاضي بقرطبة) 44 / 70 / 73 / 89
- محمد بن علي بن غانية (قائد مرابطى) 246
- أبو محمد بن الفرس 12
- أبو محمد بن مالك المشرف (عامل المرابطين على شرق الأندلس) 143
- محمد بن مزدي (قائد مرابطى) 76
- محمد بن مسعود الغافقى (كاتب علي بن يوسف) / ابن أبي الخصال 154
- أبو محمد بن واحدان (أو ويكلدان) (من أهل الخمسين) 84
- محمد بن الوليد الفهرى / أبو بكر الطرطوشى (العالم الأندلسي نزيل الإسكندرية استاذ ابن تومرت المهدي) : 44 / 71 / 91
- محمد بن يحيى بن يحيى بن أبي بكر بن إبراهيم / ابن فانو 255
- محمد بن يزمر (من مشايخ هنتاة) 134
- محمد (الناصر) بن يعقوب (المنصور) الموحدى 17 / 23 / 29 / 208
- محمد بن يوسف بن تاشفين / ابن عائشة (القائد المرابطى) 65 / 130
- محمد بن يوان (عامل المرابطين على قرطبة) 90 / 91 / 92 / 93 / 94 / 95 / 96 / 99
- 100 / 101 / 103 / 104 / 105 / 106 / 107
- 108 / 109 / 110 / 111 / 112 / 113 / 114
- 115 / 116 / 117 / 118 / 119 / 120 / 121
- 122 / 123 / 124 / 125 / 129 / 130 / 131
- 132 / 133 / 134 / 135 / 136 / 137 / 138
- 139 / 140 / 141 / 142 / 146 / 147 / 156
- 160 / 163 / 165 / 167 / 168 / 169 / 170
- 171 / 172 / 173 / 174 / 175 / 176 / 177
- 179 / 180 / 181 / 182 / 183 / 184 / 185
- 201 / 204 / 209 / 210 / 221 / 222 / 225
- 226 / 236 / 239 / 254
- محمد بن حبوس الفاسي (الشاعر ماذح عبد المؤمن بن علي) 174
- محمد بن الحنفية انظر : محمد بن علي بن أبي طالب
- محمد بن داود / أبو عبد الله (قاضي فاس) 248
- محمد بن سعد بن مردنیش (أمير مرسية) 32 / 125
- محمد بن سليمان / أبو عبد الله (من أهل الجماعة) 127
- محمد بن سليمان الرعيني / ابن الحناط 182
- محمد بن سليمان (عامل المرابطين على قرطبة) 68
- محمد بن سمون بن محمد بن ترهوت / ابن الحاج (ابن عم يوسف بن تاشفين) 65 / 76 / 153 / 245
- محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن طاهر / الحفيد (الكاتب الموحدى) 101 / 116 / 117
- محمد بن عبد الرحمن (المستكفى) 42

فاس (217)

موسى بن واحدين المزال / أبو عمران
(من أهل المشورة السبعة) 86
المؤمن بن البطانحي (وزير الأمر الفاطمي)
143 / 79

المؤمن / أبو القاسم 38
مونيو ألونسو (قائد طليطلة النصراني) 266
ميمون بن حمدون (وزير يحيى بن العزيز بن
علاء الناس / أمير بجاية) 217 / 146
ميمونة بنت يثت بن عمران 225
ميمون الهواري (من كتاب عبد المؤمن) 210
ميمون بن ياسين (من قواد المرابطين) 71 /
223 / 132

(النون)

الناصر لدين الله الأموي انظر : عبد الرحمن
ابن محمد
الناصر (الخليفة الموحدي) انظر : محمد
(الناصر) بن يعقوب (المنصور)
نجة / أبو الحسن (من طلبة الموحدين) 179
نجم الدين / أبو الفتح - ابن مصل (وزير
الظافر الفاطمي) 258

أبو النجوم الباجي 54 / 52

نزار بن المستنصر الفاطمي 231 / 75

نصر بن العباس الصنهاجي (قاتل الوزير ابن
السلار) 261 / 260 / 259 / 258

262

- نصيب بن رباح (الشاعر الأموي) 213
- نحر بن تهلد بن يملوك (من دعاة ابن تومرت
المهدي) 133
- نحر بن داود (من مشايخ هنتاة) 134

الوليد بن يزيد المرواني (الخليفة الأموي) 180
الونشريشي انظر : عبد الله بن محسن
(الياء)

يانس / صاحب الباب (وزير الحافظ الفاطمي)
233 / 219

اليوج (لقب قومس نصراني) 207

- يحيى أغوات التيمملي (من أهل الخمسين)
84

- يحيى بن أبي بكر بن إبراهيم / أبو زكريا (ابن
فانو) 254 / 253 / 216

- يحيى بن تاشفين / أبو بكر 76

- يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي (صاحب
إفريقية) 92 / 76 / 75 / 69 / 42

- يحيى الدرعي / أبو زكريا (من الغرياء) 85

- أبو يحيى بن زكريا المريني 33

- يحيى بن زيد بن علي زين العابدين 180

- يحيى بن سير (قائد مرابطي) 164

- يحيى بن عبد الجليل بن مجير الفهري /

أبو بكر 29

- يحيى بن عبد المؤمن بن علي / السيد أبو زكريا 207

- يحيى بن العزيز بالله بن المنصور بن الناصر بن

علاء الناس (صاحب بجاية) 146 /

217

- يحيى بن علي بن الحاج / ابن مجوز 153 /

227 / 154

- يحيى بن علي بن حمود 42

- يحيى بن علي بن غانية (قائد مرابطي) 244 /

253 / 246 / 245

- يحيى بن كاتجان (قائد مرابطي) 164

- يحيى بن محمد الناصر / أبو زكريا (المتعصم)

26 / 25 / 24

- يحيى بن مريم (قائد مرابطي) 224

- يحيى بن وسنار / أبو زكريا (من أهل

الخمسين) 205 / 85 / 61

- يحيى بن يحيى بن أبي بكر بن إبراهيم / ابن فانو
254

- يحيى بن يومر المرغري / أبو زكريا (من أهل
الخمسين) 84

- يخلق بن الحسن الجفيسي / أبو سعيد (من
أهل الخمسين) 85

- يدر بن ورقاء / أبو عبد الله (قائد مرابطي)
245 / 215 / 152

- يدر بن ولجوط (قائد مرابطي) 224

- ابن يربوع الإشبيلي انظر : عبد الله بن
سعيد بن أحمد

- اليسع بن عيسى بن حزم بن اليسع الغافقي
47 / 19

- يصلان بن المعز (الناصر على الموحدين)
186

- يطى بن إسماعيل اللهوني (قائد مرابطي)
166 / 158 / 157

- يعزى بن مخلوف المرغري (من أهل الخمسين)
84

- يعقوب المريني / أبو يوسف 35 / 34

- يعقوب بن عبد المؤمن / السيد أبو يوسف
207

- يعقوب (المنصور) بن يوسف بن عبد المؤمن
ابن علي / أبو يوسف 20 / 17

212 / 208 / 207 / 26 / 25 / 21

- يعيش الجدميوي / أبو محمد (من أهل

فهرس الأعلام الجغرافية والقبائل والطوائف والفرق

- أشفشذ 239
 - أشقوية - أشكونية (انظر : أشكلونة)
 - أشكلونة (?) Escalona 252 / 251
 - إصبهان 257
 - أصروان يسمج 90
 - أطلس (جبال) 36
 - أغمات 44 / 40 / 13
 - أغمات أيلان 159
 - أغمات وريكة 127 / 126 / 83 / 61
 - 237 / 212 / 162 / 158
 - إفراغة Fraga 245 / 244 / 235 / 51
 - 266 / 248 / 247
 - أفراج يوسف بن وغواد 158 / 157
 - إفريقية 66 / 61 / 42 / 41 / 40 / 32 / 15
 - 128 / 125 / 116 / 78 / 77 / 76 / 75
 - 208 / 207 / 183 (166 / 151 / 145
 - 240 / 217
 - إفريقية (شمال) 27
 - إفريقية (الغربية) 158
 - إقليبية 42
 - أقليم (أقليمش) Ucles 63 / 56 / 51 / 42
 - 178 / 177 / 68 / 66 / 65 / 64
 - أمجدار 166 / 158
 - أمسكر 264
 - أمية (بنو) 183 / 42
 - الأندلس 19 / 17 / 15 / 14 / 8 / 7
 - 44 / 42 / 41 / 32 / 28 / 25 / 24 / 23
 - 61 / 51 / 50 / 49 / 48 / 47 / 46 / 45
 - 76 / 74 / 73 / 71 / 66 / 65 / 63 / 62
 - 132 / 130 / 128 / 119 / 116 / 89
- الهمة -
 - آجر سيف 254 / 33
 - آسدرم أن الغزي 132
 - آنسا 210 / 138 / 127
 - آنسا بنى إيماد دين 138
 - الأبدال (أبدال الشام) 115
 - أبدة Ubeda 256
 - أبلة Avila 242
 - آجر فرجان 263 / 249 / 237
 - أجلا حال 226
 - الأدراسة 181 / 111
 - إذ فرجال 136
 - أرغن (أو أرغون) 151 / 65 / 64 / 51
 - 266 / 244 / 152
 - أركش Arcos 186
 - أريليه Aurelia, Oreja 267
 - الأزارقة 176
 - أزموور 36
 - إسبانيا 56
 - الأستافون 260
 - إستجة Ecija 245
 - الإسكندرية 186 / 91 / 89 / 75
 - 259 / 258 / 257
 - إشبيلية Sevilla 43 / 42 / 29 / 24
 - 130 / 128 / 76 / 71 / 66 / 65 / 45
 - 153 / 151 / 150 / 149 / 148 / 132
 - 211 / 208 / 207 / 183 / 179 / 154
 - 229 / 228 / 227 / 226 / 223 / 215
 - 247 / 241 / 234
 - الأشعرية 175

- الخمسين (85
 يعيش بن القديم / أبو البقاء 12
 ابن يعمور (من قواد الموحدين) 254
 يخور يوركن التينملى / أبو وابور (من أهل
 المشورة السبعة) 86
 - اليكى (الشاعر) 212
 - يناله / أبو عمر (عامل غرناطة للمرابطين)
 155
 يبتان بن على بن يوسف بن تاشفين /
 أبو يعقوب 215
 يبتان بن عمران (من قواد المرابطين) 225
 أبو يهرا (من مشايخ هنتانة) 134
 يوجوت بن واجاج / أبو الحسن (من أهل
 الخمسين) 136 / 129
 يوسف بن أيوب (صلاح الدين الأيوبي) 83
 يوسف بن تاشفين 43
 يوسف بن سليمان التينملى المنسكالى (من
 قواد عبد المؤمن) 186
 يوسف بن عبد المؤمن بن على / أبو يعقوب
 179 / 177 / 174 / 78 / 62 / 47
 212 / 210 / 209 / 208 / 207 / 206 / 189
 يوسف بن عمر (عامل خراسان للوليد بن
 يزيد الأموي) 180
 يوسف بن محمد بن المعز المكلاتي الفاسي /
 أبو الحجاج (الأحدث) 30
 يوسف المستنصر بن محمد الناصر 24 / 23 / 18
 يوسف بن مخلوف التينملى (من أهل
 الخمسين) 84
 يوسف بن وانودين الهنتاتي / أبو يعقوب (من
 أهل الخمسين) 255 / 254 / 84
 يوسف بن بلر (من قواد عبد المؤمن) 254
 - يونس التينملى / أبو على (من أهل الخمسين)
 84

- تاسغرت 189 / 19 —
 — تاسغيموت 250 / 224 / 223 / 71 —
 — تاشفين (بنو) 148 / 65 —
 — تاصبوت 138 —
 — تافر ككونت (حصن) 156 —
 — تامسنا 78 / 33 —
 — الترك 32 —
 — تطوان (تيطاون) 186 / 56 / 53 / 11 / 9 —
 — تطيلة Tudela 244 / 229 —
 — تلمسان 179 / 176 / 77 / 65 / 42 / 30 / 217 / 210 / 209 / 208 / 207 / 186 —
 — 255 / 254 / 225 —
 — تونس 116 / 54 / 47 / 28 / 14 —
 — تيزي آن الأليات 130 —
 — تيفنوت 136 / 134 —
 — تينملل 123 / 86 / 84 / 82 / 44 / 33 / 137 / 133 / 129 / 128 / 127 / 126 —
 — 136 / 152 / 142 / 141 / 140 / 139 —
 — 188 / 177 / 167 / 166 / 164 / 163 —
 — 224 / 223 / 222 / 210 / 208 / 205 —
 — 253 / 251 / 250 / 240 / 236 / 226 —
 — 265 / 263 —
 — تيهرت 40 —
 — تيونوين 237 / 236 / 136 / 129 / 44 —
 — الثاء —
 — الثغر الأعلى 244 / 229 —
 — وانظر : سرقسطة —
 — الجامع .. (انظر : مسجد) —
 — الجامع الأعظم 26 —
 — جبال الأطلس 36 —
 — جبال السوس 50 —
- برجة (من أعمال المرية) Berja 89 —
 برشلونة Barcelona 141 / 130 / 65 —
 245 / 244 / 245 وانظر : قلطونية —
 برغواطة 41 —
 — البصرة 91 —
 — البطحاء 240 —
 — بطاليوس Badajoz 230 / 228 —
 — بغداد 91 / 73 / 71 —
 — البكار (انظر : فحص البكار) —
 — بليس 260 —
 — بلشون Belinchon 66 —
 — بلنسية Valencia 101 / 74 / 65 / 56 / 216 / 215 / 154 / 153 / 152 / 130 —
 — 245 —
 — بهلول (بنو) 34 —
 — البودليانا (مكتبة) 9 —
 — البورت (موقعة) Congost de Martorell —
 — 153 / 130 / 65 —
 — بونة 93 / 78 —
 — بياسة Baeza 251 / 24 —
 — بيت المقدس 262 / 184 / 119 / 91 —
 — بيروت 47 / 46 / 45 / 43 / 25 / 19 / 9 —
 — بيزة 244 / 160 / 75 —
 — الثاء —
 — تاجكوط 263 —
 — تاجندويت 238 —
 — تاجة (نهر) Rio Tajo 230 —
 — تادرات 138 / 137 / 44 —
 — تادلا 250 / 249 / 223 / 207 / 35 —
 — تارودانت 238 / 237 —
 — تازاجورت 224 —
 — تازة 33 —

- إجل أو إجليل (جبل) 78 / 44 / 25 —
 — 131 / 124 / 132 / 133 / 134 —
 — 136 / 137 / 136 —
 — إجليل هرغة (أو من هرغة) 136 / 133 —
 — إيمران تغوف 237 —
 — الباء —
 — باب الأحمر (بمراكش) انظر باب الخزن —
 — الباب الأخضر (بالإسكندرية) 91 —
 — باب أغمات (بمراكش) 160 —
 — باب أيلان (بمراكش) 164 / 159 —
 — باب الحميس (بمراكش) انظر : باب الشريعة —
 — باب الدباغ أو الدباغين (بمراكش) 159 —
 — باب دكالة (بمراكش) 166 —
 — باب الشريعة (بمراكش) 159 —
 — باب الفخارين (بتينملل) 223 —
 — باب الخزن (بمراكش) 159 —
 — باجدي (بنو) 254 —
 — باجة Beja 230 / 228 —
 — باريس (باريز) 53 / 10 / 8 —
 — الباطنية 231 —
 — باغة Priego 243 —
 — بجاية 155 / 146 / 93 / 88 / 77 / 76 —
 — 207 / 206 / 188 / 186 / 184 / 176 —
 — 257 / 254 / 217 / 210 / 208 —
 — البحيرة 156 / 130 / 127 / 126 / 44 —
 — 163 / 162 / 161 / 160 / 158 —
 — 187 / 171 / 166 / 165 / 164 —
 — البراجلة 256 —
 — البير 42 / 41 / 27 —
 — برتقال (البرتغال) Portugal 230 / 63 —
 — 252 / 241 —
 — برجانة Purchena 246 —
- 143 / 148 / 149 / 151 / 152 / 160 —
 174 / 177 / 178 / 183 / 186 / 188 —
 189 / 193 / 207 / 208 / 209 / 210 —
 211 / 222 / 228 / 229 / 234 / 241 —
 245 / 246 / 250 / 251 / 256 / 266 —
 267 / —
 الأندلسيون 49 / 40 / 14 / 13 / 10 —
 أنطاطة Idanha-a-vella 203 —
 أهل درن 45 —
 أهل الجماعة أو أهل العشرة (من طبقات الموحدين) 88 / 84 / 82 / 61 / 19 / 161 / 128 / 127 / 126 / 125 / 124 —
 239 / 163 / 162 —
 أهل الخمسين (من طبقات الموحدين) 127 / 124 / 86 / 82 / 62 / 61 / 19 —
 210 / 206 / 186 / 129 / 128 —
 أهل الدار (من طبقات الموحدين) 82 / —
 239 / 209 / 170 / 86 —
 أهل السبعين (من طبقات الموحدين) 19 / —
 128 / 83 / 82 —
 أهل الشورى أو المشورة السبعة (من طبقات الموحدين) 86 / 84 —
 أهل الغرب 38 —
 أهل الغنائل (من طبقات الموحدين) 82 / —
 85 —
 أهل البطا 45 —
 أوصليم 225 / 138 —
 أوصليم بنى وأومفى 138 —
 أوكسغورد 47 / 9 —
 أنجران بنى توكريت (أنجر متاع بنى كوريت) —
 164 —
 أنجل أن وارغن 237 —

الجيوثية 220

- الحاء -

- الحاج (بنو) 153

- حاحة 263 / 136 / 131

- الحيشة 219

- الحجاز (الحرمان) 71 / 61

- (بنو) الحسن النباهيون 89

- الحشم 138 / 137 / 136 / 135 / 132 / 76

- الحشمي (المرباطي في اصطلاح الموحدين) 215

- حصن السكة 216 / 215

- الحفاظ (من طبقات الموحدين) 19 /

179 / 173 / 172 / 82

- الحفصيون 128 / 19

- حلب 261

- (بنو) حماد الصنهاجيون 146

- (بنو) حمدون 146

- (بنو) حمدين القرطبيون 210

- الحموديون 43

- الحاء -

- خراسان 18

- الخزانة العامة بالرباط 38 / 27

- الخزرج 108

- خندق الجمر (وادي الزيتون) 255

- الدال -

- الدار البيضاء 19

- دار الغرب الإسلامي 25 / 9

- دار الكتب المصرية 54 / 53

- داي 226

- درعة 224 / 223 / 132

- الدروز .. (انظر : التزانية)

- دكالة 134 / 131

- دلاص 258

- دمشق 261 / 91

جبل درن 138 / 133 / 119

جبل الريف .. (انظر : الريف)

جبل شلير (جبال غرناطة) 186

جبل طارق أو جبل الفتح 211 / 174

جبل غيابة 255 / 254 / 253

جبل مديونة 255

جبل مزورح 263

جبل المصامدة 147 / 131

(وانظر : مصمودة)

جبل هزرجة 163

جبل مسكورة 130

جدموة 207 / 138 / 85 / 82

جراندة (كراندة) 253

(وانظر : كراندة)

جراوة 43

الجروية 157

الجزائر 93 / 78 / 7

جزر كنارياس (جزائر السعادة أو الجزر

الخالديات) 88

جزولة 41 / 66 / 132 / 215 / 236 / 237 /

265 / 264

الجزيرة الخضراء Algeciras 128 / 71

206 / 149

جزيرة شقر Alcira 153

جشمجال 226

جلالة 225 / 138

جناوة 158

الجند (من طبقات الموحدين) 178 / 82

جنيفسة 264 / 207 / 163 / 138 / 85 / 82

جنيف الجبل 133

جنوة Genova 244 / 160 / 75

جيان Jaén 256 / 229 / 208 / 155

الجزيرة 258

- الراء -

- الرباط 33 / 27 / 13 / 11 / 8

207 / 54 / 53 / 45 / 43 / 39

- رباط تلمسان .. (انظر : تلمسان)

- رباط ملالة 77

- رجراجة 264 / 131

- (بنو) رزين 65

- الرقاتق (انظر : بحيرة الرقاتق وسواقي الرقاتق)

- رقالة 238

- الركابية (حرس الخليفة الفاطمي) 232 / 231

- رندة Ronda 211 / 128

- رودة Rueda 229

- الروم .. (انظر : النصارى)

- (بنو) رياح (عرب إفريقية) 116 / 78

- الریحانية (من طوائف جيوش الفاطميين بمصر)

220

- الريف 255 / 254

- رية .. (انظر : مالقة)

- الزوال -

- الزاب 183

- الزراجنة (اللقب الذي أطلقه الموحدون على

المرباطين) 224 / 222 / 216 / 215 / 132

- الزلاقة (موقعة) Sagrajas 228

- زناتة 255 / 254 / 253 / 87

- زواغة 41

- الزيدية (من فرق الشيعة) 180

- السين -

- سبتة Ceuta 89 / 43 / 41 / 34 / 19

206 / 188 / 186 / 155 / 130

- سجنانة 133

- سجلماصة 130 / 34 / 26 / 23 / 13

208 / 160

- سرقسطة Zaragoza 152 / 143 / 91 / 65

253 / 247 / 244 / 229 / 216 / 153

(وانظر : الثغر الأعلى)

- سطيف 184

- سلا 250 / 185 / 123 / 33

- سواقي الرقاتق 160

- السودان 158 / 152

- السوس (أو السوس الأقصى) 40 / 34

132 / 131 / 130 / 129 / 111 / 90 / 44

133 / 135 / 136 / 137 / 141 / 156 /

238 / 237 / 225 / 223 / 178

- سوسة 78

- الشين -

- الشام 269 / 231 / 116 / 71 / 61

- شبيط 185

- شبه الجزيرة 32

- شببوة Sabiote 256

- شرف إشبيلية Aljarafe 227 / 226

- شريش Jerez 229 / 209

- الشريعة (بخارج تيممل) 139

- شقوية Segovia 242 / 64

- شلطانة Saldaña 216

- شلمنقة Salamanca 228

- شترين (بالبرتغال) Santarém 207 / 151

266 / 230

- شتفيلة Santafile 207

- الشيعة 261 / 182

وانظر : الزيدية / بنو عبيد / الفاطميون

- الصاد -

- الصحابة 25

- الصحراء (صحراء المغرب) 216 / 149 / 71

- صعدة (باليمن) 180

- 42 Carmona - قرمونة
183 قریش
41 قسطيلية
93 / 78 قسطنطينية
183 القسطنطينية
/ 74 / 64 / 63 / 51 / 24 Castilla - قشتالة
267 / 246 / 229 / 157 / 155 / 153
242 Cáceres - قصرش
250 قصر عطية
(وانظر : فحص عطية)
215 / 160 / 75 Cataluña - قطلونية
(وانظر : برشلونة)
208 / 116 / 47 / 41 قنصة
244 Calatayud - قلعة أيوب
146 القلعة (قلعة بنى حماد)
226 Alcolea - القليعة (من أعمال إشبيلية)
Cullera - القليعة (قليية من أعمال بلنسية)
153
70 Canales - قنالش
230 قنطرة السيف
230 قنطرة أو قنيطرة محمود
24 Quesada - قيجاجا
208 القيروان
- الكاف -
263 كاسطت (من منانة)
130 / 42 Cutanda - كتندة (موقعة)
- كراندة .. (انظر جراندة)
- الكفار أو الكفرة (لقب أطلقه الموحدون على
المرابطين)
136 / 48 (وانظر : المرابطون)
- (بنو) كلب 115
- كنشرة (كنسويجرا) Mogueira Consuegra 153

- غياة 253 / 254 / 255
- غينا 158
- الفاء -
33 فازاز
- فاس 12 / 13 / 14 / 33 / 34 / 35 / 47
/ 65 / 71 / 72 / 76 / 123 / 152 / 153
/ 155 / 174 / 179 / 181 / 186 / 208
/ 217 / 225 / 248 / 249 / 252 / 253
268
- الفاظميون 42 / 45 / 49 / 51 / 144
258 / 145
(وانظر : بنو عبيد)
- فحص مراکش 158
- فحص البكار El Vacar 241 / 242
- فحص عطية 251
(وانظر : قصر عطية)
- فح (وقعة) 111 / 181
- الفرغجة (بلاد) 244 / 247
- القاف -
- قابس 209
- القاهرة 8 / 13 / 25 / 91 / 220 / 233
262 / 260 / 258
- قبرة Cabra 143
- القبط 220
- قرطبة Cordoba 12 / 14 / 24 / 42 / 43
/ 44 / 62 / 64 / 66 / 68 / 70 / 73 / 74
/ 76 / 89 / 101 / 127 / 128 / 143 / 148
/ 149 / 150 / 151 / 154 / 179 / 183
/ 188 / 208 / 210 / 211 / 212 / 215
/ 216 / 222 / 226 / 227 / 228 / 229
/ 234 / 235 / 241 / 242 / 243 / 245
267 / 266 / 256 / 252 / 246

- الصعيد (صعيد مصر) 219 / 220 / 258 / 261
صفروى 126
الصقالبة 261
صفلية (جزيرة) Sicilia 78 / 79
الصلبيون (الروم) 260 / 261
- صنهاجة 40 / 47 / 61 / 85
صنهاجة تاسغرت 19 / 189
صنهاجة الجبل 237
صنهاجة الظل 138
صنهاجة القبلة 132
صودة 131
- الطاء -
(بنو) طاهر (المرسيون) 101
طبة 183
طرطوشة Tortosa 91 / 178
(بنو) طريف 41
الطلية (من طبقات الموحدين) 19 / 20
/ 23 / 36 / 82 / 138 / 173 / 177 / 186
188 / 189 / 194 / 212
طليبرة Talavera 65 / 69 / 207 / 208
طليطلنة Toledo 64 / 65 / 74 / 209
216 / 227 / 242 / 266
طليحة 34 / 40 / 206
- العين -
(بنو) العباس (العباسيون) 41 / 61
261 / 181
(بنو) عبد الواد 254
(بنو) عبيد (آل عبيد / العبيدية / العبيديون)
144 / 233 / 261 / 262
(وانظر : الفاطميون)
العجم 116
العدوة 14 / 15 / 19
(وانظر : المغرب الأقصى)
العدونان 14
العراق 61 / 71 / 115 / 221
العرب 25 / 27 / 35 / 41 / 66 / 109 /
115 / 116 / 117 / 149 / 207 / 208 / 261
- العربان 66
عرب الأندلس 41
عرب الخلط 24
- عسقلان 261
- العسكرية (جيوش الفاطميون) 218 / 219
220 / 233 / 258
- عقبة البقر 215
- العين -
- غانة 158
(بنو) غانية 141 / 207 / 208 / 246
- غجدامة (غجرامة) 20 / 138 / 226
- الغرات (من طبقات الموحدين) 82
- الغرب (انظر : المغرب الأقصى)
- غرب الأندلس Extremadura 227 / 243 /
245 / 252
(وانظر : برتقال)
- الغرباء (من طبقات الموحدين) 14 / 85
- الغربية (إقليم بمصر غرب الدلتا) 220
- غرناطة Granada 43 / 65 / 66 / 74 / 89
128 / 153 / 155 / 206 / 215 / 216 /
227 / 228 / 229 / 230 / 234 / 243
246 / 253 / 257 / 266 / 267
- الغز 32
الغزالية 71
- غليرة Galera 154
غمارة 186 / 207 / 255

- 246 / 244 / 160 / 141
- النون -
231 / 75 - النازية (الدروز)
- النصارى (الروم / المسيحيون / المشركون)
/ 64 / 63 / 50 / 49 / 41 / 32 / 25 / 23
/ 76 / 75 / 74 / 70 / 69 / 67 / 66 / 65
/ 154 / 153 / 150 / 141 / 130 / 97 / 79
/ 215 / 207 / 184 / 183 / 178 / 155
/ 229 / 228 / 227 / 226 / 219 / 216
/ 256 / 254 / 251 / 246 / 242 / 241
267 / 266
- النهر الأعظم .. (انظر : الوادى الكبير)
نو مكران 90
- النيل 232
- الهاء -
هرغة 129 / 126 / 86 / 84 / 82 / 44
136 / 135 / 133 / 131 / 130
- هزرجة 225 / 224 / 223 / 163 / 131 / 82
226
- هزمير (أو هزميرة) 133 / 131 / 82 / 44
139
- هزميرة الجبل 139 / 133
- هسكورة 131 / 130 / 85 / 40 / 35
226 / 134
- هسكورة الجبل 237
- هسكورة الظل 138
- هسكورة القبلة 132
- هنتانة 135 / 134 / 133 / 86 / 84 / 82
239 / 137 / 136
- هنكيسة 237 / 132
- 258 - المغاربة
- المغرب (المغرب الأقصى - العدو - الغرب)
/ 23 / 22 / 18 / 14 / 12 / 11 / 8 / 7
/ 41 / 40 / 34 / 32 / 28 / 27 / 25 / 24
/ 50 / 49 / 48 / 47 / 46 / 45 / 43 / 42
/ 73 / 71 / 69 / 66 / 65 / 61 / 54 / 51
/ 155 / 130 / 125 / 119 / 111 / 91
/ 210 / 208 / 193 / 189 / 181 / 171
256 / 254 / 253 / 251 / 217 / 216
- المقرمدة 253
- المكتبة الخديوية 54 / 53
(وانظر : دار الكتب المصرية)
مكناس (مكناسة) 211 / 41 / 35
- مكة 175 / 119 / 115 / 111 / 71
- المثلثون 50
- بنو (ملول) 263
- ملوية 255 / 43
- ملوية (نهر) 33
- مليلة Melilla 255 / 207
- منانة 263
- منانة الجبل 263
- منانة الفحص 263
- المنستير 93
- منية الزبير (بقرطبة) 266
- المهديّة 155 / 143 / 92 / 78 / 75 / 14
262 / 259 / 257 / 217 / 209
- الموالي 183
- الموصل 257
- الميز تانوت 264
- ميورقة (جزيرة) Mallorca 75 / 24

- الكوفة 94
كولية (كوالية) 153 / 149
كومية 209 / 207 / 186
كيك (كيك غيفرة) 156 / 44 / 36
- اللام
لاردة Lèrida 244
لبلة Niebla 246
لجاغة 136
لشبونة (الألبونة) Lisboa 245
لنتونة 224 / 178 / 168 / 164 / 154
254 / 244 / 225
لطة 132
لوانة 41
ليدن 54 / 53
ليون Leon 64 / 17
ليسط (حصن) Aledo 64
- الميم -
ماردة Merida 230
ماغوصة (ماغوصة - موعوصة) 138
مالقة Malaga 206 / 186 / 89 / 83 / 24
243 / 211
المهسون 48
مبشر قلل 255
مدير 56 / 52 / 29 / 27 / 13
المدينة 115 / 94
مراكش 20 / 19 / 18 / 15 / 13 / 12
23 / 22 / 34 / 33 / 30 / 26 / 25 / 24
/ 83 / 82 / 78 / 53 / 44 / 36 / 35
/ 148 / 141 / 140 / 132 / 123 / 101
/ 206 / 202 / 154 / 151 / 150 / 149
/ 215 / 212 / 211 / 210 / 208 / 207
264 / 263 / 251 / 250 / 240 / 216
- المرايطون (انظر : المهسون / المللون / الراجية)
مرابط Murviedro 244
مرسية Murcia 130 / 101 / 65 / 23
245 / 229 / 216 / 207 / 165 / 152
(بنو) مرين (المرينيون) 33 / 32 / 23
49 / 36 / 35 / 34
المرية Almeria 89 / 83 / 74 / 71 / 62
234 / 228 / 148
- مزالة 86
- مسجد الأخضر أو الخضر بالاسكندرية 91
- المسجد الجامع (بقرطبة) 150 / 74 / 71
243 / 241 / 234 / 151
- المسجد الجامع (بمراكش) 166
- مسجد القرويين (بفاس) 252 / 250 / 248
- مسجد واطاس بن يحيى (بأغمات وريكة)
83
- مسكالة 133 / 127 / 90
- مسكروطن .. (انظر : مصكر وطن)
- مسون 185
- المشرق 83 / 71 / 62 / 61 / 52 / 50 / 49
/ 181 / 176 / 167 / 143 / 91 / 89
254 / 240 / 186
- مصر 62 / 61 / 51 / 48 / 45 / 42
/ 145 / 144 / 143 / 83 / 79 / 75 / 71
/ 257 / 231 / 217 / 166 / 155 / 151
262 / 261 / 260 / 259
- مصكروطن 249
- مصمودة (المصامدة) 131 / 119 / 45
مضر 171
المعتزلة 175
- معهد الدراسات الإسلامية 52 / 27 / 9

(بنو) هود 229
هونا 156
هيلانة 82 / 163
- الوادو
وادی آش Guadix 186
- وادی أبو حلوا 253
- وادی أم ربيع 166
- وادی إينشو 135
- واديان 138
وادی الزيتون 255
الوادی الكبير (أو النهر الأعظم أو نهر قرطبة)
Rio Guadalquivir 252 / 256
الوادی متاع ورغة 186
وادی نفیس 136
(بنو) وارتانك 129 / 139
(بنو) واوزجيت (أو واوسكيت) 37

- 230 / 242 / 243 / 244 / 246 / 253 / 256 / 266
 ابن خفاجة 131 / 253
 ابن خلدون 7 / 20 / 61 / 72 / 75 / 76 / 77 / 79 / 86 / 88 / 89 / 116 / 126
 127 / 128 / 131 / 133 / 135 / 137 / 138 / 139 / 141 / 148 / 156 / 165 / 204 / 224 / 229 / 233 / 250 / 254
 255
 ابن خلكان 71 / 72 / 76 / 77 / 79 / 87 / 92 / 126 / 131 / 165 / 170 / 175 / 205 / 218 / 258
 أبو داود 15 / 97 / 98 / 99 / 109 / 112 / 192 / 198
 ابن دحية 174
 ابن أبي دينار 72 / 125
 الذهبي (شمس الدين) 13
 ابن الراعي 83 / 133 / 166 / 237
 ابن رشيقي القيرواني 175
 الرهوني 39 / 53 / 54
 ابن الزبير 13 / 14 / 89
 ابن أبي زرع 7 / 63 / 64 / 72 / 76 / 77 / 86 / 87 / 90 / 116 / 123 / 125 / 126
 127 / 128 / 131 / 133 / 157 / 176 / 204 / 205 / 206 / 208 / 209 / 210 / 212 / 230 / 239 / 240 / 248 / 250 / 251
 252
 الزركشي 7 / 72 / 87 / 125 / 134 / 206
 السبكي 175
 ابن سعيد 14 / 71 / 74 / 101 / 131
 182 / 183 / 211 / 229 / 266
 السلاوي 61 / 72 / 111 / 116
 123 / 125 / 126 / 127 / 128 / 131
 144 / 148 / 157 / 165 / 168 / 176
 177 / 178 / 181 / 204 / 205 / 209
 250 / 251 / 254 / 255
 السندي 95
 سهيل زكار 19
 سيد مصطفى غازي 253
 السيوطي (جلال الدين) 80 / 95
 - ابن أبي شنب 91 / 211
 - ابن صاحب الصلاة 9 / 19 / 20 / 38
 47 / 72 / 85 / 172 / 189 / 204
 205 / 206 / 209 / 210 / 211 / 212
 249 / 251
 - صفوان بن إدريس 174
 - أبو بكر الصيرفي 242 / 266
 - الضبي 10 / 150 / 182 / 243
 - الطبري 180
 - أبو بكر الطرطوشي 91
 - العبادي (أحمد مختار) 11 / 19 / 153
 172 / 173
 - العباس بن إبراهيم المراكشي 13
 - ابن عبد البر 175
 - عبد الحق الإشبيلي 12 / 13 / 39
 - عبد الحى الكتاني 27 / 39 / 53 / 54
 - عبد الرؤوف المناوي 80 / 95 / 96 / 192
 198 / 202
 - ابن عبد ربه 182
 - عبد السلام بن سودة 11 / 54
 عبد العزيز الأهواني 149
 عبد القادر زمامة 19
 عبد القادر القادري 53
 عبد الملك بن حبيب 183

- ابن عبد الملك المراكشي 11 / 12 / 13 / 14
 15 / 17 / 18 / 21 / 22 / 26 / 28
 30 / 31 / 32 / 101 / 227
 ابن عبد المنعم الحميري 243
 - عبد الواحد المراكشي 7 / 17 / 25 / 61
 72 / 81 / 82 / 92 / 116 / 125 / 126
 127 / 128 / 129 / 142 / 154 / 156
 171 / 174 / 175 / 176 / 177 / 178
 181 / 183 / 186 / 205 / 206 / 209
 210 / 231 / 240
 - العبدري 13
 - ابن عذاري 9 / 10 / 25 / 27 / 32
 38 / 40 / 47 / 54 / 56 / 61 / 68
 74 / 75 / 76 / 77 / 79 / 116 / 130
 144 / 145 / 146 / 148 / 149 / 150
 151 / 152 / 154 / 156 / 160 / 165
 171 / 176 / 177 / 178 / 179 / 186
 204 / 205 / 206 / 208 / 209 / 210
 215 / 216 / 217 / 218 / 225 / 231
 233 / 235 / 248 / 251 / 253 / 255
 257 / 258
 - ابن العري (أبو بكر) 109
 - ابن العماد الإصبهاني 15
 - ابن العماد الحنبلي 13 / 71
 - علي بن حمادة (أو حماد) الصنهاجي 47
 144 / 233
 - علي بن يوسف الحكيم 29
 - عياض بن موسى السبتي 186
 - الغبيني 10
 - الفتح بن خاقان 101 / 131 / 143
 - ابن فرحون 13 / 71 / 150
 ابن القاضي 12 / 13 / 14
 ابن القلانسي 261
 - ابن الكردبوس 153
 - ابن ماجه القزويني 99 / 112 / 191 / 192
 197 / 198
 حب الدين الخطيب 144 / 152 / 178
 116 / 227 / 228 / 242 / 246 / 266
 - محمد إبراهيم الكتاني 9
 - محمد بن تاويت 53
 - محمد بن تومرت المهدي 80 / 94 / 95
 96 / 173 / 179
 - محمد بن حمادو البرنسي السبتي 144
 - محمد سعيد العريان 25
 - محمد عبد الله عنان 7 / 144 / 148 / 152
 165 / 178 / 216 / 217 / 227 / 228
 230 / 242 / 253 / 256 / 266
 - محمد المتونى 209
 - محمود على مكي 6 / 74 / 75 / 148
 149 / 151 / 152 / 154 / 160 / 182
 183 / 243 / 244 / 267
 - مسلم بن الحجاج 96 / 147 / 171 / 179
 191 / 198
 - المقرئ 14 / 28 / 29 / 71 / 83 / 86
 178 / 209 / 211 / 231 / 233 / 266
 - المقرئزي 51 / 145 / 217 / 219 / 220
 231 / 233
 - (أبو القاسم) المؤمن 62 / 184
 - الميداني 175
 - النباهي 71 / 89 / 150 / 234
 - النسائي 95 / 99 / 191 / 192 / 194
 198
 النووي 94
 النويزي 72 / 77 / 79 / 125 / 128

ب - الأوربيين

- 244 Aguado Bleye أجوادو بلييه -
 174 Pèrès, Henri بيريس ، هنرى -
 223 / 140 Terrasse, Henri تيراس ، هنرى -
 / 79 / 72 Gaspar Remiro جاسبار ريمير -
 165 / 146 / 145 / 140 / 125 / 101
 Goldziher, Ignaz جولدا تسير ، إجناتس -
 132 / 80 / 8
 Gonzalez, Angel جونزالث بالنشيا ، آنخل -
 84 Palencia, Angel
 91 Guest, Rhuvon جيست ، روفن -
 / 54 / 7 Dozy, Reinhardt دوزى ، رينهاردت -
 / 210 / 193 / 163 / 152 / 141 / 139
 268 / 253 / 243 / 217 / 211
 230 Saavedra, Eduardo سافيدرا ، إدواردو -
 144 Vonderheiden, M. م . فوندرهايدن -
 140 Ferriol فيريول -
 78 Castrillo, Rafaela كاستريو ، رافاييلا -
 Codera, Francisco كوديرا ، فرانسيسكو -
 / 217 / 216 / 152 / 148 / 131 / 65
 / 248 / 243 / 242 / 230 / 228 / 227
 267 / 266 / 255 / 253 / 252
 40 Colin, George كولان ، جورج -
 80 / 7 Luciani لوشيانى -
 / 9 / 8 / 7 Levi Provencal ليفى بروفنسال -
 / 53 / 52 / 47 / 40 / 39 / 27 / 13 / 10
 / 91 / 89 / 88 / 82 / 81 / 80 / 62 / 55
 / 209 / 144 / 141 / 135 / 127 / 116
 244 / 243 / 210
 184 Lèvi della Vida ليفى دلا فيدا -
 64 / 63 Menéndez Pidal مينندث بيدال -
- 244 Aguado Bleye أجوادو بلييه -
 / 7 Joseph Aschbach يوسف -
 152
 Maximiliano ماكسيميليانو -
 91 Alarcon
 246 Alfred Bel ألفريديل -
 Huici أويشى ميراندا ، أمبروسيو -
 / 43 / 32 / 9 / 8 Miranda, Ambrosio
 / 69 / 66 / 65 / 63 / 56 / 55 / 46
 / 87 / 81 / 77 / 76 / 74 / 72 / 70
 / 128 / 127 / 126 / 125 / 123 / 116
 / 147 / 140 / 138 / 137 / 133 / 131
 / 156 / 154 / 153 / 151 / 150 / 149
 / 170 / 167 / 165 / 164 / 161 / 157
 / 206 / 205 / 204 / 185 / 181 / 176
 / 222 / 215 / 210 / 209 / 208 / 207
 / 235 / 230 / 228 / 226 / 224 / 223
 / 252 / 250 / 240 / 239 / 237 / 236
 266 / 265 / 256 / 255
 268 Oliver Asin, Jaime أوليفرأسين ، خايميه -
 93 Ivert, G. ج . إيفير -
 223 Basset, Henri باسيه ، هنرى -
 140 / 89 / 10 Basset, René باسيه ، رينيه -
 / 10 Brockelman, Carl بروكلمان ، كارل -
 175 / 150 / 54 / 13
 Brunschvig, Robert برونشفيج ، روبرت -
 144
 Bosch Vila, Jacinto بوسك فيلا ، خاينتو -
 244 / 243 / 165 / 152 / 64 / 63 / 8
 Pons بونس بونيس ، فرانسيسكو -
 85 / 84 / 13 Bolguen, Francisco

- 72 / 45 / 39 - الوشريسى
 / 146 / 140 / 83 - المسح بن عيسى الغافقى
 249
 205 / 171 / 165 / 146 / 140
 149 - ابن هشام اللخمي
 / 148 / 144 - الوراق (عبد الملك بن موسى)
 231 / 151

- المهدي 129 / 179
الجامع الصحيح للبخاري 95 / 96 / 98 / 99
180 / 191 / 192 / 198
الجامع الصحيح لمسلم بن الحجاج 15 / 96
147 / 171 / 179 / 191 / 198
الجامع الصغير للسيوطي 80 / 95 / 192
جذوة الأقباس لابن القاضي 12 / 13
جذوة المقتبس للحميدى 171 / 182
جمهرة أنساب العرب لابن حزم 111
حاشية على شرح السيوطي لسنن النسائي
للإمام السندی 95
الحلة السيرة لابن الأبار القضاعي 101 /
178 / 209 / 210 / 211 / 217 / 229
243 / 253
الحلل الموشية (مؤلف مجهول) 7 / 8 / 10
19 / 44 / 56 / 61 / 69 / 70 / 72 / 73
81 / 82 / 83 / 84 / 86 / 87 / 125 / 126
127 / 128 / 131 / 133 / 140 / 151 / 152
156 / 157 / 164 / 165 / 170 / 173 / 206
210 / 215 / 225 / 228 / 250
الخطط للمقريري 145 / 218 / 219 / 220
231 / 233
خلاصة تذهيب الكمال للخزرجي 110
دائرة المعارف الإسلامية 89 / 91 / 93 / 175
184
دراسات نقدية حول التاريخ الأندلسي لفرانسيسكو
كوديرا 65 / 131 / 148 / 217 / 227
228 / 230 / 242 / 252 / 253 / 255
دليل مؤرخ المغرب الأقصى لعبد السلام بن سودة
11 / 54
الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة لعلي بن
يوسف الحكيم 29

- بغية المتلمس للفضي 10 / 150 / 182 / 243
البيان المغرب لابن عذاري المراكشي 8 / 9
25 / 27 / 32 / 37 / 39 / 40 / 42 / 43
46 / 51 / 54 / 56 / 61 / 63 / 68 / 69
74 / 76 / 77 / 79 / 116 / 130 / 144
145 / 146 / 148 / 149 / 150 / 151 / 154
156 / 160 / 165 / 171 / 176 / 179 / 186
204 / 205 / 206 / 208 / 209 / 210 / 215
216 / 217 / 218 / 225 / 231 / 233 / 235
248 / 251 / 253 / 255 / 257 / 258
بيان الوهم والإيهام الواقعي في كتاب الأحكام
لابن القطان (الأب) 13 / 39
البيان والتحصيل لابن رشد الجد 150
التاريخ لعبد الملك بن حبيب 183
تاريخ الأدب العربي لبروكلمان 10 / 13
تاريخ أسامة بن منقذ 261
تاريخ الأندلس لابن الكردبوس 153
تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 171
تاريخ الدولة الفاطمية لحسن إبراهيم حسن 79 /
258 / 259 / 260 / 261
تاريخ الدولتين للزركشي 7 / 72 / 87 / 125
134 / 206
تجريد من ذكره الخطيب في تاريخه من رجال
الحديث بحكاية أو شعر لابن القطان
(الأب) 16
تذكرة الحفاظ للذهبي 13
تقريب الفتح القسي لابن القطان (الأب) 15
التكملة لابن الأبار القضاعي : 10 / 13 / 28
71 / 83 / 85 / 101 / 149 / 153 / 174
182 / 210 / 211
تذهيب الأسماء واللغات للنووي 94
التوحيد (باللسان البري) لعبد بن تومرت

فهرس أسماء الكتب العربية والأوربية

- أبو قلمون لابن القطان الأب (علي بن محمد بن
عبد الملك الكتامي) 16
اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء
للمقريري 217
الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب 144 /
148 / 152 / 165 / 178 / 216 / 217 / 227
228 / 230 / 242 / 244 / 246 / 253 / 256
266
الأحكام لعبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي 10 /
13
الإحكام لبيان آياته عليه السلام لابن القطان الابن
(أبي محمد حسن بن علي بن عبد الملك
الكتامي - مؤلف نظم الجمال) 10 /
38 / 39
إحياء علوم الدين للغزالي 39 / 43 / 45 / 70
71 / 72 / 73
أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم لأبي الحسن علي بن
حمادة 144 / 233
أخبار المهدي ابن تومرت لأبي بكر الصنهاجي
البيدق 8 / 9 / 20 / 38 / 47 / 61 / 71
77 / 83 / 85 / 126 / 127 // 129 / 128
131 / 132 / 133 / 134 / 137 / 138 / 139
141 / 148 / 156 / 157 / 158 / 161 / 163
164 / 165 / 170 / 181 / 182 / 183 / 185
186 / 204 / 205 / 206 / 210 / 215 / 216
217 / 223 / 224 / 225 / 236 / 239 / 249
254 / 255
أرجوزة تاريخية لابن الحناط 132
أرجوزة لحبيب بن هيرة 184
الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى للسلاوي
61 / 72 / 111 / 116 / 123 / 125 / 126
127 / 128 / 131 / 144 / 148 / 150 / 157
165 / 168 / 176 / 178 / 181 / 204 / 205
209 / 250 / 251 / 254 / 255
الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر النمري
175
أسرة بني تاشفين انظر : دراسات نقدية حول
التاريخ الأندلسي
أسماء الخليل وأنسابها وأخبارها لابن القطان (الأب)
16
الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني
175
إعتاب الكتاب لابن الأبار القضاعي 178
أعز ما يطلب لمحمد بن تومرت المهدي 7 / 80
94 / 95 / 96 / 132 / 173
الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام
لعباس بن إبراهيم المراكشي 13
أعمال الأعلام لابن الخطيب الغرناطي : القسم
الخاص بتاريخ المغرب 78 ؛ القسم
الخاص بتاريخ الأندلس 45 / 101
165 / 229 / 244
الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني 213 / 214
الإمام المازري لحسن حسني عبد الوهاب 93
أوضح المسالك : حاشية على شرح الزرقاني
لمختصر خليل بن إسحاق 53
برناج مشيخة ابن القطان (الأب) 12 / 14

- الديباج المذهب لابن فرحون 13 / 71 / 150
ديوان ابن خفاجة 131 / 253
الذخيرة لابن بسام 101 / 182
الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي 11 /
12 / 13 / 14 / 15 / 17 / 18 / 21 / 22 /
26 / 27 / 28 / 30 / 31 / 32 / 101 / 227
الرحلة للعبدري 13
الرد على أبي محمد بن حزم في كتاب المحلى لابن
القطان الأب 15
رسالة لأبي الحسن ابن عياش 189
رسالة الفصول إلى أهل بجاية 188
رسالة إلى طلبة صناجة تأسفرت 19
رسالة إلى طلبة سبتة 19 / 188
رسالة إلى جماعة المشيخة بقرطبة 188
رسالة الكافية في براهين الإمام المهدي لابن طاهر
المرسي 47
رسالة ابن سعيد في فضل الأندلس (ذيل على
رسالة ابن حزم) 14
روض القراطيس لابن أبي زرع 7 / 63 / 64 /
72 / 77 / 86 / 87 / 90 / 116 / 123 /
125 / 126 / 127 / 128 / 131 / 157 / 176 /
185 / 204 / 205 / 206 / 208 / 209 / 210 /
212 / 230 / 240 / 248 / 250 / 251 / 252
الروض المطار لابن عبد المنعم الحميري 243
زاد المسافر لصنفون بن إدريس 174
سراج الملوك للطوطوشى 91
السنن لأبي داود 15 / 99 / 109 / 112 / 115 /
191 / 192 / 198
السنن (أو المسند) للترمذى 96 / 109
سنن المصطفى لابن ماجة القزوينى 99 / 112 /
191 / 192 / 197 / 198
السنن للنسائى 95 / 99 / 192 / 194 / 198
- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى 13 / 71
شرح الأحكام (لعبد الحق بن عبد الرحمن
الإشبلى) لابن القطان (الأب)
39 / 13 / 12 / 10
شفاء الغلل في أخبار الأنبياء والرسل لابن القطان
(الابن) 38
شيوخ الدار قطني لابن القطان (الأب) 15
الصلة لابن بشكوال 70 / 71 / 74 / 143 /
150 / 151 / 182 / 234 / 256
صلة الصلة لابن الزبير 13 / 89
ضحى الإسلام لأحمد أمين 180
طبقات الشافعية للسبكي 175
عارضة الأخوذي لأبي بكر بن العربي 109
العبر لابن خلدون 7 / 20 / 61 / 72 / 75 /
77 / 79 / 88 / 89 / 116 / 126 / 127 /
128 / 131 / 134 / 135 / 137 / 138 / 139 /
141 / 148 / 156 / 165 / 204 / 223 / 224 /
229 / 233 / 250 / 254 / 255
العقائد (؟) لمحمد بن تومرت المهدي 173
العقد (الفريد) لابن عبد ربه 182
العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين
لمحمد المتوني 209
العمدة لابن رشتي القيرواني 175
عنوان الدراية للغبريني 10
فضائل المهدي لأبي القاسم المؤمن 38 / 47 /
62
فيض القدير لعبد الرؤوف المناوي 80 / 95 /
96 / 97 / 98 / 192 / 198 / 202
قلائد العقيان للفتح بن خاقان 101 / 131 /
143
القواعد لمحمد بن تومرت المهدي 173
قيام دولة المرابطين لحسن أحمد محمود 8

- المعيار المغرب للونشريسي 39 / 45 / 72
المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب لابن اليسع
العافقي 83
المغرب في حلى المغرب لابن سعيد 71 / 74 /
101 / 131 / 182 / 229 / 266
مفاخر البربر لمؤلف مجهول 68 / 144 / 151 /
152 / 215 / 222 / 266
مقالة في الإمامة الكبرى لابن القطان (الأب)
16 / 20
مقالة إنهاء البحث منتهاه عن مغزي من أثبت
القول بالقياس ومن نفاه لابن القطان
(الأب) 17
مقالة في الأوزان والمكاييل لابن القطان (الأب)
12 / 16
مقالة في الأيمان اللازمة لابن القطان (الأب)
16
مقالة في تبيين التناسب بين قول النبي ﷺ
« يتوب الله على من تاب » وما قبله من
الحديث لابن القطان (الأب) 17
مقالة في تحريم التساب لابن القطان (الأب)
16
مقالة في التفسير لابن القطان (الأب) 16
مقالة في تفسير قول المحدثين في الصحيح إنه
حسن لابن القطان (الأب) 17
مقالة في حث الإمام على القعود لسماع لابن
القطان (الأب) 17
مقالة في الختان لابن القطان (الأب) 16
مقالة في الدين يوضع على يد أمين فيتعدى فيه
لابن القطان (الأب) 16
مقالة في صنع المجتهد من تقليد المحدث في
تصحيح الحديث لدى العمل لابن
القطان (الأب) 16
- الكافية في براهين الإمام المهدي (رضى) عقلاً
ونقلاً لابن طاهر المرسي 122
الكامل لابن الأثير 72 / 92 / 126 / 128 /
140 / 146 / 165 / 205 / 218 / 233 / 244 /
248 / 255 / 258 / 261 / 266
لسان العرب لابن منظور 145
ما يحاضر به الأمراء لابن القطان (الاب) 16
مجمع الأمثال للميداني 175
مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة
المؤمنية 8 / 62 / 116 / 185 / 186 /
188 / 189 / 209
محاسن المجالس (؟) 54
المرابطون لبوسك قيلا 8 / 63 / 64 / 152 /
165 / 243 / 244
المراقبة العليا للنباهي 71 / 89 / 150 / 234
مسائل من أصول الفقه لابن القطان (الأب) 16
المستدرك للحاكم النيسابوري 98
المسموعات لابن القطان (الابن) 38
المسند لأحمد بن حنبل 96 / 97 / 192
المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية الكلبي
174
المعارك الكبرى في حرب الاسترداد المسيحي
لإسبانيا لأوثي ميراندا 56 / 63
المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد
المراكشي 7 / 8 / 25 / 56 / 61 /
72 / 81 / 82 / 92 / 116 / 125 / 126 /
127 / 128 / 129 / 142 / 154 / 165 / 171 /
174 / 175 / 176 / 177 / 178 / 181 / 183 /
186 / 205 / 206 / 209 / 210 / 240
معجم أصحاب أبي علي الصدفي لابن الأبار
القضاعي 74 / 83 / 89 / 131 /
143 / 150 / 151 / 253 / 256

فهرس المحتويات

3	مقدمة
7	تقديم
11	ابن القطان «الأب»
17	صلته بخلفاء الموحدين
22	محتته ووفاته
26	ابن القطان «الابن»
32	الدولة الموحدية في عصر المرتضى
38	مؤلفات ابن القطان
39	كتاب «نظم الجمان»
40	نقول المؤرخين المتأخرين عن ابن القطان
45	النص المنشور وقيمته
52	المخطوط
56	منهجنا في العمل
61	باب أخبار السنة الأولى من المائة السادسة
61	رحلة المهدي ابن تومرت الى المشرق
63	أخبار الأندلس - وقعة اقلش
67	مآخذ المرابطين على الموحدين
69	باب أخبار سنة ثلاث وخمسمائة
69	غزوة طليبة
70	احراق كتاب «الأحياء»
72	لقاء الغزالي ابن تومرت
73	باب أخبار سنة ثمان وخمسمائة

الصلاة 9 / 19 / 20 / 38 / 47 / 72
172 / 85 / 189 / 206 / 209 / 210 / 211
212
المناجاة لابن القطان (الابن) 38
الموطأ لمحمد بن تومرت المهدي 173 / 179
المؤنس في أخبار إفريقية وتونس لابن أوى دينار
72 / 125
النجوم الزاهرة لابن تغري بردي 79 / 143 /
145 / 171 / 231 / 233 / 257 / 258 / 261
262
نبذ تاريخية من أخبار البربر انظر : مفاخر
البربر
النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة لأوى الحسن على
ابن حماده 47 / 144
النزع في القياس لابن القطان (الأب) 15
نزعة المشتاق للإدرسي 140 / 230
النظر في أحكام النظر لابن القطان (الأب)
12 / 15
نفح الطيب للمقرى 14 / 28 / 29 / 71 /
83 / 178 / 209 / 211 / 231 / 233 / 266
نهاية الأرب للنويرى 72 / 77 / 79 / 125 /
128 / 140 / 146 / 165 / 171 / 205
نيل الانتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكى
13
وفيات الأعيان لابن خلكان 71 / 72 / 76 /
77 / 79 / 87 / 92 / 126 / 131 / 165 /
171 / 175 / 205 / 218 / 258 / 261
الوهم الإيهام انظر : بيان الوهم والإيهام
الواقعين في كتاب الأحكام

مقالة في الطلاق الثلاث لابن القطان (الأب) 16
مقالة في فضل عاشوراء وما ورد في الإنفاق فيه
على الأهل لابن القطان (الأب) 17
مقالة في القراءة خلف الإمام لابن القطان
(الأب) 16
مقالة في مشاطرة العمال لابن القطان (الأب)
16
مقالة في معاملة الكافر لابن القطان (الأب)
17
مقالة في منع إلقاء الثفت في عشر ذى الحجة
للمضحى لابن القطان (الأب) 16
مقالة في الوصية بالجنين لابن القطان (الأب)
17
مقالة في الوصية للوارث لابن القطان (الأب)
16
المقالة المقودة في حكم فتوى الميت والفتوى
المنقولة لابن القطان (الأب) 17
المقاس في أخبار المغرب والأندلس وفاس
لابن الوراق 47 / 144 / 148 / 151 /
231
المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب
27 / 45 / 61 / 62 / 81 / 84 / 87 / 88 /
125 / 126 / 129 / 137 / 138 / 141 / 142 /
182 / 239
المقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس
لأوى عبد الله محمد بن حمادوه البرنسي
144
المقتضب من تحفة القادم لابن الأبار 165 / 211
المن بالإمامة على المستضعفين لابن صاحب

156	هزيمة أبي بكر بن يندوج
157	هزيمة بكر بن علي وقتل يطى بن اسماعيل
158	الهزيمة على أغمات
159	هزيمة علي بن يوسف
160	أربعون هزيمة على مراکش وذكر يوم البحيرة
162	وقعة بجهة أغمات
164	وقعة انهزم فيها المثلثون
	موادعه الامام المهدي رضي الله تعالى عنه
167	وفاته - خاتمة لذكر دولته
	ذكر الفترة التي تلت وفاته بكتمان موته رضي الله تعالى عنه
	عن الجمهور، والبيعة الخاصة لسيدنا مولانا الخليفة الأول
170	أمير المؤمنين رضي الله عنه
171	كرمه رضي الله تعالى عنه
172	تواضعه رضي الله تعالى عنه
172	تأديبه لنبيه الكرام رضي الله تعالى عنه وعنهم
	الاثناء الامامي المهدي عليه رضي الله تعالى عنه والتصريح
	بخلافته بعده رضي الله تعالى عنهما وبقاء الأمر العلي في
173	عقبه الكريم الى قيام الساعة بحول الله تعالى
173	علمه وحلمه وانبساطه رضي الله تعالى عنه
180	كراماته رضي الله تعالى عنه
	أمره رضي الله تعالى عنه بالمعروف ونهيه عن المنكر وعدله،
187	ونهجه مناهج الحق وفضله
204	مدة خلافته رضي الله تعالى عنه
205	عمره - وقت وفاته ومدفنه رضي الله تعالى عنه
206	أولاده الكرام رضي الله تعالى عنهم أجمعين
208	بناته - وزراؤه رضي الله تعالى عنه

76	باب أخبار تسع وخمسمائة
76	باب أخبار سنة احدى عشرة وخمسمائة
76	باب أخبار سنة احدى عشرة وخمسمائة
82	طبقات الموحدين
87	باب أخبار سنة ست عشرة وخمسمائة
	مقدمة لآيامه العظيمة بذكر جمليات من أمور الكريمة
87	رضي الله عنه
87	نسبه
88	لقبه «رضي الله تعالى عنه»
90	أمه «رضي الله تعالى عنه»
90	مولده «رضي الله تعالى عنه»
90	صفته
90	أخلاقه «رضي الله تعالى عنه»
91	عصمته «رضي الله تعالى عنه»
	رسالة خاطب بها أبو عبد الرحمن بن طاهر حضره سيدنا
	ومولانا الخليفة الأول الامام أمير المؤمنين أبا محمد عبد
101	المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه
123	بيعة الامام المهدي رضي الله تعالى عنه
123	وفاته - عمره - مدة بقائه - اخوته
124	وزراؤه - أصحاب مشورته
124	كيفية انعقاد البيعة له رضي الله تعالى عنه
143	أخبار غير الموحدين اعزهم الله تعالى
146	باب أخبار سنة تسع عشرة وخمسمائة
152	باب أخبار سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة
	باب في أخبار سنة أربع وعشرين وخمسمائة أخبار
156	الموحدين أعزهم الله تعالى

287	فهرس الأحاديث النبوية
289	فهرس الشعر
291	فهرس الأعلام
309	فهرس الأعلام الجغرافية والقبائل والطوائف والفرق
319	فهرس اسماء المؤلفين
319	فهرس أ - العرب
323	فهرس ب - الأوروبيين
324	فهرس اسماء الكتب العربية والأوروبية

210	قفاثه - كتابه رضي الله تعالى عنه
212	الطلبة في حضرته السنية رضي الله تعالى عنه
215	أخبار الأندلس في هذه السنة
216	أخبار الغرب وما والاها
217	أخبار أفريقية وما إليها - أخبار مصر في هذه السنة
221	أخبار العراق في هذه السنة
222	باب في ذكر أنباء سنة خمس وعشرين وخمسمائة
	باب في ذكر أنباء سنة ست وعشرين وخمسمائة أخبار
223	الموحدين أعزهم الله
224	وصفة فتح تاسغيموت - وصفة فتح درعة
226	أخبار الأندلس وغيرها في هذه السنة
229	باب في ذكر أنباء سنة سبع وعشرين وخمسمائة
234	باب في ذكر أنباء سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وأخبار غيرهم
236	باب في ذكر أنباء سنة تسع وعشرين وخمسمائة
241	أخبار الأندلس في هذه السنة
249	باب ذكر أخبار سنة ثلاثين وخمسمائة أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى
251	باب ذكر أخبار سنة احدى وثلاثين وخمسمائة
	باب ذكر أخبار سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة أخبار الموحدين
253	أعزهم الله تعالى
	باب ذكر أخبار سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة أخبار
263	الموحدين أعزهم الله تعالى
266	أخبار الأندلس وغيرها في هذه السنة
269	المصادر والمراجع المستخدمة في الدراسة والتحقيق
279	المراجع العربية
281	المراجع الأوروبية
285	فهرس الآيات القرآنية

Extrait du
Treizième volume

Nazm al Ġumân litartîb mâ salafa min aḥbâr az-zamân

Ibn al Qaṭṭân al Marâkîšî

Abî Muḥammad Hasan bin ‘Alî
bin Muḥammad bin ‘Abd-l-Malik al Kitâmî
(vers la moitié du septième siècle de l'Hégire)

ÉTUDIÉ, PRÉSENTÉ ET RÉALISÉ
PAR

D^r Mahmoud Ali Makki

Professeur de la Littérature andalouse
à la Faculté des Lettres de L'Université du Caire
et

membre du Conseil de la langue arabe



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
1990 - 1410